

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ



العلاقات السياسية والتجارية بين تونس و دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18 م مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث

إشراف :

الأستاذ الدكتور عمار بن خروف

إعداد الطالب :

الشافعي درويش

السنة الجامعية: 1436 هـ - 1437 هـ / 2015 م - 2016 م

جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ



العلاقات السياسية والتجارية بين تونس و دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18 م مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث.

إشراف الأستاذ الدكتور:

عمّار بن خروف .

إعداد الطالب:

الشافعي درويش

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د/صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة غرداية
أ.د /عمار بن خروف	أستاذ التعليم العالي	مشرفا مقرر	أكلي محند أولحاج/البويرة
أ.د /حميدة عميراوي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر
أ.د/فاطمة الزهراء قشي	أستاذة التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة قسنطينة 2
أ.د/حنيفي هلايلي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
د/إبراهيم سعيود	أستاذ محاضر "أ"	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 2

السنة الجامعية: 1436 هـ - 1437 هـ / 2015 م - 2016 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

أتقدّم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف ؛ الأستاذ الدكتور
عمار بن خروف على قبوله الإشراف عليّ من أجل إنجاز هذا العمل
، وعلى المساعدة الكبيرة التي قدّمها لي من توجيهات قيّمة ،
ونصائح ثمينة ، كما أشكره على تفضّله بقراءة رسالتي الفصل تلو
الآخر ، وعلى تصحيحه لي الأخطاء. كما أشكره على صبره
وتواضعه معي ، وسأظلّ مدينا له ما حييت .

كما لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى اللجنة المناقشة
المحترمة ، التي قبلت مناقشة عملي المتواضع ، ومنحتني هذا
الشرف العظيم .

الطالب : الشافعي درويش

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والديّ الكريمين
اللّذين أنجباني ، وكذلك إلى والديّ اللّذين ربّاني ، وإلى
زوجتي التي شجّعني وساندتني على مواجهة الصعوبات
، وإلى أولادي خلود سهيلة ، ومحمد حسين ، وعمير
إسلام ، وأميمة حسنة ، الذين أهملتهم خلال إنجاز هذه
الدراسة .

وإلى أستاذي المشرف المحترم الدكتور عمار بن
خروف حفظه الله ، وإلى كل من قدّم لي العون من قريب
أو بعيد ، وإلى كل من علمني حرفا .
إلى كل هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل المتواضع .
ونحسب ثوابه عند الله .

لائحة الرموز والمختصرات

القسم العربي:

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة متلاحقة
ط	طبعة
ج	جزء
ب ت ن	بدون تاريخ نشر
م ت م	المجلة التاريخية المغربية
م ت ع	مجلة التراث العربي
م د ت	مجلة الدراسات التاريخية
م ت ع د	المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية
ك ت	الكراسات التونسية

القسم الأجنبي:

Page	P
Pages continues	Pp
Tome	T
Numéro	N°
Entre prise Nationale Algérienne de Livres	ENAL
Cahiers Méditerranée	CM
Revue Africaine	RA
Revue d'Histoire Maghrebénne	RHM

مقدمة

شهدت منطقة حوض البحر المتوسط الغربي خلال الفترة الحديثة تطورات عديدة ،وتغيرات هامة في العلاقات التي كانت قائمة بين مختلف الدول المطلة عليه ،مست جوانب مختلفة منه . وكان لها انعكاسات هامة . جعلتني اختارها موضوع بحث في أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث ،والموسومة ب :**العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م .مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية .**

وقد حاولت دراسة الموضوع اعتمادا على مجموعة من الوثائق الأرشيفية ،تحصلت عليها من الأرشيف الوطني التونسي ،كما اعتمدت على عدد من الوثائق المنشورة ،المتجمة إلى اللغتين العربية والفرنسية ،إضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة .

تمثل هذه المرحلة التاريخية جزءا هاما من تلك التحولات ،إن لم نقل محوريا ؛أثر في باقي علاقات الضفتين خلال فترة قرن كامل من الزمن .فقد شكلت العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر الميلادي ؛مرحلة هامة من تاريخ العلاقات بين بلدان المغرب الإسلامي ،وأوروبا المسيحية في الفترة الحديثة .تميزت بالصراع أحيانا والسلم والاتفاقيات ،والمبادلات التجارية ،أحيانا أخرى .

لقد تميزت هذه الفترة في إيالة تونس خلال القرن 18م ،بتولي الأسرة الحسينية زمام الأمور ، بعد القضاء على الأسرة المرادية ،وكان لهذا الحدث أثره البالغ على الأوضاع السياسية في تونس ، وعلى علاقاتها الخارجية مع دول أوروبا ،وخاصة الغرب متوسطية منها .

والحقيقة أن دواعي اختياري لهذا الموضوع عديدة ،نذكر منها :

- إن البحث في موضوع العلاقات السياسية والتجارية لتونس مع دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي مهم ،نظرا لما تميزت به تلك العلاقات من تطورات ،وتشابه بين دول الحوض الغربي للمتوسط .
- إن معظم الدراسات المتوفرة اليوم ؛ في مجال العلاقات بين ضفتي المتوسط خلال الفترة الحديثة ، هي في الغالب علاقات مع بلد واحد ،كتونس وفرنسا ،أو الجزائر وفرنسا ،أو الجزائر و أوروبا ،أو المغرب وفرنسا ، أو إسبانيا . لذلك أردت التمييز ،فاخترت تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية .
- إن الأبحاث المتعلقة بتاريخ علاقات تونس الخارجية ،تفتقر إلى الشمولية ، والدقة في مجال العلاقات ،فهي في الغالب تركز على التاريخ المحلي لتونس ،بينما تهمل موضوع علاقاتها الخارجية السياسية والتجارية في الفترة الحديثة ، خاصة ما يتعلق بعلاقات تونس مع دول غرب أوروبا المتوسطية .

لذلك أردت إثراء الموضوع ، بدراسة جادة تشمل علاقات تونس مع كل دول غرب أوروبا المتوسطية خلال قرن من الزمن.

- سبق لي وأن تناولت في مذكرة الماجستير موضوعا بعنوان :علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن 10 هـ/16م ، لذلك تكونت لدي فكرة عن جزء من علاقات تونس مع دول غرب المتوسط ، فأردت الاستمرار في موضوع مشابه ،وقد ثمن المجلس العلمي بجامعة غرداية هذا الاختيار ،وأبدى موافقته عليه ،كما ثمن ذلك الأستاذ المشرف الذي وجد الموضوع جديرا بالبحث والدراسة .

الهدف من هذه الدراسة :

إن الهدف من هذه الدراسة ؛ هو محاولة معالجة العلاقات السياسية والتجارية بين إيالة تونس الحسينية ودول غرب أوروبا المتوسطية ، خلال القرن الثامن عشر الميلادي. وهي مرحلة هامة بالنسبة لتاريخ بلدان المغرب الإسلامي ، وهامة أيضا بالنسبة لتاريخ غرب أوروبا المتوسطية ،بغية الكشف عن خبايا تلك العلاقات ، وتشابكها اعتمادا على هذا البحث ، لعلّي بذلك أقدم عملا مفيدا ، لمن يجهل الكثير عن تفاصيل تلك العلاقات .

الإطار الزمني والمكاني للدراسة:

وقد اخترت كإطار زمني لموضوع الدراسة القرن الثامن عشر الميلادي ، وذلك نظرا لأهمية هذه الفترة في تاريخ العلاقات بين الضفتين بوجه عام ، والعلاقات بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية على وجه الخصوص ،ونظرا أيضا لحاجة الموضوع لمفاصل واضحة ، فقد رأيت أنه من الضروري بداية الموضوع بسنة 1705م ،(وهو تاريخ ظهور الأسرة الحسينية في تونس) ، ويمتد إلى سنة 1814م ،لأن نهاية القرن 18م بالنسبة لتاريخ تونس ،هو فترة حكم حمودة باشا الحسيني ، والتي تستمر إلى غاية سنة 1814م ،كما أن هذا التاريخ هو إتمام لأحداث القرن 18م بالنسبة لأوروبا بالتوجه إلى مؤتمر فيينا ما بعد الثورة الفرنسية .

أما الإطار المكاني (مجال الدراسة) ،فقد اخترت جزءا هاما من الحوض الغربي للبحر المتوسط ، يمثل مركزين هامين من الضفتين أثرا في العلاقات بين ضفتيه ؛ وهما :الطرف الأول يتمثل في تونس باعتبارها إحدى دول الضفة الجنوبية من الحوض الغربي للمتوسط ،وإحدى دول المغرب الإسلامي ،وإحدى الإيالات العثمانية في غرب المتوسط ،والمرتبطة مع الدولة العثمانية ،منذ نهاية القرن 16م ،

والطرف الثاني يتمثل في دول غرب أوروبا المتوسطية؛ وتمثل كلا من :دويلات شبه الجزيرة الإيطالية ، وفرنسا ، وإسبانيا ؛لما لهذه الأطراف من دور في حوض المتوسط عموما خلال الفترة المدروسة .

أما الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة :

فتتعلق بالظروف ، والعوامل المؤثرة في العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م ؟ ومظاهر تلك العلاقات ، وبماذا تميزت ؟ و الطابع الذي غلب عليها ، أهو الحرب أم السلم ؟ وما آثارها وانعكاساتها على الطرفين، وعلى منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط عموما ؟ .

الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث:

تجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر الغربية الأوربية ، قد تعرضت إلى العلاقات في الفترة موضوع البحث ، في سياق سردها لأحداث القرن 18م ، كما فعل أرنست مرسى ، وبول ماسو في كتابه حول المؤسسات التجارية الفرنسية المغاربية ، وبيار غرونشو في كتابه حول علاقات تونس مع فرنسا ، وكذا أوجان بلونتي من خلال مراسلات بايات تونس مع البلاط الفرنسي ، الذي ضمّنه وثائق هامة ، إضافة إلى روار دو كار في كتابه حول معاهدات فرنسا مع دول شمال إفريقيا ، بالإضافة إلى الكتاب القيم المتمثل في الحوليات التونسية لألفونسو روسو .

لكن المتفحص لهذه الكتابات ، يلاحظ أن أغلبها تركز على علاقات تونس مع فرنسا ، بينما تهمل العلاقات مع باقي الدول الأوربية ،بالإضافة إلى أنها تناولتها من وجهة واحدة ،زد على ذلك أن بعضها سرد الأحداث دون تحليلها .أما المصادر المحلية المغاربية والتونسية فهي قليلة ، ولا تركز على العلاقات مباشرة ، ومن أهمها :ما كتبه ابن أبي الضياف ، وابن أبي دينار ،وحمودة بن عبد العزيز ،ومحمود مقديش ،ومحمد بن خوجة ،وخير الدين التونسي ،ومحمد بيرم الخامس وغيرهم ؛لكنها بدورها تفتقر إلى التحليل ،وتكتفي بسرد الأحداث ،وربطها بشخصية الباي ،هذا خاصة بالنسبة للمصادر المحلية التونسية .

في حين تجدر الإشارة إلى أن هناك دراسات علمية دقيقة أكاديمية ، وهامة لا يمكن للباحث في مجال العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية ،تجاوزها ،نذكر منها:

- رسالة ماجستير لمحي الدين التبيني بعنوان :المصادر الوثائقية لدراسة العلاقات بين إيالة تونس والمدن -الدويلات- الإيطالية خلال الفترة الحديثة (1748-1861) ، وهي رسالة غير منشورة موجودة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تونس الأولى ،ورغم أهمية عنوان الرسالة ؛إلا أنها

في الحقيقة أهملت الكثير من الوثائق ولم تتعرض لها بالشرح ،ورغم ذلك تبقى تفيد الباحث في الإحالة إلى مصادر تلك الوثائق الأرشيفية وترقيماؤها .

- ورسالة دكتوراه للأستاذ رشاد الإمام حول موضوع سياسة حمودة باشا في تونس الداخلية والخارجية (1782-1814) ،وهذا العمل مهم بالنسبة للمبحث الثالث من كل من الفصل الثاني والثالث ،على الرغم من أنه يركز على علاقات تونس مع فرنسا خاصة في السياسة الخارجية .

- بالإضافة إلى رسالة دكتوراه للأستاذ عمّار بن خروف حول موضوع العلاقات السياسية بين تونس والجزائر خلال عهد الدايات (1671م-1830م) ،وهي مهمة بالنسبة للفصل الأول .

- والدراسة التي قام بها الصادق بوبكر حول موضوع إيالة تونس في القرن السابع عشر وعلاقتها التجارية مع موانئ البحر المتوسط (مرسيليا وليفورنه) ،وهي مفيدة لفهم العلاقات بين أطراف من دول أوربا غرب المتوسط ،وهي مدينتي مرسيليا الفرنسية ،وليفورن الميناء التوسكاني ،وتونس خلال الفترة ،التي سبقت القرن 18م .

- بالإضافة إلى دراسة الأستاذ محمد الهادي الشريف حول موضوع الواردات والمستوردون بتونس خلال النصف الثاني من القرن 18م ،وهي دراسة لجزء من العلاقات التجارية للإيالة ،بالرغم من أن صاحبها لم يتكلم مباشرة عن العلاقات ،فهو قد يكتفي بوصف المبادلات التجارية لتونس ،مع بعض المناطق من أوروبا مع نهاية القرن 18م .

- إضافة إلى أطروحة دكتوراه للأستاذ أحمد سعيد الطويل حول موضوع العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ،ودول غرب أوربا المتوسطية من 1795م إلى 1832م ،هذه الدراسة تفيد الباحث في إحصاء بيبليوغرافيا حول جزء من الدراسة ،أما من حيث المضمون فموضوعها يختلف عن موضوع الدراسة ، لكنه يُصنّف ضمن العلاقات .

- بالإضافة إلى مذكرة ماجستير كنت قد أعدتها حول موضوع العلاقات بين الإيالات العثمانية في غرب المتوسط وإسبانيا خلال القرن 16م وبإشراف من الأستاذ عمّار بن خروف .

- وأيضاً مذكرة ماجستير للأستاذة الشيخ مليكة بعنوان العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن 18م ،وهي دراسة علمية ودقيقة ،تفيد الباحث في الفصل الثالث ،إلا أن الطرح يختلف من دراسة إلى أخرى ،بحسب التكثيف أو التحليل لتلك العلاقات .

يضاف إلى كل ذلك رسالة ماجستير للأستاذ الباحث إبراهيم سعيود حول موضوع **العلاقات بين الجزائر والدويلات الإيطالية خلال القرنين 17م و18م**، وهذه الدراسة أفدت منها في معرفة الوضع العام لجزء هام من غرب أوروبا المتوسطة، قد يجهل عنه الكثير خلال الفترة الحديثة .

- وللأستاذ الباحث إبراهيم سعيود أطروحة دكتوراه بعنوان: **الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني**، وهي بدورها مفيدة في معرفة أحد مظاهر تلك العلاقات السياسية ؛وهي قضية الأسرى المغاربة ،ومنهج بطبيعة الحال التونسيين .

- بالإضافة إلى رسالة ماجستير للأستاذة عائشة غطاس- رحمها الله - حول موضوع **العلاقات بين الجزائر وفرنسا خلال القرن 17م**، رغم أنها لا تخدم الموضوع بشكل مباشر ،لكنها تبقى مفيدة . كما لا يفوتني الإشارة إلى ما ألفه الأستاذ عمار بن خروف حول العلاقات بالرغم من أنها علاقات بينية ؛ بين الجزائر والمغرب خلال القرن السادس عشر الميلادي ، ولقد حاولت الاستعانة بالمعلومات الهامة والقيمة المنهجية التي تحتويها هذه الدراسات العلمية الجادة ،في موضوع بحثي هذا .

المنهج المتبع في الدراسة :

لقد التزمت بالمنهج التاريخي الوصفي التركيبي التحليلي ؛باعتباره منهجا صالحا لوصف الأحداث والحقائق التاريخية ، وتحليلها تحليلا تاريخيا علميا ، وربطها ربطا تسلسليا وموضوعيا .بعيدا عن الذاتية والأحكام الفردية ؛ اعتمادا على قراءة جادة وثاقبة للمصادر التاريخية المتنوعة ،والمراجع المتوفرة ،وبلغات مختلفة .فقد استخدمت المنهج التاريخي الوصفي من أجل وصف الأحداث التاريخية المتعلقة بعلاقات الإيالة التونسية ،ومختلف دول غرب أوروبا المتوسطة خلال الفترة المدروسة ،بمختلف مراحلها وتنوع مميزاتها .

في حين استخدمت المنهج التاريخي التحليلي من أجل تفسير ذلك التنوع في علاقات الطرفين من فترة إلى أخرى ،ومن طرف إلى آخر ، بالرغم من أنها علاقات في مجملها سياسية وتجارية ، كما استفدت منه في البحث عن العوامل المتحركة في تلك العلاقات وتفسيرها بأسلوب تاريخي علمي ، حتى يسهل على القارئ فهم تلك المرحلة الهامة من تاريخ الإيالة التونسية .إضافة إلى المنهج الإحصائي ،الذي استخدمته من خلال استعمال جداول إحصائية لتوثيق الموضوع .

الخطة المعتمدة في الدراسة :

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة ،وأربعة فصول ،وخاتمة ؛كل فصل يمثل علاقة من علاقات تونس مع دول غرب أوروبا المتوسطة خلال القرن 18م ،وكان الترتيب على حسب تسلسل فترات

زمنية محددة بمفاصل زمنية واضحة ، باستثناء الفصل الأول، الذي هو بمثابة فصل تمهيدي للموضوع المطروق .وكانت الخطة على النحو الآتي :

الفصل الأول عنوانه : الأوضاع العامة في تونس ودول غرب المتوسط خلال القرن 18م ، وهو بمثابة فصل مدخلي ،تمهيدي حاولت من خلاله باختصار إعطاء لمحة عن الوضع الدولي العام في منطقة غرب المتوسط بصفتيه الشمالية والجنوبية ،وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث كالاتي :

المبحث الأول : تناولت فيه الوضع السياسي في الضفة الشمالية من غرب المتوسط خلال القرن 18م ؛وقد حاولت الإشارة باختصار إلى الوضع العام لكل دولة من القوى الأوربية خلال نفس الفترة المدروسة ؛بدءا من دويلات شبه الجزيرة الإيطالية ،ثم الوضع في فرنسا ، وإسبانيا ،وحاولت التركيز على الأحداث التي تخدم موضوع علاقات تلك الدول مع تونس ،أو تؤثر فيها بما يخدم موضوع البحث فيما يخص وضع كل دولة أوربية .

المبحث الثاني : فخصصته إلى الوضع السياسي الذي ميز دول الضفة الجنوبية من غرب المتوسط خلال القرن الثامن عشر ؛ ونقصد بها القوى الإسلامية المغاربية التي تواجدت خلال هذه الفترة ؛ وهي إيالة تونس في عهد الأسرة الحسينية خلال القرن الثامن عشر ،والتي ركزت عليها باعتبارها الطرف الأساسي في موضوع البحث ،هذا بالإضافة إلى أطراف أخرى ثانوية في الضفة الجنوبية ، وهو باقي بلدان المغرب الإسلامي ،ونقصد هنا إيالة الجزائر ،وإيالة طرابلس الغرب ،ثم المغرب الأقصى ، وهذه كلها رغم ذلك ستؤثر ولو بصفة غير مباشرة في علاقات تونس مع دول غرب أوربا المتوسطية .

أما المبحث الثالث : فخصصته إلى العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية والتجارية بين دول ضفتي غرب المتوسط خلال القرن الثامن عشر ؛ لغية فهم تلك العلاقات .

أما الفصل الثاني فعنوانه : علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة والدويلات الإيطالية خلال القرن 18م ،وقد اخترت هذا الفصل في هذا الترتيب نظرا للموقع الجغرافي المتميز لشبه الجزيرة الإيطالية ،وقد اخترت دراسة نماذج من علاقات تلك الدويلات مع تونس نظرا لكثرتها ،وهي (جمهورية جنوة ، جمهورية البندقية ،وميناء ليفورن عن توسكانيا ،وصقلية ونابولي ،وسردينيا) ،وقد قسمت هذا الفصل بدوره إلى ثلاثة مباحث، حسب الفترات الزمنية ،وتسلسل الأحداث المتعلقة بتطور علاقات تونس مع دويلات شبه الجزيرة الإيطالية ،وكان كالاتي :

المبحث الأول : تناولت فيه علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة والدويلات الإيطالية قبل القرن 18م ،وهو بدوره مبحث تمهيدي للمبحثين التاليين ،وتطرق في إلى مميزات هذه المرحلة من

العلاقات بين الطرفين ،دون الإطناب بحيث يعطي المبحث فكرة عن علاقات الطرفين خلال الفترة الحديثة ،ما قبل القرن الثامن عشر الميلادي .

المبحث الثاني : تناولت فيه العلاقات بين الطرفين في الفترة من 1705م إلى سنة 1756م ،أي منذ ظهور الأسرة الحسينية في تونس ،وبداية مرحلة جديدة من تاريخ الإيالة بعد القضاء على المراديين ،وبالتالي التغير في علاقاتها الخارجية ،وخصوصا مع دول غرب أوربا المتوسطية ،ومنها دويلات شبه الجزيرة الإيطالية ،وخاصة خلال فترة مؤسس الدولة الحسينية حسين بن علي .وصولاً إلى فترة علي باشا الذي تميزت علاقاته مع الدول الأوربية بالقوة والحزم .

أما المبحث الثالث : فتناولت فيه العلاقات بين الطرفين في الفترة ما بين سنتي 1756م ، و1814م ،وتطرقت فيه إلى علاقات تونس مع دويلات شبه الجزيرة الإيطالية خلال مرحلة الاستقرار الذي ميز تونس ،لتنتهي هذه المرحلة مع عهد حمودة باشا الحسيني ،الذي تميز عهده بالتنوع في العلاقات مع دويلات شبه الجزيرة الإيطالية .

أما الفصل الثالث فعنوانه : علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا خلال القرن 18م ، وتعتبر فرنسا من أهم الدول الأوربية ،وأكثرها ارتباطاً وتنوعاً في العلاقات مع الإيالة التونسية ،خلال القرن الثامن عشر وما قبله ،وحتى بعده . وقد قسمت هذا الفصل بدوره إلى ثلاثة مباحث بنفس الترتيب الزمني ،الذي اتبعته في الفصل الأول ،لكن المضامين سوف تختلف بشكل جذري ،حيث :

المبحث الأول : تناولت فيه علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا خلال الفترة ما قبل القرن 18م ،وهو بدوره مبحث تمهيدي للمبحثين التاليين ،وتطرقت فيه إلى مميزات هذه المرحلة من العلاقات بين الطرفين ،دون الإطناب بحيث يعطي المبحث فكرة عن علاقات الطرفين خلال الفترة الحديثة ،ما قبل القرن الثامن عشر الميلادي ،ورغم غزارة هذه المرحلة ؛خاصة خلال القرن السابع عشر ،إلا أنني حاولت الاختصار مع الحفاظ على المضمون الأساسي لعلاقات الطرفين ؛حتى يتسنى للقارئ فهم المرحلة اللاحقة ،أي علاقات الطرفين خلال القرن الثامن عشر .

المبحث الثاني : تناولت فيه العلاقات بين تونس وفرنسا في الفترة من 1705م إلى سنة 1756م ،أي منذ عهد مؤسس الدولة الحسينية حسين بن علي .وصولاً إلى فترة علي باشا الذي تميزت علاقاته مع فرنسا بالقوة والحزم ،ومع التجار الفرنسيين والشركة الفرنسية لصيد المرجان .

أما المبحث الثالث : فتناولت فيه العلاقات بين الطرفين في الفترة ما بين سنتي 1756م ، و1814م ،وتطرقت فيه إلى علاقات تونس مع فرنسا خلال مرحلة الاستقرار الذي ميز تونس كما ذكرنا ،

بالرغم من بعض التقلبات التي شابت علاقات الطرفين خلال حكم علي باي ، لتنتهي هذه المرحلة من علاقات الطرفين بعهد حمودة باشا الحسيني ،الذي تميز عهده بالتنوع في العلاقات مع فرنسا ، والتي بدورها تميزت بالاستقرار والسلمية ،رغم بعض الأحداث التي حاولت تعكيرها ،كالحملة الفرنسية على مصر في سنة 1789م ،إلا أنها بشكل عام تميزت بالوفاق المتواصل ،وهذا ربما يعود لسياسة حمودة باشا .

أما الفصل الرابع فعنوانه : علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا خلال القرن 18م ، تلك العلاقات التي تميزت بطابع العداء طول القرن الثامن عشر ،إلى غاية العشرية الأخيرة منه ؛ حيث تغيرت إلى الطبيعة السلمية بعد عقد معاهدة سنة 1791م بين الطرفين ،وبدوره قسمته إلى ثلاثة مباحث كالآتي:

المبحث الأول : تناولت علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا خلال الفترة ما قبل القرن 18م ،وهو بدوره مبحث تمهيدي للمبحثين التاليين ،وتطرقت فيه إلى مميزات هذه المرحلة من العلاقات بين الطرفين ،دون الإطناب بحيث يعطي المبحث فكرة عن علاقات الطرفين خلال الفترة الحديثة ،ما قبل القرن الثامن عشر ،والملاحظ أن هذه المرحلة تميزت بطابع العداء المستمر بين الطرفين منذ القرن 16م ،وخلال القرن 17م ،باستثناء علاقات تجارية جانبية ؛ تمثلت في تجارة العبور .

المبحث الثاني : تناولت فيه العلاقات بين الطرفين في الفترة من 1705م إلى سنة 1756م ،أي منذ تقريبا ظهور الأسرة الحسينية في تونس ،وبداية مرحلة جديدة في تاريخ الإيالة بعد القضاء على المراديين ،وبالنسبة لإسبانيا فقد استمرت العلاقات العدائية بينها وبين الإيالة رغم وصول الحسينيين للحكم ،فقد بقيت تلك العلاقات حبيسة المرحلة السابقة من الصراع المسيحي-الإسلامي ،سواء في عهد مؤسس الدولة الحسينية حسين بن علي ،أو في عهد غريمه علي باشا .على الرغم من وجود بعض المظاهر السلمية المحتشمة .

أما المبحث الثالث : فتناولت العلاقات بين الطرفين في الفترة ما بين سنتي 1756م ، و1814م ، وتطرقت فيه إلى علاقات تونس مع إسبانيا خلال مرحلة الاستقرار الذي ميز تونس ،وبالرغم من ذلك إلا أن علاقات الطرفين لن تتغير وستبقى عدائية ،إلى غاية العشرية الأخيرة من القرن الثامن عشر ،حيث توجت في سنة 1791م بإبرام معاهدة السلم الأولى بين الطرفين ،ونتج عنها مظاهر متنوعة ومختلفة لعلاقات سلمية سياسية ودبلوماسية وتجارية ،ربطت بين البلدين ،لتستمر إلى غاية نهاية عهد حمودة باشا الحسيني في سنة 1814م .

وختمت دراستي هذه بخاتمة تضمنتها مجموعة من النتائج ،التي توصلت إليها بعد الانتهاء من هذه الدراسة ،والمعلقة بالعلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال الفترة المدروسة .وذيلت هذه الدراسة بمجموعة (عشرون ملحقا) من الملاحق المتنوعة ،والتي في مجملها صور لوثائق أرشيفية في صلب الموضوع مباشرة ،وهي بدورها متنوعة ،ونظر كثرة صفحات الملاحق ، فقد اضطررت إلى حذف بنود المعاهدات ،واكتفيت من كل معاهدة بالبندين الأول والأخير ،إضافة إلى الديباجة وخاتمة المعاهدة ،وأحلت القارئ إلى مصدر الوثيقة حتى يتمكن من الاطلاع عليها إن أراد .أما باقي الملاحق فكانت متنوعة كذلك من جداول إحصائية ،وخريطة إلى آخره .وقائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الموضوع ،وعدد من الفهارس .

عرض نقدي لأهم المصادر والمراجع :

وحرصا على اكتمال الصورة التاريخية ،والوصول إلى نتائج علمية ؛حول علاقات تونس السياسية ،والتجارية مع دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م ،وإبراز أهم مظاهرها ،وتتائجها خلال تلك الفترة ؛فإن هذه الدراسة ،استقت معلوماتها من مصادر أولية ،ومراجع هامة ؛متنوعة عربية وأجنبية ومن أهمها :

أ- وثائق الأرشيف التونسي :

اعتمدت على عدد من الوثائق الأرشيفية في هذه الدراسة ،والمصنفة ضمن السلسلة التاريخية ، في الأرشيف الوطني التونسي ،والتي وصل عددها إلى 14 وثيقة .ويفوق عدد صفحاتها 110 صفحة .وتعذر علي وضعها كلها كملاحق ،لأن عدد صفحاتها يفوق عدد صفحات الفصول .وقد نصحتني الأستاذ المشرف -مشكورا- ،بأن اعرف تلك الوثائق ،واكتفي بذكر البنود والأجزاء ،التي اعتمدت عليها كثيرا ؛مع العلم أنني اعتمدت عليها كلها في هذه الدراسة .لأنه يتعذر علي وضعها كلها كملاحق .وتتمثل هذه الوثائق الأرشيفية في مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات ،التي وقعتها تونس مع دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م ،وهي :معاهدتين مع جمهورية البندقية خلال سنتي 1763م و1792م .ضمن الصندوق 247 ،الملف 647 .وأربعة معاهدات مع فرنسا خلال سنوات 1710م ،و1781م ،و1782م ،و1790م .ضمن الصندوق 204 ،الملف 58 .والصندوق 238 ،الملف 550 .ومعاهدة مع إسبانيا خلال سنة 1792م .ضمن الصندوق 254 ،الملف 705 ،706 ،707 .بالإضافة إلى وثائق ،ومراسلات بين حمودة باشا وقناصل وملوك الدول الأوربية تتعلق بقضايا مختلفة ؛كالملاحقة البحرية والتجارة والقرصنة .ضمن الملفات السابقة ،وهي كالاتي :

الوثيقة الأولى :

وهي عبارة عن المعاهدة التونسية - البندقية المبرمة بين الباي التونسي علي باي والوزير البندقي قاتنانو جرفازوني في سنة 1763م ، وهذه الوثيقة مكتوبة باللغتين العثمانية والإيطالية ، وهي تتكون من 23 بندا ، وبالتالي يصبح عدد صفحاتها حوالي 50 صفحة . وقد ركزت على بعض البنود وهي : 1، 3، 9، 16، 17، 20، 23، نظرا لأهميتها ، بالنسبة لدراسة العلاقات بين تونس ، والبندقية . وقد وضعت بعضها كملحق ، كما أضفت مضمونا لها . والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ، في الصندوق 247 ، الملف 647 .

الوثيقة الثانية :

وهي عبارة عن المعاهدة التونسية - البندقية المبرمة بين الباي التونسي حمودة باشا والقائد البندقي تومازو كونداالر في سنة 1792م ، وهذه الوثيقة مكتوبة باللغتين العثمانية والإيطالية ، وهي تتكون من 24 بندا ، وبالتالي يصبح عدد صفحاتها حوالي 52 صفحة . وقد ركزت على البنود التالية : 1، 6، 13، 14، 21، 23، 24 ، نظرا لأهميتها ، بالنسبة لدراسة العلاقات بين تونس ، والبندقية . وقد وضعت بعضها كملحق ، كما أضفت مضمونا لها . والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ، في الصندوق 247 ، الملف 647 .

الوثيقة الثالثة :

وهي عبارة عن تقرير لرياس البحر التونسيين موجه للسلطة في تونس (ربما إلى الباي التونسي حمودة باشا) ، والوثيقة مؤرخة في سنة 1795م ، وهذه الوثيقة مكتوبة باللغة العربية ، وهي تتكلم عن القرصنة التونسية ضد السفن النابوليتانية ، مما يوضح طبيعة العلاقات العدائية بين الطرفين خلال هذه الفترة . ومن حيث الشكل الوثيقة تتكون من ثلاثة صفحات ، ويظهر أنه تم إعادة كتابتها (ربما بسبب التلف) . ونظرا لأهميتها لدراسة العلاقات بين تونس ، ونابولي في نهاية القرن 18م . فقد وضعناها كملحق ، كما أضفت مضمونا لها . والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ، في الصندوق 186 ، الملف 1055 مكرر .

الوثيقة الرابعة :

وهي عبارة عن مراسلة بين حاكم مالطة وحمودة باشا وهي مؤرخة في سنة 1800م ، وهذه الوثيقة مكتوبة باللغة الإيطالية ، وهي تتكون من صفحة واحدة مكتوبة باللغة الإيطالية ، وقد استخدمتها نظرا لأهميتها ، بالنسبة لدراسة العلاقات بين تونس ، ومالطة مع نهاية هذه الدراسة ،

والوثيقة تتعلق بالعلاقات التجارية بين مالطة وتونس . وقد وضعتها كملحق ،حتى يطلع عليها القارئ ويستفيد منها ،والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 224 ،الملف 001 .

الوثيقة الخامسة :

وهي عبارة عن المعاهدة التونسية - الفرنسية المبرمة بين الباي التونسي حسين بن علي والملك الفرنسي لويس الرابع عشر في سنة 1710م ،وهذه الوثيقة مكتوبة باللغتين العثمانية والفرنسية ،وهي تتكون من 25 بنداً ،وبالتالي يصبح عدد صفحاتها حوالي 08 صفحات .وقد ركزت على البنود التالية : 2، 3، 4، 7، 17، 8، 10، 13، 21، 22، 23، نظراً لأهميتها ،بالنسبة لدراسة العلاقات بين تونس ،وفرنسا مع بداية القرن 18م .وقد وضعت بعضها كملحق ،كما أضفت مضمونا لها .والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 204 ،الملف 058 .

الوثيقة السادسة :

وهي عبارة عن المعاهدة التونسية الفرنسية المبرمة بين الباي التونسي علي باي ،والقنصل الفرنسي دي روشي في سنة 1781م ،وهذه الوثيقة مكتوبة باللغتين العثمانية والفرنسية ،وهي تتكون من 10 بنود ،وبالتالي يصبح عدد صفحاتها حوالي 22 صفحة .وقد ركزت على البنود التالية : 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8. نظراً لأهميتها ،بالنسبة لدراسة العلاقات التجارية بين تونس ، وفرنسا مع نهاية القرن 18م .وقد وضعت بعضها كملحق ،كما أضفت مضمونا لها . والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 238 ،الملف 550 .

الوثيقة السابعة :

وهي عبارة عن المعاهدة التونسية الفرنسية المبرمة بين الباي التونسي حمودة باشا ،والقنصل الفرنسي دي روشي في سنة 1782م ،وهذه الوثيقة مكتوبة باللغتين العثمانية والفرنسية ،وهي تتكون من 12 بنداً ،وبالتالي يصبح عدد صفحاتها حوالي 13 صفحة .وقد ركزت على البنود التالية : 1، 2، 4، 6، 7، 9، 10، 12، نظراً لأهميتها ،بالنسبة لدراسة العلاقات التجارية بين تونس ، وفرنسا مع نهاية القرن 18م .وقد وضعت بعضها كملحق ،كما أضفت مضمونا لها . والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 238 ،الملف 550 .

الوثيقة الثامنة :

وهي عبارة عن المعاهدة التونسية الفرنسية المبرمة بين الباي حمودة باشا ،والقنصل الفرنسي دو شاتونوف في سنة 1790م ،وهذه الوثيقة مكتوبة باللغتين العثمانية والفرنسية ، وهي تتكون من 13

بندا ،وبالتالي يصبح عدد صفحاتها حوالي 13 صفحة .وقد ركزت على البنود التالية : 2، 3 ، 5 ، 6، 7، 10، 11، 12، نظرا لأهميتها ،بالنسبة لدراسة العلاقات التجارية بين تونس ،وفرنسا مع نهاية القرن 18م ،فالوثيقة تخص الامتيازات التجارية للشركة الفرنسية بتونس .وقد وضعت بعضها كملحق ،كما أضفت مضمونا لها ،والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 238 ،الملف 550.

الوثيقة التاسعة :

وهي عبارة عن ملحق لمعاهدات أبرمت بين تونس وفرنسا بين الباي حمودة باشا والقنصل الفرنسي دوفواز ،والوثيقة مؤرخة في سنة 1795م ،وهذه الوثيقة مكتوبة باللغة العربية في صفحة واحدة ، ويظهر أنه تم إعادة كتابتها .ونظرا لأهميتها لدراسة العلاقات بين تونس ،وفرنسا في نهاية القرن 18م ،وتتعلق بقضية تحديد المياه الإقليمية بين تونس وفرنسا .وقد وضعتها كملحق ،كما أضفت مضمونا لها .والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 205 ،الملف 063 مكرر.

الوثيقة العاشرة:

وهي عبارة عن المعاهدة التونسية الإسبانية المبرمة بين الباي التونسي حمودة باشا والملك الإسباني دون كارلوس الرابع في سنة 1791م ،وهذه الوثيقة مكتوبة باللغتين العثمانية والإسبانية ،وهي تتكون من 26 بنداً ،وبالتالي يصبح عدد صفحاتها حوالي 52 صفحة .وقد ركزت على البنود التالية : 1 ، 2، 3، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 26. نظرا لأهميتها ،بالنسبة لدراسة العلاقات بين تونس ، وإسبانيا مع نهاية القرن 18م (الفصل الرابع) .بالرغم من أنني استفدت من محتوياتها كلها ،إلا أنه يتعذر علي نشرها كلها بالرغم من أهميتها .وقد وضعت بعضها كملحق ،كما أضفت مضمونا لها .

والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 254 ،الملف 705 .

الوثيقة الحادية عشر :

وهي عبارة عن حكم صادر عن الباي التونسي حمودة باشا في سنة 1793م ،يتعلق بطلب رجوع شحنات سفن إسبانية ،أخذت من طرف القراصنة الفرنسيين بالقرب من السواحل التونسية . وهذه الوثيقة مكتوبة باللغة العربية في صفحة واحدة ، ويظهر أنه تم إعادة كتابتها (ربما بسبب التلف) ،ونظرا لأهميتها لدراسة العلاقات السلمية بين تونس ، وإسبانيا في نهاية القرن 18م .فقد وضعتها كملحق ، كما أضفت مضمونا لها .والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 186 ، الملف 1055 مكرر .

الوثيقة الثانية عشر :

عبارة عن رسالة مؤرخة في 1 أكتوبر من سنة 1792م ،وهي مكتوبة باللغة الإسبانية موجهة من دون كارلوس الرابع إلى الباي حمودة باشا .وقد أشار الملك الإسباني في رسالته إلى تنصيب السيد سوشيتا كقنصل لإسبانيا في تونس وإسبانيا .والوثيقة تندرج ضمن المراسلات بين ملوك إسبانيا والباي التونسي حمودة باشا .وقد وضعتها كملحق ،والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 254 ،الملف 707 .

الوثيقة الثالثة عشر :

عبارة عن رسالة مؤرخة في 20 فيفري من سنة 1798م ،وهي مكتوبة باللغة الإسبانية موجهة من دون كارلوس الرابع إلى الباي حمودة باشا .فقد شكر الملك الإسباني في رسالته الباي على إطلاقه سراح بعض الأسرى الإسبان ،وأكد له حرصه على استمرار العلاقات الطيبة بينهما ،واعتذر له عن تأخير تلبية طلبه ،وأكد له تسريع تلبية .والوثيقة تندرج ضمن المراسلات بين ملوك إسبانيا وباي تونس حمودة باشا الحسيني ،وهي مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 254 ،الملف 707 . وقد وضعتها كملحق .

الوثيقة الرابعة عشر :

عبارة عن نماذج من مراسلات تمت بين ملك إسبانيا دون كارلوس الرابع وحمودة باشا باي تونس ،هذه المراسلات كانت خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1799م و1805م ،وتتعلق بمهام وأعمال القناصل الإسبان في تونس ؛وهم دون مانويل بنتوران بوثران ،ودون فرانسيسكو سيجي . والوثائق كاملة موجودة في الأرشيف الوطني التونسي ضمن السلسلة التاريخية ،في الصندوق 254 ،الملف 706 .وقد وضعتها كملحق.

وهذه الوثائق تفيد العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال الفترة المدروسة ،وتخدم الموضوع بشكل مباشر ،وقد حاولت قدر الإمكان الموازنة بين الفصول من حيث توزيع عدد الوثائق ؛فكان للفصل الثاني أربع وثائق ،وللفصل الثالث خمس وثائق ،وللفصل الرابع خمس وثائق . كما أن هناك وثائق أخرى كثيرة ضمن الأرشيف الوطني التونسي ،تخدم موضوع علاقات تونس مع دول أوروبا المتوسطية خلال الفترة الحديثة خاصة القرن 19م .يمكن لمن أراد البحث في هذا الموضوع التوجه إليها .

ب- الوثائق المنشورة بالعربية ،وهي :

1- المعاهدة المبرمة بين تونس وإسبانيا في سنة 1791م ،والمنشورة في كراسات الأرشيف الوطني التونسي ،ضمن عنوان :معاهدات واتفاقيات دبلوماسية بين البلاد التونسية والقوى الغربية (1626 - 1955) .والتي قام بتحقيقها الأستاذ المهدي جراد من جامعة سوسة في سنة 2011 .وعُلّق على المعاهدة الأستاذ كمال جرفال .

2- المعاهدة التي أبرمت بين الإيالة التونسية وجمهورية البندقية في ماي من سنة 1792م ،والتي نشرها الأستاذ عبد الجليل التميمي ،في كتاب بعنوان :دراسات ووثائق في التاريخ المغاربي في العصر الحديث ،وذلك باللغتين التركية (العثمانية) ،والعربية ،وقدم شرحا وتحليلا لمضمون المعاهدة .

3- وثائق نشرها نور الدين الحلاوي حول المراسلات التي حدثت بين حمودة باشا الحسيني ،وملوك إسبانيا دون كارلوس ،وفرناندو السابع بين سنتي 1792م ،و1814م ،والتي تكلمت عن علاقات الطرفين السياسية والدبلوماسية والتجارية ،وقد نشرت تلك المراسلات باللغتين الإسبانية والعربية ،في المجلة التاريخية المغاربية العدد 15-16 .

4- وثائق منشورة للأستاذ ميكال دي إيلنزا ؛تتعلق بأوضاع الأندلسيين المقيمين بتونس خلال أوائل القرن الثامن عشر ،وتشير إلى دورهم في علاقات الإيالة بإسبانيا بحكم حفاظهم على تراثهم الإسباني ،خاصة اللغة الإسبانية ،وقد عرّبها الأستاذ التميمي ،ونشرها في المجلة التاريخية المغاربية العدد 17-18 .

5- بالإضافة إلى الوثائق التي نشرها خليل ساحلي أوغلي حول القرصنة بين جمهورية البندقية والإيالات المغاربية خلال القرن 17م ،في كتابه من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني -بحوث ووثائق وقوانين- ،والتي استفدت منها في المبحث الأول من الفصل الثاني المتعلق بعلاقات تونس والدويلات الإيطالية ،وتحديدا في الجزء المتعلق بعلاقات تونس ،و البندقية في الفترة قبل القرن 18م .

ج- أما بالنسبة للوثائق المنشورة باللغة الأجنبية ،فمنها التي نشرت في :

1- المعاهدات المبرمة بين تونس ودول غربية ، والمنشورة في كراسات الأرشيف الوطني التونسي ، ضمن عنوان :معاهدات واتفاقيات دبلوماسية بين البلاد التونسية والقوى الغربية (1626 - 1955) . تقديم وتحقيق :الأستاذ المهدي جراد ،سنة 2011 .ويهمنا مجموعة المعاهدات المبرمة مع دول غرب أوروبا المتوسطة ،خاصة مع فرنسا ،حيث نشر النص الفرنسي .

2- مراسلات بايات تونس مع البلاط الفرنسي : Correspondences des Beys de Tunis

لمؤلفه أوجان بلونتي Eugène Plantet وبأجزائه الثلاثة ،لأنه يؤرخ للإيالة منذ تأسيس القنصلية

الفرنسية بتونس في سنة 1577م ،وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنه لدراسة علاقات الإيالة مع فرنسا خلال القرن الثامن عشر وما قبله ، وبالتالى فالكتاب يتعلق بكل محتويات الفصل الثالث ، خاصة وأنه عبارة عن وثائق منشورة تتعلق بالمراسلات التي كانت بين البايات التونسيين ، وحاكم فرنسا خلال مدة زادت عن قرنين من الزمن ،بالإضافة إلى ذلك يبقى هذا الكتاب من المصادر الهامة لموضوع علاقات الإيالة مع باقي دول غرب أوروبا المتوسطة .

3- معاهدات فرنسا مع بلدان شمال إفريقيا : *Traité de la France avec les Pays de l'Afrique du Nord*

للمؤلفه رُوَّار دو كار Rouard de Card ،الكتاب عبارة عن معاهدات منشورة أبرمت بين فرنسا ودول المغرب الأربع ؛يتعلق القسم الخاص بالإيالة التونسية بمعاهدات القرن السابع عشر ،والثامن عشر الذي هو محور موضوعنا ،بالإضافة إلى القرن التاسع عشر ،وبالتالى لا يمكن الاستغناء عنه لدراسة علاقات الإيالة السياسية والتجارية مع فرنسا خلال القرن الثامن عشر وما قبله ، وبالتالى فالكتاب يتعلق بكل محتويات الفصل الثالث ،خاصة وأنه عبارة عن وثائق منشورة تتعلق بالمعاهدات المبرمة بين الإيالة وفرنسا ؛تعالج قضايا القرصنة والأسرى ،وممارسة التجارة بين تونس وفرنسا ،وامتيازات الشركة الفرنسية في الإيالة .

4- الوثائق المنشورة في المجلة الأفريقية : *la Revue Africaine* التي لا يمكن إهمالها ، لأنها

تحتوي وثائق منشورة هامة عن تاريخ تونس خلال الفترة الحديثة ، خصوصاً الفترة المتعلقة بعلاقات تونس مع دول غرب أوروبا المتوسطة ؛ خاصة فرنسا ، والبندقية ،ومالطة ، وإسبانيا ،خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ،من خلال ما نشره إيلي دو لا برمودي Elie de la Primaudie ،وبيار قرونشو Pierre Grandchamp حول علاقات تونس مع فرنسا ،وريجيرو Riggio حول الأسرى ، وسوجردوتي Sogerdoti حول علاقات البندقية مع الإيالات المغاربية ،خلال القرن الثامن عشر .

د- أما بالنسبة للمصادر العربية ،فقد اعتمدت على مجموعة ،من أهمها :

1- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان : لأحمد بن أبي الضياف وهو مؤرخ

تونسي ، والكتاب في ثلاثة أجزاء ، وهو مهم جدا خاصة فيما يتعلق بأوضاع تونس خلال الفترة الحديثة ،أي منذ تحولها إلى إيالة عثمانية ، كما يفيدنا كثيرا فيما يخص علاقات تونس مع الدول الأوربية ،خاصة فرنسا وبعض الدويلات الإيطالية .والكتاب بجزئيه الثاني والثالث لا يغفل عن موضوع العلاقات ،على الرغم من أن صاحبه يتبع أسلوب السرد للأحداث ،وليس التحليل والاستنتاج .وربما يعود ذلك إلى الأسلوب المتبع آنذاك ،فالمؤرخ يتكلم عن الأحداث من خلال

شخصية الباي ،وليس بهدف دراستها وتحليلها في حد ذاتها .ورغم ذلك يبقى الكتاب من أهم مصادر تونس وعلاقتها الخارجية .

2- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس: لابن أبي دينار يعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما فيما يتعلق تونس خلال الفترة الحديثة . استفدت منه كثيرا في معظم الفصول وبالتحديد في المبحث الأول لكل من الفصول الثلاثة الأخيرة ؛لأنه يتكلم عن تاريخ تونس خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ،وبالتالي الإشارة في كل مرة إلى علاقات تونس الخارجية ، لكن ما يميزه هو عدم التسلسل المنطقي في تتبع الأحداث التاريخية ، من حيث الرجوع مرات لأحداث سابقة ، كما لا يركز الكتاب اهتمامه على الحدث التاريخي البحت ، بل يتعداه إلى التطرق إلى مواضيع أخرى ؛ كالطرق الصوفية ، أو الصلحاء ،لذلك فيجب على الباحث التأني في قراءته بدقة .

3- ذيل بشائر أهل الإيمان : لمؤلفه حسين خوجة ،ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة المتعلقة بتاريخ تونس خلال عهد الحسينيين ،وتتعرض الكتاب لأوضاع تونس في القرن الثامن عشر .

4- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار : لمؤلفه محمود مقيدش الصفاقسي ،وأهم ما في الكتاب هو أنه يؤرخ لكل حكام تونس منذ العهد العثماني وصولا إلى عهد حمودة باشا الحسيني ، لكنني استفدت منه كثيرا في علاقات تونس مع مالطة وجمهورية البندقية خلال سنة 1747م ،في حملتهما على مدينة صفاقس ،فكان المصدر الوحيد الذي تطرق إلى هذه الحوادث .

5- صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار : لمؤلفه محمد بيرم الخامس التونسي ،وقد خصّص المجلد الثاني للقطر التونسي ،وقد تتبع المؤلف كل الحوادث التونسية ،وأوضاع الإيالة ،خاصة في عهد الحسينيين ،وأعطى نبذة عن حياة مؤسس الدولة حسين بن علي ،كما تكلم عن علاقات علي باشا مع الجنويين والفرنسيين ،وأعطى تحليلا عن الحرب التونسية الفرنسية بعد أزمة كورسيكا ،وتتبع علاقات الطرفين في عهد حمودة باشا ،والقطيعة التي حدثت بعد سنة 1798م .

هـ- أما بالنسبة للمصادر الأجنبية المعربة؛ فقد اعتمدت على:

1- الرحلة إلى تونس: أندريه بيسونال André Peyssonnel الذي يعتبر من المصادر الهامة لتاريخ تونس مع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ،وبالأخص لعلاقات تونس مع فرنسا ،خاصة نشاط الشركة الفرنسية في مركز الرأس الأسود ،وعلاقات الإيالة التونسية مع الجنويين ونشاطهم التجاري في جزيرة طبرقة خلال تلك الفترة ،كما قدم لنا الكتاب جانبا من العلاقات التونسية الإسبانية من خلال دور المستشفى الإسباني في تونس .

2- رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الإيالات المغاربية : للرحالة الألماني الذي زار تونس في سنة 1732م ،وقدم لنا وصفا دقيقا للمراكز الفرنسية في الإيالة ،وكذا النشاط التجاري للجنوبيين في طبرقة ، كما تكلم لنا الرحالة عن موقف التونسيين والباي من الحملة الإسبانية على مدينة وهران في سنة 1732م ،وبالتالي نلمس من خلاله العلاقات العدائية بين الإيالة وإسبانيا .

و- أما بالنسبة للمراجع العربية ،فقد اعتمدت على مراجع عديدة ،لكني سأذكر بعضا منها على سبيل الذكر لا الحصر :

1- حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية : لمؤلفه المختار باي ،والذي يعتبر من أهم المراجع المتعلقة بعلاقات تونس مع دول غرب أوربا ،خاصة العلاقات التونسية الفرنسية خلال عهد حسين بن علي (1705-1740م) ، كما يتطرق الكتاب إلى علاقات الدول الأوربية بالتفصيل خلال هذه الفترة . كما يتطرق بالشرح للمعاهدات المبرمة بين الإيالة التونسية والدول الأوربية ،لكنه يركز كثيرا على المعاهدات مع فرنسا .

2- خلاصة تاريخ تونس : لمؤلفه حسني عبد الوهاب ،ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة لتاريخ تونس خلال حكم الأسرة الحسينية ،فهو يؤرخ للبايات الحسينيين وأهم الأحداث التي حدثت في أيامهم .وبالتالي يتطرق لعلاقاتهم الخارجية مع الدول الأوربية ،وخاصة مع فرنسا .

3- تونس العثمانية بناء الدولة والمجال ، لمؤلفه عبد الحميد هنية ويعتبر هذا الكتاب الذي يتناول أوضاع تونس من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر من المراجع الهامة ، لدراسة علاقات تونس مع الدول الأوربية ،فقد استفدت منه كثيرا في علاقات الإيالة مع الدويلات الإيطالية ،وفرنسا على وجه الخصوص ،فبالإضافة إلى ذكر مؤلفه للأحداث يتطرق إليها بالتحليل .

4- تاريخ تونس : لمؤلفه محمد الهادي الشريف ،وهو من المراجع المهمة للإلمام بالوضع العام في الإيالة التونسية خلال القرن الثامن عشر ، كما أنه يتطرق إلى موضوع علاقات تونس مع الدول الأوربية ؛كالعلاقات مع الجنوبيين في عهد علي باشا ،وعلاقاته مع فرنسا ،وحرب حمودة باشا مع البندقية ،لكنه يختصر تلك العلاقات ،ولا يتعرض لها بالشرح والتحليل .

5- الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية : لمؤلفه سامح عزيز التر ،بالرغم من أن الكتاب يتتبع الأحداث المتعلقة بالجزائر ،لكنه يتعرض في كثير من الأحيان المتقطعة إلى الأوضاع في تونس ، كما يمكن للباحث استقراء بعض الأفكار المتعلقة بعلاقات تونس مع دول أوربية متوسطة ؛مثل الصراع

مع البندقية خلال القرن السابع عشر ،والعلاقات مع فرنسا ما بعد الحملة الفرنسية على مصر في سنة 1798م بقيادة نابليون .

ي- أما بالنسبة للمصادر والمراجع باللغة الأجنبية ،فقد استفدت كثيرا من بعضها ،نذكر منها :

1- الحوليات التونسية لروسو : les Annales Tunisiennes بالرغم من صعوبة اللغة الفرنسية إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنه أو العمل بدونه ، فيما يتعلق بكل فصول هذا العمل ،ذلك أن المؤلف جمع كل الأحداث عن طريق عملية السرد خلال الفترة الحديثة ،باعتبار أن ذلك هو منهج الحوليات ،لكن الإيجابي في الكتاب هو أنه يتعرض لعلاقات الإيالة مع كل الدول الأوربية ،بالإضافة إلى نصوص كل المعاهدات التي تم أبرمتها الإيالة مع الدول الأجنبية ،وما يهم الباحث أنها شملت كل القرن الثامن عشر ميلادي ،ورغم قوة لغته وصعوبتها ،وعدم التعليق أو التعليق ،إلا أن هذا الكتاب يبقى من المراجع الهامة لموضوع علاقات تونس مع دول غرب أوربا المتوسطية .وبذلك يجمع الكتاب بين المعلومة ،وبين النصوص الوثائقية الهامة ؛والمتمثلة في المعاهدات التونسية مع الدول الأوربية .

2- تاريخ المؤسسات والتجارة الفرنسية في إفريقيا البربرية (1793-1560) : Histoire des établissements et du Commerce Français مؤلفه بول ماسو Paul Masson ،

وبالنسبة لموضوعنا ؛ يعتبر هذا الكتاب أهم مرجع بالنسبة للعلاقات التجارية بين الإيالة التونسية وفرنسا ، فهو يتتبع بالتفصيل الأحداث الاقتصادية بشكل عام والتجارية خاصة بين الشركات الفرنسية ،التي كانت قد سمحت لها الإيالة بتأسيس مراكز تجارية لها بموجب المعاهدات بين تونس وفرنسا ،ويستمر الكتاب إلى غاية نهاية القرن الثامن عشر .

3- تاريخ إفريقيا الشمالية : Histoire de l'Afrique Septentrionale لمؤلفه أرنست مرسى Ernest Mercier ،

ويعتبر الجزء الثالث من المراجع الهامة عن تاريخ تونس خلال القرن الثامن عشر ،كما أنه يتطرق إلى علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا على وجه الخصوص ،ويعالج علاقاتها مع دول أوربية متوسطية من غرب القارة أخرى .

4- تونس تاريخ مدينة : Tunis Histoire d'une ville لمؤلفه بول صباغ Paul Sebag ،

يتعرض صاحبه لتاريخ مدينة تونس عاصمة الإيالة ؛ من خلال وصف دقيق ،يشمل كل الميادين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ،وقد أفدت منه في دراسة الوضع العام في المدينة ،ومن جهة أخرى يتطرق المؤلف وبأسلوب إحصائي دقيق إلى النشاطات الاقتصادية المختلفة ،وإلى الأجناس الموجودة داخل المدينة ،وبالتالي هو مفيد في دراسة موضوع علاقات المدينة مع دول غرب أوربا

، خاصة قضايا القرصنة والأسرى والتجارة ، مع الدويلات الإيطالية (ليفورن ، جنوة ، نابولي ...) ، ومع مرسيليا الفرنسية ، فقد استفدت منه في بعض الإحصائيات الخاصة بالمبادلات التجارية بين الإيالة التونسية وفرنسا ، مع نهاية القرن الثامن عشر .

هذا بالإضافة إلى المقالات المتنوعة والكثيرة التي لا يمكن إهمالها أو الاستغناء عنها أو إحصائها؛ والواردة في المجلة التاريخية المغاربية لصاحبها الأستاذ عبد الجليل التميمي ، ومن أهمها : مقال حول المستشفى الترينيتاري الإسباني بتونس خلال القرن 18م ؛ لصاحبه الهادي الوسلاقي ، ومقال لمكال دي إيلزا Mikel de Epalza ، وكذا مقال لإبراهيم السعداوي حول تطور فئة وجهاء المال بإيالة تونس ، وكذا مقالات الكراسات التونسية **les Cahiers de Tunisie** باللغتين العربية والفرنسية . مثل : مقال الواردات والمستوردون خلال النصف الثاني من القرن 18م ، لمحمد الهادي الشريف ، وأخرى كثيرة .

كما لا أن أغفل عن الدراسات المتعلقة بالولايات العربية ، التي صدرت عن مركز الدراسات والبحوث العثمانية ، بإشراف الأستاذ التميمي حول موضوع : الحياة الاقتصادية ومصادر وثائقها خلال العهد العثماني ، وإيالة تونس في القرن السابع وعلاقتها مع موانئ البحر الأبيض المتوسط (مرسيليا وليفورن) لمؤلفه بوبكر الصادق ، وغيرها من الدراسات التاريخية العلمية الهامة .

أما عن الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة ، فيمكن القول :

إن أي دراسة علمية ، أو عمل بحث جاد لا يمكن أن يخلو من صعوبات ، وعراقيل ، خاصة إذا كان صاحبها يريد الخروج بنتائج مرضية ، وموضوعية . ورغم أن موضوع الدراسة شامل وعام ، والقارئ للعنوان للوهلة الأولى يظن أنه سهل ، وأن مادته العلمية متوفرة ، وبغزارة ، لكن الحقيقة غير ذلك ؛ لأن الباحث يجب أن يلم بكل الجوانب ، فعندما حاولت التعمق في دراسة الموضوع اعترضني عدة صعوبات ، نذكر من أهمها :

- إن المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع الدراسة تاريخ تونس خلال القرن الثامن عشر تبقى عموما شحيحة في المكتبات العربية ، إلى درجة أن الباحث ، قد يجد في مرجع كامل فكرة واحدة ، وإذا كان الباحث يستطيع الإمام بالفصل الأول ، فإنه يصعب عليه جمع المادة التاريخية لبقية الفصول ، خاصة وأن موضوع العلاقات بين تونس ودول غرب أوربا المتوسطة موضوع جديد ، ولم يطرق بالكيفية المباشرة ، أو بالصيغة الصريحة .

- أما بالنسبة للفصل الثاني ، فعلى العكس من الأول ، فإن الدراسات حول العلاقات بين تونس والدويلات الإيطالية خلال القرن الثامن عشر ، تبقى أيضا شحيحة في المكتبات الجزائرية ، بما فيها

المتخصّصة . كما أن الكتابات التونسية لا تنطرق للموضوع بشكل مباشر ،أو تحاول أن تعطي له الأهمية ،باستثناء بعض المقالات الموجودة في المجلة التاريخية المغربية ،أو في الكراسات التونسية ومن جهة أخرى ،فإن المصادر والمراجع لا تتعرض للموضوع بصيغة العلاقات ،خاصة خلال الفترة المدروسة ،ذلك أن أغلب المراجع ،نجدها تركّز على مرحلة ما بعد سنة 1830 م .

- إن المادة العلمية التاريخية المتوفرة حول علاقات تونس مع إسبانيا في الفترة الحديثة ،تتركز معظمها حول دراسة القرن 16م ،والعشرية الأخيرة من القرن 18م ،وبذلك يعترض الباحث فراغ طويل يستمر طيلة القرن 17م وأغلب القرن 18م ،لذلك وجدت نفسي في مشكل الموازنة بين مباحث هذا الفصل الرابع وخاصة المبحث الثاني الذي لم أجد فيه المادة العلمية الكافية ، وهو ما شكّل بالنسبة لي مشكلا حقيقيا ،حاولت معالجته قدر الإمكان .ولذلك يبقى معظم الكم المتبقي من هذه الدراسة هي مجرد أفكار ناتجة عن استنتاجات واستقرارات للأحداث ،قمت بها ،والتي لم أجد لها في المصادر والمراجع بشكل مباشر ،أو بصيغة كتابات تتكلم عن العلاقات بين الطرفين بأسلوب مباشر .

- كما صادفت مشكل الترجمة من اللغات الأجنبية المتعددة إلى العربية ، بالإضافة إلى مشكل الحصول على مصادر المادة ،ولو باللغة الأجنبية ،فقد أخذت الترجمة مئّي الوقت الكثير خاصة وإنني اعتمدت على مجهودي الفردي ،لأن نظرة المؤرخ للأحداث تختلف اختلافا ضخما عن رؤية وقراءة المترجم العادي المتخصّص في الوظيفة .

- مشكل عدم التفرغ ، وكثرة الارتباطات والالتزامات العائلية ، والمهنية ؛ كمسؤولية الإشراف ، والمرافقة البيداغوجية للطلبة .وهو مايؤثر على عملية انجاز البحث وتحريره .

لقد خضت أثناء إعداد مذكرة الماجستير في موضوع العلاقات بين الإيالات العثمانية في غرب المتوسط وإسبانيا خلال القرن السادس عشر ؛ حيث كانت تونس طرفا في الموضوع ، وها أنا أواصل في موضوع علاقات تونس مع دول غرب أوربا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر ، الذي يعتبر من المراحل الهامة في تاريخ منطقة حوض المتوسط ، والجزء الغربي منه خصوصا ، لأن هذه المرحلة ربطت بين الضفتين خلال قرن كامل من الزمن ،أو يزيد ، كما كان لها الأثر العميق على العلاقات المتنوعة بين الضفتين عموما .

إن تلك الفترة كانت حتمية تاريخية ؛ لأن الظروف التي توفرت خلال القرن الثامن عشر الميلادي ،فرضت ذلك النوع من الاحتكاك بين منهجين حضاريين مختلفين ، ربطت بينهما المصالح

التجارية تارة ، وعكزت السلم بينهما تارة أخرى ،بالإضافة إلى مواقفهما المختلفة من قضايا مختلفة تارة ، والمتقاربة تارة أخرى .

وفي الأخير لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل ،والاعتراف الصادق لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف على قبوله الإشراف عليّ أولا ، وعلى مساعدته لي بكل الإمكانيات المادية والمعنوية ،لأنه ساعدني بالتوجيه ، وبالرأي السديد ، والنصيحة الصادقة ، والأفكار المنيرة .
كما أتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة ،على تواضعهم وصبرهم ،وعلى قبولهم مناقشة أطروحتي ،فزادوها إثراء علميا . كما لا يفوتني أن أشكر كل من قدّم لي المساعدة ، وكل من درسني ولقني حرفا ساعدني على إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد .

الفصل الأول

الأوضاع العامة في تونس ودول ضفتي غرب المتوسط خلال القرن 18م

المبحث الأول: الوضع السياسي في الضفة الشمالية من غرب
المتوسط

المبحث الثاني: الوضع السياسي في الضفة الجنوبية من غرب
المتوسط

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في العلاقات بين ضفتي غرب
المتوسط

الفصل الأول :

الأوضاع العامة في تونس ودول ضفتي غرب المتوسط خلال القرن 18م

يكتسي حوض البحر المتوسط أهمية حضارية ، واستراتيجية بالغة ؛ فقد ظهرت على ضفافه حضارات راقية . كما يمثل مركزا للتجارة العالمية ، وحلقة وصل بين مختلف شعوب العالم ، خاصة بين ضفتيه الشمالية ، والجنوبية . هذا ما جعله ميدانا للتأثير ، والتأثر بين الشعوب ، التي عاشت على ضفافه ، وبين الدول التي ظهرت على مر العصور ، خاصة تلك التي قامت خلال الفترة الحديثة . ونخص فترة القرن الثامن عشر الميلادي ، والدول التي تتركز على الحوض الغربي من هذا البحر المتوسط على وجه الخصوص ، والتي هي موضوع هذه الدراسة .

إن الهدف من هذا الفصل التمهيدي (المدخلي) هو محاولة الإحاطة بجزء من الوضع العام ، الذي ميّز منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، دون الإطناب والتوسع ، مع التطرق للوضع السياسي والتجاري حسب طبيعة كل واحدة من مختلف القوى السياسية المطلة على ضفتي الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وهذا قصد الإلمام ، وفهم العلاقات التي ربطت بين مختلف تلك القوى خلال القرن الثامن عشر الميلادي .

وقد حاولت في هذا المدخل الإشارة إلى الوضع العام الذي ساد منطقة الحوض الغربي للمتوسط ، مراعيًا في ذلك خصوصيات القوى السياسية التي وجدت فيها ؛ منها القوى الإسلامية التي تطل على الضفة الجنوبية للمتوسط ؛ وأقصد هنا كلا من إيالة تونس وإيالة الجزائر ، وإيالة طرابلس ، والمغرب الأقصى ، أما في الضفة المقابلة فهناك مجموعة من الدول الأوربية المسيحية ؛ وهي دول غرب أوروبا المتوسطية وأخص بالذكر كلا من مالطة والدويلات الإيطالية ، وقد اكتفيت منها بالبندقية ، وجنوة ، وليفورنه ، ثم تطرقت إلى دول أوربية غرب متوسطية أخرى تشكل قوى أساسية في الحوض الغربي من المتوسط ؛ وهي : فرنسا ، وإسبانيا .

وقد تطرقت في هذا الفصل المدخلي ، الذي جعلته تمهيدا حتى يستطيع القارئ أن يفهم محتويات الفصول اللاحقة ؛ وأقصد بذلك أن أعرج على الظروف التي تحكمّت في علاقات تونس ، ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر الميلادي باختصار ، وذلك من خلال إعطاء لمحة عن وضع دول كل ضفة مع تتبع وضع كل دولة على حدة ، مع محاولة التركيز دائما على الأحداث ، التي تخدم موضوع علاقات الطرفين بصفة مباشرة خلال الفترة المدروسة ، إذ أنه يستحيل علينا الولوج

مباشرة إلى العلاقات التي ربطت بين الطرفين ،دون الإحاطة بالأوضاع التي أحاطت بتلك الأطراف من قريب ،أو من بعيد .وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ؛مبحثين متمايزين ،خصصت كل واحد منهما إلى ضفة من ضفتي الحوض الغربي من البحر المتوسط ،ومبحث ثالث للعوامل المؤثرة في العلاقات بين ضفتي غرب المتوسط .

المبحث الأول:

الوضع السياسي في الضفة الشمالية من غرب المتوسط خلال القرن 18م:

تميز الوضع العام في الضفة الشمالية من غرب المتوسط خلال القرن الثامن عشر ؛ بوجود قوى سياسية واقتصادية ، اختلفت عن بعضها من حيث القوة والنفوذ ، ومن حيث طبيعة تلك القوى نفسها ، كما أن العلاقات الأوربية لم تكن مستقرة ؛ بسبب الصراع بين القوى الأوربية الكبرى التي كانت تطمح للتوسع على حساب الدويلات الضعيفة ؛ من أجل حماية مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية ، فقد شهدت أوروبا خلال القرن الثامن عشر ثلاث حروب ، أدخلت دولها في بحر من الدماء من أجل الخلافة ، وأبعدت المسافة بين جميع القوى الأوربية ، وساهمت في تغيير المشهد السياسي في أوروبا ، وحتى في منطقة حوض البحر المتوسط .

فالأولى هي حرب الخلافة الإسبانية ، التي انتهت في سنة 1720م بهزيمة فيليب الخامس ملك إسبانيا أمام التحالف الفرنسي الإنجليزي ، والثانية هي الحرب من أجل الخلافة في بولونيا ، التي انتهت بمعاهدة فيينا في سنة 1738م . أما الثالثة فهي حرب الخلافة النمساوية ، والتي انتهت بمعاهدة إكس-لاشاييل في سنة 1748م . هذا بالإضافة إلى حرب السبع سنوات (1756-1763) ؛ والثورة الفرنسية في سنة 1789م ، التي أثرت على الأوضاع الأوربية السياسية ، والاقتصادية في أوروبا ، وعلى علاقات فرنسا الخارجية في أوروبا ، أو مع الإيالات العثمانية في غرب المتوسط ، بما فيها الإيالة التونسية ، وعلى العلاقات في منطقة غرب البحر المتوسط بشكل عام .

لقد كان لهذا الوضع الأوربي العام تداعياته وأثاره على كل دولة ؛ خصوصا دول غرب أوروبا المتوسطية ، التي نحن بصدد دراستها في هذا المبحث . وعلى علاقاتها الخارجية السياسية والتجارية ، لذلك قسمنا محتويات هذا المبحث إلى العناصر الآتية :

1- الوضع العام في شبه الجزيرة الإيطالية خلال القرن 18م .

2- الوضع العام في فرنسا خلال القرن 18م .

3- الوضع العام في إسبانيا خلال القرن 18م .

والسؤال الذي يتبادر للذهن في هذه الحالة ، ما هو الوضع الذي ميّز دول الضفة الشمالية من غرب البحر المتوسط خلال فترة القرن الثامن عشر الميلادي ، والذي سيكون له أثره من قريب أو بعيد على علاقات تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية ، خلال نفس الفترة ؟.

1- الوضع السياسي في شبه الجزيرة الإيطالية خلال القرن 18م:

1.1- إيطاليا خلال النصف الأول من القرن 18 م :

ظلت شبه الجزيرة الإيطالية خلال القرن الثامن عشر الميلادي مقسمة إلى العديد من الدويلات والإمارات المتنافرة . وكانت للإمبراطورية الرومانية المقدسة اليد العليا فيها ⁽¹⁾. وكانت لاتزال مجرد تعبير جغرافي على حد وصف مترنيخ لها في سنة 1820م ⁽²⁾. فقد كانت شبه الجزيرة الإيطالية مقسمة إلى خمس عشرة دويلة ؛ وهي : الولايات البابوية ، ومملكة سردينيا ، ومملكة نابولي وصقلية ، والجمهوريات الأربع وهي : البندقية ، وجنوة ، ولوقا ، وسان مارينو ، ودوقيات ميلانو ، ومانتو (تحت حكم النمسا) ، وتوسكانيا (بها مدينة ليفورن الساحلية) ، وبارما ، وبيلزانسي ، وقاستلا ، ومودينا وإمارتا ماسكارارا ، بالإضافة إلى بيو مبينو (جزيرة مالطة) ⁽³⁾.

لقد كانت بين هذه الدويلات اختلافات كبيرة ؛ خاصة في مجال نظام الحكم السياسي . وأغلب هذه الدويلات كانت تشكل امتدادا سياسيا لدول أوربية ، فمملكة سردينيا كانت تشكل امتدادا لممتلكات كونت منطقة نيس الفرنسية ، أما ميلانو ومملكة نابولي وسردينيا ، فقد ظلت خاضعة للحكم الإسباني إلى غاية سنة 1713م ، ثم تم إلحاقها بممتلكات النمسا مع سردينيا بعد معاهدة أوترخت في سنة 1714م ، أما صقلية فقد حصل عليها دوق سافوا وأصبح يحمل لقب ملك صقلية ، لكنها انتزعت منه فيما بعد لصالح إمبراطور النمسا وأعطى جزيرة سردينيا . أما دوقية بارما ودوقية توسكانيا فقد منحت لإسبانيا في سنة 1716م ⁽⁴⁾.

أما جمهورية البندقية فإنها الوحيدة في إيطاليا الخاضعة لحاكم من أصل بندقى . لقد كانت هذه الوحدات قائمة على أساس المنافسة التجارية ، واستطاعت بعض الدويلات الإيطالية أن تنمو وتطور نفسها ، حتى أصبحت مراكز قوة في حوض البحر المتوسط ⁽⁵⁾. ومن أهم هذه الدويلات التي شهدت

⁽¹⁾ عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين : التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، دار الفكر العربي ، مصر 1999م ، ص 271.

⁽²⁾ جفري برون : تاريخ أوروبا الحديث ، ترجمة : علي المرزوقي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، المملكة الأردنية 1993م ، ص 434.

⁽³⁾ إبراهيم سعيود : علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين 17م و18م ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف : د/مولاي بالحميسي ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1999-2000 ، ص 16 .

⁽⁴⁾ يحيى جلال : التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى ، المكتب الجامعي الحديث ، ب ت ن ، الإسكندرية ، ص 78.

⁽⁵⁾ إبراهيم سعيود : المرجع السابق ، ص 17 .

نموا تجاريا ؛جمهورية جنوة ،وتوسكانيا ،وجمهورية البندقية التي كانت سباقة لعقد معاهدات تجارية وسياسية مع العالم الإسلامي ،ممثلا في الدولة العثمانية خلال سنوات 1699م ،و1718م ،ومع العشرينات من القرن الثامن عشر ،حاولت جمهورية البندقية ربط علاقات سياسية ،وتجارية مع الإيالات المغاربية ،لكنها لم تنجح في ذلك ⁽¹⁾.

2.1- أوضاع إيطاليا ما بعد سنة 1748م :

قسمت إيطاليا منذ معاهدة إكس-لاشاييل Aix-Lachapél ⁽²⁾ في سنة 1748م إلى عشر دول مختلفة لا تربطها رابطة سياسية ،ولكن هذه الدول وإن اختلفت من حيث الشكل الظاهري للنظام السياسي ،كانت متفقة في المفاهيم .فقد خضعت جميعا لنظام استبدادي ،يعتمد اجتماعيا على تسلسل الطبقات الاجتماعية ،وفكريا على التكيف الفكري الذي يحافظ عليه بواسطة الكنيسة والمدارس والجامعات ،وإذا مست الحاجة بواسطة السياسة .ولقد أوجد هذا النظام في مختلف الدويلات الإيطالية الهدوء والنظام .ومن جهة أخرى تظهر لنا إيطاليا بلدا ذا قيمة فكرية وعقل تقدمي ،ومن جهة أخرى بها آداب راقية .ورغم ذلك لم يكن بإيطاليا قومية إيطالية بعد حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ⁽³⁾.

3.1- احتلال نابليون بونابرت لإيطاليا :

أحدث الفرنسيون في إيطاليا انخيارا هائلا ؛فقد تعرضت لحملتين فرنسيتين :الأولى من سنة 1796م إلى سنة 1797م ،والثانية من سنة 1800م إلى 1801م . ففي الحملة الأولى كان الجيش الذي يقوده نابليون Napoléon مكونا من 38 ألف رجل ،فشلت القوات النمساوية في قطع خطوط مواصلات جيش إيطاليا ،كما فشلت في إنقاذ جنوة من الفرنسيين ،حيث تمكن نابليون من عبور نهر

⁽¹⁾ عائشة غطاس : المعاهدة الجزائرية البندقية ، في م . د . ت ، العدد 7 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، الجزائر 1993 ، ص ص 94-95 .

⁽²⁾ جاء هذه الصلح بعد حرب الوراثة النمساوية (1740-1748) ،بين كل من فرنسا وبروسيا والنمسا ،وإنجلترا لم يحسم أي معضلة من مشكل الدول الأوروبية ،فقط قضية الوراثة النمساوية حسب رأي إمبراطورة النمسا ماريا تريزا ،ومنع بعض الأقاليم الإيطالية لإسبانيا ،وتبادلت فرنسا وإنجلترا المستعمرات في أمريكا والهند .عقد المؤتمر في مدينة إكس لاشاييل الفرنسية بعد مفاوضات بين الدول المتصارعة ،في شهر أكتوبر من سنة 1748م .ينظر إلى :بجي جلال: المرجع السابق ، ص 144 .وعبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين :المرجع السابق ،ص 260.

⁽³⁾ نور الدين الدين حاطوم : تاريخ الحركات القومية يقظة القوميات الأوروبية ،ط2 ، دار الفكر ،دمشق 1979م ،ص ص 110-112.

البو ،ودخل ميلانو في 10 ماي من سنة 1796م ،وافق ملك سردينيا على عقد الصلح بعد ذلك بعشرة أيام ،وعد نابليون الأهالي الإيطاليين بالاستقلال ،ووافق على إنشاء حرس وطني أعطاه شارة الثورة والألوان الإيطالية⁽¹⁾. وبذلك قضى على دعائم الدوقية النمساوية في ميلانو ،وعلى جمهورية البندقية التي منحها نابليون للنمسا بعد صلح أكتوبر 1797م ،كما ضمت فرنسا كل من جمهورية جنوة ،ودولة البابا إلى ممتلكاتها ،وامتد نفوذها إلى إيطاليا الجنوبية حيث أنشأت فيها سنة 1799م مؤقتا جمهورية روما ،التي امتدت إلى نابولي ،في حين أن جزيرة كورسيكا التي كانت تابعة لجمهورية جنوة ،قد ضمت إلى فرنسا منذ سنة 1768م⁽²⁾.

أما في الحملة الثانية سنة 1800م فقد أنشأت فرنسا في إيطاليا الشمالية جمهورية ما وراء الألب ،بالإضافة إلى جمهوريات صغيرة تابعة لها في الجنوب الإيطالي .وقد أدى ذلك إلى انهيار المجتمع الإيطالي ،والبناء الاقتصادي كالنظام الأرضي والسياسي .أما جزيرة مالطة التي كان قد احتلها نابليون في سنة 1798م ،وهو في طريقه إلى مصر .فقد كانت جماعة فرسان مالطة محايدة خلال حروب الائتلاف الأول ،وحتى تتمكن الجماعة من البقاء كان عليها التقارب مع روسيا والنمسا ،لذلك قرر نابليون احتلالها .وقد أوفد إليها نابليون السيد بوسيلج Boussilg للاطلاع على تحصينات الجزيرة ثم طلب الدخول إلى مياه فاليتا Vallita ،وبعد ذلك فرض على جماعة الفرسان في 9 جوان 1798م اتفاق تسليم الجزيرة ،وطرد الفرسان منها⁽³⁾. ثم احتلها الأسطول الإنجليزي في سنة 1799م ،لكن بعد التوقيع على صلح أميان Amian⁽⁴⁾ في سنة 1802م وعدت بريطانيا فرنسا بردها إلى فرسان القديس يوحنا⁽⁵⁾.

(1) يحي جلال : المرجع السابق ،ص 316.

(2) نور الدين الدين حاطوم : المرجع السابق ،ص 113.

(3) هنري لورنس : الحملة الفرنسية على مصر ،بونابرت والإسلام ،ترجمة :بشير السباعي ،ط1 ،سينا للنشر ،مصر 1995 ، ص ص 52-54 .

(4) عقد الصلح في 25 مارس من سنة 1802م ،جاء كضرورة مؤقتة بين فرنسا وإنجلترا ،وتضمن ثلاثة شروط ؛شروط خاص بإعادة مصر للدولة العثمانية ،وشروط خاص بإعادة مالطة لفرسان القديس يوحنا ،وشروط خاص بالمستعمرات .لقد تخلت إنجلترا عن كل ما أخذته من فرنسا وحلفائها ،فيما عدا سيلان وتراينيداد ورأس الرجاء الصالح ،وتعهدت برد مالطة لفرسان القديس يوحنا ومينورقة لإسبانيا ،أما فرنسا فانسحبت من مصر وتركته للدولة العثمانية ،وساعد الصلح نابليون بونابرت على تنظيم أمور فرنسا الداخلية .ينظر : شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم : تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة 2000، ص ص 139. ويحي جلال : المرجع السابق ،ص 231.

(5) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين : المرجع السابق ،ص 299.

وعند إنهاء دراستنا هذه نلاحظ أن الوضع العام في شبه الجزيرة الإيطالية طيلة القرن الثامن عشر الميلادي ، وحتى ما بعد سنة 1814م ؛ قد ميزه الانقسام الداخلي ، وعدم الاستقرار السياسي ، والهيمنة الأجنبية من طرف الدول الأوربية الكبرى على الدويلات الإيطالية . ولكن بالرغم من ذلك فقد وجدت بعض القوى الإيطالية المستقلة ، والتي كان لها دورها ، وعلاقاتها الخارجية السياسية والتجارية المستقلة ، وعلى سبيل المثال جمهورية جنوة ، وجمهورية البندقية .

2- الوضع السياسي في فرنسا خلال القرن 18م :

1.2- فرنسا خلال عهد لويس الرابع عشر (1661-1715):

احتلت فرنسا المكانة الأولى بين الدول الأوربية في عهد الملك لويس الرابع عشر Louis XIV (1661-1715) ⁽¹⁾، وكانت أقوى مملكة ، ومركز السياسة العامة في أوربا . وقد خاض لويس الرابع عشر عدة حروب في أوربا استمرت طيلة القرن السابع عشر ، كان آخرها حرب الوراثة الإسبانية من 1701م وحتى وفاته في سنة 1715م ⁽²⁾. وعندما بات متوقعا وفاة ملك إسبانيا شارل الثاني Charles II بسبب مرضه ، كان لويس الرابع عشر من المطالبين بعرش إسبانيا إلى جانب كل من ليوبولد الأول Léopold I إمبراطور النمسا وجوزيف فرديناند Joseph Ferdinand ناخب بفاريا . وعند وفاة شارل الثاني Charles II في سنة 1700م ترك وصيته لحفيد لويس الرابع عشر فيليب Philipe دوق أنجو Anjou ، الذي أصبح ملكا على إسبانيا باسم فيليب الخامس Philipe V. لكن الدول الأوربية إنجلترا وهولندا وبروسيا والنمسا تحالفت ضد فرنسا ⁽³⁾.

بدأت حرب الوراثة الإسبانية في سنة 1701م بين لويس الرابع عشر ملك فرنسا وحليفه حفيده فيليب الخامس ملك إسبانيا من جهة ، وبين الدول الأوربية المتحالفة من الجهة الأخرى ؛ وهي النمسا وبروسيا ، وإنجلترا ، وهولندا ، وكانت حربا شاقة وطويلة على فرنسا ، بسبب توالي هزائم الجيوش

⁽¹⁾ والده لويس 13 وأمه آن النمساوية ، ورث الحكم بعد وفاة والده في سنة 1643م ، وعمره أقل من خمس سنوات ، حيث كانت الوصاية لوالدته ، تسلم الحكم في سنة 1661م وكان عمره 22 سنة ، وظل يحكم حتى بلغ 77 سنة ، فقد دام حكمه 55 سنة ، أي حتى وفاته في سنة 1715م . ورث دولة متماسكة وقوية ، بفضل سياسة الوزراء ريشيليو ومازاران ، حكم فرنسا حكما استبداديا ، تزوج ماريا تريزا الإسبانية في سنة 1659م ، من أهم وزرائه كولبير الخبير الاقتصادي ، الذي عمل على تكوين إمبراطورية بحرية فرنسية ، خاض لويس 14 عدة حروب في أوربا . ينظر : عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد : المرجع السابق ، ص 172-183 .

⁽²⁾ يحي جلال : المرجع السابق ، ص 61-62 .

⁽³⁾ عمر عبد العزيز عمر : دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1992 ، ص

الفرنسية أمام قوات الحلفاء، واستمرت هذه الحرب إلى غاية سنة 1714م؛ حيث تم توقيع صلح أوترخت Otrékht، والذي رجع الزعامة البحرية لإنجلترا في أوروبا الغربية، وخرجت فرنسا مهزومة، ومرهقة في الرجال والمال، فقد وزعت قوتها لمدة ثلاثة عشر عاما في أوروبا بدون أي مصلحة أو فائدة، وإن كانت فقط من أجل تقديم ملك لإسبانيا، فقد فشلت في الحفاظ على سلامة الأراضي الإسبانية، ولم تعمل على إكمال وحدة أراضيها، وتوصيلها لحدودها الطبيعية⁽¹⁾.

2.2- فرنسا خلال عهد لويس الخامس عشر (1715-1774):

تولى لويس الخامس عشر Louis XV (1715-1774) بعد أن توفي جده لويس الرابع عشر Louis XIV الحكم؛ في أول سبتمبر من سنة 1715م إلى غاية 10 ماي 1774م، وكانت فترة حكمه أطول فترة حكم في تاريخ فرنسا، وقد كان لويس الخامس عشر من أضعف ملوك فرنسا، فقد ترك أمور الدولة للكاردينال دي لفيرى du Laviré، ثم للمحظيات اللاتي كن يسقطن الوزراء، وتسبب ذلك في معارضاة قوية من طرف البرلمان، والأزمات المالية الناتجة عن التبذير، وقد أظهرت هذه الفترة مساوئ النظام الملكي المطلق، أما على الصعيد الخارجي فإن هذا النظام كان الأكثر شؤما على فرنسا، فقد فقدت في وقته أهم مستعمراتها وهي كندا والهند⁽²⁾.

وقد اشتركت فرنسا في عهد لويس الخامس عشر في عدة حروب منها حرب الوراثة البولندية (البولونية)، التي انتهت في سنة 1738م بعد عقد معاهدة فيينا، وقد حصلت فرنسا من ورائها على دوقية اللورين⁽³⁾. أما الحرب الثانية فهي حرب الوراثة النمساوية (1740-1748)، فقد تحالفت كل من بروسيا وفرنسا وإسبانيا وناخب بفاريا، وعارضوا ماريا تريزا Maria Teresa⁽⁴⁾ وريثة الهابسبورغ (الإمبراطورية النمساوية)، لذلك تحالفت هذه الأخيرة مع هولندا وإنجلترا، وسردينيا، انتهت الحرب بإبرام صلح إكس-لاشايل Aix-Lachapél في سنة 1748م⁽⁵⁾.

(1) يحي جلال : المرجع السابق ، ص ص 78-79.

(2) المرجع نفسه ، ص 83.

(3) عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص 279.

(4) ماريا تريزا (1740-1780) تولت الحكم وعمرها ثلاثة وعشرين وهي ابنة إمبراطور النمسا شارل السادس، بدأ عهدها بحرب الوراثة النمساوية، التي خسرت فيها مقاطعة سيليزيا التي أخذها منها فريدريك الثاني ملك بروسيا، قامت بإصلاحات كثيرة لتقوية الإمبراطورية النمساوية، وكانت من أقوى الشخصيات السياسية في أوروبا. ينظر: يحي جلال : المرجع السابق ، ص 128.

(5) المختار باي : حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية ، ترجمة: البشير بن سلامة ، الأطلسية للنشر ، تونس 2009 ، ص ص 573-574 .

وكان ذلك أسوأ صلح عقدته فرنسا ،وقد سلم لويس الخامس عشر Louis XV الأقاليم ،التي دخلتها القوات الفرنسية في الأراضي المنخفضة ،وسافوا Savoi ونيس Nés ،كما سلم حتى المعدات الحربية التي استولى عليها في المعارك ،واعترف بالوضع الراهن السابق للحرب .ولم يكن هذا الصلح سوى هدنة ،فقد ظلت الصدمات مستمرة في الميدان الاستعماري بين فرنسا وإنجلترا ،ورغم ذلك فإن فرنسا لم تستعد الاستعداد العسكري الكافي للجولة التالية ⁽¹⁾.

3.2- حرب السبع سنوات بين فرنسا وإنجلترا (1756-1763):

وقعت عدة تحالفات أوروبية في سنة 1756م ، فقد عقدت إنجلترا تحالفا مع بروسيا في جانفي من سنة 1756م ،ومن جهة أخرى تحالفت فرنسا والنمسا بعقد معاهدة فرساي في ماي من سنة 1756م ؛وقد أطلق على هذا التغيير في علاقات الدولتين بالثورة الدبلوماسية ⁽²⁾. وقد اتفق الطرفان على احترام كل منهما لممتلكات الآخر وتقديم المعونة للآخر في حالة تهديده .اندلعت حرب السبع سنوات (1756-1763) بين كل من فرنسا وإنجلترا في ماي من سنة 1756م ،وبعد شهور دخلت النمسا حليفة فرنسا وبروسيا حليفة إنجلترا الحرب ،ثم انضمت روسيا عدو بروسيا إلى جانب فرنسا والنمسا .لقد كانت فرنسا هي الضحية في هذه الحرب ،فقد هزمت في أوربا ،كما هزمت في قارتي أمريكا الشمالية وآسيا ،وقدر عدد الجنود الفرنسيين الذين سقطوا في ميادين الحرب بمائتي ألف جندي فرنسي ،وكانت خسائرها فادحة ⁽³⁾.

تقرر السلام بصلح باريس الذي عقد في فيفري من سنة 1763م بين الدول المتصارعة ،وهو صلح أكثر اعتدالا مقارنة لما وقع في أثناء الحرب من انتصارات .وقد تمخض عنه سيادة إنجلترا في أمريكا ،وبلغ بإمبراطوريتها البحرية إلى الأوج ⁽⁴⁾. ورغم ذلك فقد تحصلت فرنسا على اللورين في سنة 1766م ،وتحصلت على جزيرة كورسيكا في سنة 1768م ⁽⁵⁾.

أما من الناحية المالية فقد أنفق لويس الخامس عشر Louis XV ثلاثمائة وتسعون مليون جنيه على بناء القصور والحفلات ،بالإضافة إلى نفقات الحروب التي خاضها في أوربا ،وكان القصر ينفق ببذخ وبدون محاسبة ،وأدت هذه الحالة إلى عجز الحكومة عن دفع رواتب الجنود والضباط في الجيش

(1) يحي جلال : المرجع السابق ،ص148.

(2) عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ،ص282.

(3) يحي جلال : المرجع السابق ،ص144.

(4) عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ،ص285.

(5) يحي جلال : المرجع السابق ،ص90.

والبحرية لعدة شهور .لقد ساءت الأوضاع الاقتصادية ،وتبعها تردي الأوضاع الاجتماعية ،أدى ذلك إلى ظهور عدد من المفكرين الذين رأوا ضرورة إصلاح تلك الأوضاع⁽¹⁾.

4.2- فرنسا خلال عهد لويس السادس عشر (1774-1791):

تولى الحكم لويس السادس عشر Louis XVI (1774-1791) الحكم في فرنسا في سنة 1774م ،وذلك بعد وصية جده ولم يتجاوز العشرين من العمر ،لوم تكن له دراية بأمور الحكم أو الإدارة لإصلاح أوضاع البلاد ،ورغم كل هذا فلقد حققت فرنسا انتصارا باهرا على إنجلترا في حرب الاستقلال الأمريكية⁽²⁾. لقد كان لويس السادس عشر ملكا طيبا ،وكان عليه أن يلعب أدوارا ميكافلية على النحو الذي كان يفعله ملوك أوروبا في عصره ؛لمواجهة المشاكل الداخلية والخارجية . وعلى العكس من ذلك كانت زوجته ماري أنطوانيت ابنة ماري تريزا إمبراطورة النمسا قوية الشخصية لكنها لم تكن فرنسية ،بل نمساوية ولم تكن لها قاعدة شعبية⁽³⁾.

لقد كانت الأوضاع الاقتصادية متدهورة بسبب مخلفات سياسة لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر ،كما أن المجتمع الفرنسي كان مقسما إلى طبقات منفصلة عن بعضها ،وغير متساوية في الحقوق ،يضاف إلى ذلك شخصية لويس السادس عشر ،الذي كانت تتحكم فيه زوجته النمساوية ماري أنطوانيت Marie- Antoinette⁽⁴⁾.

5.2- الثورة الفرنسية في 1789م وأثرها على أوروبا :

كانت نتائج حكم لويس الخامس عشر Louis XVI مؤلمة ومخيبة للآمال ؛فالنزاع الخارجي انتهى بالفشل والخسران ،ونظام الضرائب الذي كان يراعي فقط مصالح أمراء القطاعات والنبلاء أوجد لدى العامة شعورا بالظلم والحقد ،والانتقام .بالإضافة إلى إفلاس الخزينة الفرنسية ، بسبب الحروب ،وإسراف الملك على نزواته وشهواته دون مراعاة الوضع الذي آلت إليه البلاد⁽⁵⁾.

(1) يحي جلال : المرجع السابق ،ص ص88-90.

(2) جفري برون : المرجع السابق ،ص ص 361-362.

(3) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين : المرجع السابق ،ص 281.

(4) ماري أنطوانيت ابنة ماري تريزا إمبراطورة النمسا ،تزوجت لويس السادس عشر وكان عمرها 19 عاما ،كانت فائقة الجمال ، وذات شخصية قوية وطموحة .سيطرت على لويس السادس عشر ووجهت سياسته ،لكن مشاريعها لم تنجح بسبب أوصولها النمساوية ،تم إعدامها مع لويس السادس عشر في سنة 1793م .ينظر يحي جلال : المرجع السابق ،ص ص 241-252.

(5) جفري برون : المرجع السابق ،ص 358.

ومن جهة أخرى ظهرت حركة فكرية قادها المفكر فولتير Volter وعلماء آخرون منهم: مونتيسكيو ، وروسو ، وميرابو طالبت بإصلاح أوضاع البلاد .فالدولة الفرنسية لم تكن منظمة ، وموحدة ؛فقد كانت مقسمة إلى أقاليم لكل منها حاكمها وسياستها ،أما على المستوى الاجتماعي فالمجتمع الفرنسي بدوره ؛كان مقسما إلى طبقات مختلفة ،غير متساوية في الحقوق أو الامتيازات . الأشراف ورجال الدين كانت لهم كل الحقوق الموروثة ،رغم أن عددهم لا يتجاوز ربع المليون ،في حين أن الطبقة العامة معدومة الحقوق تجاوز عددها الخمسة والعشرين مليوناً في سنة 1789م⁽¹⁾.

بذلت عدة محاولات في عهد الملك لويس السادس عشر Louis XVI على أيدي كثير من وزراء المالية الفرنسيين ؛لإصلاح الأوضاع المالية لكنهم فشلوا في ذلك .وبحلول سنة 1789م اندلعت الثورة بين صفوف الشعب الفرنسي ضد الملكية المطلقة ،وشهدت فرنسا حالة من الفوضى وعدم الاستقرار خلال الفترة (1789-1790) ،ثم حالة من الأعمال الدموية انتهت بإعدام الملك الفرنسي لويس السادس عشر ، وزوجته النمساوية الملكة ماري أنطوانيت ،وإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية الفرنسية في سنة 1792م⁽²⁾.

خاضت فرنسا خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 1793م و1795م عدة حروب ضد الدول الأوروبية المتحالفة ضد الجمهورية ؛وهي كل من بروسيا والنمسا ،وهولندا وإنجلترا ، وإسبانيا .حيث عقدت كل من بروسيا صلحاً مع فرنسا في سنة 1795م ،بينما تحالفت معها هولندا ،في حين انسحبت إسبانيا من الحرب ضد فرنسا في نفس السنة .ولم يبق إلاّ النمسا وبريطانيا في مواجهة الجيش الفرنسي ،الذي تولى قيادته نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte .حيث تمكن نابليون من هزيمة سردينيا ،ثم توغل في إيطاليا فهزم جيش البابوية ،وأرغم النمسا على عقد الصلح في أكتوبر من سنة 1797م ،وبذلك أصبح سيد إيطاليا⁽³⁾.

6.2- حروب نابليون التوسعية وأثرها على أوروبا :

قاد نابليون حملة توسعية في سنة 1798م باتجاه المشرق فكانت ضد مصر ،وقد كان نابليون يطمح إلى تكوين مستعمرة فرنسية في مصر لضرب المصالح البريطانية ،وقطع الطريق أمام تجارتها في البحر الأحمر .لكن الحملة فشلت بسبب التحالف الدولي ضد نابليون ،وقد انضمت إليه الدولة

(1) جفري برون : المرجع السابق ،ص ص 359-360.

(2) شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم : المرجع السابق ،ص ص 90-116.

(3) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين : المرجع السابق ،ص ص 294-296.

العثمانية إلى جانب بريطانيا وروسيا ، والنمسا . لقد كانت الحملة الفرنسية على مصر إعلانا صريحا للحرب على الدولة العثمانية ، التي أصدرت أمرا لواليها في مصر أبو بكر باشا ، ووالي عكا الجزار باشا لمواجهة الفرنسيين . كما وجهت فرمانا إلى باشا أوجاق طرابلس الغرب وأمرته بتجهيز الأسطول البحري ، وتوجيهه إلى الإسكندرية لمواجهة الحملة الفرنسية ، كما وجهت فرمانات إلى أوجاق تونس ، والجزائر تأمرهم بتوحيد قواتهم ، والاستعداد لمواجهة الفرنسيين في البحر المتوسط ⁽¹⁾ .

بعد هزيمة نابليون ⁽²⁾ في معركتي أبي قير بمصر ، وأمام أسوار عكا بفلسطين عاد نابليون إلى فرنسا من أجل إنقاذها من أعدائها . فأسقط نابليون حكومة الإدارة سنة 1799 م ، وبذلك بدأ عهد القنصلية في فرنسا بقيادة نابليون ، الذي انفرد بالحكم وقرر أن يضرب أعداء فرنسا بالقوة العسكرية ، فهزم النمسا في سنة 1800 م ، بينما انسحبت روسيا في سنة 1801 م ، أما بريطانيا التي بقيت وحدها ، فاضطرت إلى توقيع صلح أميان Amiante في سنة 1802 م ⁽³⁾ .

كان صلح أميان مجرد هدنة ، كونت بريطانيا بعدها تحالفا جديدا في سنة 1805 م ؛ ضم كلا من النمسا وروسيا والسويد ، فشعر نابليون بالخطر فهاجم النمسا وانتصر عليها في سنة 1805 م وتنازلت له عن البندقية ، وفي سنة 1807 م هزم بروسيا وروسيا ووقع الصلح معهما . أما إنجلترا فقد حاول نابليون محاصرتها اقتصاديا عن طريق الحصار البري للبضائع الإنجليزية في أوربا ، ونجح في ذلك رغم الحصار البحري الذي فرضته عليه بريطانيا ، وفي سنة 1808 م حاول نابليون احتلال شبه الجزيرة الإيبيرية ؛ لكنه فشل في ذلك بسبب التحالف البرتغالي الإسباني ، إضافة إلى المساندة الإنجليزية مما أنهك القوات الفرنسية ، واستمر الوضع إلى غاية سنة 1810 م ⁽⁴⁾ .

وفي سنة 1812 م توجه نابليون على رأس 600 ألف جندي فرنسي إلى روسيا ، ورغم دخوله العاصمة موسكو إلا أن الروس استغلوا الظروف الطبيعية ، وتمكنوا من هزيمة نابليون الذي عاد إلى

⁽¹⁾ عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : محمود علي عامر ، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1989 ، ص 573 .

⁽²⁾ ولد نابليون بونابرت في جزيرة كورسيكا الإيطالية في سنة 1769 م ، بعد سنة من احتلالها من طرف فرنسا ، تعلم الإيطالية وهو ولد صغير ، التحق في شبابه بمدرسة عسكرية فرنسية ، ثم دخل الجيش الفرنسي وأبدى مهارة في شؤون الحرب ، أسندت إليه حكومة الإدارة مهام قيادة الجيش عام 1793 م ، حقق العديد من الانتصارات في حروبه ضد الدول الأوروبية ، وتم القضاء عليه من طرف الدول المتحالفة في سنة 1815 م ، ونفي إلى جزيرة سانت هيلانة بالأطلسي ، إلى أن توفي في سنة 1821 م . ينظر : جفري برون : المرجع السابق ، ص ص 391-409 .

⁽³⁾ عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين : المرجع السابق ، ص ص 298-299 .

⁽⁴⁾ يحيى جلال : المرجع السابق ، ص ص 333-337 .

فرنسا بمائة ألف جندي فقط ،وبعد ذلك اجتمعت الدول الأوربية في معركة واحدة ضده ؛عرفت بحرب الأمم ،انهزم فيها نابليون في سنة 1814م ،وتنازل عن العرش ، واحتفظ بلقب الإمبراطور ، لكنه عاد مرة أخرى لينقذ فرنسا من قوات الحلفاء ، واجتمعت حوله أعداد كبيرة من الشباب الفرنسي ، لكن هذه المرة كانت قوات الحلفاء أكثر من قواته ، فكانت نهاية مرحلة الثورة الفرنسية ، وأعاد الحلفاء الملكية لأسرة آل برون مع لويس الثامن عشر Louis XVIII ، بعد هزيمة نابليون بونابرت في سنة 1815م في معركة واترلو Water-L 'eau⁽¹⁾ .

3- الوضع السياسي في إسبانيا خلال القرن 18م :

1.3- حرب الوراثة الإسبانية (1701-1720) وأثرها على إسبانيا :

كانت إسبانيا خلال القرن الثامن عشر لاتزال تحتفظ بإمبراطورية واسعة في أمريكا اللاتينية ، ولكنها قد فقدت أيام عزها ، وتعرضت لحن عسكرية خاصة في أيام حرب الوراثة النمساوية ، وحروب لويس الرابع عشر Louis XIV ، الأمر الذي أفقدها الكثير من فعاليتها ، ولكنها ظلت من الدول الأوربية التي يحسب لها حسابها⁽²⁾ .

توفي الملك الإسباني شارل الثاني Charles II في شهر نوفمبر من سنة 1700م ، وترك وصيته لصالح دوق أنجو فليب Philippe حفيد لويس الرابع عشر . وبعد بضعة أشهر توج فليب بعرش إسبانيا وحمل لقب فليب الخامس Philippe V (1700-1746)⁽³⁾ ، واعترفت به الدول الأوربية ، علما أن معاهدة لندن ، التي وقعت في مارس في سنة 1700م بين كل من إسبانيا ، وفرنسا ، وهولندا ؛ قد حافظت لإسبانيا على ممتلكاتها ، باستثناء مملكة نابولي وصقلية ، وميلانو التي احتفظ بها لويس الرابع عشر ملك Louis XIV فرنسا⁽⁴⁾ .

ومع بداية سنة 1701م تغير الوضع الأوربي فقد تخوف ملوك أوربا من قيام اتحاد بين إسبانيا ، وفرنسا مما يغير التوازن الدولي الأوربي . فأعلنت ما عرف بحرب الوراثة الإسبانية ، التي تعتبر من أطول

(1) جفري برون : المرجع السابق ، ص ص 406-409 .

(2) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين : المرجع السابق ، ص 271 .

(3) تعاقب على حكم إسبانيا من أسرة آل برون كل من فليب الخامس (1700-1746) حفيد لويس الرابع عشر ، ثم ابنه فردناندو السادس (1746-1759) ، وكارلوس الثالث (1759-1788) ، ثم كارلوس الرابع (1788-1808) ، للاطلاع على المزيد حول أسرة آل برون في إسبانيا . ينظر : ناصر الدين سعيدوني : المعاهدة الجزائرية الإسبانية ، في م . د . ت ، العدد 07 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، الجزائر 1993 ، ص 71 .

(4) جفري برون : المرجع السابق ، ص ص 301-302 .

الحروب في أوروبا⁽¹⁾. فقد ظلت مشتعلة طيلة ثلاثة عشر سنة، ولم تنته إلا في 6 مارس من سنة 1714م. وكان لكل من فيليب الخامس ملك إسبانيا ولويس الرابع عشر ثلاثة حلفاء هم: ملك البرتغال، ودوق سافوا، ومنتخب بفاريا جوزيف فرديناند Joseph Ferdinand، ولكن في سنة 1703م انسحب ملك البرتغال من التحالف الإسباني الفرنسي، وانضم إلى إنجلترا الأمر الذي سمح لها بإنزال قواتها، رفقة قوات نمساوية بالساحل البرتغالي، والزحف على العاصمة الإسبانية مدريد، فاضطر فيليب الخامس إلى أن يترك مدريد مرتين خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1706م و1710م. لكن القوات الإسبانية الفرنسية تمكنت من هزيمة القوات الإنجليزية النمساوية في موقعة فيللا فيكيوزا Vila Viçosa في سنة 1710م، ومنذ ذلك أصبح فيليب الخامس هو سيد إسبانيا⁽²⁾.

طالبت إنجلترا بالمفاوضات في سنة 1712م نتيجة للمبالغ الباهضة التي كانت تكلفهم بسبب الحرب، ورغم معارضة إمبراطور النمسا شارل السادس Charles VI، إلا أن الإنجليز انسحبوا من التكتل الأوربي في سنة 1714م، كما أن الهولنديين انهزموا أمام الفرنسيين لذلك أجبر الإمبراطور شارل السادس على التوقيع على صلح أوترخت (أوترش) Utrecht في سنة 1714م⁽³⁾. وسويت مسألة الوراثة الإسبانية؛ فاحتفظ فيليب الخامس بإسبانيا ومستعمراتها في أمريكا اللاتينية، كما منحت إسبانيا امتيازات تجارية هامة لإنجلترا في مستعمراتها في أمريكا اللاتينية، بالإضافة إلى جزيرة مينورقة وجبل طارق. كما تخلت إسبانيا عن الأراضي المنخفضة، وميلانو، وسردينيا، ومملكة نابولي لصالح إمبراطور النمسا، أما دوق سافوا فحصل على صقلية وأصبح يعرف بملك صقلية⁽⁴⁾.

(1) عند وفاة شارل الثاني بن فيليب الرابع ملك إسبانيا في سنة 1700م، كان في وسع ورثين اثنين، أن يتقدما لتسلم عرش إسبانيا؛ وهما لويس الرابع عشر ملك فرنسا، وليوبولد إمبراطور ألمانيا، وكان كل منهما ابنا لأميرة إسبانية ومتزوجا من أميرة إسبانية، ولكن كل من آن النمساوية، وماريا تريزا أم ووالدة لويس الرابع عشر، كانت تسبق ليوبولد في حقوق الميراث. لكن شارل الثاني ملك إسبانيا رفض أن تقسم أن تقسم الممتلكات الإسبانية بعد وفاته، ورأى أنه ليس في وسع أي أمير سوى أمير فرنسي، تسانده كل قوات لويس الرابع عشر، أن يحافظ على سلامة الإمبراطورية الإسبانية، لذلك وضع وصيته لصالح دوق أنجلو الحفيد الثاني للويس الرابع عشر، المدعو فيليب. ينظر: جفري برون: المرجع السابق، ص 294-301.

(2) يحي جلال: المرجع السابق ص 75-76.

(3) مجموعة من المعاهدات التي عقدت بعد حرب الوراثة الإسبانية بين الدول والحكومات الأوربية مع فرنسا (إنجلترا، هولندا، النمسا، إسبانيا) خلال سنوات 1713 و1714م، وجاءت بطلب من إنجلترا التي كانت من أولى المنسحبين من الحرب بسبب الخسائر التي لحقت بها. ينظر: عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص 182.

(4) يحي جلال: المرجع السابق، ص 78.

لكن هذا الصلح لم يرضي جميع الأطراف؛ فإسبانيا كانت الدولة الخاسرة الأكثر، لذلك سعت إلى استرجاع ممتلكاتها، وأما الإمبراطور النمساوي فلم يكن راضيا لأنه كان يعتقد أن ابنه أحق بعرش إسبانيا من حفيد لويس الرابع عشر، كما أنه لم يكن راضيا بسردينا، وكان طامعا في صقلية، التي آلت إلى دوق سافوا بمقتضى معاهدة يوترخت⁽¹⁾.

وفي سنة 1716م عقد التحالف الثلاثي بين فرنسا وإنجلترا وهولندا، وكان هذا التحالف عاملا أساسيا في التسوية النهائية للوراثة الإسبانية بين النمسا وإسبانيا، فقد ضمن التحالف لملك إسبانيا إمكانية الاستفادة من وراثة دوقية بارما ودوقية توسكانيا نظير تنازله النهائي عن مطالبه في باقي أنحاء إيطاليا، وأعطوا صقلية لإمبراطور النمسا نظير تنازله النهائي عن المطالبة بعرش إسبانيا، وتم ذلك على حساب دوق سافوا، الذي انتزعت منه صقلية، وعوّض بجزيرة سردينيا الفقيرة. لكن كلا الطرفين كان يطمح في الحصول على أكبر من ذلك، لذلك أرسل ملك إسبانيا في سنة 1718م جيشا إلى صقلية ودخل باليرمو، لكنه انهزم أمام التحالف الرابعي بعد أن انضمت إليه النمسا في سنة 1720م⁽²⁾.

2.3- دور إسبانيا في حرب الوراثة النمساوية (1740-1748) :

وفي 10 ماي من سنة 1734م احتلت إسبانيا نابولي، وفي 30 أوت مدينة بالرمو عاصمة صقلية بسهولة، فاضطرت النمسا إلى الدخول في مفاوضات مع إسبانيا في سنة 1735م من أجل الصلح، لكن التسوية تأخرت ثلاث سنوات، وتم الصلح بمقتضى معاهدة فيينا في سنة 1738م، بتنازل إمبراطور النمسا عن نابولي وصقلية للبوربون دون كارلوس Don Carlos، الذي سيصبح ملكا على مملكة الصقليتين⁽³⁾.

وفي سنة 1740م اندلعت حرب الخلافة النمساوية، فبعد وفاة إمبراطور النمسا شارل السادس، ادعى ملك إسبانيا، ومنتخب بفاريا حقهم في وراثة عرش النمسا، وثاروا ضد ماريا تريزا Marie-Thérèse، وانضم اليهم ملك بروسيا، وملك فرنسا، ومن الجهة المقابلة تحالفت ماريا تريزا مع روسيا وإنجلترا، وسردينيا، انتهت الحرب بإبرام صلح إكس-لاشاييل في سنة 1748م، الذي بموجبه وسع ملك إسبانيا من ممتلكاته في إيطاليا⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ زينب عصمت راشد : تاريخ أوروبا الحديث من القرن 16م إلى نهاية القرن 18م، دار الفكر العربي، مصر 2005، ص 234.

⁽²⁾ المختار باي : المرجع السابق، ص 573.

⁽³⁾ يحيى جلال : المرجع السابق، ص 141.

⁽⁴⁾ المختار باي : المرجع السابق ص 574.

3.3- سياسة إسبانيا ما بعد سنة 1748م :

واجهت إسبانيا حلفا دوليا معاديا ، وتعرضت للضغوط الإنجليزية المعادية لأي تحالف بين فرعي أسرة آل بوربون بفرنسا وإسبانيا ، كما كان لانفصال البرتغال عنها ، وضياع ممتلكاتها الأوربية ببلجيكا ، وإيطاليا ؛ تأثير مباشر على سياستها ، وهذا ما دفع كارلوس الثالث (1759-1788) إلى السعي لتكوين تحالف مع العرش الفرنسي في نطاق الروابط العائلية لأسرة آل بوربون في إسبانيا وفرنسا ، وقد تأكد هذا المسعى في عقد معاهدات العائلة المالكة Pactes de Famille في سنوات 1743 ، 1761 ، 1763 ؛ بغرض الدفاع عن المصالح والممتلكات الإسبانية الفرنسية ، والوقوف في وجه المنافسة الإنجليزية ⁽¹⁾. وهو ما حدث في حرب السبع سنوات (1756-1763) بين فرنسا وإنجلترا ؛ فقد وقفت إسبانيا إلى جانب فرنسا ، ورغم انتصار إنجلترا في تلك الحرب ؛ إلا أن إسبانيا لم تخسر شيئا من تلك الحرب ؛ بل بمقتضى صلح باريس 1763م استردت كل من هافانا ، ومانيل بأمریکا ⁽²⁾.

وقد عرفت إسبانيا أثناء حكم كارلوس الثالث Charlos III إصلاحات إدارية ، ونشاطا اقتصاديا ، ساعدها على زيادة قدرتها العسكرية ، وبناء أسطول بحري قوي ، وهذا ما شجع البلاط الإسباني على انتهاج سياسة تهدف إلى تأمين الخطوط الملاحية بالحوض الغربي للمتوسط ، والسعي لإقامة مراكز تجارية على الشواطئ الإفريقية المقابلة للسواحل الإسبانية ⁽³⁾.

وكان وزير الخارجية الإسباني الكونت دي فلوريدا بلانكا (De Flourida Blanca 1777-1792) في عهد كل من كارلوس الثالث و كارلوس الرابع ، رجل قانوني وسياسي يملك خبرة سياسية ، فقد تولى منصبا ديبلوماسيا في إيطاليا ، قبل أن يصبح رئيسا لوزراء عرش البربون الإسباني في عهد كارلوس الثالث ، ثم ابنه كارلوس الرابع ، وكان يكره الكنيسة والإكليروس ، ولا يثق في رجال الجيش والحروب ، بل يميل إلى سياسة التفاوض والحوار لحل المشاكل الخارجية لإسبانيا . وقد اشتد حرصه على القضاء ، والحد من القرصنة البحرية ، التي عطلت مصالح إسبانيا التجارية ، ووضعت أمامها عراقيل كثيرة سياسية ، وعسكرية ، واقتصادية في حوض المتوسط ، وعلى هذا الأساس بذل كل جهوده من أجل تحسين علاقات إسبانيا السياسية والتجارية الخارجية ، فقرر تحقيق السلم مع البلدان المغاربية ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ناصر الدين سعيدوني : المقال السابق ، ص 71 .

⁽²⁾ عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص 285.

⁽³⁾ ناصر الدين سعيدوني : المقال السابق ، ص 72 .

⁽⁴⁾ يحي بوعزيز : إسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس ، في م . د . ت ، العدد 04 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، الجزائر 1988 ، ص ص 53-54 .

وقد توصلت إسبانيا إلى إبرام معاهدة صلح مع سلطان المغرب في سنة 1782م ، كما توصلت إلى إبرام معاهدة صلح مع الدولة العثمانية في نفس العام ، وكان هدفها هو حمل الدولة العثمانية للضغط على ولاياتها المغاربية ؛ لكي تبرم معاهدات سلم وصداقة مع إسبانيا . من أجل خدمة المصالح التجارية الإسبانية ، وتنشيطها ، وحمايتها من الأخطار ، وإيجاد تحالف ضد غريماتها إنجلترا في محاولة لعزلها . كما حاولت إسبانيا التوسط بين البلدان المغاربية ، والبرتغال ، و نابولي ، وأمريكا لعقد معاهدات سلم . وقد ساعدها في ذلك هو نجاحها في إقامة نوع من التوازن الدولي في أوروبا ؛ في إطار التحالفين : الإسباني-الفرنسي ، والإسباني-الأماني . وقد نجحت إسبانيا في إبرام معاهدات سلم مع الدول المغاربية ، مع المغرب في سنة 1782م ، ومع طرابلس الغرب القرمانيّة في سنة 1784م ، ومع الجزائر أقوى بلدان المغرب الإسلامي في سنة 1791م ، ثم مع تونس في سنة 1792م⁽¹⁾ .

ومما سبق يمكن القول :

إن دول الضفة الشمالية من غرب المتوسط ، أي دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر ، كانت كلها تعاني من حالة عدم الاستقرار السياسي منذ بداية القرن ؛ حيث :

- إن دويلات شبه الجزيرة الإيطالية كانت مبعثرة بين القوى الأوربية الكبرى ؛ وهي الإمبراطورية النمساوية ، وفرنسا وإسبانيا . فقد كانت إيطاليا كتعبير جغرافي مسرحا للحروب الأوربية ، وللتنافس بين القوى الكبرى ، وذلك خلال سنوات 1701م ، 1740م ، و 1798م ، وحتى 1814م .
- أما فرنسا فقد تورطت في الحروب الأوربية ، التي كان لويس الرابع عشر قد أشعلها خلال القرن 17م ، واستمرت خلال القرن الثامن عشر ، لتزداد حدة مع الثورة الفرنسية في سنة 1789م ، وتحالف الملكيات في أوروبا الغربية ضد فرنسا ، والتي عرفت بالحروب النابليونية ، التي أشعل فتيلها نابليون بونابرت في أوروبا ، ولم تنتهي إلا بالقضاء عليه في سنة 1815م .
- في حين أن إسبانيا لم تكتم أكثر استقرارا من باقي دول غرب أوروبا ، وكانت من بين المتسببين في حروب الوراثة الإسبانية (1701-1720) ، وحروب الوراثة النمساوية (1740-1763) ، بالإضافة إلى حروب الثورة الفرنسية (1796-1815) التي أرغمت على الدخول فيها .

وإذا كان هذا هو الوضع الذي ميّز الضفة الشمالية من منطقة غرب المتوسط ، فكيف هو الوضع في الضفة الجنوبية منه ؟ .

⁽¹⁾ يحي بوعزيز :المقال السابق ،ص 55 .

المبحث الثاني:

الوضع السياسي في الضفة الجنوبية من غرب المتوسط خلال القرن 18 م :

تميز الوضع العام في الضفة الجنوبية من غرب المتوسط ؛بوجود قوى سياسية واقتصادية ،اختلفت

عن بعضها من حيث القوة والنفوذ ،ومن حيث طبيعة تلك القوى نفسها ،ومن حيث ميولها ،

وأنظمتها ،ومصالحها الاقتصادية ،وحتى علاقاتها فيما بينها ،مما أثر على طبيعة علاقاتها الخارجية ؛

وبالخصوص علاقاتها مع دول غرب أوروبا المتوسطية ؛ونخص بالذكر علاقات الإيالة التونسية .

لقد تداخلت علاقات إيالة الجزائر مع إيالة تونس مما أثر عليها بسبب محاولة الجزائر إبقاء

الإيالة التونسية تابعة لها ،وقد كانت معظم قرارات هذه الأخيرة ؛تصدر من دايات الجزائر ،وقد

حاولت تونس في كثير من الأحيان اللجوء إلى التحالف مع المغرب ،مثل ما حدث في عهد مولاي

إسماعيل ملك المغرب ،عندما هاجم الاثنان الجزائر ،أو مع إيالة طرابلس القرمانيية لكن تلك

المحاولات ،كانت دائما تنتهي بالفشل .

ونلمس في كثير من الأحيان الأخرى تشابه المواقف في علاقات تونس والجزائر مع الدول

الأوربية ؛ومثال ذلك عند نجاح فرنسا في عقد عدة معاهدات مع دايات الجزائر ،كان لزاما أن تنجح

مع بايات تونس ،والعكس صحيح ،ونفس الشيء حدث مع جمهورية البندقية ،وإسبانيا مع نهاية

القرن الثامن عشر ،وبالتالي فإننا نلمس أن الأوضاع العامة في الضفة الجنوبية من الحوض الغربي

للمتوسط ،كانت تؤثر في السياسة الداخلية للإيالة التونسية ،وكذا علاقاتها الخارجية .وقد قسمت

هذا المبحث الثاني إلى العناصر التالية :

1- الوضع السياسي في تونس خلال القرن 18 م .

2- الوضع السياسي في الجزائر خلال القرن 18 م .

3- الوضع السياسي في طرابلس خلال القرن 18 م .

4- الوضع السياسي في المغرب خلال القرن 18 م .

والسؤال الذي يتبادر للذهن في هذه الحالة ،ما هي طبيعة الوضع الذي ميّز دول الضفة الجنوبية

من غرب البحر المتوسط خلال فترة القرن الثامن عشر الميلادي ،والذي سيكون له أثره من قريب أو

بعيد على علاقات تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية ،خلال نفس الفترة ؟.

1- الوضع السياسي في تونس خلال القرن 18 م :

1.1- الدولة الحسينية وتنظيمها في عهد حسين بن علي (1705-1740) :

بدأ القرن الثامن عشر الميلادي في تونس بتغير نظام الحكم ،والذي أدى إلى وصول أسرة جديدة إلى السلطة ؛هي الأسرة الحسينية .ففي شهر جوان من سنة 1702م قام أحد الضباط الأتراك ،الذي يدعى إبراهيم الشريف بعد أن رجع من إسطنبول ،بالقضاء على الأسرة المرادية⁽¹⁾ ووضع حدا لحكمها ،وسرعان ما أخذ مقاليد الحكم ،وجمع السلطات في يده ،لكنه وجد معارضة من طرف الأهالي ،الذين ثاروا ضده .ومن جهة أخرى تورط إبراهيم الشريف في حرب مع الجزائريين انتهت بهزيمته في شهر جويلية من سنة 1705م⁽²⁾.

ونتيجة لتلك الأحداث العنيفة ،التي مرت بها تونس ؛اتفق علماء البلاد وأهل الحل والعقد في تونس على تنصيب حسين بن علي بايا على البلاد⁽³⁾. خوفا من غزو خارجي يشنه عساكر داي الجزائر ،وتهديد داخلي بسبب انتشار موجة من الاضطرابات الداخلية .امتلك حسين بن علي⁽⁴⁾ خبرة واسعة في تسيير البلاد ،فقد كان كاهية لإبراهيم الشريف سابقا ،كما أنه كرغلي الأصل ،وله ارتباطات كثيرة بمختلف الأوساط في تونس لذلك تم اختياره⁽⁵⁾.

سلك حسين بن علي سياسة زادت في تدعيم احتكار النفوذ لصالح مؤسسة الباي على حساب المؤسسات الأخرى ،فأخضع الداوي إلى مشيئته ،وكانت أبرز علامة على ذلك ؛عندما منع الداوي من الحكم بالإعدام ،أو تنفيذه دون استشارته .وباشر مهام عديدة بنفسه ،منها المهام

⁽¹⁾ مؤسس الأسرة هو مراد كورسو وهو من أصل كرسيكي ،أسر صغيرا اشتراه رمضان باي ،ورياه وجعله على قيادة المحلة ،وبعد موت رمضان باي ،تقلد منصب الباي ،وجعله وراثيا في الأسرة .ينظر :محمد الهادي الشريف : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ،تعريب :محمد الشاوش ومحمد عجينة ،ط3 ،دار سناس للنشر ،تونس 1993م ،ص ص 77-80.

⁽²⁾ محمد الهادي الشريف : المرجع نفسه ،ص ص 80-81.

⁽³⁾ أحمد بن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الزمان ، ج 3 ، ط 2 ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1977 ، ج 2 ، ص 103 .

⁽⁴⁾ مؤسس البيت الحسيني من أصل تركي من مدينة كندية بجزيرة كريت ،تدرج في عدة مناصب رفيعة في ظل البايات المراديين ، منها خزندار ،وأغا الصبايحية ،تمت له البيعة في 15 جويلية سنة 1705م ،قتله ابن أخيه علي باشا الذي ثار عليه في سنة 1740م .ينظر : الصغير بن يوسف : المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي ،تحقيق أحمد الطويلي ، ج 4 ، ط 1 ، المطبعة العصرية ،تونس 1998 ، ج 1 ص ص 18-26 .وحسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ،تقديم وتحقيق :حمادي الساحلي ، ط 3 ،دار الجنوب للنشر ،تونس 1993م ،ص ص 125-126.

⁽⁵⁾ محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص ص 80-81.

القضائية في المحكمة ،وتعتبر سياسة القضاء رمز الحكم الصالح .وكذلك قيادة المحلة التي عن طريقها يعيد تجديد الولاء لشخصه في دواخل البلاد ،ويتفقد أحوال رعيته ⁽¹⁾. ولقد فضل حسين بن علي كي يسوس البلاد أن يستعين برجال لم يتقلبوا سابقا في المناصب ،ويدينون له بكل شيء ،من ممالك وكوارغلية ،ومن رجال ليس لهم شأن كبير ،فأخرجهم من حياة الخمول ورفع منزلتهم . كما استعان بالأعيان من ذوي الثراء ؛أصحاب المال فأشركهم على نطاق واسع في استغلال موارد البلاد ، فتكونت منذ تلك الفترة عائلات من الزمامة ،تتوارث المنصب ابنا بعد جد ،وأسر من الوكلاء يديرون أملاك البايك ⁽²⁾.

عرفت البلاد التونسية في عهد الباي حسين بن علي استقرارا سياسيا و رخاء اقتصاديا منذ توليه السلطة ،وإلى غاية سنة 1728م ،بسبب ملائمة الظروف الطبيعية ،وكذلك الظروف العالمية ، بالإضافة إلى سياسة الطبقة الحاكمة اتجاه الرعايا . أما على الصعيد الخارجي فقد ربطت إيالة تونس في عهد حسين بن علي علاقات سلمية مع بعض الدول الأوربية . وكانت هذه الدول تعرف إلى حدود سنة 1715م فقرا مزمنيا في المواد الغذائية ،لاسيما وأن الظروف المناخية كانت بها جد سيئة في بداية القرن 18م ؛بسبب موجة البرد الكبيرة التي اجتاحتها . كفرنسا التي عقد معها في 1711م معاهدة تجارية تصدر بمقتضاها الشركة الفرنسية كميات من الحبوب . بالإضافة إلى معاهدة مع إنجلترا في 1716م ،ومع إسبانيا في 1720م ،وإمبراطورية النمسا في 1725م ،وهولندا في سنة 1728م ⁽³⁾.

أما القرصنة فقد تواصلت في عهده بنسق ضعيف ،وستعرف تقهقرا خاصة بداية من سنة 1725م ؛إثر معاهدة السلم التي عقدتها الدولة العثمانية مع النمسا ،وكان على الإيالات المغاربية احترامها ؛فانتهت بذلك العمليات القرصنية ،التي كانت تستهدف الدويلات الإيطالية التابعة لدولة الهابسبورغ النمساوية ⁽⁴⁾.

لقد حاول حسين بن علي أن يضع حدا للتنافس بين الطامعين في الحكم ؛فجعل الولاية وراثية في بيته يتداولها الأكبر فالأكبر . ورغم ذلك فقد ثار عليه ابن أخيه علي باشا في سنة 1728م ،فنشبت الحرب بينه وبين وابن أخيه علي باشا ،الذي كان قد أوصى له بالحكم من بعده ،لكنه بعد أن أنجب

⁽¹⁾ عبد الحميد هنية : تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر ،

منشورات تبر الزمان ، تونس 2012 ، ص ص 164 .

⁽²⁾ محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ، ص ص 80-81.

⁽³⁾ عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص ص 164-165 .

⁽⁴⁾ المرجع نفسه .

أولادا تراجع في رأيه ،وألغى ما كان من قبل .وحاول إبعاد علي باشا عن الحكم ،ففر هذا الأخير إلى الجزائر وأعلن عليه الحرب .وقد استمرت هذه الحرب الأهلية في تونس عدة سنوات ، وانتهى الأمر في الأخير بمقتل حسين باي بالقيروان في سنة 1740م⁽¹⁾. وانتصر علي باشا بفضل المساعدة ،التي لقيها من داي الجزائر .وقد عرفت هذه المرحلة من تاريخ تونس عند الإخباريين التونسيين بالفتنة الباشية الحسينية⁽²⁾،والتي استمرت تلك الفتنة في بعض المناطق الجنوبية حتى نهاية القرن 18م⁽³⁾.

2.1- فترة حكم علي باشا (1740-1756) وسياسته:

لقد حكم علي باشا (1740-1756) البلاد بصرامة ،فانفرد بالسلطة مع ابنه يونس ومحمد ، وكان يصدر الأحكام بسرعة .وقد أدت تلك السياسة إلى اندلاع عدة ثورات داخلية ،مثل ثورة عساكر الانكشارية في سنوات 1743م و1752م ،وانتفاضة قبيلة الهمامة الكبيرة في سنة 1750م ، بالإضافة إلى تحلي الأهالي عنه في سنة 1755م .أما على الصعيد الخارجي فكانت سياسته حازمة اتجاه الأجانب ،من أجل مراقبة منتوجات البلاد والحفاظ عليها حتى لا يتمكن التجار الأجانب من استغلال ثروات البلاد⁽⁴⁾.

ومن جهة أخرى كانت الفترة التي حكم فيها علي باشا (1740-1756) مليئة بالحروب بين أفراد الأسرة الحسينية وبتدخل دايات الجزائر في شؤون تونس ،منها الحرب بين علي باشا وابنه يونس باي ،الذي خرج عن طاعته في سنة 1752م ،ثم الحرب بينه وبين أبناء حسين بن علي ،الذين استنجدوا بداي الجزائر ،فأمدهم بجيش زحف على مدينة الكاف في سنة 1746م ،لكن هذه الحملة فشلت ،ثم كانت الحملة الثانية بعد عشر سنوات ،وبتأييد من داي الجزائر مرة أخرى على تونس العاصمة ،فقتل فيها علي باشا في سنة 1756م⁽⁵⁾. وبذلك ساهم الجزائريون في قتل علي باشا بعد أن كانوا هم من نصره على حسين بن علي سابقا ،وأعادوا أبناء حسين بن علي للسلطة في تونس .

(1) شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1977 ، ص 110.

(2) للاطلاع أكثر عن الحرب الأهلية في تونس بين الباي حسين بن علي وعلي باشا خلال الفترة (1728-1740) . ينظر:

فاطمة بن سليمان: **قراءة الإخباريين التونسيين للفتنة الباشية الحسينية** ، في **ك ت** ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 164 ، تونس 1993 ، ص ص 57-85. وينظر: مليكة الشيخ : **العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن 18م** ، رسالة

لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف أ/د عمار بن خروف ، المركز الجامعي غرداية 2011-2012 ، ص 19 .

(3) محمد ضيف الله : **نوافذ على تاريخ نفزاوة** ، المغاربة للطباعة ، تونس 2008 ، ص 97 .

(4) محمد الهادي الشريف : **المرجع السابق** ، ص 58.

(5) شوقي عطا الله الجمل: **المرجع السابق** ، ص 111.

3.1- عودة ابني حسين بن علي للحكم في تونس بمساعدة داي الجزائر:

استرجع ابنا حسين بن علي عرشهم، واعترفوا بسيادة داي الجزائر عليهم، مستأنفين دفع الإتاوة السنوية، والتي قدرها داي الجزائر، فباشر محمد الرشيد (1756-1759) مهامه، لكن الظروف لم تكن مناسبة؛ بسبب عمليات النهب التي لحقت بتونس، إثر استباحة مدينة تونس لعساكر أترك الجزائر، فكان الثمن باهضا، ومضت سنوات قبل أن يستتب الأمن، فكانت هناك محاولات قتل عديدة استهدفت محمد وعلي إبن حسين بن علي: في أكتوبر من سنة 1756م، وفي أبريل وجوان وجويلية من سنة 1757م، وفي فيفري من سنة 1759م. لقد أصبحت الدولة الحسينية ضعيفة وذات هبة متدنية. وقد كانت مدة محمد باي كانت قصيرة حيث توفي في سنة 1759م، ومع بداية ولاية علي باي بن حسين (1759-1782)، اندلعت ثورة إسماعيل بن يونس حفيد علي باشا في جبل وسلات، لكن الباي تمكن من إخمادها في سنة 1762م⁽¹⁾.

4.1- سياسة الوفاق وإعادة بناء الدولة في عهد علي باي⁽²⁾ (1759-1782):

عرفت البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وبداية القرن الموالي شيئا من النمو، والازدهار الاقتصادي. خاصة الفترة الممتدة بين سنتي 1765 و1776م، فقد كانت عشرية رخاء ووفرة إنتاج، لم تعرف مثيلا لها منذ مدة طويلة. وكانت هذه الظرفية المناخية والدولية ملائمة. فقد كانت فترة استقرار سياسي في الإيالة التونسية، ومن جهة أخرى عرفت البلاد التونسية خلال عهد علي باي نموا ديمغرافيا كبير شمل ثلاثة أجيال تقريبا، في المدن، والأرياف على حد سواء، وتجدد ذلك في المدن في اتساع المجال العمراني، أما في الأرياف، وخاصة في منطقة زراعة الحبوب في الشمال، فقد توسعت الأراضي الزراعية، وتم استصلاح، وإحياء مساحات كبيرة لم تكن مستغلة قبل هذه الفترة في تونس⁽³⁾.

⁽¹⁾ عبد الحميد هنية: المرجع السابق، ص ص 183-186.

⁽²⁾ ولد علي باي في سنة 1712م والده حسين بن علي وأمه جنوبية، نشأ في بلاط باردو وترى تربية علمية وعسكرية، كان يحسن اللغة الإيطالية إلى جانب العربية، تزوج عدة زيجات وأنجب عدة أولاد كان من أشهرهم حمودة باشا. فر إلى الجزائر عند مقتل أبيه في سنة 1740م، وقاد إلى جانب أخيه محمد الرشيد حملتين ضد علي باشا بمساعدة داي الجزائر؛ سنوات 1746م و1756م. تولى السلطة بعد وفاة أخيه الرشيد وبقي يحكم إلى أن توفي في سنة 1782م، من أشهر وزرائه حمودة بن عبد العزيز، ومصطفى خوجة. ينظر: سلوى هويدي: علي باي وإدارته للأزمات (1759-1782)، في م. ت. م. مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، العدد 147، تونس 2012، ص ص 403-425.

⁽³⁾ عبد الحميد هنية: المرجع السابق، ص 187.

إن سياسة علي باي على الصعيد الداخلي ؛ كانت على قدر كبير من المرونة والليبرالية ؛ فقد تخلى البايليك عن قسم من اختصاصاته ، وعن التدخل في الحياة الاقتصادية ، وترك الباب مفتوحاً أمام الأعيان ، الذين استغلوا البلاد لصالحهم ، وتعاملوا مع البايليك من جهة ، ومع التجار الأجانب من جهة أخرى . أما على الصعيد الخارجي فإن سياسة علي باي ورجاله المقربين مثل الوزير مصطفى خوجة⁽¹⁾ ، والوزير حمودة بن العزيز⁽²⁾ ، تفسر بتغلغل الرأسمالية الأوروبية داخل البلاد التونسية ، وبتكامل مصالحها وتعايشها مع مصالح البايليك وأبرز رجاله ، وبما ربطته من علاقات متينة مع كبار التجار التونسيين ، ومع كبار صانعي الشاشية المصدرين لمنتجاتهم ، ومع منتجي ومصدري الحبوب⁽³⁾ .

ومما يدل على المكانة الهامة التي وصلت إليها تونس في عهد علي باي هو فشل الحملة الفرنسية على تونس في سنة 1769 م ، ثم تقديم المعونة العسكرية للدولة العثمانية في سنة 1771 م في حربها ضد روسيا ، فقد جهز علي باي خمس مراكب حربية وشحنها بالرجال والعتاد ، وأرسلها إلى مقر الخلافة العثمانية⁽⁴⁾ .

إن نجاح سياسة علي باي يعود إلى الظروف الاقتصادية المواتية على المستوى الخارجي ؛ أي على مستوى حوض البحر المتوسط ، وعلى المستوى الداخلي ، وذلك من خلال ما لقيته سياسة علي باي من مؤازرة ، ودعم من طرف فئات اجتماعية لها تأثيرها البعيد في المجتمع التونسي ، كالعلماء ورجال الدين على اختلافهم ، فقد كان الباي يوليهم عناية كبيرة . بالإضافة إلى القواد واللزامة⁽⁵⁾ ، وغيرهم من

(1) مصطفى خوجة مملوك من أصل قرجي (جورجي) ، برز في المحيط القريب لعلي باي ، من وزراء علي باي ثم ابنه حمودة باشا ، منذ ستينات القرن 18 م ، تميز باهتمامه بفرنسا ، وكان عمله الدائم في خدمة مصالحها في تونس ، ارتبط بعلاقات قوية مع القنصل الفرنسي دو سيزيو ، توفي في سنة 1800 م . ينظر : سلوى هويدي : المقال السابق ، ص 418 .

(2) الوزير والكاتب والمؤرخ ، كان عالماً وفقهياً في بداية الأمر ، ثم أصبح رجل بلاط في عهد علي باي ، فاصبح بداية من سنة 1772 م يسهر على تعليم حمودة باشا بن علي باي ، وأصبح بعد ذلك الوزير الكاتب ، وكتب تاريخه المعروف بالكتاب الباشي ، وهو كتاب مديح ودعاية لعهد علي باي ، ويبدو أنه كتبه بين سنوات 1775 م و 1777 م ، توفي في سنة 1787 م . ينظر إلى : عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص 192 .

(3) محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ، ص 87 .

(4) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ص 129-130 .

(5) اللزامة : وهو نظام التزام الهناشر ، وهو يعود إلى عهد حسين بن علي ، ثم استمر علي باشا بتطبيقه ، ولزامة الهناشر تخص الأراضي التي حازتها الدولة ، وحددت ملامحها ، وتسند لزامة الهناشر في مقابل قدر عيني ، وتخضع لقانون العرض والطلب ، وتقدم الدولة للزام أو الوقاف ، أو الوكيل ، أو الأمين ، أو القوام ، فينتدب الخماسة لإنجاز العمل . فكان علي باشا يجبر اللزام على دفع المقدار ، الذي تعهد به ، وفي عهد علي باي لم يعد يجبر اللزام على كراء الهنشير بدون رضاه . ينظر : عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص ص 187-188 .

الشركاء في البايليك ، فقد كانوا يطورون أعمالهم التجارية ويكتسبون القوة ، ويؤسسون سلاطات ساهمت في اقتصاد تونس ؛ مثل عائلة بن عياد ، والجلولي ، والمرابط وغيرهم . يضاف إلى هؤلاء شيوخ الأرياف الذين قربهم النظام إليه ومنحهم امتيازات كبيرة ، وبالتالي ضمن ولاءهم ⁽¹⁾.

لقد ساهم السلم الداخلي الذي نجح علي باي في تحقيقه ، وتوفر الظروف المناخية الملائمة والاستقرار الديمغرافي ، الذي عرفته تونس منذ سنة 1760م ، في تنشيط الحركة الاقتصادية . وقد تدعمت هذه الظروف بالإجراءات التي اتخذها علي باي لدفع حركة الإنتاج بعد تعثرها ، فقد قلل من احتكار الدولة للأنشطة الاقتصادية ، وألغى نظام المشتري ⁽²⁾ ؛ لكنه في المقابل استمر في العمل بنظام التسكرة ، كما أصدر قانون العفو الجبائي . فتوسعت المساحات المزروعة ، وانخفضت أسعار الحبوب في الأسواق الداخلية منذ سنة 1766م ، ورفع الباي الحذر على تصدير الحبوب في سنة 1769م ⁽³⁾.

عرفت البلاد التونسية خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1765 و 1776 ازدهارا فلاحيا كبيرا فقد ارتفعت كميات الإنتاج الزراعي ، يضاف إلى ذلك حيوية التجارة الخارجية بصورة عامة ، وتجارة الحبوب بصورة خاصة كان طلب الدول الأوربية للحبوب خلال هذه الفترة هاما ومتزايدا على الأقل إلى سنة 1776م . وكانت أول نتيجة لكثرة الطلب الخارجي للحبوب ؛ ارتفاع أسعارها عند التصدير خلال تلك الفترة ، كما صدرت الحبوب إلى بلدان الشرق مثل : طرابلس والإسكندرية ، لكن أوروبا كانت المستورد الأساسي للحبوب التونسية ⁽⁴⁾.

وتوسعت شبكة المنخرطين في الأنشطة الاقتصادية ، وقد لعب كل من مصطفى خوجة وحمودة بن عبد العزيز ، دورا بارزا في بلورة المشروع الاقتصادي ، الذي تبلورت ملامحه منذ بداية ستينات القرن 18م ، ومن أبرز خصائصه هو توجهه نحو الانفتاح على الممارسات الاقتصادية في حوض البحر المتوسط في تلك الفترة ، كما شملت اهتمامات الاعتناء بالجانب الاجتماعي والقضائي . وقد استمر تأثير خيارات علي باي خلال الفترة الأولى لحكم حمودة باشا (1782-1792) ⁽⁵⁾. لقد كان عهد علي باي من أحسن الفترات استقرارا ورخاء للإيالة التونسية ، منذ عهد أبيه حسين بن علي ، كما أنه

(1) محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ، ص 88.

(2) وهي سياسة اقتصادية تقوم على أن يستلم البايلك الحبوب وغيرها من المنتجات والمحاصيل الفلاحية المطلوبة في السوق الخارجية ، بأثمان بخسة ، ظهرت في عهد حسين بن علي ، وأبطلها علي باي . ينظر: محمد الهادي الشريف : المرجع نفسه ، ص 85.

(3) سلوى هويدي : المقال السابق ، ص ص 419-421.

(4) عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص ص 189-191 .

(5) المرجع نفسه .

وقبل أن يتوفى علي باي عمل تسهيل الأمور لابنه حمودة باشا ، فقد سوى قضية توريث الحكم في أيام حياته ، فضمن له بداية من الاستقرار السياسي ، كما ترك له وضعاً اقتصادياً مريحاً .

5.1- عهد حمودة باشا الحسيني وسياسته (1782-1814) :

لما كبر علي باي في السن أشرك ابنه حمودة⁽¹⁾ في الحكم منذ سنة 1777م/1191هـ ، وراسل الدولة العثمانية طالباً موافقتها على تقديم ابنه للولاية من بعده ، فوافقت على طلبه ووافته بالخلة والفرمان ، وكان ذلك يوم الأحد 9 من شهر فيفري ، وتوفي علي باي بعد ذلك بقليل⁽²⁾ . وجددت له البيعة بقصر باردو⁽³⁾ ، يوم وفاة والده يوم الجمعة 31 ماي من سنة 1782م ، الموافق 18 من جمادي الثانية من سنة 1196هـ⁽⁴⁾ .

تولى حمودة باشا الحكم بعد وفاة أبيه في ظروف أمنية ملائمة ، دون أن يثير هذا الحدث فتنة بين محمود باي وأخيه حمودة باشا ، فلقد أظهر علي باي حنكة سياسية ؛ عندما هيا الظروف الملائمة لبيعة ابنه ، وهو على قيد الحياة ، متجنباً بذلك ما وقع لأبيه حسين بن علي ، وفوّت بذلك على داي الجزائر فرصة التدخل في شؤون البلاد لتنصيب باي موال له . لقد ورث حمودة باشا وضعاً أمنياً مريحاً ، جعله يعمل في ظروف أفضل من أبيه ؛ لاسيما فيما يتعلق بانخراطه في مشروع عسكري ضخم ينوي إنجازه ، وقد تزامن ذلك مع اتباعه لسياسة داخلية حازمة مكنته من توفير المداخيل الضرورية لذلك⁽⁵⁾ .

(1) هو حمودة باشا الحسيني ولد في سنة 1759م أمه جارية تزوج بها والده في الجزائر ، أحسن والده تربيته ، أخذ عن كاتب والده ومؤرخ دولته حمودة بن عبد العزيز صاحب كتاب الباشي . بويق في حياة والده في سنة 1777م ، وتجددت له البيعة عند وفاة والده في سنة 1782م . أنظر : أحمد بن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 11 . وللاطلاع أكثر على شجرة الأسرة الحسينية ، ينظر : محمد الصالح مزالي : **الوراثة على العرش الحسيني ، ومدى احترام نظامها** ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1969 .

(2) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص 130 .

(3) قصر باردو تم تأسيسه في سنة 1420م في عهد السلطان الحفصي عثمان . وأصل الكلمة إسباني ، وهي متفرعة عن كلمة Pardo ، التي تعني القصر أو المقر الملكي ، وربما ذلك بسبب توافد الأندلسيين على تونس خلال القرن 15م . وقد تطور دور قصر باردو من منتزه ملكي في العهد الحفصي إلى مقر للحكومة والعائلة المالكة المرادية ؛ وذلك في عهد مراد الثاني . وبوصول حسين بن علي إلى السلطة عام 1705م ، استقر وعائلته وبلائه في باردو ، حيث كان يستقبل ممثلي الدول الأجنبية ، ويوقع الاتفاقيات والمعاهدات . ينظر : منصف التايب : **بلاط باردو في عهد حسين بن علي 1705-1735** ، شهادة الكفاءة في البحث إشراف : محمد الهادي الشريف ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة تونس الأولى 1990 ، ص ص 11-14 .

(4) أحمد بن أبي الضياف : المصدر السابق ، ص 11 .

(5) نبهة السلطاني العبيدي : **العوامل المؤثرة في سياسة حمودة باشا العسكرية** ، في ك . ت . ، العدد 205-206 ، تونس 2008 ، ص ص 120-121 .

- ففي المجال العسكري اقتضت سياسة حمودة باشا تقوية إمكانيات البلاد العسكرية بطرق عديدة ،منها جلب أعداد وفيرة من الجنود الأتراك إلى تونس ،كما عزز جيشه بتشكيلات كان أفرادها تونسيين ،وكان لهذه العناصر الفضل الأكبر في إحراز انتصارات عسكرية ،ذات أهمية رئيسية في الفترة المتأخرة من عهده ⁽¹⁾. وتماشيا مع سياسته العسكرية النشيطة والرامية إلى تدعيم إمكاناته الحربية ؛شرع حمودة باشا في بناء الأبراج والأسوار حول العاصمة وتحديد أبوابها منذ سنة 1797م ، كما قام بتشديد عدد من الثكنات في تونس أوكل مهمة إنشائها للأهالي ⁽²⁾.

وقد تمكن حمودة باشا من مواجهة البندقية (1784-1792) ، كما تمكن من القضاء على ثورة علي برغل الجزائري وإعادة العرش للقرمانليين ،واسترجاع جزيرة جربة في سنة 1795م . كما خاض حربين ضد الجزائر إلا أنه انهزم في المرة الأولى في سنة 1803م، ولم يتخلص من هيمنة داي الجزائر إلا بعد انتصاره على الجيش الجزائري في المرة الثانية في سنة 1807م ، كما تمكن من إخماد ثورة الجنود الأتراك في سنة 1811م بفضل مساندة الجنود الأهالي التونسيين ⁽³⁾.

- أمّا في المجال الاقتصادي فقد نجح في تأمين أسعار رابحة ،وأسواق خارجية للإنتاج الزراعي التونسي ،وخاصة بعد سنة 1787م ، كما حمى حمودة باشا الفلاح التونسي بمنعه التجار الأجانب من شراء الحبوب من المزارعين قبل نضوج المحصول ،وزاد بالسماح بتصدير المنتج الزراعي التونسي إلى أوروبا بصفة مباشرة وعلنية ،هذا بالإضافة إلى انتهاج سياسة سلمية مع الدول الأجنبية ،والترويج لتصدير منتوجات البلاد التونسية . أمّا في المجال الصناعي فقد شجع الباي الصناعات المحلية ،وأبطل عادة لباس المصنوعات الأجنبية المستوردة من الخارج ،وكان يتبادل الهدايا مع الدول الأجنبية بالمنتوجات التونسية ؛مما أدّى إلى ترويج الصناعات المحلية وترويجها ⁽⁴⁾.

- أمّا بالنسبة للتجارة الخارجية فإن الظرفية العالمية كانت متقلبة ،ورغم ذلك كانت ملائمة لتنمية موارد البلاد ،والمتمثلة في الثورة الفرنسية سنة 1789م ،وما تفاقم عنها من اندلاع للحروب النابليونية ،وما نتج عنها من حصار قاري فرضته إنجلترا على فرنسا خاصة . فقد ساعدت على تصدير المحاصيل الفلاحية التونسية بأسعار باهظة ؛نظرا لحاجة البلاد الأوربية للمنتوجات الفلاحية

⁽¹⁾ رشاد الإمام : سياسة حمودة باشا الحسيني ، في م. ت. م. ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،العدد 6، تونس 1976 ، ص ص 111-115 .

⁽²⁾ نبيهة السلطاني العبيدي : المقال السابق، ص 124 .

⁽³⁾ محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص ص 90-91.

⁽⁴⁾ رشاد الإمام : المقال السابق، ص 114 .

بصفة عامة ، وقد استغل حمودة باشا هذه المرحلة لتلميع مكانة تونس السياسية ، والتجارية ؛ بانتهاج سياسة محايدة إزاء الأطراف المتصارعة ، مما ساعد على رواج التجارة التونسية باتجاه الشرق والغرب⁽¹⁾.

— أما بالنسبة للنشاط القرصني فقد ازدادت القرصنة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وتحديدًا الفترة ما بين سنتي 1792م و1810م ، ويفسر ذلك بالظرفية السياسية المضطربة ، التي مرت بها أوروبا ؛ والمتمثلة في انشغالها بحروب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية ، التي أضعفت قدرة الدول الأوروبية على مراقبة القراصنة في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي⁽²⁾.

إن سياسة حمودة باشا أقيمت على تحرير تونس من التسلط الأجنبي ، وإبراز سيادة البلاد واستقلالها . وقد وُفق الباي في بلوغ أهدافه إلى حد بعيد ؛ بفضل تصميمه وحزمه من جهة ، وبفضل تنسيقه بين معطيات سياسته الخارجية وإنجازاتها ، ومعطيات سياسته الداخلية وإنجازاتها من جهة أخرى . وبذلك ضمن خدمة الميدانين بتكامل يضمن النجاح والتخطيط والتنفيذ . فقد كان الباي يهيئ أسباب القوة لجعل تونس دولة ذات سيادة ، فقد عمل على مصالحه الدول الأجنبية ، وعقد معها معاهدات ، وفي نفس الوقت كان يدعم إمكاناته العسكرية⁽³⁾.

وقد بلغت سياسة حمودة باشا الخارجية نجاحًا لم يحظ به سابقوه من البايات ؛ ويتضح ذلك في الحد من سلطة الدولة العثمانية عليه حدًا حقيقياً ، وبذلك استقلت تونس سياسياً عن إسطنبول . بالإضافة إلى نيل استقلاله بالقوة عن التسلط الجزائري ، الذي بقيت خاضعة له طيلة قرنين من الزمن ، والأهم من ذلك أن حمودة باشا بإنجازاته في المجالين الداخلي والخارجي ، أسهم في تغيير نظرة الأهالي التونسيين للدولة التونسية⁽⁴⁾. كما تمكن من تتين علاقاته مع الدول الأوروبية ، خاصة فرنسا⁽⁵⁾.

تستنتج أن السياسي في تونس خلال القرن 18م ، قد تميّز بالتباين والتنوع بين مختلف مراحلها ، والتي من أهمها : مرحلة حكم الباي حسين بن علي (1705-1740) ، وابنه علي باي (1759-1782) ، وحفيده حمودة باشا (1782-1814) ، مما أدى إلى تنوع علاقات إيالة تونس الخارجية السياسية ، والتجارية خاصة مع دول أوروبا الغرب المتوسطية .

(1) عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص ص 196-201 .

(2) المرجع نفسه ، ص ص 200-201 .

(3) رشاد الإمام : المقال السابق ، ص 112 .

(4) المقال نفسه .

(5) الحبيب ثامر : هذه تونس ، تقديم وتحقيق : حمادي الساحلي والرشيدي إدريس ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 ، ص

2- الوضع السياسي في الجزائر خلال القرن 18 م :

1.2- علاقة الجزائر بالدولة العثمانية :

أدت الجزائر دورا بطوليا في الحوض الغربي من المتوسط ، وذلك من خلال مواجهتها للهجمة الصليبية الإيبيرية منذ مطلع القرن السادس عشر ، كما استطاعت أن ترحح ميزان القوى لصالحها في صراعها مع القوى الأوربية المسيحية ⁽¹⁾. وعلى صعيد آخر كانت الجزائر في الفترة الأولى من العهد العثماني ، وإلى غاية انتهاء مرحلة الباشوات ؛ ولاية تعين الأستانة حاكمها ، وعلى الرغم من ذلك يمكن القول بأن العلاقات بين الجزائر ، والدولة العثمانية ، لم تكن علاقة مستعمر بمستعمر ، بل كان الرابط الوحيد بينهما ؛ هو الدين والمصالح المشتركة ⁽²⁾.

صاحب تسلم الدايات السلطة منذ سنة 1671م في الجزائر ، ضعف ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية ، مع بداية القرن الثامن عشر ، ففي عهد الداوي علي شاوش (1710-1718) رفض السماح للباشا الجديد القادم لولاية الجزائر بالنزول إلى البر ، وأجبره على أن يقفل راجعا ، وأرسل سفارة إلى السلطان العثماني محملة بالهدايا في سنة 1711م ، عرضت على الحكومة العثمانية المصاعب الناجمة عن تعدد السلطات ، ونجحت حجج السفارة في إقناع المسؤولين العثمانيين ، وتقرر جمع وظيفتي الباشا والداوي لشخص واحد منذ ذلك الوقت ⁽³⁾. وقد حاولت الدولة العثمانية أن ترسل باشا من إسطنبول إلى إيالة الجزائر في عهد الداوي عبدي باشا (1724-1734) ، ولكن تم رفضه ورد على نفس السفينة ، التي وصل عليها في سنة 1729م ⁽⁴⁾.

وقد انحصرت مظاهر التبعية في تقديم الهدايا ، وتبادل الرسائل بين الداوي والسلطان العثماني في المناسبات دليلا على الولاء . فقد صارت تبعية الجزائر للدولة العثمانية عبارة عن تصديق السلطان لتولية الداوي الجديد كل سنتين أو ثلاثة ، بالإضافة إلى تقديم المساعدة من طرف الأسطول البحري

⁽¹⁾ عائشة غطاس : نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني ، في م. د. ت. ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، العدد 5 ، الجزائر 1988 ، ص 116 .

⁽²⁾ محمد العربي الزيري : مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ، ط 2 ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1975 ، ص 68-69 .

⁽³⁾ أرجمنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي ، ترجمة : عبد الجليل التميمي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس 1970 ، ص 26 .

⁽⁴⁾ محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، ط 2 ، مكتبة دار الشرق ، بيروت 1979 ، ص 70 .

الجزائري إلى الأسطول العثماني في حروبه كلما تطلب ذلك ،وفي المقابل كان دايات الجزائر يجلبون الجنود الأتراك من جزر البحر المتوسط والأناضول ،ووصل استقلال دايات الجزائر إلى الحرية في توقيع المعاهدات مع الدول الأجنبية مباشرة دون الرجوع للدولة العثمانية ⁽¹⁾.

ورغم ذلك فإن الدايات لم يتنكروا لسيادة السلطان مادامت السيادة اسمية ؛لا تقيد حريتهم في التصرف .فقد كان الأمر يقتصر على أن يرسل سفيرا يبلغ السلطان انتخابه لهذا المنصب ،ويتلقى منه قفطان الشرف وفرمانا بتسميته باشا . كما كان الدايات يرسلون وفودا للتهنئة لدى تولي سلطان جديد ،والسلاطين يقبلون بالأمر الواقع ما داموا لا يملكون القوة اللازمة لفرض كلمتهم .وقد كانت الجزائر تشارك في حروب الدولة العثمانية ،فترسل قوة بحرية إلى شرق المتوسط ؛مثل ما حدث في الحرب الروسية العثمانية خلال (1768-1774) .وكانت تتلقى جنودا انكشاريين ،بالإضافة إلى المعونات المالية لتقوية البحرية الجزائرية ⁽²⁾.

2.2- مكانة الجزائر وقوتها البحرية في غرب المتوسط:

وفي عهد الدايات أخذت تشكيلات إيالة الجزائر شكلها الأخير ،وصار يوجد إلى جانب الداوي ديوان هو مجلس الشورى ،وهو مؤلف من موظفين منهم :المسؤول عن الخزينة والناظر لشؤون المالية ،والمكلف بالشؤون البحرية وهو وكيل الحرج ،أو وزير الحرية ⁽³⁾. إلى جانب خوجة الخيل والبيت مالجي ،إلى جانب ذلك الأغا وهو قائد الجيش ،وشيوخ الإسلام والمفتيان الحنفي والمالكي .وكانت الجزائر مقسمة إلى أربعة بايليكات ،على رأس كل واحدة باي يعينه الداوي ،يساعده قواد ومشايخ في البايليك ،إلى جانب قوات من الجنود الانكشارية ،والقبائل الموالية المعروفة بقبائل المخزن ،التي كانت معفاة من الضرائب ،مقابل مهمة تأمين البايليك ⁽⁴⁾.

أما بالنسبة للقوة البحرية الجزائرية ،فإنها تراجعت مع بداية القرن الثامن عشر ،فقد أشارت بعض المصادر أنه في سنة 1725م بلغ عدد السفن الراسية في ميناء الجزائر 24 سفينة ؛تحتوي كل واحدة من 10 إلى 52 مدفعا ،وبعد أربع وعشرين سنة أي في سنة 1749م انخفض عددهم إلى 17 سفينة تحتوي كل واحدة من 3 إلى 26 مدفعا .وهذه السفن تسع منها للحكومة وثمانية سفن ملك

⁽¹⁾ حنيفي هلايلي :أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1 ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر 2008 ،ص

⁽²⁾ محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 72 .

⁽³⁾ أرجمنت كوران: المرجع السابق ، ص 28 .

⁽⁴⁾ محمد خير فارس: المرجع السابق، ص ص 72-74 .

شخصي لبعض الأفراد ،وأصبح السوق المغطى مهجورا ،ولم يعد يسمع صوت الدالين الذين كانوا يبيعون الغنائم والأسرى ،وفي السابق كانت الجزائر مدينة عز وبهاء وحيوية ،وكان ذهب المسيحيين يتدفق عليها بكميات لا تحصى ،والآن أصبحت خزينتها كئيبة وفارغة⁽¹⁾.

فمنذ نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ،بدأ انحطاط البحرية الجزائرية ؛فقد تزايدت قوة البحرية الأوربية ،وصارت عمليات الانتقام أوسع وأكثر ،وحدّت المعاهدات مع الدول من نشاط البحرية الجزائرية ،وقلت الغنائم ،وهبط مستوى البحارة الجزائريين ،وهبط عدد السفن الجزائرية هبوطا كبيرا⁽²⁾.

ولكن الجزائر تمكنت مع نهاية القرن الثامن عشر من استكمال استقلالها في سنة 1792م باسترجاع مدينة وهران من الإسبان ،بعد صراع طويل دام حوالي ثلاثة قرون .وكان لذلك الحادث تأثير كبير على كل الميادين السياسية ،والاقتصادية وحتى الاجتماعية . كما انتعشت عمليات القرصنة من جديد بفضل الرايس حميدو ؛وتمكنت البحرية الجزائرية من دخول المحيط الأطلسي في سنة 1793م ،مستغلة انشغال الدول الأوربية بحروب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية ،فاضطرت الولايات المتحدة لعقد معاهدة سلام مع الجزائر في سنة 1795م⁽³⁾.

2.3- علاقات الجزائر مع تونس⁽⁴⁾:

تميزت علاقات الجزائر مع مع تونس ،مع بداية القرن 18م ؛بتحالف مراد بك باي تونس في سنة 1700م مع مولاي إسماعيل سلطان المغرب ، وبالتفاهم مع باشا طرابلس الغرب ،اخترقوا الحدود الجزائرية ،وهزموا باي قسنطينة وفرضوا حصارا شديدا على المدينة ،فثار انكشارية الجزائر عند وصول الأخبار ،فخاف الداوي حسن وقدم استقالته ، انتخب الأغا مصطفى دايا للجزائر ،فتوجه الداوي مصطفى بقواته إلى مراد بك ،وتمكن من هزيمته أسر الجزائريون قرابة الألف شخص . كما تمكن الداوي مصطفى من هزيمة مولاي إسماعيل على الحدود الغربية . وفي سنة 1702م قبل إبراهيم الشريف ،الذي تولى الحكم في تونس بعد مقتل مراد بك التبعية للجزائر ،ودفع الضرائب السنوية⁽⁵⁾.

(1) عزيز سامح التز: المرجع السابق، ص 414 .

(2) محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 92 .

(3) محمد العربي الزيري: المرجع السابق، ص ص 70-71 .

(4) للاطلاع على تفاصيل العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس ،ينظر : عمار بن خروف :علاقات الجزائر السياسية مع تونس

في عهد الدايات (1671-1830) ،أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ ،قسم التاريخ ،كلية الآداب ،جامعة دمشق 1996 .

(5) عزيز سامح التز: المرجع السابق، ص 452-453 .

زحف الداوي مصطفى باتجاه تونس في سنة 1705م ،فاستولى على مدينة الكاف ونهبها ،ثم توجه إلى تونس العاصمة فحاصرها ،خاف التونسيون على بلادهم فعرضوا الصلح على الداوي مصطفى مقابل مبلغ من المال قدره مائة وخمسون ألف ريال ،لكنه رفض لذلك قرر التونسيون الدفاع عن بلادهم ،وفي هذه الأثناء هاجم الفرنسيون الجزائر وقتلوا أكثر من ثمانمائة شخص ،فاضطر الداوي مصطفى للتفاوض ،لكن التونسيين رفضوا دفع الأموال ،فاستمر الجزائريون في فرض الحصار على تونس ،لكنهم اضطروا للانسحاب وفي طريق العودة بدأ التونسيون وسكان القبائل في مهاجمة الجيش الانكشاري الجزائري ،الذي تعرض لخسائر كبيرة ،وقتل الداوي مصطفى من طرف الانكشارية ؛بسبب الهزيمة التي لحقت بالجزائريين في تونس ،وانتخب حسن خوجة دايا للجزائر⁽¹⁾. وستبدأ مرحلة أخرى من العلاقات بين تونس وتونس ما بعد سنة 1705م ؛أي مع وصول الأسرة الحسينية إلى الحكم ، وستكون البداية مع حسين بن علي .

وتشير بعض المصادر إلى أنه وبعد مبايعة حسين بن علي في سنة 1705م ،قدم الجزائريون في 40000 مقاتل ،وخيموا بضواحي العاصمة .وقد كان الجيش التونسي لا يتجاوز 18000 مقاتل ، فسعى حسين بن علي إلى عقد الصلح ،ولكنه لم ينجح ،فدارت الحرب بين الطرفين ،وفي الأخير ألقع الجزائريون ورجعوا إلى بلادهم⁽²⁾. وفي سنة 1706م فك داي الجزائر أسر إبراهيم الشريف ،وبعث به ضد حسين باي ،فاضطر هذا الأخير إلى التوجه إلى الدولة العثمانية ؛ليجعل حكمه شرعيا ،وهو ما تحقق له في جوان من سنة 1706م ؛حيث منحه السلطان العثماني فرمان التولية⁽³⁾.

وتشير مصادر تونسية إلى أن علاقة الباي حسين بن علي مع الجزائريين ما بعد سنة 1712م ؛ كانت مبنية على حسن الجوار ،ومما أوردته تلك المصادر : ((...وقد مال الأمير -يقصد حسين باي- إلى حسن المعاشرة مع إخوانه أهل الجزائر ،وجبر مطلبهم على الصفاء والمروءة . وقد كظم غيظه ودفع السيئة بالحسنة ...))⁽⁴⁾.

وفي سنة 1735م تدخل داي الجزائر مرة أخرى في شؤون تونس ،بعد أن فر علي باشا إلى الجزائر واستعان بدايها ضد عمه حسين بن علي ،الذي قتل سنة 1740م ،ونصب علي باشا الذي

(1) عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص ص 454-455 .

(2) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ص 126 .

(3) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق ، ص 82 .

(4) محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية ،تقديم وتحقيق :محمد الحبيب الهيلة ،3 مجلدات ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1985 ،ص 165 .

تنكر لداي الجزائر ،وامتنع عن دفع الضريبة له ،مما أدى إلى قطع العلاقات بينهما .فقد كانت العلاقات جدا متوترة منذ السنوات الأولى ،التي اعتلى فيها علي باشا الحكم ،نظرا إلى أنه لم يقبل الخضوع كليا لداي الجزائر ؛لأنه كان حريصا على الاستقلال ،وفي حدود سنة 1745م توقف عن دفع الإتاوة السنوية لداي الجزائر .فجهز داي الجزائر حملتين ضده ⁽¹⁾. ففي سنة 1746م تحركت حملة من الجزائر باتجاه تونس من أجل إعادة أبناء حسين بن علي للحكم ،بعد أن استنجدوا بداي الجزائر ،لكن الحملة فشلت أمام أسوار مدينة الكاف .وفي سنة 1756م جاءت الحملة الثانية للجزائر على تونس ،فتم القضاء على علي باشا ،وأعاد الجزائريون أبناء حسين بن علي للسلطة ،ونُهب مدينتا الكاف وتونس ،واعترف علي باي بالتبعية لداي الجزائر ،ودفع الضريبة السنوية ⁽²⁾.

اعترف أبناء حسين بن علي بسيادة داي الجزائر عليهم ،بعد استرجاع عرشهم في تونس ، واستأنفوا دفع الإتاوة السنوية ،وبيع قطعان الأغنام والبقر ،التي تبعت سنويا من الجزائر إلى النواحي الغربية من الإيالة التونسية ،لكي تباع هناك بصورة قسرية ،وقد تطول مدة البيع أحيانا ،تحت إشراف مبعوث الباي ⁽³⁾. فقد كان وضع تونس اتجاه الجزائر ما بعد سنة 1756م ،لا يقل عن الدولة التابعة أو المستعمرة .فقد استغل داي الجزائر ظرف إعادة أبناء حسين بن علي للحكم ،وفرض على علي باي عدة شروط منها :دفع أموال كثيرة تتعدى إلى نصف مدخول الباي نفسه ،وتحطيم حصن الكاف المنيع القريب من حدود البلدين ، وإرسال كميات كبيرة من زيت الزيتون والأقمشة للجزائر . كما تختم على باي تونس اتباع رغبة الجزائر في علاقاته الخارجية مع الدول ؛وخاصة في عقد الاتفاقيات .ولهذا كانت الجزائر ترفض عقد أية معاهدة دولة تعاقدت مع تونس قبل الاتصال بالجزائر ،وهذا ما حصل مع روسيا في سنة 1777م ،باعتبار الجزائر أن تونس تابعة سياسيا لها ،وحتى على الحدود لا يجب أن ترتفع راية تونس عن راية الجزائر ⁽⁴⁾.

استمرت تبعية تونس للجزائر ففي سنة 1781م فرض داي الجزائر على الباي التونسي دفع مبلغ 750000 ريال ،ولكنه دفع منها 200000 ريال فقط ،ووجب عليه إرسال كميات من الزيت للجزائر ؛ قدرت بمحمولتين بحريتين ⁽⁵⁾. وقد استمر حمودة باشا الحسيني في مهادنة داي الجزائر ،لكن العلاقات

(1) عبد الحميد هنية : تونس العثمانية ،المرجع السابق ، ص ص 165 .

(2) محمد الهادي الشريف : المرجع السابق، ص ص 82-86 .

(3) عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص ص 183 .

(4) رشاد الإمام : المرجع السابق، ص ص 409-410 .وينظر : سلوى هويدي :المقال السابق ،ص ص 403-425 .

(5) عبد الحميد هنية : المرجع السابق، ص 194 .

تأزمت بين الجزائر وتونس ،ومن مظاهر ذلك هو منع حمودة باشا حمولتين للزيت كان يقدمهم والده لمقامات الصالحين في الجزائر ،ورغم شكاوي داي الجزائر للسلطان العثماني إلا أن حمودة باشا لم يرضخ ،لذلك أوعز الداي لباي قسنطينة من أجل إثارة المشاكل مع حمودة باشا في سنة 1783م ، فطالب هذا الأخير من حمودة باشا بمبالغ مالية كبيرة ،كتعويض عن الخسائر الناجمة عن نزوح قبيلة تونسية داخل قسنطينة منذ خمسة عشر سنة ،لكن حمودة باشا ارسل لداي الجزائر وهدد بقطع العلاقات مع الجزائر ،وعند اندلاع الحرب بين تونس والبنديقية في سنة 1784م حاول باي قسنطينة الضغط على حمودة باشا ،فأرسل الباي بهدية إلى داي الجزائر تجنبا للدخول في حربين بحرية وبرية . وقد تواصلت العمليات الاستفزازية من الجزائر ؛فقد رست سفينة حربية جزائرية في ميناء تونس ، وأوقفت أي نشاط بالميناء ،وعطلت التجارة التونسية الخارجية لمدة شهرين ،لكن الباي حمودة باشا لم يتخذ أي إجراء ضدها ⁽¹⁾.

لقد انتهج حمودة باشا سياسة الخضوع والتبعية لداي الجزائر ،في حين أنه كان يدبر في تأليف جيش عتيد في مستوفي المعدات الحربية للهجوم على الجزائر ⁽²⁾. وقبل تحقيق ذلك فقد كان تأثير الجزائر واضحا على تونس في عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية ،فقد امتنع حمودة باشا على الدخول في حلف مع بريطانيا والبرتغال ضد فرنسا ،إلا إذا وافق داي الجزائر ،فقد ظهر تأثير الجزائر على تونس في الاعتراف بعلم الجمهورية الفرنسية ذي الثلاثة ألوان في سنة 1794م ،وضغط الجزائر على تونس في سنة 1796م لعقد اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية ،بالإضافة إلى مظاهر أخرى تدل على التبعية خلال الفترة (1794-1805)م كإقامة دار للضيافة للوفود الجزائرية ،والتكفل بالحجيج ،والقراصنة الجزائريين ،وفي سنة 1795م انتصر حمودة باشا على علي برغل في طرابلس ،وفي سنة 1799م تمكن من قتل عدوه ومنافسه الأمير يونس المسنود من طرف داي الجزائر .ومنذ ذلك أعلن عدم تبعيته لداي الجزائر ⁽³⁾. ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقات بين تونس والجزائر تتوتر ،وبدأ حمودة باشا يتنصل من تبعيته لداي الجزائر ،الذي بدأ يبحث على ذرائع للحرب .

وقد قاد الجزائريون حملة ضد تونس في سنة 1800م هزم فيها الجيش التونسي ،ثم حملة أخرى في سنة 1807م عندما امتنع حمودة باشا عن دفع الضريبة السنوية ،وكانت خسائر التونسيين كبيرة ،ولم

⁽¹⁾ رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص ص 410-417 . وينظر :حنيفي هلايلي :المرجع السابق ،ص 51 .

⁽²⁾ حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 131 .

⁽³⁾ رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص ص 420 .

تمكن تونس من التحرر من سيطرة دايات الجزائر، إلا بعد الحملة الثانية في سنة 1807م⁽¹⁾. وكانت تلك الحملة الأخيرة بين تونس والجزائر .

وما يمكن قوله في هذا الإطار أن علاقات تونس مع الدول الأوربية خلال القرن الثامن عشر ، ظلت مرتبطة بعلاقات الجزائر الخارجية ، فقد أثر التنوع في علاقات الجزائر مع الدول الأوربية ، بدوره على علاقات تلك الدول مع الإيالات المغاربية خاصة تونس ، التي كانت كما رأينا تابعة سياسيا في علاقاتها الخارجية للجزائر ، ولا يمكنها عقد أية معاهدة دون العودة إلى الجزائر ، والأمثلة كثيرة ، منها : معاهدات مع فرنسا ، وأخرى مع توسكانيا ، وجمهورية البندقية ، وإسبانيا ، وسيتم التطرق إليها في الفصول اللاحقة بالتفصيل.

3- الوضع السياسي في طرابلس خلال القرن 18م:

3.1- وصول الأسرة القرمانلية للحكم في طرابلس :

تعتبر سنة 1711م من السنوات الهامة في تاريخ إيالة طرابلس الغرب خلال القرن الثامن عشر ففيها تولى القرمانليون الحكم⁽²⁾. تجمع أعيان طرابلس حول أحمد القرمانلي وعرضوا عليه الولاية خلفا للوالي العثماني خليل باشا ، الذي فر من المدينة بسبب اضطراب الأوضاع فيها . فاستطاع أحمد القرمانلي القضاء على القوة البحرية التي أرسلتها الدولة العثمانية لإعادة الوالي خليل باشا ، وقتل هذا الأخير ، وأعلن ولاءه للسلطان العثماني وأرسل له الهدايا ، فقبل بذلك ومنحه لقب الباشا⁽³⁾.

قام أحمد باشا القرمانلي بالقضاء على حركات التمرد والعصيان ، ولم يبذل جهدا كبيرا في ذلك بسبب وقوف الأهالي إلى جانبه . ثم قام بتنظيم شؤون البلاد ، وأمن الطرقات وقضى على اللصوص ، وحصن مدينة طرابلس ورمم أسوارها . حاول أحمد باشا الاستقلال عن الدولة العثمانية ؛ فسك النقود وعقد المعاهدات التجارية مع الدول الأجنبية . وقد ساد الرخاء الاقتصادي ، والعدل وقلت الضرائب على الأهالي في عهده . توفي في سنة 1745م بعد أن تنازل لابنه عن الولاية⁽⁴⁾.

(1) نبيهة السلطاني العبيدي: المقال السابق، ص 125 . وينظر : حنفي هلايلي : المرجع السابق ، ص 50 .

(2) أصلهم من قرمان بالأناضول قدم جدّهم إلى طرابلس أيام درغوث رايس ، أي منذ ارتباط طرابلس بالدولة العثمانية ، وقد اختلطوا بالأهالي بالمصاهرة . ينظر : شارل فيرو: الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، ترجمة وتحقيق وتقديم : محمد عبد الكريم الوافي ، ط3 ، منشورات جامعة قاروننس ، بنغازي 1994 ، ص 263 .

(3) شوقي عطالله الجمل : المرجع السابق ، ص 134 .

(4) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ، ليبيا) ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق 1999 ، ص ص 209-211 .

3.2- طرابلس في عهد محمد باشا القرماني (1745-1754) :

تولى محمد باشا القرماني الحكم في طرابلس صبيحة اليوم ،الذي دفن فيه والده من سنة 1745م⁽¹⁾. واصل محمد باشا سياسة والده ،فتابع إرسال الهدايا للسلطان العثماني ،الذي اضطر للاعتراف بولايته . فلم تحدث في أيامه اضطرابات داخلية ،فقد كان الجهد الذي بذله والده كافيا لاستتباب الأمن والاستقرار ،وتدين له القبائل بالطاعة والولاء . واهتم محمد باشا بالأسطول فجدد سفنه ومعداته ،وزوده بكل ما يحتاجه⁽²⁾.

كما تمتعت طرابلس في عهده بعلاقات حسنة مع جيرانها ،بينما شجع القرصنة ضد الدول الأوربية ،فسارعت فرنسا إلى تحديد معاهدة سنة 1727م ،التي كانت عقدتها مع والده ،كما عقد معاهدة سلام مع إنجلترا في سنة 1751م ،و في آخر أيام حكمه ساءت علاقاته مع الدولة العثمانية وتوفي في سنة 1754م⁽³⁾.

3.3- طرابلس في عهد علي باشا القرماني (1754-1795) :

تولى علي باشا الحكم في سنة 1754م كان صغير السن ،ولا يملك الخبرة الكافية ، لذلك استهل الباشا حكمه بالسماح لقراصنته للقيام بغزواتهم البحرية⁽⁴⁾. فوقعت عدة مشاكل بينه وبين بعض البلدان الأوربية كالبندقية ،وفرنسا ،التي كانت مرتبطة مع طرابلس بمعاهدات لضمان حرية سفنها ، لكن القراصنة الطرابلسيين لم يحترموا تلك المعاهدات⁽⁵⁾.

حاول علي باشا تدارك الأمور بعد سنة 1775م ،ف عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية وصادر واردات التجارة الخارجية ،وحاول التحكم في زمام الحكم ،لكن الأوضاع ازدادت سوءا بسبب انتشار الأمراض والمجاعات وفتك الطاعون بالبلاد في سنة 1785م ،وعجزت حكومة علي باشا عن مواجهة تلك الأوضاع ،فسادت الفوضى والتناحر بين القبائل . ومن جهة أخرى وقع الخلاف داخل الأسرة القرمانية بين أبناء علي باشا الثلاثة من أجل انتزاع الحكم من والدهم ، وانقسمت البلاد وتدهورت الأوضاع ،لذلك تدخلت الدولة العثمانية في سنة 1794م⁽⁶⁾.

(1) شارل فيرو: المرجع السابق ،ص 263 .

(2) شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ،ص ص 135-136 .

(3) محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص 212 .

(4) شارل فيرو: المرجع السابق ،ص 316 .

(5) شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ،ص 136 .

(6) محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص ص 214-217 .

3.4- ضعف القرمانيين ونهاية حكمهم في طرابلس :

أصدرت الدولة العثمانية فرمانا في سنة 1793م يقضي بتعيين علي برغل الجزائري ،واليا على طرابلس الغرب ،وخلع علي باشا القرماني ،وعلي برغل الجزائري هو شقيق داي الجزائر حسن ،الذي كانت تربطه علاقات سيئة مع حمودة باشا الحسيني باي تونس ،لذلك فقد منح باي تونس اللجوء للقرمانيين ،ووعدهم بالمساعدة على استرداد عرشهم ، بينما أعلن أهالي مدينة طرابلس ولاءهم لعلي برغل الجزائري واعترفوا له بالطاعة ⁽¹⁾. حاول علي برغل إصلاح الأوضاع وتنظيم أمور البلاد ،والقضاء على التمردات ،لكنه فشل في احتلال جزيرة جربة في سنة 1795م ،بعد تدخل باي تونس حمودة باشا الحسيني ،الذي تمكن من هزيمته وطرده من مدينة طرابلس ، وإعادة القرمانيين للحكم ⁽²⁾.

تولى أحمد باشا القرماني الحكم في سنة 1795م ،لكن ولايته لم تدم طويلا ،فقد انقلب عليه أخوه يوسف باشا القرماني ،واعترفت به الدولة العثمانية واليا على طرابلس في سنة 1796م ،اهتم يوسف باشا بتقوية الأسطول البحري ،وتحصين مدينة طرابلس وإعادة بناء الأسوار وترميم مينائها . وألزم الدول الأجنبية بإعادة عقد الاتفاقيات معه ،ودفع الهدايا والضرائب السنوية من أجل حماية سفنها ،كما كانت له علاقات مع دول إفريقيا جنوب الصحراء .استمرت الأسرة القرمانية إلى غاية سنة 1835م ،أين تم القضاء عليها من طرف الدولة العثمانية ⁽³⁾.

4- الوضع السياسي في المغرب خلال القرن 18م:

4.1- عهد المولى إسماعيل (1672-1727) والتحالف المغربي التونسي:

تولى المولى إسماعيل حكم المغرب بعد وفاة مولاي الرشيد في سنة 1672م ،وقد كان مطلعا على أحوال أوروبا وعاصر ملوكها ،كما كان معجبا بملك فرنسا لويس الرابع عشر ،لذا وصفه معاصروه بأنه لويس الرابع عشر المغرب ،وقد قام المولى إسماعيل بأعمال كثيرة لتوطيد نظام الحكم ، وقضى على المتمردين وحرر العديد من الثغور بفضل الجيش الذي أسسه ،والذي عرف أفراده بعبيد البخاري ⁽⁴⁾ ،

⁽¹⁾ شارل فيرو: المرجع السابق ،ص 355 .

⁽²⁾ محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص 219 .

⁽³⁾ شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ،ص ص 137-139 .

⁽⁴⁾ أحدث مولاي إسماعيل جيشا من الزنوج جمعه من بقايا عبيد المنصور السعدي ،كان جيشا حديثا منفصلا عن المجتمع ،ومرتبطا بالمخزن وبشخص السلطان .نظم هذا الجيش على النمط الانكشاري ،كان هذا الجيش قوة طيبة في عهد مولاي إسماعيل ،لكنه بعد وفاته انقلب إلى عنصر تفكك للسلطة .ينظر :دلندة الأرقش وعبد الحميد الأرقش :المغرب العربي الحديث من خلال المصادر ،مركز النشر الجامعي ميدياكوم ،تونس 2003 ،ص ص 29-30 .

وأبرم عدة معاهدات مع الدول الأوروبية الكبرى ،خاصة فرنسا التي بقيت علاقاته معها وطيدة حتى حروب الوراثة الإسبانية (1701-1712)،التي ساهمت في قطع العلاقات بين الطرفين ، واستمر ذلك حتى وفاته ،أما إنجلترا فحلت محل فرنسا ،ودخلت في مفاوضات معه انتهت بتوقيع معاهدة سلام وتجارة في سنة 1721م⁽¹⁾.

أما مع الإيالات المغاربية فقد كان يعمل دائما على التحالف مع تونس ؛لتساعده على ضم منطقة تلمسان إلى ملكه ،ولكي يضمن عدم تدخل الدولة العثمانية ،كان لا يتردد في مجاملة السلطان وتزويده بالهدايا من حين لآخر⁽²⁾. وفي 1700م قاد المولى إسماعيل حملة عسكرية على الجزائر ،وكان قد اتفق مع التونسيين على الهجوم عليها ،لكن داي الجزائر مصطفى تمكن من هزيمة الطرفين ، بعد أن تحالفت معه جميع القبائل الجزائرية ،جرح المولى إسماعيل وكاد يقتل في المعركة ،وأسر الجزائريون أكثر من ثلاثمائة وخمسين جنديا مغربيا⁽³⁾. وستظل العلاقات عدائية بين الطرفين حتى وفاته .

4.2- عهد الفوضى والاضطراب (1727-1757):

على إثر وفاة المولى إسماعيل في سنة 1727م ،اجتاحت البلاد سلسلة من الحروب الأهلية نتيجة للنزاع بين أبنائه .وعرف المغرب أخطر أزمة في تاريخه ،فقد تحكم عبيد البخاري في البلاد وسيطروا على مقدراتها السياسية والاقتصادية ،وكان السلاطين ،الذين حكموا البلاد في هذه الفترة وهم من أبناء المولى إسماعيل ،ألعوبة في يد العبيد ،ورغم ذلك فقد ظلت البلاد مخصصة للأسرة العلوية ،ولم تفكر في القضاء عليها⁽⁴⁾.

فقد تدخل العبيد في شؤون الدولة ،وأصبح بيدهم الأمر المطلق في البلاد ،وصار أساس تولية الملك هو إرضاء جند العبيد ،فانتشرت الفتن وعم الاضطراب والفوضى .وتعدد تولي الملوك وعزلهم من أبناء المولى إسماعيل ،وعانت البلاد جراء ذلك عمليات النهب والسلب ،والقتل والفتك ، واستمرت الأوضاع هذه طيلة ثلاثين سنة ،كان الولاة والشعب تحت رحمة هذه الطبقة المسلحة ، وستظل السلطة بين أيديهم إلى أن يتولى الحكم مولاي محمد بن عبد الله في سنة 1757م ، فيعيد الأمن للبلاد ويتخلص من العبيد⁽⁵⁾.

(1) محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص ص 84-101 .

(2) محمد العربي الزيري: المرجع السابق ،ص 45 .وينظر :حنيفي هلايلي :المرجع السابق ،ص ص 63-64 .

(3) عزيز سامح التز : المرجع السابق ،ص 442-443 . وينظر :حنيفي هلايلي :المرجع السابق ،ص 63 .

(4) محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص 104 .

(5) شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ،ص 221 .

4.3- المغرب في عهد المولى محمد بن عبد الله (1757-1790):

كان المولى محمد بن عبد الله واليا على مراكش، قبل أن يصبح سلطانا على المغرب، فقد عمل على تعمير المدينة، وأعاد لها مكانتها التجارية، واتخذ من ميناء أسفي مركزا تجاريا، استطاع مولا محمد أن يترس في أمور السياسة وإدارة البلاد، فاكسب مكانة طيبة بين القبائل. وعند وفاة والده في سنة 1757م بايعه أهل مراكش، ثم أهل فاس، ثم اجتمع حوله باقي سكان المغرب، كما جمع حوله شيوخ الطرق الصوفية، فتوحدت حوله الجهود، ووجهت لتوحيد البلاد وتحرير ما تبقى من الجيوب في يد الغزاة المسيحيين، وإعادة بناء ما هدمته الحروب؛ إذ استطاع تحرير ميناء مازغان من احتلال البرتغال في سنة 1769م⁽¹⁾.

أما في المجال الخارجي فقد أبرم المولى محمد معاهدات تجارية مع دول أوربية، كهلندا وفرنسا والدانمارك، كما أبرم معاهدة صداقة، وتجارة مع الولايات المتحدة في سنة 1786م، بل توسط بينها وبين إيالتي تونس وطرابلس لإبرام معاهدات معها. وكان على علاقة حسنة مع الرئيس الأمريكي جورج واشنطن، وصاهر شريف مكة وضاعف عدد قوافل الحج⁽²⁾. كما عقد في سنة 1782م معاهدة سلام مع الدولة العثمانية، ووطد علاقاته السياسية معها، وعقد معاهدة سلام وتجارة مع إسبانيا في نفس السنة⁽³⁾. ويمكن القول بالرغم من أن المغرب لم يكن إيالة عثمانية، إلا أن علاقاته الخارجية أثرت في علاقات الإيالات المغاربية ومنها تونس.

4.4- المغرب في عهد المولى سليمان (1792-1822):

شهد المغرب بعد وفاة المولى محمد بن عبد الله في سنة 1790م فترة عامين من الاضطرابات والفوضى نتيجة النزاع بين أبنائه على السلطة، وفي سنة 1792م تمت مبايعة مولا سليمان، الذي كانت سياسته الخارجية نابعة من طبيعته للجنوح إلى السلم، فقد تميزت علاقاته بالحسنة اتجاه الجزائر، كما كانت علاقاته مع باي تونس حسنة، وكان متعاوناً معه. أما سياسته اتجاه الدول الأوربية فتميزت بالخذر والخوف، فحدد إقامة قناصل دولها في طنجة، كما حد من تحركات الأسطول المغربي في البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي حتى لا يحدث له أي صدام مع الأساطيل الأوربية⁽⁴⁾.

(1) محمد العربي الزيري: المرجع السابق، ص 46.

(2) المرجع نفسه، ص 46-47.

(3) يحي بوعزيز: المقال السابق، ص 55.

(4) شوقي عطا الله الحمل: المرجع السابق، ص 232.

ومما سبق يمكن القول :

إن الوضع السياسي في الضفة الجنوبية لمنطقة غرب المتوسط خلال القرن الثامن عشر، يختلف من دولة إلى أخرى، عكس الضفة الشمالية التي كان فيها الوضع متشابه، حيث :

- إن تونس؛ وهي العنصر الأساسي في هذا المبحث تميزت بتقلبات سياسية خلال الفترة المدروسة، فرغم أنه مع سنة 1705م يبدأ عهد جديد مع الأسرة الحسينية، وشهدت مرحلة من الازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي؛ إلا أن الاستقرار التام لن يتحقق إلا بعد سنة 1762م مع وصول علي باي للحكم، لتتواصل تلك المرحلة مع ابنه حمودة باشا، وبالتالي أثر هذا الوضع على علاقات تونس مع دول غرب أوروبا المتوسطية سلبا وإيجابا .

- أما بالنسبة للجزائر، فإن وضعها خلال القرن الثامن عشر تميز بالاستقرار، وهو ما انعكس على علاقاتها الخارجية . كما أن علاقاتها مع تونس تميزت بتقلبات سياسية أثرت على استقرار الإيالة التونسية، وحتى على علاقاتها مع دول غرب أوروبا المتوسطية .

- أما بالنسبة للوضع في طرابلس الغرب فقد تميز خلال القرن الثامن عشر، بظهور عهد جديد هو مرحلة حكم الأسرة القرمانيّة، التي كانت تربطها علاقات حسنة مع الأسرة الحسينية في تونس . لكن كان هناك تقطع في علاقة الطرفين في سنة 1795م، عندما احتل علي برغل الجزائري جزيرة جربة التونسية، والحرب بين الدولتين مما أثر على الوضع في تونس .

- أما آخر طرف في المنطقة؛ فهو المغرب الأقصى، الذي تميز بدوره بتقلب في وضعه السياسي، بسبب الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة العلوية . لكن رغم ذلك، فإن المغرب ظلت تربطه علاقات حسنة بتونس منذ عهد مولاي إسماعيل، وتحالف الطرفان ضد الجزائر، التي هزمت الطرفين . كما توسط المغرب بين تونس الولايات المتحدة وإسبانيا لعقد معاهدة سلام .

إذا كان هذا هو الوضع السياسي في دول الضفة الجنوبية لحوض المتوسط، فما هي يا ترى العوامل، التي أثرت في العلاقات بين ضفتي المتوسط ؟

المبحث الثالث:

العوامل المؤثرة في العلاقات بين ضفتي غرب المتوسط خلال القرن 18 م :

هناك مجموعة من العوامل ،التي أثرت وتحكمت في العلاقات السياسية والتجارية بين دول ضفتي غرب المتوسط ،وخاصة بين الإيالة التونسية ،ودول غرب أوربا المتوسطية ،خلال القرن الثامن عشر الميلادي ؛فهي كثيرة ومتنوعة ،ولا يمكن حصرها في عامل واحد ،أو مجموعة عوامل ،لأن الوضع العام الذي ساد المنطقة خلال الفترة المدروسة ،في حد ذاته أثر كما رأينا من خلال دراستنا له في المبحثين السابقين ،كما أن الظرفية التاريخية ،التي سبقت القرن الثامن عشر ؛تعتبر عاملا مؤثرا ،تحكم إلى حد بعيد في العلاقات بين الطرفين .

لكننا في ثنايا هذا المبحث الثالث ،والذي يعتبر مكّلا للمبحثين السابقين ،وحتى يتسنى لنا فهم العلاقات السياسية والتجارية بين إيالة تونس ودول غرب أوربا المتوسطية ،خلال الفترة المدروسة ،سنحاول التطرق لبعض العوامل ،التي نراها مهمة مقارنة بغيرها من العوامل ،لأنه كما ذكرنا سابقا ،لا يمكن حصر كل تلك العوامل ،لأننا نجد لها قد تكررت على طوال القرن ،ومع جميع الأطراف ،بل وحتى قبل فترة الدراسة ،وكان لها تأثير في علاقات الطرفين باستمرار .

ومن هذه العوامل التي أثرت في العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوربا المتوسطية عدة عوامل ،نذكر منها :نشاط القرصنة ،وقضايا الأسرى وعمليات افتدائهم ،إلى جانب المصالح التجارية ،أي المبادلات التجارية بين الدول ،وكذا عامل آخر نراه مهما ،ويتمثل في وجود بعض الشخصيات الهامة سواء كانت سياسية ،أو دبلوماسية ،أو تجار ؛كان لهم دور بارز في التأثير على علاقات الطرفين .

وبذلك حصرنا دراستنا في هذا المبحث في عوامل نراها مهمة أكثر من غيرها ،وهي :

- القرصنة .
- الأسرى .
- التجارة .
- شخصيات مهمة .

1- القرصنة :

شكلت القرصنة خلال القرن الثامن عشر الميلادي ،عاملا هاما ؛أثر في العلاقات السياسية والتجارية بين إيالة تونس ،ودول غرب أوروبا المتوسطية كلها ،فقد كان نشاط القرصنة غالبا ما يتحكم في علاقات الطرفين ،ذلك أن كل الأطراف كانت تمارس هذا النشاط من جهة ،ومن جهة أخرى كانت ترفضه ،إذا مارسته دول أخرى على حساب رعاياها ،وسفنها .وبذلك كان من العوامل ،التي لا يمكن إهمالها ،أو الإغفال عنها بالدراسة .

وقد ارتبطت القرصنة المتوسطية بالاحتكاك الحضاري ،والصراع العسكري بين ضفتي المتوسط ، مما أدى إلى تصاعد النشاط القرصني بقوة في حوض البحر المتوسط ،وقد تجاوز العمل القرصني مطاردة السفن ،وأسر ركابها ،إلى القيام بغارات مريعة ضد سواحل المغرب الإسلامي ؛مما أدى إلى وقوع عدد من سكان هذه السواحل في الأسر . كما شكلت القرصنة ظاهرة ،احتلت قلب الحياة المتوسطية في العصر الحديث ،حتى إلى سنوات الثورة الفرنسية ،بل حتى إلى مؤتمر فيينا ⁽¹⁾.

وبالحديث عن الظروف التاريخية ،التي أفرزت ظاهرة القرصنة على امتداد سواحل المغرب الإسلامي ،كشكل من أشكال الدفاع الشعبي تارة ،ومظهرها من مظاهر الرفض الرسمي للهيمنة الأوربية ،وتهديداتها في ظل احتلال القوة تارة أخرى ،ومن جهة أخرى لا ينبغي أن يخفى الوجه الآخر للقرصنة الأوربية ؛والمتمثل في نشاط القراصنة الأوربيين ،الذي لم يكن وليد الفترة الحديثة ؛بل قبل ذلك .واتسعت القرصنة في حوض البحر المتوسط مع بداية الفترة الحديثة ،ثم اتخذت منحى آخر ، وتطورت عملياتها ،وتعددت اتجاهاتها ،وبالأخص خلال القرن السابع عشر ،واستمرت طيلة القرن الثامن عشر ،وحتى بداية القرن التاسع عشر ⁽²⁾.

لقد كانت القرصنة المتوسطية خلال العصر الحديث ؛حربا غير معلنة وغير شاملة ،وهي استنزافية ،ومعقدة لمصالح الأطراف المنغمسة في حمائها أكثر منها مدمرة ،كما هو الشأن في الحروب التقليدية ،وقد نشطت وتأججت في مرحلة دقيقة من تاريخ الشعوب المتوسطية ؛بشقيها الأوربي المسيحي ،والمشرقي المغاربي الإسلامي ⁽³⁾.

⁽¹⁾ إبراهيم سعيود :القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجا ،في مجلة الواحات للبحوث

والدراسات ،العدد 11 ،المركز الجامعي غرداية ،الجزائر 2011 ،ص ص 145-162 .

⁽²⁾ حنيفي هلايلي : أوراق في تاريخ الجزائر ،المرجع السابق ،ص 68 .

⁽³⁾ المرجع نفسه ،ص 67 .

فقد ازدهرت القرصنة خلال العصر الحديث ،وكان الجهاد البحري منشطا من الطراز الأول ، بالنسبة للاقتصاد النقدي التونسي بأجمعه ،وكذلك بالنسبة للقطاعات الاجتماعية ،التي كانت تعيش منه ؛بما كان يجره إلى البلاد من عملة جديدة ،وليس من قبيل الصدف أن صار الريال الإسباني عملة التبادل بين قطاعات هامة من المجتمع التونسي حوالي سنة 1630م⁽¹⁾. وقد استمرت القرصنة في تونس طوال القرن الثامن عشر ،دون أن تكون لها الأهمية ذاتها في القرن السابع عشر ؛الذي كان عصرها الذهبي ،ولكنها عرفت انتعاشا كبيرا خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر ؛بسبب الحروب النابوليونية⁽²⁾.

ولم تكن القرصنة مقصورة على البلدان الإسلامية المغاربية وحدها ،بل كانت البلدان العظمى الأوربية في ذلك العصر ،تمارسها وبدون استثناء ،ولكن أهم مثال عن القرصنة الأوربية ؛كان نشاط منظمة فرسان مالطة⁽³⁾.

لقد كان القراصنة المسلحون من قبل رهبنة مالطة ،أو الرافعون راية مملكة الصقليتين ،يهددون بالفعل التجارة المغاربية .فدوام القرصنة المسيحية ،ومقاومة أي دخول تجاري ،يغذيان إذن النشاط القرصاني للبلدان المغاربية .وعرفت هذه القرصنة مرحلة ازدهار كبيرة مع نهاية القرن الثامن عشر ، خاصة في إيالتي الجزائر وتونس⁽⁴⁾.

ولقد كان القراصنة الأوربيون يعتدون أكثر مما يعتدى عليهم من قبل القراصنة المغاربية ،فغارات القراصنة الأوربيين المتكررة على سفن القراصنة المغاربية ،أنذرت بقيام القراصنة المغاربية بالرد بالمثل ، والسطو على السفن الأوربية .وعلى الرغم من النمو والتطور السريع ،الذي شهدته الحريات الوطنية في الدول الأوربية ،منذ منتصف القرن السابع عشر ،فقد بقيت البحريات الخواصية ؛تعمل جنبا إلى جنب مع البحريات الرسمية حتى سنة 1814م .وقد طغى النشاط القرصاني الأوربي في البحر المتوسط خلال حروب الثورة الفرنسية ،والحروب النابوليونية⁽⁵⁾.

(1) محمد الهادي الشريف :المرجع السابق ،ص 73 .

(2) مليكة الشيخ :المرجع السابق ،ص ص 46-47 .

(3) محمد الهادي الشريف :المرجع السابق ،ص 74 .

(4) لوسيت فالنسي :المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830 ،ترجمة :إلياس مرقص ،ط 1 ،دار الحقيقة للطباعة والنشر ،بيروت 1980 ،ص ص 76-78 .

(5) إبراهيم سعيود :المقال السابق ،ص 150 .

لقد كانت عبارة القرصنة تستعمل في الوثائق الرسمية لشمال أفريقيا ، في القرنين السابع عشر ، والثامن عشر الميلاديين ؛ بمعنى حرب بحرية منظمة وشرعية ؛ أي نفس الحرب التي كانت تمارسها البلدان الأوربية ، وتطلق عليها اسم (كورس) Course ، مميزة إياها عن لصووية البحر Piraterie ، ولم تتخذ عبارة القرصنة معناها السلبي ، إلا في القرن التاسع عشر الميلادي ، عندما تخلت أوروبا نهائيا عن هذا النشاط (1).

لقد كان للبلدان الأوربية دورا حاسما في العلاقات المغاربية ، فهي محور أساسي في علاقات التلاقي والتحالف ، بين الجزائر وتونس والمغرب ، فكانت هذه الدول الأوربية تتدخل باستمرار في الشؤون الداخلية للدول المغاربية ، لتدعيم مصالحها وامتيازاتها في المنطقة ، والعمل على عدم بروز تكتل مغاربي من شأنه تهديد مصالح أوروبا مستقبلا . ومع نهاية حروب نابليون سنة 1815م ، بدأت الدول الأوربية في تطبيق مخطط ، يهدف إلى إلغاء دور بلدان المغرب الإسلامي الدولي ؛ القائم على ممارسة الجهاد البحري ، والضغط عليها الواحدة تلو الأخرى (2).

وبذلك يتضح أن القرصنة مارستها جميع الأطراف في حوض البحر المتوسط ، وأثرت في علاقات تونس ، ودول غرب أوروبا المتوسطية ؛ وهناك أمثلة كثيرة عن القرصنة : كالقرصنة التونسية ، والقرصنة المالطية ، والقرصنة الفرنسية ، والجنوية ، والإسبانية ، والنابوليتانية ... إلخ . وسيتم التطرق إليها بالتفصيل في الفصول اللاحقة ؛ لأنها جزء تعد من العلاقات التي ربطت بين الطرفين .

2- الأسرى :

تعتبر قضايا الأسرى وافتدائهم من القضايا ، التي أثرت في العلاقات ، بين إيالة تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، بشكل مطلق ، وكانت دائما محورا أساسيا في التحكم في تلك العلاقات ، وتؤثر في مسارها بين جميع الأطراف . كما شغلت جميع مكونات تلك الدول وأثرت في جميع الفئات الاجتماعية .

لقد كانت القرصنة تمول السوق التونسية ، بالآلاف من الأسرى المسيحيين ، وكانت نهاية المطاف بالنسبة لأغلبهم أن يفديهم أهلهم بالمال ، مما يوفر الأرباح الطائلة لقطاع عريض ممن يتعاطى ذلك النشاط (3).

(1) محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ، ص 74 .

(2) حنيفي هلايلي : المرجع السابق ، ص ص 65-66 .

(3) محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ، ص 73 .

وتشير بعض الكتابات الغربية، إلى أن القراصنة المالطيين كانوا يقودون إلى جزيرة مالطة ، حوالي خمسين (50) أسير مسلم ،أخذوا من السواحل التونسية بين سنتي 1780م و1789م ، و468 أسير مسلم أخذوا بين سنتي 1790م و1798م ،من خليج زوارة ،وسواحل جزيرة جربة ، وجزيرة قرقنة ، وخليجي الحمامات وتونس ،وكذا رأس سيرات هذه المناطق كانت كلها مناطق صيد للقراصنة المسيحيين⁽¹⁾.ومن جهة أخرى قام نابليون بوناپرت في سنة 1798م بتحرير 2000 أسير مغاربي وبدون فدية منهم 400 أسير تونسي ،مقابل تحرير أسرى مالطيين⁽²⁾.

في حين تؤكد ذات الكتابات الغربية ،أن القراصنة التونسيون يعودون إلى تونس ومعهم جميع سكان جزيرة سان بيار ؛أي ألف عبد في سنة 1798م ،وفي سنة 1815 يستولون على 125 أسير من سكان سان انتيوش .وتظهر إحصائيات أخرى لعدد الأسرى في كل من الجزائر ،وتونس أن عددهم متقارب خلال الفترة بين سنتي 1802م و1815م ،يصل إلى حوالي 1500 أسير أخذوا إلى كل من مدينتي الجزائر وتونس ،وهم في الغالب من رعايا مملكتي نابولي وسردينيا⁽³⁾.

وقد قد اختلف سعر اقتداء الأسرى الأوروبيين في تونس ،فقد كان مع نهاية القرن السابع عشر 300 ليرة ،وارتفع إلى ما بين 2000 و3000 ليرة للأسير خلال القرن الثامن عشر ،حسب بعض المصادر الغربية .وهناك أمثلة كثيرة عن عمليات اقتداء أسرى مسيحيين في تونس من دول أوربية مختلفة⁽⁴⁾.وتدل هذه الإحصائيات على العلاقات العدائية بين تونس وهذه الأطراف ، بسبب العمليات المتكررة لقضايا الأسر ،والتي تستحلها جميع الأطراف .

3- التجارة :

تعتبر التجارة من العوامل المهمة في التأثير في العلاقات السياسية والتجارية ،بين الإيالة التونسية ودول غرب أوربا المتوسطية ،خلال القرن الثامن عشر الميلادي ،فقد كانت الحركة التجارية بين تونس ،وهذه الدول مستمرة ،ولم تنقطع نهائيا على الرغم من حالات التوتر ،أو الحروب التي كانت تحدث بين تلك الدول .فمالطة ،مثلا كانت في عداوة مستمر مع تونس طيلة القرن الثامن عشر ،لكن الحركة التجارية بينها وبين تونس لم تنقطع ،وأحيانا كانت تتم عبر طرف

(1) لوسيت فالنسي :المرجع السابق ،ص 76 .

(2) مليكة الشيخ :المرجع السابق ،ص 51 .

(3) لوسيت فالنسي :المرجع السابق ،ص 80 .

(4) للاطلاع أكثر على عمليات اقتداء الأسرى المسيحيين ، ينظر :مليكة الشيخ :المرجع السابق ،ص 104 .

والأمر نفسه ،بالنسبة لإسبانيا وبعض الدويلات الإيطالية ،في حين كانت العلاقات التجارية بين تونس وفرنسا من أكثر تلك العلاقات تطورا واستمرارية .

فيما يخص مسألة حدود حقل المبادلات التجارية ،ما من تيار تجاري مباشر يصل أفريقيا الشمالية بأوروبا ،إلا ويمر عبر محطتين :محطة جبل طارق قبل دخولها للمغرب ،ومحطة ليفورن من أجل دخولها إلى تونس والجزائر .إن شبكة مبادلات بلدان المغرب بأسرها محبوسة في حوض المتوسط ، حيث توجد صلات منتظمة بين بلدان أفريقيا الشمالية ،والبلدان الأوربية الأقرب ، فالمغرب ومدينة وهران يقدمان لإسبانيا ،القمح ،والأبقار ،والدواجن ،بينما تمون تونس مالطة بالقمح ، والزيت ،والماشية الحية ،لكن بالرغم من ذلك تبقى مارسيليا وليفورن بإيطاليا ،أهم الأقطاب الرئيسية بالنسبة للمبادلات التجارية مع بلدان المغرب ⁽¹⁾.

لقد سيطرت الدول الأوربية على التجارة ،وفرضت شروطها على العوالم الأخرى ؛بفضل تفوقها التقني والعسكري ⁽²⁾. لكن رغم ذلك تظل الحركة التجارية بين الدول الأوربية وبلدان المغرب نشيطة ،والعلاقات التجارية يضاعفها صيد المرجان وصيد التون خلال القرن الثامن عشر ⁽³⁾. فقد كان للحركة التجارية بين تونس ودول المتوسط أهمية كبيرة ،وتكمن تلك الأهمية في أنها كانت من أهم انشغالات القناصل الأوربيين ،ووجود ممثلين من جميع دول حوض البحر المتوسط في تونس ، يفسر أهمية تلك الحركة التجارية ⁽⁴⁾.

ومهما تكن وجهات التجارة المغاربية ،فإن تونس تتفوق على المغرب والجزائر في حجم تجارتها مع الدول الأوربية المتوسطة ؛فمرسيليا تستقبل من البلدان المغاربية 749 سفينة محملة بين سنتي 1790م و1799م ؛منها 347 تأتي من تونس ؛أي 46،3 بالمائة .وفي ليفورن الحملات القادمة من موانئ تونس ،أكثر عددا من الحملات القادمة من موانئ الجزائر ،والمغرب .وفي أواخر القرن الثامن عشر ،وتحديدا الفترة بين سنتي 1793م و1798م ،تحتل تونس المكان الأول في تجارة المرفأ التوسكاني مع المتوسط الإسلامي ⁽⁵⁾. ومن جهة أخرى تفوقت فرنسا على باقي الدول الأوربية في التحكم في التجارة مع تونس ،وقد عرفت التجارة الفرنسية في تونس نموا ملحوظا

(1) لوسيت فالنسي :المرجع السابق ،ص 86 .

(2) حنفي هلايلي :المرجع السابق ،ص 66 .

(3) لوسيت فالنسي :المرجع السابق ،ص 88 .

(4) مليكة الشيخ :المرجع السابق ،ص 52 .

(5) لوسيت فالنسي :المرجع السابق ،ص 89 .

خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ،حيث صرح القنصل الفرنسي لوزيره ،بأن كل تجارة تونس كانت تتم مع الفرنسيين ،أو تحت العلم الفرنسي⁽¹⁾.وبذلك تكون المبادلات التجارية قد تحكمت إلى حد بعيد ،وبشكل مباشر في العلاقات بين تونس ،ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال الفترة المدروسة .

4-شخصيات مهمة :

ساهمت شخصيات كثيرة في التأثير على العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر الميلادي ،وقد اختلفت طبيعة هذه الشخصيات ، ووظائفها ،وجنسياتها ،لكنه كان لها دور كبير في علاقات تونس الخارجية خلال القرن الثامن عشر .ومن هذه الشخصيات نذكر منها على سبيل المثال ،لا الحصر:

- **الوزير مصطفى خوجة** : كان مكلفا بالأمر المالية وشؤون الأوربيين في الإيالة ،من مظاهر تأثيره في السياسة الخارجية لتونس ،أنه قدم المصالح الفرنسية على مصالح الدول الأوربية الأخرى ، طبق سياسة داخل الإيالة ؛ضمنت احترام الأجانب الأوربيين المقيمين في تونس ،وقد حرص الوزير على توطيد علاقات تونس مع فرنسا⁽²⁾.الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية ،تكرر امتنانها ،وتؤكد اعترافها بالجميل ،والفضل للوزير التونسي ،وقد بدأ اتجاه الميل إلى فرنسا ،وتمييزها على غيرها من الدول يزداد قوة ،وتمكننا في السياسة الخارجية التونسية ،منذ وصول ذلك الوزير⁽³⁾.

- **الوزير يوسف خوجة** :اعتمد سياسة تقوم على مبدأ معاملة الدول الأوربية بالمثل في تونس ، مما أضرّ بمكانة فرنسا في علاقاتها مع تونس ،وقد ساءت علاقاته مع فرنسا عند قيامها بالحملة على مصر في سنة 1798م⁽⁴⁾.

- **جوزيف إتيان فامان Joseph Etienne Faman** :عمل في الوكالة التجارية الأفريقية بمرسيليا ،ثم انتقل إلى تونس في سنة 1789م ،وسير متجرا تابعا لها ،عينه حمودة باشا مستشارا له

⁽¹⁾ مليكة الشيخ :المرجع السابق ،ص 53 .

⁽²⁾ للاطلاع أكثر فيما يخص تعريف هذه الشخصية .ينظر :كمال مايدي :علاقات تونس مع دول أوروبا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782م إلى 1814م ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،إشراف: أ.د عمار بن خروف ،بمساعدة :د.صالح بوسليم ،المركز الجامعي بغيراية ،الجزائر 2011-2012 ،ص ص 63-64 ،غير منشورة.

⁽³⁾ للاطلاع أكثر على تعريف هذه الشخصية ودورها .ينظر :رشاد الإمام :المرجع السابق ،ص ص 105-106 .

⁽⁴⁾ للاطلاع أكثر على تعريف هذه الشخصية ودورها .ينظر :المرجع نفسه ،ص ص 111-115 .

، فكان له دور في عقد الصفقات التجارية بين تونس وفرنسا ، ثم أصبح مفاوضا رسميا للباي في عقد المعاهدات مع الدول الأوربية ، لقب بنائب الأمة الفرنسية بتونس⁽¹⁾.

- **جرفازوني Gaetano Geruasone** : مفاوض بندقي كان له دور كبير في توطيد العلاقات بين تونس ، وجمهورية البندقية ؛ بتوقيع معاهدة سلام بينهما في سنة 1763م⁽²⁾.

- **ماريانو ستينكا Mariano Stinca** : أسير من نابولي ، كان يتقن اللغتين العربية والإيطالية ، كان أمين سر حمودة باشا ، ولعب دور كبير في علاقة الباي مع قناصل الدول الأوربية في تونس ، نجح في عقد معاهدة سلام بين تونس ومملكة نابولي في سنة 1814م⁽³⁾.

- **الراهب الإسباني فرانسيسكو خمينيس Francisco Xèminès** : كان يشرف على منظمة الثالوث المقدس في تونس ، كان له دور كبير في افتداء ورعاية الأسرى الإسبان في تونس ، وقع معاهدة مع الباي التونسي في سنة 1720م⁽⁴⁾.

- **الكونت دي فلوريدا بلانكا De Flourida Blanca** : وزير الخارجية الإسباني بين سنتي 1777م و 1792م ، كان له دور كبير في تحسين العلاقات السياسية والتجارية ، بين تونس وإسبانيا ، والتوصل لعقد معاهدة سلام في سنة 1792م⁽⁵⁾.

وهناك عائلات مخزنية وشخصيات أخرى كثيرة ، أثرت في العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية ، مثل : آل عباد ، وعائلة الجلولي ، وغيرهم من تونس ، إضافة إلى شخصيات أوربية سياسية ، ودبلوماسية ، وطبية ، ودينية ، كان لها تأثيرها سواء في بلاط البايات التونسيين ، أو في البلاطات الأوربية .

ومما سبق يمكن القول بأن :

- هناك عوامل عديدة أثرت وتحكمت في العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ، ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م ، لا يمكن حصرها كلها ؛ لكن أهمها يتمثل في : نشاط القرصنة ، وقضايا الأسرى وافتدائهم ، والتجارة ، وتأثير بعض العائلات المخزنية والشخصيات في الجانبين .

(1) للاطلاع أكثر فيما يخص تعريف هذه الشخصية . ينظر : كمال مايدي : المرجع السابق ، ص 66 .

(2) سيتم التطرق بالتفصيل لدور هذا المفاوض في علاقات تونس والبندقية في المبحث الثالث من الفصل الثاني من هذه الدراسة .

(3) للاطلاع أكثر فيما يخص تعريف هذه الشخصية . ينظر : كمال مايدي : المرجع السابق ، ص 67 .

(4) سيتم التطرق بالتفصيل لدور هذا الراهب في علاقات تونس وإسبانيا في المبحث الثاني من الفصل الرابع من الدراسة .

(5) سيتم التطرق بالتفصيل لدور هذا الوزير في علاقات تونس وإسبانيا في المبحث الثالث من الفصل الرابع من هذه الدراسة .

وكذلك ينظر : يحي بوعزيز : المقال السابق ، ص ص 53-55 .

الفصل الثاني

علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة والدويلات الإيطالية خلال القرن 18م

المبحث الأول : علاقات تونس مع مالطة والدويلات الإيطالية قبل
القرن 18م

المبحث الثاني : علاقات تونس مع مالطة والدويلات الإيطالية من
1705م إلى 1756م

المبحث الثالث : علاقات تونس مع مالطة والدويلات الإيطالية من
1756م إلى 1814م

الفصل الثاني:

علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة والدويلات الإيطالية خلال القرن 18م

إن العلاقات بين تونس، والدويلات الإيطالية خلال القرن الثامن عشر الميلادي، تعتبر فاتحة لباقي العلائق، التي ربطت إيالة تونس بباقي دول غرب أوربا المتوسطية، بسبب القرب الجغرافي بين الطرفين، والموقع الاستراتيجي لتونس، ولأهمية الإيالة التونسية التجارية في الحوض الغربي من البحر المتوسط، يضاف إلى ذلك الوضع الدولي العام، الذي كان ما يزال سائدا، بالرغم من أنه يعود إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر؛ ونقصد بذلك الصراع الإسلامي - المسيحي في حوض البحر المتوسط، وهذه النقطة بالذات كانت أساسية، في التحكم في علاقات تونس مع مالطة تحديدا، والتي استمرت عدائية على طول القرن الثامن عشر، ميزتها حروب القرصنة المتبادلة من الطرفين.

أما عن علاقات الإيالة مع الدويلات الإيطالية؛ فقد تحكم فيها العامل التجاري كثيرا. وهذا يعود إلى الفترة السابقة، وإلى طبيعة تلك الدويلات التي من أهمها: جمهورية جنوة وجمهورية البندقية، بالإضافة إلى توسكانيا (وأشير إلى أنني ركزت هنا على ميناء ليفورن وعلاقاته التجارية مع تونس خلال الفترة المدروسة، نظرا لأهمية تلك العلاقات)، التي كانت لها علاقات مستمرة مع الإيالة، ورغم وجود العامل التجاري، إلا أن عوامل أخرى كالقرصنة كان لها الأثر الواضح في تغيير طبيعة علاقات الطرفين. بالإضافة إلى مملكة نابولي وصقلية وسردينيا.

المبحث الأول:

علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة والدويلات الإيطالية قبل القرن 18م :

تعود العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودويلات شبه الجزيرة الإيطالية إلى فترات تاريخية متقدمة ،تعود في حقيقتها إلى العصور الوسطى ،نظرا للموقع الجغرافي القريب ،الذي يربط بين الطرفين .لكنني حاولت العودة بتلك العلاقات فقط إلى الفترة الحديثة ،أي منذ ارتباط تونس بالخلافة العثمانية مع نهاية القرن السادس عشر ،ومنذ ذلك الوقت ارتبطت الإيالة التونسية بعلاقات متنوعة بمالطة والدويلات الإيطالية .فمنذ القرن السابع عشر الميلادي حاول الدايات في تونس الابتعاد عن الهيمنة العثمانية ،وربط علاقات متميزة ،وإبرام معاهدات مع الدول الأوربية في الحوض الغربي من البحر المتوسط ،ولئن كانت هذه المعاهدات لا تتناقض مع الامتيازات ،التي كان الباب العالي يمنحها لنفس البلدان الأوربية ؛فهي لم تكن تهم إلا البلاد التونسية .

وقد حاولت التطرق في هذا المبحث إلى علاقات تونس مع مالطة خلال الفترة التي سبقت القرن 18م ، ثم علاقاتها مع جمهوريتي البندقية وجنوة ،بالإضافة إلى ليفورن ودويلات أخرى من شبه الجزيرة الإيطالية ،ذلك أن هذا المبحث يعتبر تمهيدا للمبحثين التاليين ،ولا يمكن فهم علاقات الطرفين في المراحل اللاحقة خلال القرن الثامن عشر ،دون التطرق إلى هذه المرحلة من العلاقات .ذلك أن علاقات الطرفين خلال هذه الفترة تحكمت فيها عدة عوامل: كطبيعة المرحلة ،ونشاط القرصنة ، والمصالح التجارية ،لذلك تميزت هذه المرحلة من العلاقات بين الطرفين بالتنوع ،والتباين ،واختلفت طبيعتها من دولة إلى أخرى ،وقد قسمت هذا المبحث إلى العناصر التالية :

1- علاقات تونس مع مالطة قبل القرن 18م.

2- علاقات تونس مع الدويلات الإيطالية قبل القرن 18م.

إذن فما هي أهم مظاهر تلك العلاقات التي جمعت بين الطرفين خلال الفترة ما قبل القرن الثامن عشر الميلادي ،وتحديدا خلال الفترة الحديثة ؟ وهل طبعت تلك المرحلة علاقات سلمية ،أم عدائية بين الطرفين خلال تلك الفترة ؟.

1- علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة قبل القرن 18 م :

1.1- الجذور التاريخية لعلاقات تونس مع مالطة خلال العصر الحديث :

نظرا للقرب الجغرافي بين تونس وجزيرة مالطة من جهة ، وارتباط فرسان مالطة بتحالف سياسي مسيحي مع إسبانيا منذ سنة 1530م من جهة أخرى ، فإن العلاقات بين الطرفين تميزت بالعداء المتواصل ، ويمكن إيجاز مظاهر تلك العلاقات في مشاركة عناصر مالطية في الحملة التي قادها شارلكان على تونس في سنة 1535م ، والتي تكونت من 36 سفينة حربية من نوع غالير ، و28 سفينة ضخمة تحت قيادة الفار بازان Alvar Bazan⁽¹⁾.

بالإضافة إلى مشاركة فرسان مالطة في الحملة المسيحية الأوربية بقيادة إسبانيا على جزيرة جربة التونسية في سنة 1560م ، بأربعمائة فارس بالإضافة إلى سفن المؤونة والحمولة ، كما كانت الجزيرة نقطة الانطلاق للحملة ، حيث اجتمعت أساطيل الحملة في مالطة ، وبقيت بها عدة أيام حتى هدأت العاصفة البحرية ، إلا أن الحملة منيت بالفشل⁽²⁾.

وقد استمر فرسان القديس يوحنا بمالطة منذ نهاية القرن السادس عشر ، في مهاجمة التجارة الإسلامية ، فقد كانت أهم نذورهم وتاريخهم في النزاع مع المسلمين ، ومن جهة أخرى كان رياس البحر العاملين خارج موانئ إيالات طرابلس وتونس والجزائر ، يقومون بحرب لا هوادة فيها ضد التجارة والسواحل الإيطالية⁽³⁾.

1.2- علاقات تونس مع مالطة العدائية (القرصنة المتبادلة) خلال القرن 17 م :

كان قراصنة مالطة في القرن 17م أشد خطرا من بين القراصنة المسيحيين على المسلمين ، فقد كانوا يأتون إلى تونس يتاجرون ، ويتمنون ويرجعون سالمين⁽⁴⁾. ففي شهر أوت من سنة 1602م هاجم فرسان مالطة وفرسان سانت ستيفانو الذين يوجد مقرهم في مدينة بيسة بتوسكانيا ، واقتحموا مدينة الحمامات التونسية ؛ وهي مدينة صغيرة ، فاستولوا على ما يتراوح ما بين 400 و700

(1) جون ب. وولف : الجزائر و أوروبا (1500-1830) ، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص 47 .

(2) الشافعي درويش : علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن 16م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف أ/د عمار بن خروف ، غير منشورة ، المركز الجامعي بغيرداية 2010-2011 ، ص 94 .

(3) جون ب. وولف : المرجع السابق، ص 239 .

(4) سلفاتوري بونو: العبيد المسلمون في إيطاليا من القرن 16م إلى سنة 1830م ، في مجلة البحث العلمي ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، العدد 45 ، المغرب 2000 ، ص 114 .

شخص⁽¹⁾. وفي سنة 1605م وقع هجوم على المدينة من طرف مالطة وصقلية ، وقتل فيه عدد كبير من التونسيين ،وقد كانت غالبية الفرسان من أصول فرنسية⁽²⁾.

وتشير مصادر غربية إلى أنه في أوت من سنة 1605م أبحرت خمس غليوطات مالطية بالقرب من تونس ،وتاهت عند جزيرة جالطة على بعد 20 كلم من الوطن القبلي Cap-Bon ،وحاول الفرسان المالطيون التحصن في الجزيرة ،فهاجم التونسيون المسيحيين ،لكنه قتل ثلاثمائة مسلم لأن الفرسان كانوا أقوى .وعلى الرغم من موقف الفرسان الحرج ،بسبب عدم وصول النجدة إليهم من مالطة ؛وبالمصادفة جاء مركب تجاري فتمكنوا من النجاة⁽³⁾،وعادوا مرة أخرى في سنة 1607م ،وأُسروا ما يقارب 1500 شخص ؛من بينهم عدد لا يستهان به من النساء والأطفال⁽⁴⁾.

وفي سنة 1622م استولى أسطا مراد على مركبين تابعين لمالطة ،وقد لاقى ذلك الحدث القرصني ابتهاجا كبيرا لدى التونسيين⁽⁵⁾. وأورده صاحب المؤنس بقوله: ((وفي أيامه في سنة أربع وثلاثين أخذت غرابان من أغربة مالطة وجيء بهما إلى تونس وزينت البلاد لأخذهما))⁽⁶⁾. وفي عهد يوسف داي 1625م هاجمت مالطة تونس واستولت على عدد من السفن التونسية. وفي نفس السنة في العشرين من رمضان تمكن التونسيون من أخذ سفينتين مالطيتين وزينت لهما البلاد ، وكان مراد داي قبل توليه دايا على تونس قد خرج بست سفن من البحارة التونسيين ، واشتكت مع أسطول

⁽¹⁾ فرسان مالطة والذين عرفوا بفرسان القديس يوحنا الأورشليمي ،طردهم المسلمون من مدينة القدس بعد معركة حطين ،فاستقروا في عكا في سنة 1191م ،ثم طردهم المسلمون منها بعد قرن أي في سنة 1291م ،فاستقروا في جزيرة رودس وظلوا بها يحاربون المسلمين ،فطردهم العثمانيون في سنة 1522م ،فمنحهم شارل الخامس ملك إسبانيا جزيرة مالطة ،التي استقروا بها لمحاربة المسلمين ،ومنذ ذلك الوقت عرفوا بفرسان مالطة ،إلى أن قضى عليهم نابليون في سنة 1798م . ينظر :الشافعي درويش : المرجع السابق ، ص 83 .

⁽²⁾ أحمد قاسم: إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوي ابن عثوم 1574-1600 ، تقلد عبد الجليل التميمي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،تونس 2004 ،ص 369 .

⁽³⁾ Jules Ferry: **la Tunisie avant et depuis l'Occupations Française ,Histoire et Colonisation** ,T1,Augustin challamel,éditeur librairie coloniale ,Alger 1893 ,p 138.

⁽⁴⁾ خليل ساحلي أوغلي : من تاريخ الأقطار العربية بحوث ووثائق وقوانين ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة ، استانبول 2000 ، ص 332 .

⁽⁵⁾ إبراهيم السعداوي : تطور فئة وجهاء المال بإيالة تونس ، في م . ت . م ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،العدد 123،تونس 2006 ، ص 60 .

⁽⁶⁾ ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط1، المطبعة التونسية، تونس 1286هـ / 1870م ،ص 196.

مالطي مكون من خمس سفن كانت قد خرجت من جزيرة صقلية متجهة إلى تونس ، ووقعت الحرب بين الأسطولين وانتصر التونسيون ، وأخذوا سفينتين مالطيتين كبيرتين ؛ أحدهما اسمها بطرونة ، والأخرى فرانسيسق ، بينما تمكن مركب القبطان المالطي من الفرار ، ووجدوا بالمركبين نحو خمسمائة مسلم . وفي سنة 1628م أخذ المالطيون سفينتين تونسييتين⁽¹⁾.

كما هاجمت السفن المالطية ميناء حلق الوادي ، واستولت على بعض المراكب ، وأحرقت مراكب أخرى كانت راسية بالميناء في عهد الداوي أحمد خوجة ، وكان ذلك في سنة 1640م . ((وفي أيامه جاءت أغربة مالطة ، ودخلت إلى حلق الوادي وأخذت منه عدة مراكب ؛ أحدها مركب بوشاشية وأحرقوا مركب آخر ، وفعلوا فعلا عظيما ولم يمنعهم البرج ، الذي هناك ومنذ ذلك أمر ببناء برج آخر ؛لحصانة المرسى))⁽²⁾. وفي سنة 1640م هاجمت مالطة ميناء غار الملح التونسي ، وألحقت به خسائر كبيرة ، فأدخلت السلطة عليه ترميمات وتحويرات ، وعمليات صيانة⁽³⁾. وتضيف مصادر غربية أنه وتحديدًا في 24 أوت من سنة 1640م ، هاجم فرسان مالطة ميناء حلق الوادي ، وتحذوا تحصيناته ، وتوغلوا داخل الميناء بالسفن المالطية ، وأخذوا العديد من السفن البحرية التونسية⁽⁴⁾. لذلك قرر أسطا مراد بناء ميناء جديد. ((... وفي أيامه بنى البرج الذي بغار الملح ، على يد أسطا موسى الأندلسي ... وكان من أجل المراسي عمارة وحصنا ، وكان قبل ذلك مكنا للنصارى ، فانحسم بذلك ضررهم ...))⁽⁵⁾.

أما خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1650م و1662م ، فتشير المصادر إلى بعض الانتصارات التي حققها رياس البحر التونسيون على القراصنة المالطيين ؛ فمثلا استولى الرياس الذين أبحروا من ميناء بنزرت على ثلاثة مراكب تابعة لمالطة من نوع بارك ، وهولندا (ناف) ، وجنوة (بيطاش) ، وغنموا فيها 57 أسيرا ، وكان ذلك في شهر أوت من سنة 1650م⁽⁶⁾.

(1) ابن أبي دينار :المصدر السابق ،ص 198.

(2) المصدر نفسه .

(3) عبد الحكيم القلعي سلامة : الموريسكيون الأندلسيون والجهاد البحري التونسي غار الملح بين 1609م و1805م ، في الندوة الدولية في موضوع الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي ، صلا 1997 ، ص 86 .

(4) Jules Ferry: opcit ,p 142.

(5) محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة ، ج 3 ، دار الغرب الإسلامي ، ج 2 ، بيروت 1984 ، ص 379 .

(6) A. Riggio: Esclaves et Missionnaires en Barbarie (1672-1682) ,in **RA** ,Alger 1949 ,T93 ,p p 38-64.

وكان فرسان مالطة يتبوؤون المرتبة الأولى من حيث قيمة الفدية لدى التونسيين ،حيث تراوحت فديتهم ما بين 1000 ريال إلى 5000 ريال ،فعلى سبيل المثال افتدى الفارس نيكولا بيشولينج Nicola Pecholinj في سبتمبر من سنة 1593م بقيمة 3321 إيکو ذهب و67 ناصري ،وحددت فدية الفارس فرنسيسكو دي فينتيميليا Francesco di Vintimiglia في شهر ماي من سنة 1607م بقيمة 2100 إيکو إسباني ،وبلغت فدية الأب فرا قيوسيبي دي مزينا المالطي Fra Giosepe di Mesina 2500 قطعة من فئة ثمانية ريال في شهر جوان من سنة 1628م ،بينما كانت فدية عامة الأسرى متواضعة ،فعلى سبيل المثال قبض القايد مامي 244 إيکو مقابل تحرير المدعو جورج أموروزو George Amourouso في شهر أوت من سنة 1590م ،بينما قدرت فدية المدعو بينيديتو بوطولاسيو Benedetto Bottolacio يوم 13 جانفي من سنة 1605م ب 110 إيکو إسباني⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى يكثر الأسرى التونسيون في مالطة ؛حيث تمثل مالطة سوقا هامة للعبيد المسلمين ،تشبهها في ذلك موانئ الدويلات الإيطالية ،حيث ينتمي الأسرى للسواحل الشرقية للبلاد التونسية ، ويتم استخدامهم في التجديف في السفن المالطية .لقد كان فرسان مالطة يمثلون العدو الثاني لتونس بعد إسبانيا ،الذين أدخلوا على الملاحة التونسية اضطرابا كبيرا ؛تناول حتى الملاحة الساحلية ،ونشروا جوا من الخوف ،وعدم الطمأنينة في نفوس سكان السواحل .وكانت مالطة تتعاون مع القوى المسيحية المطلة على البحر المتوسط ؛مثل نابولي ،وصقلية ،والبابا ،وإسبانيا ،ويقصد قراصنة مالطة دوما شواطئ جربة ،وسوسة ؛لتقطع عليها الطريق نحو طرابلس ،والإسكندرية ،والشرق عموما⁽²⁾.

لقد تخوف حكام الإيالة من تهديدات أساطيل دول أوروبا الغربية ،وفاعلية قوتها النارية ،ويبدو أن الضيق المالي منعهم أيضا من تجهيز السفن للغزو .وبالتالي فإنهم استجابوا لمشاريع الرأسمالية الغربية ،إذ تخلوا في الغالب عن خيار الجهاد البحري ،وراهنوا على التبادل التجاري .وهو ما جعل رعايا الإيالة ،وأرزاقهم هدفا سهلا للقراصنة النصارى ؛خاصة فرسان جزيرة مالطة .وصار هؤلاء يعرقلون تجارة تونس مع أسواق الشرق الإسلامي مثلما حدث في سنة 1689م ،ولا يتورعون عن مهاجمة السفن الراسية بمرفئها مثلما حدث في سنة 1702م بميناء حلق الوادي⁽³⁾. وهذه السيمة العدائية ؛ستستمر طيلة القرن الثامن عشر ؛وهي الميزة الغالبة للعلاقات السياسية بين الطرفين.

(1) إبراهيم السعداوي : المقال السابق، ص 64 .

(2) أحمد قاسم: المرجع السابق ،ص ص 211، 317 .

(3) إبراهيم السعداوي : المقال السابق ،ص ص 105-106 .

1.3- علاقات تونس التجارية مع مالطة خلال القرن 17م :

ساهم التجار التونسيين ونظراؤهم المالطيون في تجارة العبور بين ضفتي المتوسط ،فقد انتصب التجار التونسيون في سنة 1622م ببعض المراكز التجارية النشيطة في الضفة المسيحية ،وعملوا كوكلاء أو ممثلين تجاريين في جزيرة صقلية ،وتعاملوا مع نظرائهم المسيحيين خاصة منهم المالطيين .وتشير بعض المصادر إلى وجود تجار تونسيين استوطنوا بجزر غرب البحر المتوسط منذ العصر الوسيط ، وساهموا فيما بعد في ترويج التجارة مع التونسيين في العصر الحديث ⁽¹⁾.

ورغم عقلية الجهاد الديني خلال القرن 17م ،ومضاعفات نشاط القرصنة البحرية ؛إلا أن بعض المصادر تشير إلى وجود معاملات تجارية ربطت التجار التونسيين ،ونظرائهم الأوربيين ؛خاصة رعايا جزيرة مالطة ⁽²⁾. فمثلا من بين التجار التونسيين المدعو محمد سيالة ،الذي ركّز شبكة من الوكلاء المحليين والأجانب سواء داخل إيالة تونس ؛خاصة في صفاقس وسوسة ،أو بموانئ أوربا وجزرها مثل نابولي وجزيرة مالطة ،وارتبط مع العديد من التجار اليونانيين والمالطيين خلال ثلاثينات القرن 17م ⁽³⁾. بالإضافة إلى تجار تونسيين آخرين مثل :محمد كراث ،وإبراهيم العصفوري الذين توجهوا إلى مالطة وصقلية ،حيث لم يكن هناك رأس مال تجاري أوربي (ليفوريني أو فرنسي) ليضيق عليهم الخناق ⁽⁴⁾.

ومع نهاية القرن 17م كانت تجارة العبيد هي النشاط الأساسي الرابط بين مالطة والموانئ التونسية ،وفي نفس الوقت كانت حركة تنقل البضائع بين مالطة ،والموانئ التونسية ،لا تمثل سوى 15 رحلة تتناقص بمعدل رحلة كل سنتين ،والمهم أن التجارة بين الجزيرة ،والإيالة تتعلق إذن بدون نقاش ببيع الأسرى عن طريق 29 مؤسسة ،فميناء تونس وحده تتركز به ما نسبته 36.2 % من عمليات بيع الأسرى المسلمين ويهود جزيرة مالطة ،هذه السيطرة لإيالة تونس تعود في بعض المرات إلى طبيعة القراصنة المالطيين ،الذين كانوا يحضرون صيدهم إلى ضفاف البلاد المغاربية على طول الشواطئ بين جزيرة جربة ومدينة تونس ،وكانت تتم المخالطة بين القراصنة الصقليين والمالطيين والرياس التونسيين في مدن تونس وبنزرت ⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ إبراهيم السعداوي : المقال السابق ،ص ص 66 .

⁽²⁾ ابن أبي دينار : المصدر السابق ،ص 203 .

⁽³⁾ إبراهيم السعداوي : المقال السابق ،ص ص 68 .

⁽⁴⁾ الصادق بوبكر : إيالة تونس في القرن السابع عشر وعلاقتها التجارية مع موانئ البحر المتوسط مرسيليا وليفورنة ، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والأندلسية - الموريسكية ،تونس 1987 ، ص ص 18-19 .

⁽⁵⁾ Anne Brogini: des échanges contraints aux échanges assumés .Malte et la Régence de Tunis dans la première modernité ,in CM ,Tunis 2012 ,T84 ,p p 32-47.

ومن المالطيين الذين كانوا يقومون برحلات تجارية إلى الموانئ التونسية خلال النصف الثاني من القرن 17م ،مثلا التاجر دياقو أثار Diego Attard ،الذي قام برحلتين خلال عامين إلى حلق الوادي والمنستير ما بين سنتي 1655-1656م ،وجيوفاني ماقرو Giovanni Margo قام بثلاث رحلات موجهة إلى صفاقس ما بين 1654-1655م ،بالإضافة إلى التاجر كليمنت بيرلو Clément Burlo قام برحلات منظمة بين مالطة ،وسوسة ،وجزيرة جربة ،وتونس في نهاية سنة 1660م،نقل بانتظام الجلود والدباغة والصوف ،والشمع ،والصابون ،والإسفنج .هذه المنتوجات كانت تصدر من كل الموانئ التونسية ،التي كان يتردد عليها المالطيون .ثم قام كليمنت بستة رحلات خلال سنتين فقط ما بين 1668-1670م ،إلى مينائي تونس وسوسة ⁽¹⁾.

وخلال الفترة (1654-1694) نجد التجارة المالطية باتجاه الموانئ التونسية تتوزع حسب النسب التالية :مينائي تونس وحلق الوادي تتركز بها ما نسبته 42 % من الوجهات المالطية ؛أي بمعدل 88 رحلة .ثم تأتي بعدها صفاقس بمعدل 17 رحلة ،أي بنسبة 19.3 % من حركة التنقلات التجارية ،ثم ميناء سوسة ب 13 رحلة تمثل 14.7 % من حركة التنقلات ،ثم غار الملح بنسبة 9% ،ثم الحمامات بنسبة 6.8 % ،وأخيرا مينائي جربة وبنزرت بنسبة 4.5 % ⁽²⁾.لقد كانت تونس تتسامح مع السفن المالطية المترددة عليها ،خلافًا لما كانت تفقه مالطة من السفن التونسية ،فقد اعتمدت تونس على السفن الأجنبية للربط بينها ،وبين مالطة ،واستمر هذا الوضع حتى نهاية القرن 18م ⁽³⁾.

2- علاقات تونس السياسية والتجارية مع الدويلات الإيطالية قبل القرن 18م/12هـ:

الجدور التاريخية لعلاقات تونس مع الدويلات الإيطالية خلال العصر الحديث:

أما عن الحديث عن جمهوريات المدن الإيطالية ،وأهمها جمهوريتي البندقية ،وجنوة ، وسردينا ، وتوسكانيا ، فقد كانت حريصة على إقامة علاقات طيبة ، وسلمية ، وتجارية مع تونس ، كما كانت تلجأ إلى استخدام القوة أحيانا لحماية مصالحها ، وقد كانت متقدمة عامة عن إيطاليا في مطلع القرن 16م وتتنافس للفوز بالعلاقات الأقوى ، والأحسن مع هذه الأخيرة ⁽⁴⁾. لقد كانت إيطاليا مع بداية القرن 17م ، عبارة عن تعبير جغرافي يدل على بلاد مجزأة سياسيا بصورة عميقة ، فقد كان نفوذ إسبانيا مهيمنًا على صقلية ، ونابولي ، ودوقية ميلانو ، وتفرض وصايتها عليها ، أما دوقية توسكانيا

⁽¹⁾Anne Brogini: opcit , pp 42-45.

⁽²⁾Ibid , p 42.

⁽³⁾أحمد قاسم : المرجع السابق ، ص ص 317-321 .

⁽⁴⁾ رأفت الشيخ : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر 1414هـ / 1994 ، ص 18 .

فقد كانت تتمتع باستقلال ضعيف ، أما جنوة التي تتبعها كورسيكا ، فرغم استقلالها كانت موانئها مفتوحة أمام السفن الإسبانية ، باستثناء البندقية التي كانت مستقلة بشكل مباشر⁽¹⁾.

لعبت الدويلات الإيطالية الدور الرئيس في علاقات تونس الخارجية منذ العصور الوسطى ؛ فقد كان التجار الجنوبيون ، والبنادقة يترددون على ساحلها ، ويقيمون الفنادق في العاصمة تونس لإيواء تجارهم ، وقناصلهم ، ولذلك حاولت فرنسا أن تزيح من طريقها مؤسسات جنوة ، التي تعمل في صيد المرجان ، وتملك مخازن في طبرقة⁽²⁾.

ومن جهة أخرى لعبت الدويلات الإيطالية دورا بارزا في الصراع المغاربي-الأوروبي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وكان لها تأثير على سيرورة ذلك الصراع ، وساهمت مساهمة كبيرة في توسيع فضاء القرصنة ، على مدى الفترة الحديثة ، واكتسى الدور الذي لعبته الدويلات الإيطالية ؛ أهمية بالغة في الصراع العثماني-الإسباني⁽³⁾.

ومن النتائج التي عادت على الدويلات الإيطالية بسبب القرصنة والمشاركة في الصراع العثماني - الإسباني ، أنها ثبتت أقدامها في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وكونت مراكز تجارية بمحاذاة سواحل المغرب حتى أن بعض الدويلات قامت بدور الوسيط بين مالكي الأسرى في بلاد المغرب ، ونظراتهم الأوربيين بقصد افتدائهم ، وروجت لسياسة الأسرى كعبيد داخل إيطاليا وخارجها ؛ وهذا ما يبين حرص تلك الدويلات على استمرار الصراع العثماني - الإسباني ، وتعد البندقية في مقدمة تلك الدويلات في استخدام سياسة الازدواجية⁽⁴⁾.

وفي المقابل ساهمت مدن تونس وصفاقس بشكل أو بآخر في التجارة المتوسطية ، ففي القرن 17م كان نشاط القرصنة هاما ، فقد كانت الظاهرة تدر مداخيل هامة على تونس ، وكانت تداعيات هذه الظاهرة تتم بالاستيلاء على السفن ، وجلبها إلى الموانئ التونسية ، وبيع حمولتها في المزاد العلني ، وكانت حمولات البضائع والسفن نفسها ، يتم استردادها بواسطة شرائها بعد ذلك من التجار الأوربيين

(1) نور الدين حاطوم : تاريخ القرن السابع عشر في أوربة ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق 1986 ، ص 15 . للاطلاع أكثر ينظر : إبراهيم سعيود : المرجع السابق ، ص ص 16-20 .

(2) صالح العقاد : المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى) ، ط6 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، مصر 1993 ، ص ص 48-49 .

(3) للاطلاع على أكثر على نشاط القرصنة التي مارستها الدويلات الإيطالية ، ضد الدول الإسلامية والمغربية خاصة في حوض المتوسط . ينظر : إبراهيم سعيود : القرصنة المتوسطية ، المقال السابق ، ص ص 145-162 .

(4) المقال نفسه ، ص 151 .

والإيطاليين ؛وهم الليغورنيون والجنويون ،ونظرا لتطور الأنشطة التجارية البحرية ،فقد قام قناصل الدول ووسطاء القوى العظمى ؛خاصة جنوة وليغورنة ،ومرسيليا ،بالإقامة في مدن وموانئ تونس ،قصد إجراء محادثات مع السلط ،وعقد صفقات تتجدد تلقائيا ،للحصول على امتيازات مقابل إتاوات ، يتم تقديمها بانتظام ⁽¹⁾. وقد ثبت قيام علاقات تجارية بين تونس وليغورن ،بالإضافة إلى نابولي ، وسردينيا ،وكورسيكا ، وإسبانيا ،ومالطة بالرغم من حالة العداء المتحكم بين الطرفين ⁽²⁾.

لقد مارس التونسيون القرصنة ،ورغم ذلك فقد أبرمت تونس منذ القرن 17م ؛معاهدات تجارية عديدة مع العديد من الدول الأوربية ،أو مع تجارها مثل ما تم بين ملك فرنسا لويس الرابع عشر ، وعثمان داي حاكم تونس ؛حيث حمله على الاعتراف بالامتيازات الفرنسية العثمانية في تونس ، وكذا مع القرنة (ليغورنة) ،والجنوبيين ⁽³⁾. وقد احتكر اليهود تجارة الجلود ،وجزءا من تجارة الحبوب ،وركن التجار الفرنسيون والجنويون على تجارة الحبوب ،أما المشرفون على تجهيز السفن التجارية ؛فقد ضغطوا على حكوماتهم الأوربية ؛للحصول على حماية مسلحة لتجارهم من القرصنة التونسية ⁽⁴⁾.

وحدث منذ مطلع القرن 17م تطور ملحوظ في الأسطول التونسي ؛حيث ظهرت السفن المستديرة الأكثر ملاءمة لمراسي تونس ،وقد اطلع التونسيون على هذا الأسلوب عن طريق القرصان الإنجليزي إدوارد Édouard في سنة 1619م ،لذلك نشطت حركة الجهاد البحري ضد السفن الإيطالية خصوصا ،وزاد عدد السفن العاملة في القرصنة ،فوصل إلى 14 سفينة في سنتي 1634م و1635م ⁽⁵⁾.

لقد اختلفت علاقات تونس مع الدويلات الإيطالية خلال العصر الحديث من دولة إلى أخرى ،لذلك وجب علينا تتبع تلك العلاقات لكل دولة على حدة ،من أجل فهم خبايا تلك العلاقات ، وخصوصياتها ومميزاتها ،فيتم تقسيمها كما يلي :

(1) عبد الجليل التميمي : من دلالات الأنشطة الاقتصادية للإيلات المغاربية العثمانية في العصر الحديث ، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،العدد 37-38 ،تونس 2008 ، ص 22-23 .

(2) أحمد قاسم : المرجع السابق ،ص 324.

(3) محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص 75.

(4) عبد الجليل التميمي : المقال السابق ، ص 22-23 .

(5) عبد الرحمان المؤذن وعبد الرحيم بنحادة : العثمانيون والعالم المتوسطي مقاربات جديدة ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط 2003 ، ص 98-101 .

أ- علاقات تونس مع جمهورية جنوة خلال القرن 17م :

وبالحديث عن العلاقات بين تونس وجنوة Gènes فهي قديمة ⁽¹⁾، أما بالنسبة للفترة الحديثة فهي تعود إلى القرن 16م، فقد منحت عائلة اللوميليني Lomilini الجنوبية، التي كانت تقوم بصيد المرجان في الساحل التونسي حق ملكية جزيرة طبرقة ؛ فقد استولى خير الدين بربروس على الجزيرة ، وقايض بها الجنويين مقابل إطلاق سراح مساعده درغوث ⁽²⁾ في سنة 1541م ، وفي 22 سبتمبر 1542م ضمت الجزيرة إلى ممتلكات العائلة عندما أطلق نائب الملك في صقلية فردناند دوغونزاغ F.de Gonzague درغوث رايس، وقد سارعت العائلة منذ ذلك إلى احتكار صيد المرجان وتطوير تجارته ، وكذا تصدير الحبوب ، وإقامة منطقة محصنة في الجزيرة ⁽³⁾.

كان الجنويون المستقرون في جزيرة طبرقة يتاجرون مع المناطق المجاورة ، فهم يشترون المنتوجات الفلاحية بأبخس الأثمان ، وكانوا يتاجرون في ذلك بعيدا عن مراقبة الحكومة ، ومكوسها الجمركية. وقد حقق الجنويون مكاسب تجارية هامة من عائدات صيد المرجان بالمنطقة للعائلة ، إضافة إلى تحويل العائلة للجزيرة إلى مركز لتصدير المنتوجات المتنوعة ، التي يتم شراؤها من المنطقة بأثمان بخسة ، ويتم تصديرها إلى أوروبا كالحبوب ، والجلود ، والشمع ، والخيول ، والأبقار ، حيث يتم تصدير هذه المنتوجات بدون أية مراقبة ، أو تدخل من التونسيين ، مقابل غرامة مالية تقدم إلى باشا تونس قدرت ب 4000 قطعة ذهبية ، و2000 قطعة إلى باشا الجزائر ، وتتعهد حامية انكشارية تراقبهم ، وتسهر على حمايتهم ، وبذلك تواصل الحضور الجنوبي في طبرقة ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ يعود أول اتصال لجنوة بالعثمانيين إلى فتح القسطنطينية في سنة 1453م ؛ فقد أرسلت جنوة قوة بحرية لمواجهة الحصار العثماني للمدينة ، لكنها فشلت . وبعد فتح المدينة أنهى العثمانيون تجارة جنوة في البحر الأسود ، وفي سنة 1475م فتح السلطان العثماني محمد الثاني الفاتح بلاد القرم ، وجميع الأماكن التابعة لجنوة ، لذلك تعاونت مع الإسبان ضد العثمانيين ، وأصبحت حليفا قويا لهم في مطلع القرن 16م ، عندما انتقل أندري دوريا بأسطول له بحري لخدمة شارلوكان في سنة 1528م ، بعدما كان حليفا لفرونسوا الأول . ينظر: محمود السيد الدغيم : أضواء على تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة سليم الثاني ، في مجلة الحضارة الإسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات) ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة 1994 ، ص 387 .

⁽²⁾ ولد في سنة 1485م بالأناضول ، عمل في القرصنة منذ شبابه ، ثم مع خير الدين بربروس في سنة 1533 ، أسر من طرف القرصان الجنوبي دوريا في سنة 1540م ، كان له دور كبير في محاربة الإسبان في السواحل التونسية ، وفي تحرير طرابلس ، وأصبح حاكما لها في سنة 1551م . للاطلاع أكثر : ينظر: الشافعي درويش: المرجع السابق ، ص 87-88 .

⁽³⁾ ج.أو. هابنسترايت : رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ - 1732م) ، ترجمة وتقدم وتحقيق: ناصر الدين سعيدوني ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس 2008 ، الهامش رقم 1 ص 97 .

⁽⁴⁾ توفيق البشروش : جمهورية الدايات في تونس 1591-1675 ، مجموعة أيام الناس ، شركة أوريس ، تونس 1992 ، ص 112 .

وقد أورد ذلك ابن أبي الضياف بقوله : ((...فبنوا قرية وجعلوا قصبتها بأعلى الجبل ، مظلة على البحر من كل جهاتها ، وانعقدت لهم ذمة مع صاحب الجزائر وتونس ؛ لأنها على ساحل بين بونة وبنزرت . وقدروا على أنفسهم ضريبة من المال في كل سنة ، لكل واحد منهما على شروط منعقدة ، وعمروا القرية من ذلك العهد ، وتناسلوا أمنيين ، وخالطوا أهل الجبال القريبة منها مثل : خمير وهنتانة ، وعمدون ونفزة ، وغيرهم من البربر والعرب . وكانوا يحملون إليهم الأقوات من الحبوب والفواكه وغيرها ، ويكسبون منهم المكاسب الذريعة))⁽¹⁾. فلم تكن عائدات صيد المرجان هي المكاسب الوحيدة ، التي حصلت عليها عائلة اللوميليني ، بل حوّلت الجزيرة إلى مركز لتصدير المنتجات الفلاحية : كالحبوب والحمص ، والبقول ، وزيت الزيتون والمواشي ، إلى أوروبا بعد الأزمة الغذائية ، التي عرفتتها منذ بداية القرن 17م ، وقد كان شيوخ عروش الشمال الغربي حلقة رئيسية في تجارة الحبوب ، إذ شاركوا الجنويين في منافع تلك التجارة منذ عشرينات القرن 17م⁽²⁾.

وفي سنة 1651م تمكن الجنويون من السيطرة على الرأس الأسود ، ونجحوا في عقد معاهدة مع حاكم تونس حمودة المرادي ، منحهم حق احتكار المركز ، ومنعه عن التجار الآخرين . وكانت رئاسة الشركة التجارية لصيد المرجان ، تؤول إلى عائلة دوريا Doria ، لكن الشركة أفلست بين سنتي 1678م و1680م ، بسبب الحرب الأهلية . التي اندلعت في تونس بين أبناء مراد الثاني بعد وفاته مباشرة في سنة 1675م ، فانتشرت الفوضى وعدم الأمن ، وقسمت البلاد مما أثر على الأوضاع الاقتصادية ، وتضررت المصالح التجارية ولم تنته الحرب الأهلية إلا في سنة 1686م⁽³⁾.

عاد الجنويون للتجارة في الإيالة في جزيرة طبرقة⁽⁴⁾؛ حيث تمكنوا من ربط علاقات تجارية مع القبائل المحلية بالجزيرة ، وجمعوا أكثر من أربعين ألف قفيز⁽⁵⁾ من القمح في المناطق المحيطة بمركز الرأس

(1) أحمد بن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج2، ص 152 .

(2) إبراهيم السعداوي : المقال السابق ، ص 68 .

(3) محمد الهادي شريف : المرجع السابق ، ص 80 .

(4) منذ القرن 11م اكتسبت الجزيرة أهمية كبرى كميناء تجاري في البحر المتوسط ، سيطر عليها خير الدين بربروس سنة 1541م ، ثم انتقلت ملكيتها إلى آل لوموليني منذ سنة 1542م إلى غاية 1741م ، ليتمكن الفرنسيون من إنشاء مركز تجاري بها في سنة 1781م ، ينظر : ج .أ. هبنسترايت : المصدر السابق ، الهامش رقم 1 ص 97 .

(5) تطور وزن قفيز القمح فقد كان في نهاية القرن 16م يساوي 129.6 كلف ، وصار في بداية القرن 17م يزن 195 كلف . وخلال الفترة (1637/1625) كان القفيز في تونس يساوي 300 كلف ، واحتفظ بهذه القيمة إلى أواخر القرن 17م ، حيث نلاحظ أن القفيز المعمول به في المبادلات التجارية أصبح في سنة 1698 يزن 320 كلف . ينظر : الصادق بوبكر : المرجع السابق ، ص 7 .

الأسود⁽¹⁾. كما اغتنموا فرصة لجوء محمد باي إليهم، بعد أن فر من كاهيته ابن شكر، الذي نصبه الداوي شعبان، حيث تحصلوا منه على حق إنشاء مخازن جديدة في الرأس الأسود، وطبرقة في سنة 1695م؛ من أجل جمع محاصيل القمح، لكن الباي عدل عن قراره بعد الضغط الفرنسي، وأمر بدم المخازن التي بناها الجنويون في سنة 1695م، وأجبرهم على التجارة في طبرقة فقط، ومنعت القبائل المجاورة للرأس الأسود من إحضار قمحها للمخازن الجنوية⁽²⁾. وبالإضافة إلى الحبوب كانت البلاد التونسية تصدر كميات من الكسكسي، وبيض الحوت المجفف الموجه إلى ليفورن وجنوة، ويمكن تفسير وجود هذا التيار التجاري بوجود جاليات مغربية، خاصة من الأسرى في الموانئ الإيطالية⁽³⁾. ونتيجة لتنامي التدخل الرأسمالي في اقتصاد تونس منذ سنة 1680م، ورغم اضطراب مبادلاتها مع الخارج خاصة زمن الحروب، فقد تكاثرت عدد الماركتية، لا سيما رعايا فرنسا وجنوة وليفورن، وكانوا يتجمعون في ثلاثة فنادق شيدت بالعاصمة تونس قبل سنة 1665م. لقد كانت العلاقات سلمية بين تونس وجنوة؛ فقد تدخل القنصل الجنوي في العديد من المرات في قضايا افتداء الأسرى الأوربيين، فمثلا تدخل في فيفري من سنة 1682م، لتحرير المدعو قيويسي دي بييترو Giuseppe de Pietro من أصل كورسيكي، وذلك بتقديم فدية للداوي محمد طاباق قدرها 2344 ريال و 41 ناصري⁽⁴⁾.

ب- علاقات تونس التجارية مع ليفورن خلال القرن 17م :

ظهرت مشاريع اقتصادية جمعت بين أغنياء الأندلسيين وأعيان المخزن والتجار النصارى، منذ الربع الأول من القرن 17م، حيث تشير المصادر إلى حدوث تقارب بين فئة رجال الأعمال التونسيين، وممثلي الرأسمالية الأوربية، استجابة لمقتضيات مصالحهم المتبادلة. فالطرف الأول في حاجة إلى وساطة الماركتية للوصول إلى أسواق أوروبا، بينما احتاج الطرف الثاني إلى المحليين للإشراف على صفقاتهم خارج حاضرة تونس⁽⁵⁾.

فقد قام الأندلسيون إثر هجرتهم إلى تونس بدور رئيسي في تسويق الجلود، وكانت علاقاتهم التجارية قوية مع تجار القرنة (ليفورن)، رغم أن تجار فرنسا واليهود حاولوا إزاحتهم بعد سنة 1620م،

(1) Paul Masson : **établissements commerce Français dans l'Afrique Barbresque (1590 – 1793) – (Algerie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc)**, librairie Hachette, Paris 1903 , p p 147-148.

(2) Eugène Plantet: **Correspondances des Beys de Tunis et des Consuls de France avec la Cour (1577-1830)**, Félix alcon éditeur, Paris 1899, T1, p p 533-536.

(3) الصادق بوبكر : المرجع السابق ، ص ص 12-13 .

(4) إبراهيم السعداوي : المقال السابق ، ص ص 103-105 .

(5) المقال نفسه ، ص 66 .

لذلك اهتموا بتجارة الشاشية وساهموا في ترويجها ،أما صغار التجار فقد استفادوا من انتعاش المبادلات التجارية ،وساهموا في تجارة العبور القادمة من بلاد المشرق ،أو بلاد السودان ،وكانوا يختلفون بمراكبهم إلى أسواق الجنوب الإيطالي ،وأحيانا إلى الشمال الإيطالي .فمثلا تمكن المدعو محمد رايس من دخول ميناء القرنة في جويلية من سنة 1622م ،وذلك على متن سفينة ،التي أبحرت من ميناء صفاقس بتونس⁽¹⁾.

ومنذ سنة 1630م كان اليهود التونسيون يحتكرون التجارة بين تونس وليفون ،نظرا لعلاقتهم ومراسلاتهم مع إخوانهم اليهود في ليفون ،فكانوا يستأجرون سفنا إنجليزية وهولندية وفرنسية⁽²⁾. وقد احتكروا لزومات عدة منتجات كالجلود والشمع ،وقد كانت الرأسمالية اليهودية تراقب أهم شؤون المبادلات التجارية الخارجية لتونس⁽³⁾. وأنشأ اليهود مؤسسات في تونس لنشر نشاطاتهم المتعددة ،التي كانت متصلة مع ليفون .ولعبوا الدور الأول في المبادلات التجارية مع أكبر ميناء توسكاني ،يصدرون الحبوب ،والزيوت ،والأصواف ،والجلود ،وكذلك تجارة غنائم حمولات سفن القراصنة التونسيين⁽⁴⁾.

ترتكز تجارة الإيالة أساسا على القمح ؛وهذه التجارة تتطلب سرعة ومرونة في النقل ،والتي توفرها المراكب الصغرى ،وهذا ما يفسر أن المبادلات التجارية بين تونس وليفون وجنوة ومالطة ما بعد 1660م ،40% و50% منها يتم بواسطة السفن الصغرى ،ونظرا لعدم وجود أسطول تجاري تونسي قادر على منافسة الأساطيل الأوربية ،جعل هذه الأخيرة تحتكر كل المبادلات سواء مع أوروبا أو مع تونس ،لذلك اتسمت تجارة تونس مع أوروبا خلال هذه الفترة بطابع الاستسلام⁽⁵⁾.

وقد ارتكزت التجارة الخارجية بين تونس وليفون خلال سنوات :1609م ،1651-1657 ، 1692-1705م ، على محاور أساسية وهي :

- تجارة عبور شملت البضائع الإسبانية والمشرقية .
- تجارة الحبوب كعنصر رئيسي في صادرات البلاد ،إضافة إلى مواد فلاحية أخرى .
- الازدياد في الواردات التونسية من المواد الخام ؛الخاصة بصناعة الشاشية ،إضافة إلى مواد كمالية .

⁽¹⁾ إبراهيم السعداوي : المقال السابق ،ص ص 103-105 .

⁽²⁾ Paul Masson:Histoire des établissements opcit , p 91.

⁽³⁾ علي الشنوفي : العلاقات التجارية بين تونس وأقطار البحر المتوسط في القرون :17-18-19 ، في مجلة الإتحاف ، العدد 49 -51 ، مجلة ثقافية جامعية ،القسم العربي ، تونس 1994 ،ص 13.

⁽⁴⁾ Paul Sebag : **Tunis Histoire d'une Ville** , l'Harmattan , Paris 1998 , p 163 .

⁽⁵⁾ الصادق بوبكر : المرجع السابق ، ص 10 .

كانت البضائع الإسبانية والهولندية التي تتم غنيمتها من القرصنة ؛ كالنيلة وسكر البرازيل والرنكة والدخنة والصوف الإسباني تورد إلى تونس ، وكذلك خلال الحرب الإسبانية الفرنسية سنوات 1635-1636م ، زاد عبور المواد الإسبانية من تونس ، ومع منتصف القرن 17م أصبح العبور من تونس يهتم المواد الشرقية كالحرير ، والمنسوجات والأرز لتجد طريقها إلى ليفورنو وغيرها من الموانئ الأوربية ⁽¹⁾.

وصل إلى ليفورنو بين سنتي 1651م و1657م 6317260 كيلو غرام من القمح التونسي ، وازدهرت هذه التجارة أكثر بعد سنة 1685م ، خاصة بعد تكوين الشركات الكبرى التي استقرت برأس النقرو وجزيرة طبرقة . بالإضافة إلى الحبوب كانت إيالة تونس تصدر كميات من الكسكسي ، وبيض الحوت المجفف الموجه إلى ليفورنو ، ويمكن تفسير وجود هذا التيار التجاري بوجود جاليات مغربية ، خاصة من الأسرى في الموانئ الإيطالية ، بالإضافة إلى ذلك فقد استوردت ليفورنو خلال نفس الفترة ، كميات من الجلود التونسية بمعدل أدنى يفوق 13000 كيلو غرام سنويا ، حيث تعتبر الجلود من الصادرات الأساسية لتونس باتجاه ليفورنو ، وقد كانت لزمة دار الجلد محتكرة من طرف اليهود الليفونريين منذ 1617م . كما أن صادرات تونس إلى ليفورنو من الصوف التونسي قدرت سنويا بمعدل أدنى قدره 27164 كيلو غرام ⁽²⁾.

ومع نهاية القرن 17م تخلى اليهود القرنة (الليفونريون) عن لزمة جمرک الجلد ، وتحديدًا منذ سنة 1686م ، لكنهم حافظوا على دورهم البارز في المبادلات التجارية بين تونس ودول جنوب أوربا . وكانوا على صلة بأثرياء ليفورنو مثل جودا كرسبينو Juda Crespino وغيره . كما ارتكزت تجارة المدعو يعقوب لمبروزو Jacoup Lomprouz على الصوف الإسباني ومواد الصباغة إلى إيالة تونس ⁽³⁾.

ج- علاقات تونس مع جمهورية البندقية خلال القرن 17م :

وبالحديث عن علاقات تونس مع البندقية ⁽⁴⁾ خلال القرن 17م ، فقد كان قراصنة تونس والجزائر وطرابلس ، يسطون على سواحل أوربا الجنوبية ، وعلى السفن الغربية دون تمييز ، وكان هؤلاء يرودون بالمثل ويعتدون على السفن العثمانية وعلى سواحل بلادها (منها التونسية) ⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ الصادق بوبكر : المرجع السابق ، ص 11 .

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص ص 12-14 .

⁽³⁾ إبراهيم السعداوي : المقال السابق ، ص 106 .

⁽⁴⁾ أبرمت البندقية في سنة 1317م معاهدة تجارية مع الملك الحفصي زكريا أبي يحيى ، أكدت على حرية التجارة ، وأباحت للبندقية حق امتلاك الحوانيت والمنازل ، ومخزن وحمام ، وإقامة كنيسة . ينظر : عائشة غطاس : المقال السابق ، ص ص 94-108 .

⁽⁵⁾ خليل ساحلي أوغلي : المرجع السابق ، ص 331 .

ففي 18 جويلية من سنة 1618م غادر أسطول من البندقية بقيادة برتردان أودا مدينة البندقية على رأس كوكبة من الجند تعد خمسين من المشاة، قصد بهم جزيرة تينو بالأرخبيل، لكنه تعرض لهجوم من طرف ستة أغربة تونسية، وبعد تبادل لطلقات المدافع قتل خمسة مسيحيين، واستولى القراصنة التونسيون على السفن البندقية. وفي 29 ديسمبر من نفس السنة هاجم غرابان من تونس سفينة بندقية كانت متوجهة إلى نابولي، فاستحوذوا على حمولتها، وأخذت السفينة إلى حلق الوادي⁽¹⁾.

وقد تضررت البندقية بسبب غارات القراصنة التونسيين والجزائريين خلال سنوات 1621م و1630م⁽²⁾. فبينما كانت أوروبا منشغلة بحرب الثلاثين عام (1618م-1648م)، والدولة العثمانية منشغلة بحربها مع إيران⁽³⁾، خلا الجو لقراصنة الدول المغاربية (منها تونس بالطبع) من جهة، ضد فرسان مالطة وأسطول البندقية من جهة أخرى، وكانت البندقية ترى في تونس والجزائر أنهما تابعتان للدولة العثمانية، وتساهمان في كل المعارك البحرية، وتلتحقان بالأسطول العثماني، كلما اقتضى الأمر. فقد حاصر أسطول البندقية، الذي كان متواجدا في البحر الأدرياتيكي في سنة 1638م، قيادة الأميرال البندقي قوبيللو Gopello السفن التونسية وكان عددها ثمانية، مع سفن الجزائر، التي كان عددها ثمانية هي الأخرى بقيادة الأميرال الجزائري علي بتشين، حيث كان الأسطولان متوجهان إلى حرب Valone أولونة⁽⁴⁾. وكان ذلك في عهد أسطا مراد، وقد استطاع التونسيون والجزائريون الفرار بعد أن أحرقوا سفنهم عن آخرها واحتموا بالسواحل العثمانية، وقد عوضهم السلطان العثماني مراد بسفن جديدة⁽⁵⁾.

(1) توفيق البشروش : المرجع السابق، ص ص 85-89 .

(2) كانت جمهورية البندقية تملك أسطولا بحريا قويا خلال القرن 16م، وكانت جمهورية البندقية أهم دول أوروبا لاسيما في التجارة البحرية وفي سنة 1507م أقر مجلس السناتو إنشاء لجنة الخبراء الخمسة للتجارة، وأعطاهم الإدارة العليا لشؤون التجارة، ومراقبتها وبخاصة القنصليات، وقد أوصى بوجود هذه اللجنة. وقد وقعت البندقية عدة معاهدات مع الدولة العثمانية؛ لتأمين تجارتها في شرق المتوسط منها معاهدة 1502 م، واتفاقية التجارة في سنة 928هـ/1521 م ينظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط2، دار النفائس، بيروت 1988، ص ص 173-202 .

(3) تعرضت تجارة البندقية إلى تهديد العثمانيين في سنة 1538م، ورغم وجود حزب قوي في البندقية يدعو إلى السلام مع الأتراك، فإن البابا بول الثالث قد نجح بحلول فبراير من سنة 1538م في جعل البندقية، وإسبانيا تعقدان حلفا مع البابوية ضد العثمانيين، وهكذا تم إنشاء جمعية مقدسة، لكنها سرعان ما فشلت، بعد انسحاب البندقية، وعقدها معاهدة سلام مع السلطان العثماني في سنة 1540م، ضمنت حقوقها التجارية مع المشرق. ينظر: جون ب. وولف : المرجع السابق، ص ص 53-54 .

(4) خليل ساحلي أوغلي : المرجع السابق، ص 332.

(5) ابن أبي دينار : المصدر السابق، ص 197.

وتضيف مصادر غربية إلى أنه ، في شهر مارس سنة 1654م واستجابة لنداء السلطان العثماني ، انطلقت وحدات بحرية من طرابلس وتونس متجهة إلى الأستانة ؛ للإسهام في الحرب ضد البندقيين ، وتقرر أن يتشكل جناح الهجوم من الوحدات البحرية لكل من إيالة طرابلس وإيالة تونس ، وعادت السفن إلى شمال إفريقيا في شهر أغسطس من نفس السنة ⁽¹⁾.

ويظهر الموقف العدائي بين البندقية وتونس ؛ من خلال رسالة وجهها السفير البندقي في فرنسا جيوبوتستا سلفاغو G.B.Salvago ((إن الدولة الفلاماندية تحمل إلى بارباريا ، الصواري والحبال والبارود والقار ، والمجاديف والأخشاب ، وأيضا مدافع البرونز الخاصة بممرات القوادس ، ولو وجدوا فرصة أكبر للربح لأقدم الهولنديون ، حتى على بيع أنفسهم بكامل تجهيزاتها ، على أن يؤدي دعمهم للقراصنة إلى الإضرار بأعدائهم الإسبان)) ⁽²⁾. يضاف إلى ذلك تعاون البنادقة وفرسان مالطة ؛ فقد أكد بعض الأتراك ممكن كانوا أسرى في مالطة ، أن البنادقة يزودون مالطة بما تحتاج إليه ، ويصلحون لها سفنها ، ويتخذون من الفرسان أدلاء لنشاطهم البحري ⁽³⁾. واستمر العداء بين الطرفين حتى نهاية القرن 17م ؛ ففي سنة 1695م قام قراصنة تونسيون بالاستيلاء على سفينة بندقية ، وغنموا منها بضائع قدرت قيمتها ب 12025 ريال ⁽⁴⁾. وفي سنة 1699م وقعت الدولة العثمانية معاهدة مع جمهورية البندقية ، وفرضت على الإيالات - بما فيها إيالة تونس - تطبيق المعاهدة ، وعدم التعرض لسفن الجمهورية ⁽⁵⁾.

ومما سبق يمكن القول :

- إن علاقات تونس مع دويلات شبه الجزيرة الإيطالية خلال الفترة ما قبل القرن 18م ، اختلفت ، وتنوعت من دولة إلى أخرى ، ويعود ذلك إلى تنوع العوامل ، والظروف التي تحكمها .
- إن علاقات تونس السياسية مع مالطة خلال الفترة ما قبل القرن 18م ؛ تميزت بالعداء المتواصل ، وهذا في حقيقة الأمر يعود إلى العوامل التاريخية والدينية ، وإلى الظرفية التي ميزت منطقة الحوض الغربي

⁽¹⁾ شارل فيرو : المرجع السابق ، ص 155 .

⁽²⁾ نقلا عن :عبد الرحمان المؤذن وعبد الرحيم بنحادة : المرجع السابق ، ص 108 .

⁽³⁾ أحمد قاسم : المرجع السابق ، ص 372.

⁽⁴⁾ المختار باي : المرجع السابق ، ص 576 .

⁽⁵⁾ A. Sogerdoti: **Venise et les Régences d'Alger, Tunis et Tripoli (1699-1760** , in **RA** ,Alger 1957 ,T101 ,p p 273-296.

- من البحر المتوسط ،منذ وصول الدولة العثمانية إليه ،وبداية الصراع الإسلامي-المسيحي ،بينها وبين إسبانيا وتحالف هذه الأخيرة مع فرسان مالطة ،في حين ارتبطت تونس مع الدولة العثمانية .
- غير أنه توجد رغم حالة العداء المستمر ،وهذا شيء يشير الدهشة ؛أن هناك علاقات من نوع التواصل بين التونسيين والمالطيين ؛تتمثل في العلاقات التجارية غير الرسمية ،ولكنها موجودة ممثلة في الرحلات التجارية ،التي كان تجار الطرفين يقومون بها إلى الموانئ التونسية ،ونظيرتها المالطية .
- أما بالنسبة للدويلات الإيطالية فقد اختلفت علاقات تونس معها ،وتباينت من دولة إلى أخرى ، بين السلمية والعدائية ،نظرا لطبيعة المصالح التجارية ،وإلى السياسات الخارجية للطرفين .
- إن علاقات تونس مع جمهورية جنوة ما قبل القرن 18م كانت تجارية ،منذ إلى القرن 16م على الأقل ،فقد منحت تونس للجنويين جزيرة طبرقة التونسية ،وخلال سنة 1651م زادتهم مركز الرأس الأسود ،وسمحت لهم بتصدير المنتوجات الزراعية إلى جمهورية جنوة والدويلات الإيطالية .
- إن مدينة ليفورن ذلك الميناء التوسكاني ، ربطتها بالإيالة علاقات تجارية بحثة ،وكانت ليفورن هي ثاني أهم متعامل تجاري مع تونس ،وكانت ليفورن هي المصدر والمورد لكثير من السلع من وإلى الإيالة التونسية ،ويعود ذلك إلى الدور الذي لعبه اليهود الليفورنيون في تلك العلاقات .
- أما البندقية فقد تميزت علاقاتها مع تونس في الفترة ما قبل القرن 18م ؛بالعداء المستمر والذي غلب عليه نشاط القرصنة المتبادلة ،وتفسير ذلك أن علاقات الطرفين ارتبطت بالصراع العثماني-البندقي في البحر المتوسط ، ومع نهاية القرن 17م ستتجه العلاقات بين تونس والبندقية إلى السلمية بعد توقيع معاهدة بين الدولة العثمانية و البندقية في سنة 1699م .
- وإذا كانت هذه هي طبيعة علاقات تونس مع مالطة والدويلات الإيطالية ما قبل القرن الثامن عشر ،فكيف هي علاقات الطرفين خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ،وتحديدا الفترة (1705م - 1756م) ؟.

المبحث الثاني:

علاقات تونس مع مالطة والدويلات الإيطالية من 1705م إلى 1756م :

أما خلال فترة القرن الثامن عشر ،فقد تميزت علاقات الإيالة التونسية مع مالطة بالعداء المستمر على طول القرن ،وذلك لعوامل تاريخية معروفة ،تعود في معظمها إلى فترة القرن السادس عشر ،أي منذ استقرار فرسان القديس يوحنا بالجزيرة ،واستمرار عدائهم للمسلمين ؛خاصة بعد أن أصبحت تونس إيالة عثمانية ،ولكن رغم ذلك فقد كانت هناك استثناءات تمثلت في علاقات تجارية بين تونس ومالطة ؛وهي ما عرف بتجارة العبور التي كانت رائجة بين التجار التونسيين ،ونظرائهم المالطيين بالرغم من العداء السياسي .

أما بالنسبة للدويلات الإيطالية ؛ونقصد هنا بالذكر على وجه الخصوص كلا من :جمهورية جنوة ،وليفورن ،وجمهورية البندقية ،فإن العلاقات معها قد تباينت كما سنرى من دولة إلى أخرى ،حسب خصوصيات كل منها ،والعوامل التي ربطتها مع الإيالة التونسية .فقد تحكمت فيها المصالح التجارية ، التي كانت تدور حولها تلك العلاقات سواء السلمية ،وفي بعض الأحيان العدائية .وهذه الطبيعة أيضا موروثه عن المرحلة السابقة ؛أي خلال القرن السادس عشر بالنسبة لجمهورية جنوة ،وربما أقدم بالنسبة لجمهورية البندقية .في حين هي حديثة بالنسبة لليفورن فهي تعود إلى القرن السابع عشر ؛ حين ارتبطت هذه المدينة الساحلية بعلاقات تجارية محضة مع الإيالة التونسية ،ويمكن أن نحمل تلك العلاقات ،التي ربطت الطرفين في العناصر الآتية :

1- علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة من 1705م إلى 1756م.

2- علاقات تونس السياسية والتجارية مع الدويلات الإيطالية من 1705م إلى 1756م.

لذلك نتساءل عن طبيعة العلاقات التي جمعت بين الطرفين في هذه الفترة ، وعن أهم المظاهر التي ميزتها ؟ .

1- علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة من 1705م إلى 1756م :

1.1- تهديد القرصنة المالطية للتجارة التونسية مع بداية القرن 18م :

تقع تونس على الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط في مواجهة دول مسيحية تقع على الشاطئ الشمالي لنفس البحر ،وقد قامت بينها وبين هذه الدول علاقات وطيدة على أساس التبادل التجاري (التجارة) ،أو الحرب ،وحرب القرصنة .وقد أدى نشاط القرصنة إلى وجود مهتدين (الذين تسميهم المصادر الغربية بالمرتدين) ،ومن بين ألوف الأسرى المسيحيين المحجوزين في سجون تونس التسعة (حوالي عشرة آلاف) اعتنق عدد منهم الإسلام⁽¹⁾. أما عن تجارة الترانزيت (العبور) فقد سمحت بانتشار منتجات هامة بين أقاليم واقعة على المتوسط ، وعبر مدن كتونس كانت منتجات إفريقيا تصل إلى أسواق أوربا خلال القرن 18م ،وهو ما يفسر نمو مدينة تونس ،الواقعة على النقاط المحورية للتجارة الدولية الكبيرة ؛على نقطة الاتصال بين ضفتي البحر المتوسط⁽²⁾ .

ونظرا لموقع مالطة في قلب الحوض الغربي من البحر المتوسط ،ولقربها الجغرافي من إباله تونس ، فلقد كانت القرصنة المالطية تشكل تهديدا مستمرا للتجارة التونسية ،لذا فقد عمل فرسان مالطة على عرقلة أي نشاط تجاري بحري للمسلمين (خاصة التجار التونسيين) ،فقد تحالفت فرنسا مع فرسان مالطة ،لتحقيق ذلك وبتشجيع من الحكومة الفرنسية .ويظهر ذلك جليا من خلال ما صرح به حاكم مالطة بقوله :إن البحرية الفرنسية ،والقرصنة المالطية تسيران نحو غاية واحدة ؛وهي إجبار الأتراك على الإبحار تحت الراية الفرنسية⁽³⁾ .

ومن جهة أخرى ،فإن السيد سيترس كومونت Sytres Coumant المكلف بالشؤون الفرنسية بمالطة ،وجه رسالة إلى وزير البحرية الفرنسي مؤرخة في 26 جانفي من سنة 1720م ،جاء فيها :إن التجارة الفرنسية تولي أهمية خاصة لنظام مالطة ويقصد فرسان مالطة ،لأنه يحقق هدفنا —عن طريق القرصنة— والمتمثل في منع الأتراك من شحن بضائعهم على سفنهم الخاصة ،وجعلهم دائما تابعين لنا .وقد كلف التجار المرسلون قراصنة مالطة من أجل محاربة أي مشروع لقيام تجارة بحرية إسلامية⁽⁴⁾ .

(1) أندريه رايون : المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، ترجمة : لطيف فرج ، ط2 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة 1991 ، ص ص 41 ، 42 .

(2) روبرت مانتروان : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : بشير السباعي ، ط2 ، ج1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة 1993 ، ص 560 .

(3) Moulay Belhamissi : Histoire de la Marine Algerienne (1516-1830) , ENAL, Alger 1983, p p 33-34.

(4) Ibid

1.2- الحملات البحرية المتبادلة خلال النصف الأول من القرن 18م :

هاجمت سفن فرسان مالطة ميناء حلق الوادي في سنة 1702م ، وأخذوا أربعة مراكب تونسية كانت راسية في الميناء⁽¹⁾. وفي شهر نوفمبر من سنة 1705م قامت السلطات التونسية بالاستيلاء على سفينة شراعية مالطية ، وعلى متنها 23 رجلا ، بعد أن اقتربت من ميناء صفاقس. وفي 12 أبريل من سنة 1710م استولى أحمد ريس الهولندي الأصل على متن سفينتين تونسييتين ، الأولى بمجهزة بـ 54 مدفعا والثانية بمجهزة بـ 48 مدفعا عندما خرج للقرصنة ، على مركب يحمل علم القدس ، ولما تم جره إلى ميناء غار الملح ، وكان محملا بـ 800 كيسا من القمح ، و 96 قفيزا من الأرز ، و 08 قناطير من القهوة ، و 18 رزمة من القطن المغزول من القدس ، وعلى ظهره 19 رجلا ؛ منهم 06 فرنسيون ورغم احتجاج الفرنسيين من أجل استرجاع السفينة ، إلا أن الباي اعتبرها مالطية⁽²⁾.

وقد ظل التونسيون يتخوفون من السفن المالطية ، فيهاجموا كل سفينة تقترب منهم . فقد هاجمت بعض السفن التونسية المسلحة بالحجارة ، والعصي ، وبعض السيوف القديمة سفينة تجارية فرنسية قرب قرقنة ، ظنا منهم أنها مالطية ، واقتيد الربان ، وبعض البحارة إلى والي صفاقس ، الذي بعث بهم للتظلم أمام الباي حسين بن علي ، فقبل شكايتهم ، وأرجع لهم سفينتهم وبضاعتهم⁽³⁾.

وفي سنة 1718م قدم خمسة أغربة مالطية ودخلوا جزيرة الجنان بنواحي البقالية (المهدية) ، فنزلوا البر لأخذ الماء ، فهجم عليهم أهل المنستير ، فدخلوا الجزيرة فانهمز الكفار ، ومات منهم نحو 120 ، وأسر المسلمون نحو المائتين ، واستشهد من المسلمين إثنان⁽⁴⁾. وفي 7 أبريل من سنة 1721م تعقبت سفينة تابعة للجمعية الدينية المالطية ، سفينة القديس جورج التي يقودها دي لاكروا de la Croix ، والتي كانت تحمل الراية الفرنسية ، تم نهب المركب من طرف السفينة المالطية ، وأخذ الأحد عشر تونسيا إلى جزيرة ميورقة ومنها إلى برشلونة⁽⁵⁾.

وقد أشار إليها صاحب نزهة الأنظار ، دون بقية المصادر ، إلى قيام القراصنة المالطيين بحملة على مدينة صفاقس في سنة 1747م ، لكنها فشلت . حيث ذكر أنه : ((لما سمع أهل مالطة بالحرب

(1) إبراهيم السعداوي : المقال السابق ، ص 106 .

(2) المختار باي : المرجع السابق ، ص ص 576-579 .

(3) أحمد قاسم : المرجع السابق ، ص 375 .

(4) محمود مقديش : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، ترجمة : علي الزواري ومحمد محفوظ ، ط2 ، دار الغرب

الإسلامي ، بيروت 1988 ، المجلد 2 ، ص 157 .

(5) المختار باي : المرجع السابق ، ص 605 .

بين جمهورية البندقية وتونس، فرحوا وانتهزوا الفرصة، فخرجوا لفسادهم في البحر، وظنوا أن أهل صفاقس قد أصابهم قرح يفشلهم، مع أن أهل صفاقس نزلوا الشهداء ودفنهم، والجرحى للعلاج، وخرجوا في طلب الكفار في كل جهة، فالتقوا بمركبي فرنجي سلما لأهل صفاقس، فلما فارقهم وجد سفن المالطيين فسألوه عن لقيت، قال لقيت سفن صفاقس، فرعب المالطيون ورجعوا مذمومين مدحورين، ويأسوا من بحر صفاقس⁽¹⁾.

1.3- معاهدة صلح بين علي باشا ومالطة :

وتشير بعض الكتابات الغربية إلى أنه في سنة 1753م أغلقت موانئ صقلية أمام أية سفينة، تحمل العلم المالطي. ولم تكن هذه الأحداث سيئة تماماً للمالطيين؛ فقد تحسن الحال بعقد اتفاقيات تجارية مع الشمال الإفريقي، ووجدت الغلال التونسية طريقها إلى مالطة، وأحدثت هذه العلاقات تقارباً سياسياً ما بين مالطة وتونس؛ أدى إلى دفع علي باشا، أن يطلب مساعدة فرسان مالطة، للقضاء على القراصنة، الذين كانوا يهددون موانئ تونس، وصفاقس⁽²⁾.

في حين ذكر المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف أن علي باشا عقد صلحاً مع مالطة في سنة 1755م، استعداداً للفرار إليها بعد ثورة التونسيين عليه، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ((ولما بلغ الباشا الخبر على هرم دولته، وفقد ابنه يونس وسليمان، وهما من رجال الحزم والكفاية، بادر إلى عمل الصلح مع صاحب مالطة، واكثرى شقوفاً أعدها بحلق الوادي لمنجاة نفسه، وهياً داراً بمالطة، وقد كان اشترى بها أرضاً أعدها لدفن موتى المسلمين))⁽³⁾. وتضيف مصادر أخرى أنه في سنة 1756م عندما هزم علي باشا من طرف الجزائريين، فر إلى جزيرة مالطة بكنوزه، واحتفى بمركب مالطي، وفي طريقه إليها مع 300 من رجاله، التقى بأسطول تركي يتكون من 16 مركباً، فأسروه وعادوا به إلى تونس⁽⁴⁾. وهذا ربما يؤكد هذا الإجماع بين المصادر لهذه الروايات.

2- علاقات تونس مع الدويلات الإيطالية من 1705م إلى 1756م :

كان من المفروض أن تلتزم السلطة التونسية بما توقعه السلطة العثمانية من معاهدات؛ بكون تونس جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، فقد عقدت حكومة الباب العالي معاهدات كثيرة مع جمهورية

(1) محود مقديش : المصدر السابق، ص ص 216-217.

(2) بريان بلويه : قصة مالطة، تعريب : مصطفى محمد جودة، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس 1969، ص 139.

(3) ابن أبي الضياف : المصدر السابق، ص 180.

(4) الهادي الوسلاطي : المقال السابق، ص 170.

توسكانيا ،والبندقية ،وجنوة خلال الفترة (1678-1694) ،وهذه الاتفاقيات أقرت بضرورة الحد من القرصنة ،لكن الحكومة التونسية لم تلتزم بهذا البند ،ووجدت نفسها مرغمة على عدم تطبيقه ؛لأنها لو فعلت وانقطعت القرصنة ،لجازفت بأمر حيوي للاقتصاد التونسي ،ورغم معرفة الدايات بالمعاهدات المبرمة بين الإمبراطورية العثمانية ،والمدين الإيطالية ،إلا أنهم يرفضون تطبيق البنود ،التي لا تستجيب لمصالحهم ،خاصة منها المتعلقة بالقرصنة ⁽¹⁾. لذلك كان ملوك سردينيا ،ونابولي ،وتوسكانيا ،جنوة ،والبندقية ،والبابوية ،والقوى التي لم تكن لها معاهدات دائمة مع باي تونس ، كانت معه في كثير من الأحيان في حالة حرب ⁽²⁾.

وحتى نهاية القرن 18 م كان هناك أيضا عدد كبير من الأسرى المسيحيين في تونس ؛خاصة جنوة طبرقة ،وبندقين ،ونابوليتانيين ،وصقليين ،ومالطيين ،افتدي بعضهم وحرر بعضهم من طرف أسيادهم ،وبقي البعض منهم في تونس ⁽³⁾. ونتيجة لهذه الوضعية المتمثلة في القرصنة ،وعدم احترام تونس للمعاهدات الأوربية الموقعة مع الإمبراطورية العثمانية ،فإن بعض الدويلات الإيطالية توجهت إلى محاولات لبناء نظام معاهدات مع تونس بعيدا عن وساطة الإمبراطورية العثمانية ⁽⁴⁾. ونتيجة لذلك فإن علاقات تونس مع الدويلات الإيطالية قد تنوعت ،واختلفت من دولة إلى أخرى ،ويمكن أن نفصل تلك العلاقات في المضامين التالية :

أ- علاقات تونس التجارية مع ليفورن من 1705م إلى 1756م :

إن العلاقات التجارية بين ليفورن Livourne ،ودول شمال إفريقيا بما فيها إيالة تونس خلال القرن 18م ، كانت تتوقف على السفن التجارية التي تربط بين الطرفين ،حيث كان التجار الليفورنيون يستخدمون سفنا أجنبية في تجارتهم ،منها السفن الفرنسية والإنجليزية والهولندية ،وسفن جمهورية البندقية في حالات السلم ⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ محي الدين التبيني :المصادر الوثائقية لدراسة العلاقات بين إيالة تونس والمدن - الدويلات الإيطالية خلال الفترة الحديثة (1748-1861) ،رسالة ماجستير غير منشورة ،إشراف :أبو بكر الصادق ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة تونس الأولى 2005/2004 ،ص 305.

⁽²⁾ J.J.Marcel : **Histoire et Description de la Régence de Tunis** , firmin didot frère éditeur , France 1907, p 125.

⁽³⁾ Dense Brahimi : **Voyage dans la Régence de Tunis au 16-19 siecles** édition cartaginoisiers , Tunisie 2016 , p 146.

⁽⁴⁾ محي الدين التبيني :المرجع السابق ،ص 307.

⁽⁵⁾ جون فليبي : ليفورن و شمال أفريقيا خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، في م . ت . م ، العدد 7 - 8 ، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، القسم العربي ، تونس 1977 ، ص 126.

لقد كانت ليفورن على العموم المصدر الأوروبي الثاني بعد مرسيليا ،التي تأتي في الدرجة الأولى ، بالنسبة لتونس ،وقد احتلت المواد الأولية مكانة أساسية بنفس الدرجة التي كانت عليها المنتوجات الصناعية ،ويبدو أن المنتوجات الكمالية لعبت دورا لا يستهان به في تجارة الطرفين . أما بالنسبة للصادرات التونسية إلى ليفورن ؛فتمثلت في المواد الأولية مثل :الصوف الذي كانت أهميته تزداد يوما بعد يوم طوال القرن الثامن عشر كله ،وكذلك القطن والحرير ،وزيت الزيتون والشمع والجلود ،والمعادن إضافة إلى المواد الأولية التي تستخدم في الصناعة الكمالية ،مثل :الريش والمرجان ⁽¹⁾.

ومن خلال جداول الرقابة على الموانئ المتوفرة حول ميناء تونس ،والتي وردت عن قنصل فرنسا في تونس ،يمكن أن نقيّم الأهمية المتزايدة لسبائك المعادن الثمينة ،والنقود والكمبيالات للواردات في سوق ليفورنو ،في حين أن البضائع كانت بدأت تتقلص نتيجة لتقلص السوق في ليفورنو .وقد تحكم في هذه التجارة اليهود -التجار الليفورنيون - مع إخوانهم اليهود بتونس ،ومثال ذلك حالة علاقات وكلاء مفوضين ،وقد احتلت هذه العلاقات أهمية كبيرة ⁽²⁾.

ومن المتعارف عليه بخصوص التجارة التونسية مع الأقطار الأوربية خلال القرن 18م ،أن مدينتين رئيسيتين كانتا تتوليان تجارة الإيالة التونسية مع أوروبا ،واحدة منهما هي ليفورن ،فقد كانت الآلات الحديدية والمنسوجات الإنجليزية ،وأصواف إسبانيا والزنجفر البرتغالي ،إضافة إلى مواد أخرى كالسكر والقهوة ؛كل هذه المنتوجات كانت تمر إلى الإيالة عبر هذه المدينة .فتونس لم تكن لها بحرية تجارية ،لذلك فهي في حاجة إلى المرور عبر وسائط ؛الأمر الذي يرفع من كلفة البضائع الموردة ⁽³⁾.

كانت البضائع المستوردة في تونس تخضع إلى معالم قمرقية ،متناسبة طردا مع قيمة البضاعة ، ولكن مختلفة من صنف التجار المستوردين إلى صنف آخر .وقد كان تجار القرنة اليهود مثقلي الكاهل بضريبة تتراوح عادة بين 9 % و 11 % من قيمة البضاعة ،وذلك لكونهم لا يتمتعون بحماية سياسية ،ولا معنوية تحفظ جانبهم .وقد كان اليهود الأوروبيون القرنين (الليفورنيون) يتعاملون أساسا مع إيطاليا (القرنة -جنوة ...) ،ويبدو أنه منذ القرن 18م ،اشتغلوا كوسطاء بين الرأسمالية الماركنتية الأوربية ،والسوق التونسية ؛يغتزمون فرصة الحروب الأوربية ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ جون فليبي: المقال السابق ،ص 124.

⁽²⁾ المقال نفسه ،ص 126.

⁽³⁾ علي الشنوفي : المقال السابق، ص 13.

⁽⁴⁾ محمد الهادي الشريف : الواردات والمستوردون بتونس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (من خلال وثائق القمارق التونسية) ، في ك. ت. العدد 137-138، تونس 1986 ، ص ص 75-80 .

ورغم أن علاقات الإيالة التونسية مع ميناء ليفورن الإيطالي ، طبع عليها الجانب التجاري ، إلا أننا نجد أسرى تونسيين في مدينة ليفورن ، فتشير بعض المصادر إلى أنه في 31 ماي من سنة 1747م وفي مدينة ليفورن ، كان عدد العبيد المغاربة الموجودين في سجون الأشغال الشاقة ، حيث كانوا يقدرون ب 250 عبدا ؛ منهم 58 تونسيا أي بنسبة 23.6 % ⁽¹⁾ . ربما يعود ذلك إلى أن ليفورن ؛ هي مدينة من توسكانيا ، والتي لم توقع معها تونس معاهدة سلام ، إلا في سنة 1749م .

ب- علاقات متقلبة تونس مع جمهورية جنوة من 1705م إلى 1756م :

استولى أحد القراصنة التونسيين في 19 أفريل من سنة 1710م في مياه جنوة على مركب شراعي ملك الفرنسي جوزيف مورال دي مارتيف Joseph Maurel du Martigues ، كان على ظهره خمسة عشر راكبا ، واقتيد المركب إلى ميناء بورتو فارينا (غار الملح) . ورغم تدخل القنصل الفرنسي لتحرير المركب إلا أن المجلس الحربي للإيالة التونسية اعتبره جنوبيا ، وطالب الباي حسين بن علي بعشرين ألف ريال مقابل تحريره ⁽²⁾ .

ومن جهة أخرى ، قام قرصان جنوي في شهر مارس من سنة 1716م باسترقاق خمسة وسبعين تونسيا ، من بينهم ثماني نساء بما في ذلك زوجة أخي الباي حسين بن علي ، وذلك بسردينيا و نابولي ؛ عندما غرق مركب فرنسي ، يملكه العرف اقيتون Aguiton ، جنوبي جزيرة سردينيا وكان على متنه مائتا حاج ميممين شطر مكة المكرمة . وفي 15 أوت من سنة 1718م استولى راييس تونسي على بضائع كانت ملكا لركاب جنويين وكاتالونيين ، كانوا على مركب فرنسي يدعى سان أنطوان دي بادو Saint Antoine de Padoue ⁽³⁾ .

وفي 15 أوت سنة 1729م اختطفت غليوطة من تونس كان يقودها القرصان التونسي شعبان راييس 07 جنويين ؛ كانوا يصطادون المرجان في سواحل البروفانس . وتم نقل الأرقاء على ظهر مركب إنجليزي كان يشحن القمح من الجزائر إلى تونس ، ووعد الباي بتسليمهم للقنصل الفرنسي ، إذا أثبتت الأدلة أنهم اختطفوا على بعد عشرة أميال من سواحل البروفانس . وتم تحرير كل الأرقاء الجنوبيين في 15 جوان من سنة 1730م بعد تدخل القنصل الفرنسي بينون Pignon ⁽⁴⁾ .

⁽¹⁾ سلفاتوري بونو : المقال السابق ، ص 117 .

⁽²⁾ المختار باي : المرجع السابق ، ص ص 589-591 .

⁽³⁾ المرجع نفسه ، ص 661 .

⁽⁴⁾ نفسه ، ص ص 645-647 .

ورغم حوادث القرصنة ضد رعايا كل من تونس وجنوة ، فقد أشار أندريه بيسونال André Peyssonel عند زيارته إلى تونس في سنة 1724م إلى علاقات دبلوماسية متينة بين تونس وجنوة ، عندما تكلم عن زيارته للخنزدار في بيته ، رفقة كل من قنصل فرنسا وهولندا وجنوة ؛ السيد جون بوقو Jean Bogo ، وهو من عائلة نمساوية الجنسية وجنوية الأصل ، تداول أفرادها على هذه المهمة الدبلوماسية إلى غاية الوحدة الإيطالية . ((لقد كنا صحبة السادة قناصل فرنسا وهولندا وجنوة ، وفي الصباح كنا نأكل على الطريقة الفرنسية ويقوم بخدمتنا خدمنا ، وفي المساء كنا نتعشى مع الخنزدار على الطريقة التركية))⁽¹⁾.

ومن بين العائلات الأوربية التي ربطت علاقات متينة مع السلطة التونسية خلال القرن الثامن عشر ، والتي استطاعت الانصهار في المجتمع المحلي التونسي ، محافظة على خصوصياتها الثقافية ؛ ومنها عائلة بوقو Bogo ، التي تواجدت في طبرقة مع بداية القرن الثامن عشر ، إلى تاريخ هدم المحطة التجارية من قبل علي باشا في سنة 1741م . وتواصلت رغم ذلك إلى غاية القرن التاسع عشر ، في الاحتفاظ بمهامها الدبلوماسية كقنصل لجمهورية جنوة . وكانت هذه العائلة ممثلة في شخص جان أنجلو بوقو Jean Bogo Anjgou ، قنصل جنوة بإيالة تونس ، والذي لعب دور الوسيط في المعاملات التجارية ، بين السلطة المركزية ، وبلدان الضفة الشمالية للمتوسط . إذ كان من بين أهم رفقاء الباي في بداية القرن الثامن عشر ؛ حيث كان يشتري منه كل المنتوجات الفلاحية ، التي يحتكر بيعها مثل : الحبوب ، والزيت ، ويقوم بشحنها ، وتوزيعها ؛ إلى جانب دوره البارز في فدية أسرى القرصنة من الجنوبيين في تونس⁽²⁾.

كما لاحظ بايسونال أن السفن البحرية التونسية في سنة 1732م ، تشكل خطرا كبيرا على سفن الشحن التجارية التابعة للإسبان ، والبنادقة وبعض الدول الأوربية الأخرى ، إضافة إلى وجود عدد كبير من الأسرى البنادقة والإسبان ؛ باستثناء وجود أسرى تابعين لجمهورية جنوة ، وقد أرجع ذلك إلى وجود معاهدة سلم بين تونس وجمهورية جنوة⁽³⁾.

⁽¹⁾ أندريه بيسونال : الرحلة إلى تونس سنة 1724 ، ترجمة وتحقيق: محمد العربي السنوسي ، ط 1 ، مركز النشر الجامعي ، تونس 2003 ، ص 45 .

⁽²⁾ المهدي جراد : عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881 ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس 2011 ، ص 83 .

⁽³⁾ أندريه بيسونال : المصدر السابق ، ص 119 .

علاقات تونس التجارية مع جمهورية جنوة :

أما عن العلاقات التجارية بين التونسيين والجنوبيين في جزيرة طبرقة ، فيقول السيد بايسونال عند زيارته للجزيرة ((... تضم الجزيرة الجنوبيين الذين يتاجرون مع أهالي البلاد ، وحيث يقومون بصيد المرجان ، ويدفع المصرف الذي تقوم بهذه التجارة ؛لزمة لباي تونس وتمنح بعض أكياس المرجان لداي الجزائر ، لتأمين سفن صيادي المرجان بالجزيرة ، وتمنح أيضا بعض اللزم للقبائل المجاورة للجزيرة ليتعهد العربان ، بعدم إلحاق أي ضرر بالتجار الجنوبيين ...))⁽¹⁾.

كما أضاف بايسونال في كلامه عن تجارة الجنوبيين في الجزيرة بقوله : ((إن تجارة هذه الجزيرة شبيهة بتلك ، التي نقوم بها في كاب نقرو -يقصد الفرنسيين- وإنها تتمثل في القمح ، والشمع ، والجلد ، والزيت ، والصوف ، الخ ... وهذه التجارة الجنوبية ، تلحق ضررا جسيما للتجارة ، التي يقوم بها الفرنسيون في كاب نقرو))⁽²⁾.

علم الفرنسيون المتواجدون بالقرب من الجزيرة في مركز الرأس الأسود ، أن ملاك جزيرة طبرقة الجنوبيين يودون بيعها ، فتحوفوا من المنافسة الإنجليزية في المنطقة ؛ نظرا للموقع الاستراتيجي للجزيرة القريب من مركز الشركة الأفريقية التجارية ، في ميناء تامكرت ، ومن جهة أخرى كانت فرنسا تنظر للجنوبيين بعين الحسد بسبب الأهمية التجارية للجزيرة لذلك كانت لهما مطامح فيها⁽³⁾.

وقد أشاد القنصل الفرنسي في تونس بيار جون بينيون Pierre Jean Pignon لوزير الحرية الفرنسي موروبا Maurpas بأهمية الجزيرة الاستراتيجية والتجارية لفرنسا ، فمنذ سنة 1728م قررت عائلة لوميليني Lomelléni ؛التنازل عن سيادة مركز طبرقة التجاري ، و لأجل ذلك بدأت في سنة 1732م مفاوضات جدية بين الحكومة الفرنسية و جاك لوميليني Jack Lomelléni ، الذي أبدى استعدادا لبيع الجزيرة للشركة الفرنسية ، حيث توصل المفاوض المارسييلي فوقاس Fougas إلى اتفاق مع الجنوبيين في سنة 1741م⁽⁴⁾.

إن تعامل عائلة لوميليني مع فرنسا ، ومحاولة بيع الجزيرة ، وتجاهل باي تونس كان له نتيجة سلبية على ملكية الجنوبيين للجزيرة ، فقد كلفهم فقدانها ، ومحاولة بيعها كانت سببا في استرجاعها من طرف

⁽¹⁾ أندريه بيسونال : المصدر السابق ، ص 146 .

⁽²⁾ المصدر نفسه .

⁽³⁾ Alphonse Rousseau : **Annales Tunisiennes ou aperçu sur la Régence de Tunis**, édition Bouslama , Tunis 1980, p p 124-126.

⁽⁴⁾ Ibid.

التونسيين⁽¹⁾. وتشير بعض الكتابات إلى أنه وجد في جزيرة طبرق مركز تجاري لعائلة لوميلني الجنوبية ، وهي الآن تريد بيعه . ولكن هذه العائلة لا تملك حق البيع لأنها لا تملك شيئا في تلك الجزيرة ، وكل ما حصلت عليه هو حق ممارسة صيد المرجان ، وممارسة التجارة في هذه الجزيرة فقط⁽²⁾.

وقد أورد أندريه بايسونال في رسالة وجهها إلى الكونت دي موروا Maurepas le conte du ؛ يصف فيها وضع الجنوبيين في الجزيرة ، بقوله : ((لقد تيقنت من أن السادة لوميلني ، وقد يؤسوا من جزيرتهم ، يكونون ممنونين لو توصلوا إلى بيعها ؛ وذلك لأسباب عديدة ؛ فنظرا إلى سياسة باي تونس القاضية بالإشراف بنفسه على تجارة مملكته ، تجعله لا يسمح لكاب (يقصد الرأس الأسود) ، ولا لطبرقة بالإتجار بحريا وهناك إمكانية لبيعهم الجزيرة للإنجليز))⁽³⁾.

وحسب بعض الكتابات أن علي باشا علم بموضوع البيع ، وأخبر الجزائر بهذا الموضوع ، وحينما حصل على أمر المحالفة والاتفاق معها ، أرسل ابنه يونس بك على رأس ثماني قليونان إلى جزيرة طبرق ، وهاجم بحارة الجزيرة ودمر جميع المراكز والمؤسسات التجارية فيها ، وأسر منها ثمانمائة شخص⁽⁴⁾.

لقد تميزت سياسة علي باشا بشيء من الشدة والتأكيد على السيادة الترابية ، ففي صائفة سنة 1741م افتك مركز التجارة طبرقة من الجنوبيين ؛ فقد كان الجنوبيون يتعاطون تسويق الحبوب وصيد المرجان ، وذلك في شكل لزمة يحصلون عليها من السلطة المركزية . وربطوا علاقات تجارية هامة مع المجموعات القبلية المتاخمة للمحطة . وكانت لهذه العلاقات التبادلية أهمية قصوى بالنسبة إلى أهالي الجهة⁽⁵⁾. وقد عبر ابن أبي الضياف عن ذلك بقوله : ((... خالط الجنوبيون أهل الجبال القرية منها - يقصد جزيرة طبرقة - مثل خمير وهنتانة وعمدون ونفزة وغيرهم ، يحملون إليهم من الحبوب والفواكه وغيرها ، ويكسبون منهم المكاسب الذريعة ...))⁽⁶⁾.

لقد كانت الشركة الفرنسية المتمركزة في كاب نيقرو ، تطمح إلى احتلال مرسى طبرقة ، فلما علم علي باشا بذلك استولى على هذا المركز وخربه ، ونصَّب به حامية عسكرية لحراسته . أما بالنسبة للجنوبيين فقد استولى علي باشا على مرسى طبرقة ، وعلى جميع الجنوبيين المقيمين به قصد صيد

(1) ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ص 153 .

(2) سامح التر : المرجع السابق ، ص 493 .

(3) أندريه بايسونال : المصدر السابق ، ص 148 .

(4) سامح التر : المرجع السابق ، ص 493 .

(5) عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص 182 .

(6) ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ص 153 .

المرجان عملا باتفاق سابق .ووضع بالجزيرة حامية عسكرية دائمة في قلعة محصنة ،بحجة أن الجنويين تجاوزوا المساحة المرخص لهم بالبناء فيها ،بيد أنه كان يريد من وراء ذلك إجلاء هؤلاء التجار البعيدين عن نظره ،وفرض مراقبة محكمة على جميع العمليات التجارية مع أوروبا ؛المتعلقة بالحبوب واحتكار الإتاوة ،التي كان يستخلصها مقابل إعطاء رخص تصدير الحبوب ⁽¹⁾.

وبذلك فقد استولى علي باشا في صائفة سنة 1741م على مركز الجنويين بطبرقة ،وأسر جالياتها الأجنبية بأكملها ،ووضع حدا للوجود المسيحي في تلك البقاع بعد أن تواصل قرنين كاملين من الزمن في تونس ⁽²⁾.وبذلك عمل على توقيف الاتجاه نحو ربط علاقات مباشرة مع سكان المنطقة ⁽³⁾.وبعد ذلك نقلهم إلى تونس ،وخيرهم بين الاستقرار في الإيالة ،أو العودة إلى بلدهم ، وذكر ذلك صاحب المشرع الملكي بقوله : ((...ولما استقرت نصارى طبرقة بتونس ،واستأنسوا بها ،ووقع الصلح بين علي باشا والجنويز ،بعث لهم وهم بتونس تحت ملكه ،إن أردتم أن تسافروا إلى بلدكم جنوة ، فسافروا .فسافر منهم أناس إلى جنوة ، فلم يتركوهم يدخلوا إليها ، وعينوا لهم جزيرة في البحر ...قريبة من جنوة ،فندموا على خروجهم من تونس ،أما الذين لم يذهبوا ،فلما سمعوا بأمرهم مكثوا في تونس)) ⁽⁴⁾.وبعد فترة من الاستقرار للجنويين بالساحل التونسي ؛دامت القرنين من الزمن ،انتهى الوجود الجنوي في جزيرة طبرقة نهائيا .

ج- علاقات تونس مع جمهورية البندقية من 1705م إلى 1756م :

1- محاولة البندقية عقد اتفاقية مع إيالة تونس :

عقد سلطان الدولة العثمانية صلحا مع جمهورية البندقية في سنة 1707م ،وأرسل فرمانا إلى أوجاقات الغرب ؛يعلمهم بهذا الصلح وبموجبه تعهد لهم بالسماح لسفن البندقية ورعاياها ، وتجارها بالتحرك ضمن ممتلكات الدولة العثمانية ،وبعدم مهاجمتها ، وفي سنة 1717م عقدت الدولة العثمانية معاهدة صلح أخرى مع جمهورية البندقية ، والتي نصت على حرية الملاحة للسفن البندقية في السواحل العثمانية ،وطلبت الدولة العثمانية من الأوجاق المغاربية احترام ذلك ، وقد كانت أوجاق

(1) عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص 182 .

(2) محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ، ص 85 .

(3) عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب ، ج 3 ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء 1999 ، ج 3 ص 69 .

(4) الصغير بن يوسف : المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي ، تحقيق أحمد الطويلي ، ج 4 ، ط 1 ، المطبعة العصرية ، تونس 2009 ، ج 2 ص ص 190-191 .

الغرب في حالة خصام وحرب شديد مع البندقية ،التي كانت تدرك ذلك جيدا ⁽¹⁾.

وقد ظلت جمهورية البندقية إلى غاية العشرينات من القرن 18م ،تستتر لحماية تجارتها ورعاية مصالحها ،وراء المعاهدات المبرمة بينها وبين الدولة العثمانية ،حيث أقرت تلك المعاهدات بسريان نصوصها على مختلف الولايات العثمانية .وفي سنة 1720م عازمت البندقية على عقد اتفاق مع كل من تونس والجزائر ؛على أن يتوسط الباب العالي في مساعيها ،فأوفدت الدولة العثمانية مبعوثا إليهما ؛وكانت مهمته تتلخص في الطلب من الحكومتين إرسال شخصيات مسؤولة بشأن التفاوض مع ممثل جمهورية البندقية لدى الباب العالي ،لكن المفاوضات فشلت بسبب معارضة التجار البنادقة تحمل مصاريف المفاوضات ⁽²⁾.ومن جهة أخرى كان التجار البنادقة لا يثقون في وعود المغاربة ⁽³⁾.

وفي سنة 1732م لاحظ الرحالة بايسونال ،أن القوة البحرية التونسية قليلة الأهمية ؛لا تتجاوز بعض السفن الحربية بمرسى غار الملح ،وهي من نوع الغليوطات ،وهي تشكل خطرا على السفن التجارية وعلى سفن الشحن الصغيرة ،وهو ما يمكنها من الحصول على غنائم من الإسبان والبنادقة ،والإيطاليين وبعض السفن الأوربية ،ونجد كثيرا من الأسرى البنادقة ⁽⁴⁾.

وقد تواصل تهديد ملاحه البندقية البحرية من طرف القراصنة المغاربة —خاصة التونسيين —مما أثار حفيظة مجلس شيوخ البندقية ،وهذا ما جعله يحتج أمام وزير العلاقات الخارجية العثماني ،رايس أفندي ،لكنه لم يجد صدى لدى السلطان العثماني ⁽⁵⁾.ففي سنة 1733م هاجم البنادقة ثلاث سفن تابعة للقراصنة التونسيين كانت متوجهة إلى ميناء متيليني Métillini بالأدرياتيك ،وأعادت الكرة مرة أخرى في سنة 1735م ،وكانت الغلبة للسفن البندقية ،حيث تم تحطيم السفن التونسية ⁽⁶⁾.

وفي شهر ماي من سنة 1745م قدم إلى البندقية التاجر اليهودي التونسي مانويل دافيد مونتال David Montal ،وقام بشراء بضائع متنوعة (حديد ،وفولاذ ،وخشب ،قطع زجاجية) ،بقيمة كلية قدرها 150000 دوقية ،ونقلها إلى تونس على متن سفينة بندقية ،وكان مانويل يحمل إذن المرور من باي تونس ،وبفضل هذه السفينة التي تنتمي إلى أمة ليست للباي أية معاهدة سلام معها .استطاعت

⁽¹⁾ عزيز سامح التر : المرجع السابق ، ص ص 458 ، 480 .

⁽²⁾ عائشة غطاس : المقال السابق ، ص ص 94-108 .

⁽³⁾ محي الدين التبيني : المرجع السابق ، ص 308 .

⁽⁴⁾ أندريه بايسونال : المصدر السابق ، ص 119 .

⁽⁵⁾ محي الدين التبيني : المرجع السابق ، ص 308 .

⁽⁶⁾ A Sogerdoti: opcit ,p p 273-296.

أن تدخل إلى تونس بدون حساب خطر القراصنة التونسيين⁽¹⁾.

وفي العام التالي أي في سنة 1746م عاد التاجر اليهودي التونسي مانويل مونتال إلى البندقية ،من أجل شراء بضائع أخرى ،وسلم رسالة إلى مجلس الخبراء الخمسة للتجارة ،من الوزير الأول لباي تونس ،يقترح على جمهورية البندقية خلاصة معاهدة سلم وتجارة مع إيالة تونس ،مقابل دفع 50000 ريال ، لكن مجلس الخبراء الخمسة للجمهورية أجاب الوزير التونسي ،بأن مجلس الشيوخ هو الوحيد الذي له الحق في الحكم في هذا الأمر⁽²⁾.

2- حملة البندقية على صفاقس سنة 1747م وأثرها على علاقات الطرفين:

تشير بعض المصادر التونسية أن علي باشا أعلن الحرب على البنادقة ،وقد كانت سفنهم تستغل الملح بمناطق زوارة ،بموجب اتفاق بين البندقية وطرابلس ،حيث أمر علي باشا أهل صفاقس بالتوجه إلى رأس المخبز ،فإذا وجدوا سفن البلبنسيان (البنادقة) تشحن بالملح ،تربصوا بهم حتى يخرجوا فيهمجوا عليهم،فغنموا منهم مغنم كثيرة،لذلك أصبحوا لا يأتون إلى طرابلس إلا بقوة بحرية كبيرة⁽³⁾.

وفي سنة 1747م جاء مركبان من البندقية إلى صفاقس في غاية الكبر والمنعة ،فأمر علي باشا البحارة التونسيين بالتوجه لملاقاتهم على متن ثماني سفن ،فلما سمع البنادقة بأمر التونسيين ، استعدوا لهم وربطوا إحدى السفينتين بالأخرى ؛حتى يمنعوا التونسيين من المرور بينهم ،وبدأ الرمي من الطرفين حتى امتلأت السماء بالدخان من شدة القذائف ،حتى صار النهار ليلا ،ولم يتغلب أحدهما على الآخر ،وقتل من التونسيين أربعون ،وجرح منهم ستون أما البنادقة فمثل ذلك أو يزيد⁽⁴⁾.

وكان رجوع البحارة التونسيين إلى مدينة صفاقس في آخر يوم من شهر شعبان من سنة 1159هـ ؛الموافق ل 25 سبتمبر من سنة 1747م .ونتيجة لواقعة رأس المخبز وأثرها على البندقية ، لجأت الجمهورية إلى توقيع الصلح مع إيالة تونس⁽⁵⁾.

وفي السنة نفسها ،وبسبب غلطة قبطان سفينة بندقية اسمه كابارازولو Caparazzolo ،توجه إلى تونس بسفينته ،فزوده الباي بإذن المرور لتحميل 45 برميلا من الزيت ،وهي ملك للباشا قائد الحرس ،ليبيعها في البندقية ،وفي طريقه أصاب سفينته عطب بسبب ثقب في أسفلها ،فتوقف القبطان

(1) A Sogerdoti: opcit ,p p 273-296.

(2)Ibid.

(3) محود مقديش : المصدر السابق ،ص 215 .

(4) المصدر نفسه .

(5) نفسه ،ص 216 .

البندقي في جزيرة مالطة لإصلاح سفينته ،فباع زيت الباشا هناك واحتفظ بثمنه والفائدة .ولما تأخر اشتكى باي تونس به عند مجلس الخبراء الخمس للتجارة في جمهورية البندقية ،الذي حكم على القبطان البندقي كابارازولو بالسجن سبعة أشهر⁽¹⁾.

وقد وقعت تونس في سنة 1749م مع توسكانيا معاهدة سلم وتجارة .وفي نفس العام هاجم القراصنة التونسيون سفينة بندقية في المياه الإقليمية التوسكانية ،بقيادة القبطان البندقي زامبيلا Zambella .ونتيجة لهد الأفعال بدأ مجلس الشيوخ يفكر في مشروع لعقد معاهدة سلم مع تونس منذ سنة 1751م ،وستكون أول مهمة لتنفيذه في سنة 1753م ،حيث أرسلت البندقية روزاليم ، للتفاوض مع تونس بشأن معاهدة سلم ،لكن المحاولة لم تنجح ،بسبب معارضة القراصنة التونسيين واليهود الذين كانوا يسيطرون على التجارة في الإيالة⁽²⁾. ذلك أن مجلس الحكماء الخمس قرر عقد معاهدات مع الدول المغاربية ،بعد فشل السلطان العثماني في إجبارها على توقيع اتفاق مع الجمهورية .فقرر مجلس الحكماء التفاوض مباشرة مع كبار المسؤولين فيها .وكلف نيكولا روساليم Nicolas Rosalem ،الذي كان يشغل منصب قنصل للبندقية بأزمير ،بالتوجه إلى الجزائر ،ثم تونس ، وطرابلس⁽³⁾. وستكون هذه بداية التوجه الفعلي للبندقية لتوقيع اتفاقية سلام مع تونس .وهذا ما سنبحثه في المبحث الثالث ،من هذا الفصل .

د- علاقات تونس مع مملكة نابولي وصقلية من 1705م إلى 1756م :

إن علاقات تونس مع صقلية تتمحور أساسا حول صيد المرجان والقرصنة ،فقد بدأت العلاقات بين الطرفين طيبة منذ بداية القرن الثامن عشر ،ثم توترت بعد سنة 1715م ،وكان الباي حسين بن علي قد منح الصقليين حق صيد المرجان في جزيرة جالطة في سنة 1707م ،حيث وضع الصيادون أنفسهم تحت حماية قنصل فرنسا السيد أوليفي Olivier ،وفي سنة 1709م أقر الباي مرة أخرى حق الصقليين ،على أن يتعاطى هذه التجارة ستون مركبا مقابل دفع 4000 ريال ؛لكنهم لم يدفعوا المبالغ المطلوبة ،فأرسل الباي في سنة 1713م ،يهوديا للتفاوض مع الصقليين بخصوص دفع الإتاوات المستحقة .وعلى إثر ذلك قدم إلى تونس مندوب صقلي هو السيد دومينيك سابوريتا Dominique Saporita ،الذي وقع معاهدة مع الباي في سنة 1713م ، أعطت للصقليين رخصة

⁽¹⁾A Sogerdoti: opcit, p 286.

⁽²⁾Ibid, pp 287-293.

⁽³⁾ محي الدين التبيني : ،المرجع السابق ،ص 310 .

صيد المرجان ما بين بنزرت والوطن القبلي ،شريطة أن تودع البضاعة بينزرت ،وتباع إلى التاجر اليهودي بثمان يضبط مسبقا⁽¹⁾.

استمر الصقليون في صيد المرجان بالسواحل التونسية ،إلى أن تم طردهم في سنة 1715م من رأس رو الذي أعيدت ملكيته للشركة الفرنسية .فتوترت العلاقات بين الطرفين ،حيث حاول مركب صقلي في أوائل شهر أكتوبر من سنة 1715م ،اختطاف مواش من الوطن القبلي ،ولكنه وجد مقاومة من العرب .وزادت العلاقات توترا إثر استرقاق 75 تونسيا من طرف جنوي بالقرب من سردينيا ونابولي في مارس من سنة 1716م ،ثم جاءت قضية اختطاف مائة حاج تونسي ،الذين غرق مركبهم الفرنسي جنوبي سواحل جزيرة سردينيا .وهكذا سلط الباي ضغوطه على نابولي ، حيث نشطت القرصنة التونسية ضد سواحل نابولي وصقلية ؛خاصة في سنتي 1717م ،1718م⁽²⁾. وتستمر العلاقات عدائية بين تونس ،ومملكة نابولي وصقلية طيلة القرن الثامن عشر ،وحتى نهايته ،حيث تحاول كل من نابولي وصقلية عقد معاهدات سلام مع تونس .وهذا ما سنبحثه في المبحث الثالث من هذا الفصل .

ومما سبق يمكن القول :

— إن علاقات الإيالة التونسية مع دويلات شبه الجزيرة الإيطالية خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ،اختلفت ،وتنوعت من دولة إلى أخرى ،ويعود ذلك التنوع إلى اختلاف العوامل ،التي تحكمت في تلك العلاقات التي ربطت بين الطرفين .

— تميزت العلاقات السياسية بين تونس ومالطة خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ؛ بالعداء المتواصل ،وهذا في حقيقة الأمر يعود إلى العوامل التاريخية والدينية ،وإلى الظرفية التي ميزت منطقة الحوض الغربي من البحر المتوسط ،خلال القرن السادس عشر ،والمتمثلة في الصراع الإسلامي-المسيحي ،فقد حافظت مالطة على عدائها للدول الإسلامية ؛بما فيها الإيالة التونسية ،لذلك نجد أن القرن بكامله كان عبارة عن حملات مالطية على تونس ،وقرصنة متبادلة في الحوض الغربي للمتوسط .

(1) المختار باي : المرجع السابق ،ص 660 .

(2) المرجع نفسه ،ص 661 .

- غير أنه بالرغم من حالة العداء المستمر ،فقد كانت هناك علاقات للتواصل بين التونسيين والمالطيين ؛ تمثلت في العلاقات التجارية غير الرسمية ،التي كان تجار الطرفين يقومون بها إلى الموانئ التونسية ،ونظيرتها المالطية ،طيلة القرن 18 م .

- أما بالنسبة للدويلات الإيطالية ،فقد اختلفت علاقات الإيالة التونسية معها ،وتباينت من دولة إلى أخرى ،بين السلمية والعدائية ،وذلك يعود إلى طبيعة المصالح التجارية من جهة ،وإلى السياسات الخارجية للطرفين من جهة أخرى .فعلاقات الإيالة التونسية مع جمهورية جنوة خلال القرن 18م،فقد تأرجحت بين السلمية والعدائية ،فوجد القرصنة بين الطرفين أحيانا ،وعلاقات تجارية أحيانا أخرى ،تعود إلى المرحلة السابقة خلال القرنين 16م ،و17م ،ولكن تلك العلاقات التجارية في تونس ستكون نهايتها مأساوية في سنة 1741م في عهد علي باشا .

- أما ميناء ليفورن الميناء التوسكاني ،فقد ربطته بالإيالة علاقات تجارية بحتة ،وكانت ليفورن هي ثاني أهم متعامل تجاري مع تونس من بين المتعاملين الأوربيين ،وكانت هي المصدر والمورد لكثير من السلع من وإلى الإيالة ،ويعود ذلك إلى دور اليهود الليفورنيين في تلك العلاقات خلال القرن 18م .

- أما جمهورية البندقية فقد حاولت طيلة النصف الأول من القرن 18م ؛عقد اتفاقيات مع الإيالة التونسية ،لكنها فشلت في ذلك ،لذلك ميز نشاط القرصنة المتبادلة علاقات الطرفين ،التي اتسمت بالعدائية خلال النصف الأول من القرن 18 م .

- أما مملكة نابولي وصقلية ،فقد حاولت عقد اتفاقيات مع تونس مع بداية القرن 18م ،من أجل الحصول على امتيازات تجارية ،لكنها فشلت بسبب تشجيع الطرفين نشاط القرصنة المتبادلة ، لذلك اتسمت علاقات الطرفين بالعدائية خلال النصف الأول من القرن 18 م .

فإذا كانت هذه هي طبيعة علاقات تونس مع الدويلات الإيطالية خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ،فكيف هي علاقات الطرفين خلال النصف الثاني من القرن نفسه ،وتحديدا الفترة (1756-1814)م ؟.

المبحث الثالث :

علاقات تونس مع مالطة والدويلات الإيطالية من 1756م إلى 1814م :

ظل يغلب على علاقات الإيالة التونسية مع مالطة العداء المستمر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ،إلى غاية ضمها من طرف نابليون بونابرت إلى الممتلكات الفرنسية ، وذلك لعوامل تاريخية معروفة ،ورغم ذلك فإن الطابع السلمي الاستثنائي المتمثل في تجارة العبور ، سيبقى موجودا رغم العداء ونشاط القرصنة والحروب المتبادلة بين الإيالة ونظام مالطة .وابتداء من سنة 1798م أصبحت جزيرة مالطة الوجهة المفضلة للتجار التونسيين .

أما بالنسبة للدويلات الإيطالية ؛ونقصد هنا بالذكر كلا من :جمهورية جنوة ،وليفورن ،وجمهورية البندقية ،بالإضافة إلى سردينيا ،ومملكة نابولي وصقلية ،فإن علاقات تونس معها قد تباينت كما سنرى في هذا المبحث من دولة إلى أخرى ،وتنوعت أيضا ؛حسب خصوصيات كل منها ،والعوامل التي تربطها مع تونس ،ذلك أن جمهورية جنوة وليفورن غلب على علاقاتهما مع الإيالة العلاقات التجارية المحضة ،في حين أن علاقات الإيالة مع جمهورية البندقية تميزت بالتنوع ،فنجدها تتأرجح بين المعاهدات ،والقرصنة المتبادلة ،والحروب المسلحة التي دامت سنوات ؛ونخص بالذكر الحرب التونسية البندقية (1784-1792) .لنتتهي في الأخير كل هذه المرحلة من العلاقات المتنوعة مع نهاية القرن الثامن عشر ،وبداية القرن التاسع عشر مع آخر مرحلة من عهد حمودة باشا ،بإبرام معاهدات سلام مع كل الدويلات الإيطالية ، ويمكن أن نحمل محتويات هذه الفترة في العناصر الآتية :

1- علاقات تونس مع مالطة من 1756م إلى 1798م.

2- علاقات تونس مع الدويلات الإيطالية من 1756م إلى 1814م.

لذلك نتساءل عن طبيعة تلك العلاقات التي جمعت بين تونس ودويلات شبه الجزيرة الإيطالية ، خلال النصف الثاني من القرن 18م ،إلى غاية سنة 1814م ،وعن أهم المظاهر التي ميزتها ؟ .

1- علاقات تونس مع مالطة من 1756م الى 1814م :

1.1- الحملات البحرية المالطية على تونس من 1770 إلى 1784:

شاركت وحدات من البحرية المالطية إلى جانب الأسطول الفرنسي المتوجه إلى تونس للقيام بحملة عسكرية في سنة 1770م ،بعد توتر العلاقات بين الطرفين بعد أزمة كورسيكا⁽¹⁾. وفي سنة 1775م هاجم قراصنة مالطة سفن تونسية كانت راسية بميناء حلق الوادي ،مما أحدث موجة عارمة لدى التونسيين من أجل مقاطعة النصارى أو الإفرنج ،وعارضوا تصدير الحبوب لهم⁽²⁾. وفي 18 جويلية هاجمت ثلاث سفن مالطية ،الإيالة التي كانت باستمرار في حالة حرب معها .استطاعت إطلاق النار على إثنين من القراصنة التونسيين ،وإغراقهم عند مرسى حلق الوادي ، وإحراق سفينتين كليا . وبعد هذه الغارة بيومين دعا علي باي القنصل الفرنسي دو سيزيو de Saizieu ،والقنصل الإنجليزي جيمس تريل James Traill في قصر باردو ؛وراجع معهم معاقبة مالطة ،وضرورة إيقافها تماما⁽³⁾ .

كما فتح فرسان مالطة جزيرتهم لتكون قاعدة لأساطيل البندقية في حربها مع تونس في سنة 1784م⁽⁴⁾. فقد استخدم الأميرال البندقي إيمو Emo الجزيرة كقاعدة للاستراحة ،ولأخذ المؤونة من الحين إلى الآخر ؛خلال شهر نوفمبر من سنة 1784م ،وخلال شهر سبتمبر من سنة 1786م ؛ كقاعدة لرسو أسطوله ،ومراقبة العمليات البحرية عن كثب⁽⁵⁾ .

1.2- القرصنة المالطية وأثرها على التجارة التونسية:

كان فرسان مالطة يفرضون يحظرا تجاريا على إيالي الجزائر وتونس ،ويعنعون أي نمو لأسطول تجاري ،أو لتجارة مباشرة للمسلمين في الأرض المسيحية ؛فالقراصنة المسلحون من قبل رهبنة فرسان مالطة يهددون بالفعل التجارة المغاربية عموما ،والتونسية على وجه الخصوص .ويقودون إلى مالطة حوالي 500 مسلم ؛أخذوا من عرض الشواطئ التونسية بين سنتي 1780م و1789م ،و468 مسلم بين سنتي 1790م و1798م أخذوا من خليج زوارة ومياه جزر جربة و قرقة ،وخليجا الحمامات

⁽¹⁾J.J.Marcel:opcit , p 193 .

⁽²⁾ عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص 49 .

⁽³⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p 188.

⁽⁴⁾ إبراهيم بن جمعة بلقاسم : الاقتصاد والمجتمع في الإيالة التونسية من 1861م إلى 1864م من خلال محاضر محاكم الجنايات والأحكام العرفية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس 2002 ، ص 49 .

⁽⁵⁾ ألفونسو روسو : الحوليات التونسية من الفتح العربي إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر ،تعريب :محمد عبد الكريم ،ط1 ، منشورات قاريونس ،بنغازي 1992 ،ص ص 252-254 .

وتونس ، ورأس سترات ، وهي كلها مناطق لنشاط القراصنة المالطيين ، وحضورهم في هذا الجوار يمنع التجارة الكبيرة ، ويعرقل الملاحة الشاطئية العادية ، وصيد الأسماك على طول الشواطئ التونسية ⁽¹⁾.

1.3- علاقات تونس التجارية مع مالطة :

كانت العمليات التجارية بين البلاد التونسية ، ومالطة تتم بواسطة طرف ثالث مثل البندقية ، أو فرنسا ، التي كانت تقوم بأغلب الرحلات التجارية ، أو تحصل بصفة مباشرة ، وقد كان لتجار من جربة ، وصفاقس ، وقرقنة ، وسوسة صلات بمالطة . كما كان التجار المالطيون يترددون على الموانئ التونسية ؛ ناشرين أعلامهم على سفنهم ، ولا يتمتع التونسيون في قبولهم ، ومن التعامل معهم ⁽²⁾.

كما كان للتجار التونسيين الصفاقسيين دور كبير في التجارة التونسية الشرقية ، ومن هؤلاء محمود الجلولي ، ومحمد السلامي ، وأحمد الخراط . وتشير بعض الوثائق إلى أن كلا من محمد السلامي وأحمد الخراط قد قبضا ما قيمته 39631 ريال تونسية من محمود الجلولي قائد صفاقس (1782-1801) ، على وجه القراض ⁽³⁾ ، ليتسوقا بها بضاعة تخرج من صفاقس إلى مصر ، وإن لم يجدا يتسوقا قمحا ويقدما به إلى مالطة أو ليفورن . كما تشير الوثائق إلى أن التاجر أحمد الخراط الصفاقسي بعث برسالة إلى حمودة باشا يعترف فيها أنه تسلم مال قراض من محمود الجلولي ، وأنه قد أذنه بأن يتوجه إلى مالطة أو القرنة بالحبوب ، التي اشتراها من مصر . لكنه عدل عن مالطة لأنه علم أنها سقطت في يد الفرنسيين ⁽⁴⁾.

لقد توسعت رقعة التجارة الشرقية التونسية ، لتشمل بعض المركز الغربية من أوربا . فقد أمر محمود الجلولي المتعاملين معه ؛ كما ينص عليه عقد القراض ، بالتوجه إلى مالطة أو القرنة بالقمح الإسكندري ، إن تعذر عليهما الرجوع إلى صفاقس بالبضائع المطلوبة بها . وقد دخلت مالطا في الدورة التجارية

(1) لوسيت فالنسي : المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر، المرجع السابق ، ص ص 76-77 .

(2) أحمد قاسم : المصدر السابق ، ص ص 324 .

(3) القراض أو المقارضة نظام تجاري قديم استمر على هيئته ، دون تغيير إلى أن تداوله التجار في تونس خلال القرنين 18م و19م حسب الطريقة التي سار عليها . والقراض شركة بين قارض وهو صاحب المال ، وعامل أو عاملين أو ثلاثة . وبعد استعمال هذا المال في دورة أو دورات تجارية ، يخصم رأس المال ويرجع إلى صاحبه ، ثم تقسم المرباح أنصافا ؛ النصف لصاحب المال والباقي للعامل أو العاملين به ، وفي بعض الحالات فقط تقسم المرباح أثلاثا ، الثلثان لرب المال والباقي لمن عمل به . ومن الشروط الأساسية أن يحافظ العامل على رأس المال الذي اتصل به ، ليرجعه إلى صاحبه سالما ، فإن لم يفعل وضاع رأس المال ، فالقول لصاحبه ، فأما أن يتسامح مع العامل به ، وإما أن يطالب باسترجاعه . والحالة الأولى تستدعي عادة الرجوع إلى سبب ضياع رأس المال ، فإن كان سببا قاهرا وقع التسامح . ينظر: علي الزواري : العلاقات التجارية بين تونس والشرق في القرن الثامن عشر من

خلال قضية قراض، في م. ت. م. ، العدد 29-30، تونس 1983 ، ص 215.

(4) المقال نفسه ، ص ص 215-218.

التونسية حديثا ،وعندما نقول التجارة التونسية ؛فإنما نقصد التجارة التي يتعاطاها التجار التونسيون ، وليس التجار المسيحيون .فقد صارت مالطة بعد أن هدأت عاصفة القرصنة والحروب ، التي كانت تتواجه فيها مع السواحل التونسية ؛مركزا هاما للتجارة العالمية ،ومركز عبور للتجار التونسيين في ذهابهم وإيابهم بين تونس والشرق⁽¹⁾. ومن بين هؤلاء التجار ؛محمود الجلولي ،ويوسف صاحب الطابع وهما من أكثر التونسيين تعاملًا معها ،وذلك عن طريق تجار تونسيين وإيطاليين⁽²⁾. وقد انتهج حمودة باشا سياسة تجارية مع الدول الأوربية ، من أهم ما جاء فيها أنه رخص في سنة 1795م بتصدير المنتوجات التونسية إلى جميع الدول الأوربية ؛حتى وإن كانت عدوة لتونس ،مثل مالطة⁽³⁾.

وباختفاء رهينة مالطة في سنة 1798م تظهر الراية التونسية في الجزيرة ،فقد توجهت إليها 19 سفينة تجارية تونسية خلال نفس السنة⁽⁴⁾. وعلى الرغم من وقوع مالطة تحت السيطرة الفرنسية ،ثم البريطانية في سنة 1800م ،إلا أن تجارة تونس الخارجية وخاصة في الحبوب توجهت إلى مالطة ؛من أجل توجيهها إلى بريطانيا ،فقد ظهرت بها 06 سفن تونسية تجارية خلال نفس السنة⁽⁵⁾. ويرجع تحول التجارة الخارجية التونسية من مرسيليا إلى مالطة للحصار الاقتصادي ، الذي ضربته بريطانيا على فرنسا .فقد اتفق الباي حمودة باشا مع بريطانيا على أن يتم تبادل الحبوب التونسية مقابل مدافع وأسلحة يتم تبادلها عن طريق مالطة⁽⁶⁾. لقد فتح أمام التونسيين منذ القضاء على فرسان مالطة في سنة 1798م عهدا جديدا ،جعل سفنهم تتردد على الجزيرة ،وتقيم معها علاقات تجارية مباشرة ،وهذا ما تؤكد الوثائق ،والمتمثلة في نصوص بعض المراسلات ،التي كانت تتم بين حاكم مالطة ،وحمودة باشا ، والتي حرصت على إقامة العلاقات التجارية المتينة بين الطرفين ،ومنها مراسلة كانت في سنة 1800م ،أي بعد القضاء على جماعة الفرسان بسنتين⁽⁷⁾.

(1) علي الزواري :المقال السابق ،ص 221.

(2) عبد الجليل التميمي :الولايات العربية ومصادر وثائقها ، ط 1، مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد العثماني ، تونس 1984 ،ص 221.

(3) رشاد الإمام : المرجع السابق ،ص 302 .

(4) لوسيت فالنسي : المرجع السابق ، ص ص 76-77 .

(5) المرجع نفسه .

(6) رشاد الإمام : المرجع السابق ،ص ص 308-311 .

(7) الوثيقة عبارة عن مراسلة بين حاكم مالطة فكتور فن والباي حمودة باشا في سنة 1800م ،تتعلق بالتجارة بين الطرفين ،وهي مكتوبة باللغة الإيطالية ،مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،الصندوق 224 ،الملف 001 . ينظر الملحق رقم 04.

2- علاقات تونس مع الدويلات الإيطالية من 1756م إلى 1814م :

أ- علاقات تونس التجارية مع ليفورن بعد سنة 1756:

وقد كان اليهود الأوربيون القرنين (الليفورنيون) يتعاملون أساسا مع إيطاليا (القرنة - جنوة ...) ويبدون منذ القرن الثامن عشر كوسطاء بين الرأسمالية المركاتية الأوربية ، والسوق التونسية . يغتنمون فرصة الحروب بين الفرنسيين والإنجليز ؛ كحرب استقلال أمريكا القائمة في سنة 1781م ؛ لتعويضهم في جانب من أنشطتهم ، أو لإعارة أسمائهم لبعض التجار الفرنسيين ؛ حتى تسلم بضاعتهم من أذى القراصنة الإنجليز . وقد كان هؤلاء اليهود يتمكنون بمختلف الوسائل من مجابهة الصعوبات ؛ الناجمة عن وضعهم الصعب المتمثل أساسا في إثقال كاهلهم بمعاليم قمرقية مرتفعة نسبيا (11%) . ومن جهة أخرى فقد كان عددهم أقل من نصف عدد التجار المسلمين في تونس ، ولكن حجم عمليات ثلثهم يفوق حجم عمليات التجار المسلمين بقرابة الثلاث مرات⁽¹⁾.

من جهة أخرى كان للتجار التونسيين دور كبير في التجارة مع القرنة (ليفورن) ، من خلال دورة التجارة التونسية الشرقية ؛ مثل التجارة بين تونس ومصر . وقد كان للقرنة (ليفورن) بإيطاليا اتصال يومي بتونس العاصمة . ومحمود الجلولي ، ويوسف صاحب الطابع وزير حمودة باشا الحسيني ؛ هما أكثر التونسيين تعاملًا معها ، وذلك عن طريق تجار تونسيين وإيطاليين⁽²⁾.

كما تشير بعض المصادر إلى أن البايات الحسينيين كانت لهم علاقات سياسية ، مع يهود القرنة (ليفورن) ، فقد استخدموهم كجواسيس لمعرفة أخبار الدول الأوربية المتوسطة ؛ خاصة في أوقات الأزمات السياسية ، مثل ما حدث أيام توتر العلاقات التونسية الفرنسية ، بعد احتلال فرنسا لجزيرة كورسيكا في سنة 1768م ، فقد استخدم علي باي يهود ليفورنيين من أجل إطلاعه على أخبار المعارك بين المتمردين الكورسيكيين والفرنسيين⁽³⁾.

وقد أسس الليفورنيون في تونس شركة في تونس تسمى شركة (اليومية) ، بوصفهم متعهدي جلود الولاية ، فهم يحتكرون كل الجلود المباعة ، ويصدرونها نحو إيطاليا . وقد تنوعت الصادرات من الجلود ؛ فنجد جلود (ثور) ، وجلود (بقرات) ، وجلود (الجمال) ... إلى آخره . ومن جهة أخرى بدون أن تكون الحمولات متجانسة ، تحتل الحبوب والمأكولات مكانا كبيرا بين الصادرات ؛ إذ أن ما نسبته 88% من

(1) محمد الهادي الشريف : المقال السابق ، ص ص 80-81 .

(2) المقال نفسه ، ص 221.

(3) سلوى هويدي : المقال السابق ، ص 418.

السفن الآتية من تونس إلى ليفورن خلال الفترة ما بين سنتي 1794م و1798م، تحمل حبوبا . وعلى صعيد آخر تفوقت تجارة تونس على الجزائر والمغرب مع أوروبا المتوسطية ،فالحمولات القادمة من تونس إلى ليفورن أكثر عددا من الجزائر والمغرب ،في أواخر القرن 18م ؛فخلال الفترة (1793-1798) تحتل تونس المرتبة الأولى في تجارة المرفأ التوسكاني ،مع الدول الإسلامية المتوسطية ⁽¹⁾.

ب- علاقات تونس مع جمهورية جنوة بعد سنة 1756:

أما عن للعلاقات التجارية بين تونس ،وجنوة فقد تقلصت المؤسسات التجارية الجنوبية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ،وحسب بعض المصادر أن المؤسسات التجارية الإيطالية ،التي لم يبق منها إلا اثنتان جنويتان ؛ينحصر عملهما في الإبحار بالخمير ،وبيعه للجاليات والرقيق الأوربيين الموجودون بتونس ،سواء منهم المسلمون ،أو اليهود لمصلحة الإبحار مع الخارج مع نهاية القرن 18م ⁽²⁾. إلا أن المبادلات التجارية استمرت بين تونس ،وجنوة ؛فقد تمثلت الواردات الجنوبية إلى تونس (بالرطل) في المواد الغذائية (350) ،ومواد كيميائية (3500) خلال سنة 1788م/1202هـ .بينما صادرات الإيالة إلى جنوة تمثلت في الزيت (17500) ،والصوف (62400) ،والقمح (146002) خلال سنة 1788م ⁽³⁾. كما أن نشاط القرصنة استمر بدوره بين تونس و جنوة ،حيث تشير بعض المصادر إلى وجود 100 رجل مسلم على ظهر السفن الجنوبية في سنة 1788م ،ومن بين هؤلاء كلهم عدد كبير من التونسيين ،وكان هؤلاء الأسرى يتم شراؤهم من طرف المسيحيين ⁽⁴⁾.

ج- علاقات تونس مع جمهورية البندقية ما بعد سنة 1756:

1- معاهدة تونس مع البندقية في سنة 1763:

أبرمت إيالة تونس مع جمهورية البندقية معاهدة سلام في سنة 1763م ، وذلك لحماية الملاحة والتجارة بينهما ،ووقعت من طرف المفاوض قاتنانو جرفازوني ،الوزير المفوض لحكومة البندقية ⁽⁵⁾. وكان

⁽¹⁾ لوسيت فالنسي : المرجع السابق ،ص ص 89 ،93.

⁽²⁾ رشاد الإمام : المقال السابق ،ص 87 .

⁽³⁾ الوثيقة توضح إحصائيات لواردات وصادرات تونس إلى أوروبا ،وضعها الأستاذ دانيال بنزاك ،منها جنوة ينظر الملحق رقم: 20 .

⁽⁴⁾ سلفاتوري بونو : المقال السابق ،ص 115.

⁽⁵⁾ المعاهدة التونسية -البندقية الموقعة بتاريخ 1 سبتمبر من سنة 1763م /22 صفر من سنة 1177هـ ،والمعاهدة تم توقيعها من طرف علي باي والوزير المفوض لحكومة البندقية قاتنالو جرفازوني ،وبنود المعاهدة مكتوبة باللغتين التركية والإيطالية ،وهي تتكون من 23 بندا مست قضايا الملاحة البحرية والتجارة بين الطرفين .والمعاهدة مصنفة في السلسلة التاريخية بالأرشيف الوطني التونسي ،ضمن الصندوق 247 ،الملف 647 . ينظر الملحق رقم :01.

جرفازوني Gaetano Geruasone توجه في سنة 1762م في مهمة إلى الجزائر لتوقيع معاهدة سلام ، وافق الداي على إبرام معاهدة مع الجمهورية ، ووعد بإرغام باي تونس على عقد معاهدة مع البندقية مقابل 25000 ريال . وفي شهر ماي من سنة 1763م عاد جرفازوني مرة أخرى إلى المنطقة ، بعد أن كلفه مجلس شيوخ البندقية لعقد معاهدات مع الإيالات المغاربية الثلاث ، بدأ جرفازوني بالجزائر فأبرم معها معاهدة سلام ، ثم توجه إلى تونس حيث تمكن من إبرام معاهدة سلام مع الباي في 1 سبتمبر من سنة 1763م ، وقد تناولت المعاهدة قضايا الملاحة البحرية والتجارية في البحر المتوسط ، وحقوق رعايا الطرفين ، وعدم ممارسة القرصنة ضد بعضهما البعض الفصل 3 ، بالإضافة إلى التمثيل القنصلي للجمهورية بتونس وحقوق القنصل البندقي ، والامتيازات التي منحت له الفصلان 16 و 17 ، بالإضافة إلى معاملة أعداء الطرفين الفصل 9 ، وقضية المياه الإقليمية للطرفين الفصل 23⁽¹⁾ .

وطبقا لمشروع سنة 1751م ، مع إلحاق بند سري من أهم ما جاء فيه ؛ أن جمهورية البندقية ملزمة بدفع مرة واحدة للإيالة التونسية قيمته 20000 ريال ، وبعض الهدايا . وقد ترك جرفازوني في تونس من أجل القيام بمصالح البندقية السيد جيوفاني فازو Giovanni Gazzo ، طبيب الباي التونسي علي باي ، والذي رَسَم فيما بعد سفيرا للجمهورية في تونس⁽²⁾ . لقد كانت جمهورية البندقية هي المستفيد الأول من المعاهدة فقد ضمنت حماية مصالحها التجارية ، ومصالح رعاياها ، عن طريق حصولها على تمثيل قنصلي في تونس ، وكانت هذه المعاهدة الأولى بين إيالة تونس وجمهورية البندقية في القرن 18م ، إن لم نقل خلال العصر الحديث .

2- علاقات تونس السياسية والتجارية مع البندقية ما بعد سنة 1763:

وصلت إلى تونس في نهاية سنة 1764م بارجتان بندقيتان تحت إمرة الكونت بوروفيك Borowik من أجل تسليم وثائق المصادقة على معاهدة السلم ، التي أبرمت بين البندقية وتونس . تقدمت السفيتتان البندقيتان نحو مرسى حلق الوادي ، وصادف ذلك وجود بارجة حربية فرنسية بقيادة السيد دو شابر de Chabert ، وقد رغب الباي في معاملة المبعوث البندقي وقائد البحرية الفرنسية على قدم المساواة ، لكن تحت تأثير القنصل الفرنسي دو سيزيو ، لم يحي المبعوث البندقي إلا بسبعة طلقات مدفع ، كما أنه قام بنزع الحذاء ، وقبل يد الباي عند مقابلته الرسمية للباي⁽³⁾ .

⁽¹⁾ معاهدة سنة 1763م بين تونس والبندقية ، ينظر الملحق رقم : 01.

⁽²⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p 166.

⁽³⁾ Ibid.

وحسب مصادر غربية أنه خلال الفترة 1764م-1765م سلّح مجلس الشيوخ أسطولا ، وأرسله إلى شمال أفريقيا ، حاولت السفن البندقية قبلة كل من تونس ، وطرابلس ، والجزائر ، لكن بدون جدوى ، لذلك بدأت المفاوضات بينها وبين الإيالات من أجل عقد السلام خلال هذه الفترة (1764-1765) ، لكن رغم ذلك فإن معاهدات السلام مع الدول المغاربية لم تقدم أية ثقة ، فمهما كانت شروطها إيجابية ، والتي تتعلق بالتجارة أو الملاحة البحرية ، إلا أنها كانت تخرق بدون أي حرج من طرف البلدان المغاربية ، في كل مرة عندما تكون الفرصة سانحة ⁽¹⁾.

وفي سنة 1766م قامت البندقية بحملة بحرية ضد طرابلس ، لكن تونس والجزائر لم تبد أية قلق منها ، لذلك قررت البندقية حماية تجارتها ، فأرسل مجلس الشيوخ الأميرال أنجلو إيمو Angélo Emo من أجل مهاجمة القراصنة وضربهم ؛ بسبب عدم احترامهم للسلم . فقبل موانئ بنزرت ، وسوسة ، وحلق الوادي ، ثم وسع جوالاته البحرية من مضيق جبل طارق إلى الوطن القبلي Cap Bon ، وألحق بدول شمال أفريقيا خسائر كبيرة ، واستمر هذا الوضع ثلاث سنوات متتالية . زال قلق التجار البنادقة ، بسبب تسليح الأسطول البحري ، ولكن بسبب التكاليف الباهظة ، لذلك أمر مجلس الشيوخ الأميرال أنجلو للعودة لاقتراح السلم ، والعودة لشروط القديمة للدولة العثمانية ، من أجل الحصول على السلم مع البلدان المغاربية ، بعد فشل أسلوب القوة ⁽²⁾. وبذلك عادت العلاقات سلمية بين الطرفين .

وتوترت العلاقات بين الطرفين في سنة 1781م بسبب استئجار تجار تونسيين لسفينة بندقية أخذوها من مدينة الإسكندرية ، ليعودوا بها إلى تونس ، وصادف هذا انتشار وباء الطاعون ، الذي تفشى بين الركاب ومات بعضهم . وعند وصول السفينة إلى ميناء صفاقس لم يسمح لقائدها بدخول الميناء ، وتم تزويده بالموونة التي تحتاجها السفينة ، وأمر قائد السفينة بالتوجه إلى حلق الوادي ، ويترك أمر استقباله للباي . لكن قبطان السفينة توجه إلى جزيرة مالطة عوض حلق الوادي ⁽³⁾.

لكن الحكومة المالطية رفضت دخول السفينة ، وسبب تفاقم الوضع الصحي لركاب السفينة سمح لهم بالنزول للجزيرة . ثم قامت سلطات مالطة بحرق كل البضائع التي كانت على متن السفينة ، التي هي ملك التجار التونسيين ، وبعد انتهاء فترة الحجر الصحي ، رجع التجار التونسيون إلى تونس ، ورفعوا دعوة قضائية ضد القبطان البندقي ، الذي اتهموه بأنه السبب في الكارثة ، التي حلت بهم

⁽¹⁾ M.Léon Galibert: **Histoire de la République de Venise** ,furne et C .libraires éditeur ,Paris 1854 ,p p 453-454.

⁽²⁾ Ibid.

⁽³⁾ حسن حسني : المرجع السابق ،ص 156.

وبتجارقتهم ،لأنه توجه بهم إلى جزيرة مالطة بدل التوجه إلى ميناء حلق الوادي ،فكاتب علي باي مجلس شيوخ جمهورية البندقية ،من أجل المطالبة بتعويض لرعاياه ،لكن طلبه رفض مما أدى إلى توتر العلاقات بين الطرفين⁽¹⁾. وتشير مصادر أخرى إلى أن القنصل البندقي في البلاط التونسي ،جون بابتست قوزو Jean Baptiste Gazzo اتصل بالباي التونسي علي باي ،من أجل إرسال سفارة إلى البندقية للتفاوض بشأن القضية ،لكنها استمرت حتى وفاة الباي دون تحقيق نتائج⁽²⁾.

كانت علاقات تونس التجارية والتجار البنادقة وطيدة ؛فقد كانت تدخل إلى ميناء تونس 300 سفينة تجارية سنويا ؛منها 70 سفينة بندقية .ويصدر التونسيون إلى البندقية الزيوت ،والشوفان ،والصوف ،والعسل ،والجلود ،والشمع ،والطاغية الحمراء ،ويستوردون منها أغذية الحرير ،والصوف ،والزجاج ،والورق ،والخشب ،وصفائح الحرير .وقد كان التجار البنادقة يدفعون كرسوم جمركية 5% ،والفرنسيين 3% ،وأمم أخرى 11%⁽³⁾. وكان هناك فندق البندقية بتونس ؛وهو نوع من المكاتب التجاري ، يستقر فيه التجار البنادقة ،وكان وثيق الصلة ودائم التنسيق والتحدث مع حمودة باشا⁽⁴⁾.

3- الحرب بين تونس وجمهورية البندقية سنة 1784:

لقد ساهمت الحرب بين جمهورية البندقية والإيالة التونسية ،والتي استمرت ثماني سنوات (1784-1792) ،في حرص حمودة باشا على تنمية قدرات تونس العسكرية ،وأثبتت تفوق الأسطول الحربي التونسي على غيره ،باعتراف الدول الغربية الأوروبية⁽⁵⁾. وإن كانت الحرب بين تونس والبندقية بدأت في 22 جانفي من سنة 1784م بصبغة دينية في نظر الأهالي ،فإنها انتهت في 2 ماي من سنة 1792م⁽⁶⁾. بشعور شعبي إلى كونها حربا استهدفت الدفاع عن مصالح البلاد التونسية وسيادتها .وقد شارك الأهالي خاصة منهم سكان المدن الساحلية التونسية ؛ذوي المصالح التجارية مع الخارج ، بحماسة شعبية ملحوظة في قتال البنادقة⁽⁷⁾.

(1) حسن حسني :المرجع السابق ،ص 157.

(2) Pierre Grandchamp :une Relation Vénitienne de l'année 1784 sur les Régences Tunis ,Alger ,et Tripoli ,imprimerie J.aloccio ,Tunis 1932 ,p 2 .

(3) Pierre Grandchamp :opcit ,p 4 .

(4) عبد الجليل التميمي : دراسات ووثائق في التاريخ المغاربي في العصر الحديث ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1999 ، ص 128 .

(5) نبيهة السلطاني العبيدي : المقال السابق ،ص 120 .

(6) عبد الحميد هنية : المرجع السابق ،ص 204 .

(7) رشاد الإمام : المقال السابق ،ص 112 .

وقد أوردت المصادر التونسية أسباب تلك الحرب ووقائعها: ((في سنة 1204 هـ وقعت الأسباب المفضية لحرب الفنسيان ، وذلك أن تجارا من تونس حملوا سلعهم في مركب فنسيان ، من الإسكندرية إلى تونس ، فوقع في أهل المركب الوباء ، فدخل اليريس بهم إلى جزيرة مالطة ، وأنزل السلع بها ، فصدر الحكم من نظار الكرنينة))⁽¹⁾. وتضيف تلك المصادر قائلة : ((... ثم قدموا لتونس ورفعوا أمرهم للسلطان - يقصد حمودة باشا - فدعا وكيل البنسيان بتونس وطلب منه ثمن بضائع المسلمين . فلما وقفت عليه الحجة استمهل لرد الجواب لبلاد البنسيان ، وكتب لهم بذلك ...))⁽²⁾.

طالب حمودة باشا من البندقية بتعويضات قيمة الحمولة ؛ المقدرة ب 4000 ريال بندقية ، دون أن يضغط عليها ، لكن هذه الأخيرة تماطلت في الرد عليه ، وأرسلت أسطولا حريا إلى ميناء حلق الوادي في سنة 1783 م ؛ والمكون من بارجة حربية مزودة بأربعة وستين مدفعا ، وفرقاطتين بقيادة القائد كيريني André Quirini ، الذي جاء لشرح أسباب عدم استجابة مجلس أعيان الجمهورية لمطلب التعويضات ، ولاستعراض القوة العسكرية من أجل إرغام الباي عن التراجع عن مطالبه ، لكن الباي حمودة باشا رد على مجلس الجمهورية ، برسالة شديدة اللهجة ؛ حدد فيها مدة دفع التعويضات المقدرة ب 14000 ريال بستة أشهر⁽³⁾. وطلب بتعويض الأضرار ، التي ألحقها البندقيون ببعض بالتجار التونسيين في سنة 1781 م ، ولم تسفر المباحثات المطولة بين الجانبين عن أي نتيجة تذكر⁽⁴⁾ . إذ أن البنادقة استمروا في التسويف ؛ فتعكرت العلاقات بين الطرفين ، وزاد في ذلك التعكير حدوث أعمال استفزازية عدائية أخرى ، قام بها أسطول البندقية ضد الحمولات التجارية التونسية ؛ من أهمها إغراقه لسفينة بندقية عليها بضاعة تونسية ، وعدم سماح القبطان البندقي للتونسيين بإنقاذها . فأصبح حمودة باشا يطالب البندقية بتعويض مضاعف للخسائر ، التي أصابت التونسيين⁽⁵⁾.

في حين تشير مصادر أخرى إلى إرسال كيريني André Quirini في مهمة سلام إلى تونس ، والذي انطلق من البندقية في 22 جويلية من سنة 1783 م ، ووصل إلى ميناء حلق الوادي في 10 أوت

(1) ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 20 .

(2) المصدر نفسه ، ص 21 .

(3) Henri Cambon : *Histoire de la Régence de Tunis préface de Vice-Amiral lacaze de l'Académie Francaise* , édition Berger -levrault , Paris 1948 , p 79 .

(4) عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 128 .

(5) رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص 374 .

وحبيي ب21 طلقة مدفعية ،ورد بمثلها .وفي 11 أوت زار القائد البندقي الباي في قصره بباردو ،ثم زار الوزير مصطفى خوجة ،لكنه فشل في تسوية المشكل القائم بين الطرفين ،فغادر تونس في شهر نوفمبر .ثم عاد مرة أخرى في 5 جانفي من سنة 1784م ،لكنه لم يستطع حل المشكل مع تونس ، وقد أرجع ذلك إلى تدخل بعض القوى الأوربية التي كانت تغار من التجارة البندقية في الإيالة .لذلك توجه القائد كريني إلى البندقية في 7 فيفري ،وفي 13 مارس قرر مجلس السيناتو البندقي le Sénat ، التصويت ب195 صوتا مقابل 4 لصالح إرسال حملة ضد باي تونس ،والتي كانت بتوجيه من القائد أنجلو إيمو Angelo Emo⁽¹⁾ .

وأمام امتناع البندقية المتواصل عن إجابة مطالب الباي ،دفع ذلك حمودة باشا الحسيني إلى إعلان الحرب على جمهورية البندقية في 17 جانفي من سنة 1784م ،وتم ذلك بدون دراسة انعكاساتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية على البلاد التونسية ،حسب بعض المصادر⁽²⁾ .في حين ترى مصادر أخرى أن الباي اتخذ كل الإجراءات الدفاعية اللازمة ؛في الموانئ التونسية :حلق الوادي ، وسوسة ، وبتزرت ،وموانئ تونسية أخرى .وأعلن الحرب على الأسطول البندقي العامل في البحر المتوسط ،وأمر القراصنة التونسيين بالاستيلاء على سفن البندقية⁽³⁾ .

وقد أسرع دوق البندقية ومجلس شيوخها بإيفاد الأميرال أنجلو أرمو Anjo Armo (إيمو أنجلو)؛الخبر بشؤون الإيالات العثمانية إلى تونس ،قصد متابعة المسالة والدخول في محادثات مع حمودة باشا لحل الخلاف .غير أن تصلب الجانبين ،زاد في تعكير مناخ الريبة بينهما ،وأدى إلى فشل تلك المحادثات⁽⁴⁾ .ذلك أن القبطان الجديد للأسطول البندقي إيمو Emo لما وصل في صائفة سنة 1784م إلى ميناء تونس ،ولم يكن أحد يعرف إن كان مجيئ القبطان البندقي للمفاوضات ،أو للحرب .غير أن الباي اغتنم تلك الفرصة وقدم لإيمو اقتراحات جديدة بواسطة قنصل البندقية بتونس ،ولم يقبلها القبطان ،فأعلمه الباي حمودة باشا بأنه سيتابع الحرب ،حتى تحصل تونس على تعويض مناسب لخسائرها .عند ذلك توجه الأسطول البندقي إلى مدينة سوسة ،وقصفها لمدة ثمانية أيام ،قتل خلالها رجال من الجانبين ،وتهدم ثلاثون بيتا في المدينة .ثم رجع الأسطول البندقي إلى البندقية لقضاء

⁽¹⁾Pierre Grandchamp :opcit ,pp 2-7 .

⁽²⁾ عبد الحليل التميمي : المرجع السابق ،ص 128 .

⁽³⁾ رشاد الإمام : المرجع السابق ،ص 374 .

⁽⁴⁾ عبد الحليل التميمي : المرجع السابق ،ص 129 .

فصل الشتاء⁽¹⁾. في حين تشير مصادر أخرى إلى أن عمليات القصف المكثف والمنظم، استهدفت موانئ تونس وسوسة وخاصة صفاقس، حيث ألحقت عديد الخسائر بالأهالي انفسهم⁽²⁾.

وفي العام التالي عاد الأسطول البندقي في يوم 19 جويلية من سنة 1785م، وقصف مدينة سوسة للمرة الثانية لكن بدون جدوى. وفي 13 أوت توغل جنوبا؛ فقصف صفاقس ولم ينجح الهجوم. وبعد ذلك رجع الأسطول في يوم 28 سبتمبر، وقصف ميناء حلق الوادي، لمدة ثلاثة أيام لكن بدون جدوى، ثم انسحب وانقطعت أخباره. وفي سنة 1786م عاود الكرة، لكن القبطان إيمو وجد أن دفاع تونس مازال قويا، وتصلب الباي كذلك، لذلك شعر إيمو بعدم نجاح مهمته، فكتب إلى حمودة باشا عن طريق القنصل البندقي، بوجوب قبوله لمطالب البندقية، وإلا هدم كل حصون حلق الوادي فكان جواب الباي؛ أن الصلح في دفع البندقية كل خسائر تونس، وأنه إذا هدمت حصون حلق الوادي، فستكون البندقية مجبرة على إعادة بنائها⁽³⁾.

نفذ القبطان البندقي إيمو تهديده، وبدأ بقصف حصون حلق الوادي، غير أن الوزير الأول مصطفى خوجة تدخل بين القبطان وحمودة باشا العنيدين، وأوقف القصف وفتحت مفاوضات جديدة. وفشلت المفاوضات لمطالبة الباي بتعويض قدره أربعة أضعاف ما كان يطال به في الأول (من 14 ألف محبوب إلى 60 ألف محبوب). عندئذ انتقل القبطان إيمو وقصف مدينة صفاقس، ثم توجه شمالا وقصف مدينة بنزرت، التي ألحق بها خسائر كبيرة. وبعد ذلك توجه الأسطول جنوبا وقصف مدينة سوسة في 24 سبتمبر من سنة 1786م، لكن عمليات القصف والخسائر لم تؤثر في موقف حمودة باشا، الذي أصبح يطالب البندقية بتعويض قدره مائة ألف محبوب⁽⁴⁾.

4- معاهدة الصلح بين تونس وجمهورية البندقية في سنة 1792:

لجأ حمودة باشا أخيرا إلى التفاوض قصد إبرام السلم مع البندقية، على إثر ظهور بعض المستجدات، التي طرأت على الساحة السياسية المتوسطية والمغاربية، ويتمثل ذلك أولا في وفاة عدو

(1) رشاد الإمام : المرجع السابق، ص 375 .

(2) عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص 129 .

(3) رشاد الإمام : المرجع السابق، ص ص 375-376 .

(4) المحبوب عملة تونسية ذهبية خلال العهد العثماني، يزن المحبوب خلال هذه الفترة حوالي 3.5 غرام، يسميها الأوربيون sequins، للاطلاع على السكة التونسية، وأنواع النقود التونسية. ينظر: هلا بقسماطي ماسني : دار السكة التونسية في العهد الحسيني 1705-1881، دراسة للحصول على شهادة الكفاءة في البحث، إشراف: البشير التليلي وإبراهيم شيوح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة التونسية، تونس 1978 .

حمودة باشا اللدود الأميرال أيمو Emo بمالطة ،وثانيا تهديد إنكشارية الجزائر بالتدخل في تونس ،وقد تغلب المنطق والواقعية على حمودة باشا ،إذ وبعد مباحثات بين القائد تومازو كوندالمير Tomaso Condalmer عن البندقية ،وحمودة باشا ،توصل الطرفان في 18 ماي من سنة 1792م إلى إبرام معاهدة سلم⁽¹⁾. والتي تكونت من 24 بندا (فصلا) ،وعالجت العديد من القضايا ومن خلال قراءتنا لبنود معاهدة السلم التونسية البندقية ،تبين لنا العديد من المعطيات حول العديد من القضايا ،منها :

- تحقيق السلم الثابت والصادق بين الإيالة والجمهورية ،في جميع أراضي الطرفين ،وسفن أساطيلهما الحربية والتجارية ،والحفاظ على مصالح جميع رعاياهما ،ورد ذلك في البند الأول .

- أمر حمودة باشا رجال ديوانه بالتوجه إلى دار القنصل البندقي بتونس ؛قصد رفع العلم البندقي ،مع ما يستوجب ذلك من احترام وتقدير ؛وهو ما لم يحدث قبل ذلك في عهد أي من البايات المراديين أو الحسينيين ،ويظهر ذلك جليا في البند الرابع .أما البندان السادس والعاشر فقد منحا للسفن البندقية الأفضلية في المعاملة في الموانئ التونسية بالمقارنة مع السفن الأجنبية الأخرى .

- كما نصت المعاهدة على تنسيق الطرفين فيما يتعلق بالغنائم المتأتية من الاستيلاء على السفن المعادية وبيعها بالإيالة والبندقية ،ورد ذلك في البند الرابع عشر . كما عالجت المسائل المتعلقة بتسوية إرث ،الذين يتوفون في كلا البلدين ،والإجراءات القضائية عند الخلاف بين التونسيين والبندقيين في الإيالة التونسية .

- بالإضافة إلى مبلغ الرسوم الجمركية التي يقدمها البنادقة ،وحيث يتم تفضيلهم عن غيرهم من الدول الأخرى .والعناية والاستقبال الحار الذي يجب أن تخصص ،وتحظى به السفن البندقية في الموانئ التونسية ،والعكس بالعكس . كما سمح للقنصل البندقي بزيارة الإيالة بكل أمن وطمأنينة ،كما تم إلغاء كل رسم أو هدية عند تنصيب القنصل أو تغييره ،البند 22 .

- كما حددت المعاهدة أيضا من خلال البند 23 المجال الجغرافي البحري للبندقية بثلاثين ميلا ،كما حددت مجال المياه الإقليمية التونسية بنفس المسافة ،حيث لا يستطيع القراصنة التونسيين ممارسة القرصنة ضد سفن البندقية أو أصدقائها والتصرف فيها ببيع الغنائم ،والعكس بالعكس .

- كما عالج البند 21 نقطة أساسية تتعلق بسماع الإيالة التونسية للقنصل البندقي بممارسة دينه بحرية ،وحقه في الحصول على ضرورياته الدينية . لكن لم تشر المعاهدة إلى التمثيل التونسي أو للقنصل التونسي في البندقية . كما أن القارئ لنص المعاهدة يلاحظ عدم الإشارة إلى السلطان العثماني ،

(1) عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ،ص 129 .

حيث لم تقع الإشارة إليه بتاتا ، وهذا ما يدل على الاستقلال الواقعي الذي كانت تتمتع به تونس .
خلال العهد العثماني وبالتحديد مع نهاية القرن 18م⁽¹⁾. وكانت هذه آخر معاهدة بين الطرفين .

أما بالنسبة لنتائج الحرب ، فحسب بعض المصادر أنها في الغالب كانت لصالح حمودة باشا ،
ومن أهم تلك النتائج⁽²⁾:

أولاً- توطيد هيبة تونس في الخارج ، بالصلافة التي أظهرها الباي أثناء تلك الحرب ، وبنجاحه في
الحصول على مبتغاه من التعويض على السفينتين التونسيين ، وعلى خسائر الحرب ، بل بما يفوق ما
كان يطالب به .

ثانياً- خروج حمودة باشا من تلك الحرب وبلاده ؛ أقوى وأغنى بكثير مما كانت عليه أول الحرب ،
وظهر حمودة باشا من أقوى حكام البلدان المغاربية .

ثالثاً- إن معاهدة الصلح كلفت دولة البندقية ؛ تعويضات كبيرة وهدايا غالية ، بعد تسع سنوات من
الحرب ، تلك الحرب أحدثت أثرا أقل ما هو في مصلحة راية البندقية .

رابعاً- بعد أن انتهت الحرب التي أحدثت اضطرابا كبيرا في تجارة تونس الخارجية ، وهدمت ثروات
العديد من التجار الأجانب المقيمين فيها ، اتجهت جهود حمودة باشا إلى صرف جميع إمكاناته إلى
تحقيق الازدهار الاقتصادي في تونس .

وقد تواصلت العلاقات سلمية بين الإيالة والجمهورية ، خلال الفترة من 1792م إلى سنة 1797م
، وحققت المعاهدة بين الطرفين هدفها الأساسي في تحقيق السلم الثابت والصادق⁽³⁾. أما تجاريا فقد
تواصلت العلاقات التجارية متينة بينهما ، ودليل ذلك أن التجار البنادقة في تونس كان لهم دور بارز
في وظيفة رجال القوافل التجارية⁽⁴⁾. وبذلك انتهت مرحلة من العلاقات السياسية والتجارية خلال
القرن 18م ، التي توجت بتوقيع معاهدين سعت البندقية إليهما لحماية مصالحهما في الإيالة ، وفي
حوض المتوسط .

⁽¹⁾ المعاهدة التونسية - البندقية الموقعة بتاريخ 18 ماي من سنة 1792م / 27 رمضان من سنة 1206هـ ، والمعاهدة تم توقيعها
من طرف حمودة باشا والقائد البندقي تومازو كوندا الممر ، وبنود المعاهدة مكتوبة باللغتين التركية والإيطالية ، وهي تتكون من 24 بنداً
مست قضايا الملاحة البحرية والتجارة بين الطرفين ، وحقوق رعايا البلدين . والمعاهدة مصنفة في السلسلة التاريخية بالأرشيف
الوطني التونسي ، ضمن الصندوق 247 ، الملف 647 . ينظر الملحق رقم : 02 .

⁽²⁾ رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص 378 .

⁽³⁾ البند الأول من معاهدة سنة 1792 بين تونس والبندقية . ينظر الملحق نفسه .

⁽⁴⁾ لوسيت فالنسي : المرجع السابق ، ص 80 .

د- علاقات تونس مع صقلية و نابولي ما بعد سنة 1756:

1- العلاقات التونسية الصقلية:

يتوجه القراصنة التونسيون نحو الجزر الإيطالية الجنوبية لأنها شبه معزولة ، فخلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 1787م و 1814م . خصصت تونس ما بين 20 إلى 30 غليوطة للقيام بأعمال القرصنة ضد سواحل صقلية . وقد استمر هذا الوضع إلى غاية سيطرة الإنجليز على جزيرة صقلية مع بداية القرن التاسع عشر ، ففي سنة 1802م تمكن القنصل الإنجليزي من تحرير أربعة أسرى من أعيان صقلية مقابل مبلغ 8200 فرنك قدمت لحمودة باشا ⁽¹⁾.

وقد حاولت إنجلترا إبرام معاهدة سلام بين تونس وحكومة صقلية ، فقد أرسلت إنجلترا سفينة حربية إلى ميناء حلق الوادي في سنة 1812م بقيادة القبطان سميث Smith ، مقابل دفع 100000 قرش إسباني ، وقد استمع الباي لمقترحاته ، لكنه لم يوافق عليها في الوقت الحالي ، لأنه أراد أن يضمن طابع الرسمية على المفاوضات ، وفشلت المحاولة بسبب رفض حمودة باشا العرض الإنجليزي . وفي شهر أفريل قدم إلى تونس قائد البحرية الإنجليزي فري مونتل Freemantle ، وبدأ في التفاوض مع الباي حمودة باشا من أجل إبرام معاهدة صلح بين تونس و صقلية ، كما طرح قضية افتداء الأسرى الصقليين في تونس ، وتم توقيع اتفاقية بين تونس وصقلية في 2 ماي من سنة 1812م ⁽²⁾.

2- العلاقات التونسية النابولية:

ظلت العلاقات عدائية بين تونس و نابولي بسبب عمليات القرصنة المتواصلة بين الطرفين حتى نهاية القرن 18م ، وهو ما تظهره التقارير الرسمية التونسية ⁽³⁾. ففي 26 جويلية من سنة 1797م احتجز قراصنة تونس سفينة تجارية متجهة من باليرمو إلى نابولي ، على متنها شخصية هامة وهو أمير باليرمو جيوفان مونكادا Giovan Moncada ، والذي أصبح محل مفاوضات بين حمودة باشا ومملكة نابل

⁽¹⁾ Daniel Panzac: *les Corsaires Barbaresques a la fin d'une Épopée (1800 -1820* , Paris 1999 , pp 4-5 .

⁽²⁾ تم إبرام معاهدة بين حمودة باشا وقائد البحرية الإنجليزي ، بتاريخ 2 ماي من سنة 1812م / 20 ربيع الثاني من سنة 1227هـ ،

والمعاهدة تضمنت أربعة (4) بنود ، ومنشورة . وللاطلاع عليها ينظر: Alphonse Rousseau: op.cit , pp 537-538 .

⁽³⁾ الوثيقة عبارة عن تقرير عن خروج سفن للقرصنة التونسية في سنة 1795م/1210هـ ، من ميناء غار الملح متوجهة إلى السواحل النابوليتانية ، وقد غنمت منها بعض السفن . وتظهر الوثيقة بان التقرير موجه من طرف الرئيس التونسيين إلى حمودة باشا ، ويتضح من الوثيقة استمرار العلاقات العدائية بين تونس و نابولي ، من خلال العطايا ، التي منحت للرئيس جزاء إنجازهم ، وكذا مظاهر الفرح والترحيب ، التي لقيها السفن التونسية عند عودتها منتصرة من التونسيين والسلطة ، كما ورد في الوثيقة . ينظر الملحق رقم 03 .

من أجل تحريره . وتم الاتفاق بين الطرفين على افتدائه بمبلغ ب 60000 بياستر تدفعها نابل إلى تونس ؛على أن يتم دفع جزء من المبلغ ،أما الباقي يدفع بالتقسيط ،وبعد أن غادر مونكادا تونس ، لم تلتزم نابل بدفع المبلغ الباقي من الفدية ،فتوترت العلاقات بين الطرفين ،حول ما تبقى من أسرى نابل بتونس إلى غاية تدخل فرنسا في الأمر⁽¹⁾.

وقد حاولت مملكة نابل أن تنهي الصراع القائم مع تونس ،فطلبت في سنة 1797م من منتدب فرنسا بتونس السيد فامان Josef Etienne Faman ،التوسط لعقد معاهدة سلام بين الطرفين ،لكن هذا المسعى لم ينجح .وتوترت العلاقات بين الطرفين بسبب استيلاء التونسيين على سفينة نابولية ، كانت متوجهة إلى ميناء طولون الفرنسي ،فتدخل الوزير الفرنسي تاليرون Talleyrand ،وكلف القنصل الفرنسي بتونس دوفواز Devoize ،من أجل استرجاع السفينة النابولية لأنها تعمل تحت الراية الفرنسية⁽²⁾. وفي سنة 1799م تمكن مبعوث نابولي السيد إيمانويل باريزي Emanouill Barisi من توقيع معاهدة سلام مع الباي حمودة باشا بتاريخ 21 جوان من سنة 1799م ،الموافق ل18 محرم من سنة 1214هـ⁽³⁾. وفي سنة 1806م ضمت نابل إلى فرنسا ،فأرسلت فرنسا بذلك إلى حمودة باشا تعلمه بالأمر ،وبذلك أصبح القنصل الفرنسي يدير مصالح نابل ورعاياها الذين أصبحوا فرنسيين⁽⁴⁾.

حاول ملك نابل الفرنسي الأصل مورات جواشيم Murat Joachim ،الذي نصبه نابليون ملكا عام 1808م التفاوض مع حمودة باشا ،وأرسل لذلك المفوض رناتو دي مارتينو Renato Martino ، لكن حمودة باي رفض عقد الصلح مع مملكة نابل .فاقترحت نابل أن تمنح حمودة باشا مائة وخمسون ألف بياستر من أجل تحرير الأسرى النابوليتانيين الموجودين في تونس ،وإبرام معاهدة صلح ،فاستغل الباي حرص مملكة نابل من أجل عقد الصلح ،وطالب ب 400000 بياستر ،لكن طلبه رفض من طرف مملكة نابل ،التي حددت المبلغ بمائة وخمسين ألف بياستر⁽⁵⁾.

وفي سنة 1814م خرجت مملكة نابل عن حكم فرنسا ،وطالبت من ممثلها في تونس ريناتو مارتينو ،ضرورة إبرام معاهدة صلح مع الباي ،وتم في ذلك في 26 مارس من سنة 1814م⁽⁶⁾.

(1) Daniel Panzac: opcit , p 12 .

(2) Eugène Plantet: opcit ,T3 , p p 438-439.

(3) تم إبرام معاهدة بين حمودة باشا ومبعوث نابولي إيمانويل باريزي ،بتاريخ 21 جوان من سنة 1799م /18 محرم من سنة 1214هـ ،والمعاهدة تضمنت ثلاثة عشر بنداً (13) ،ومنشورة .وللاطلاع عليها ينظر: Alphonse Rousseau: op.cit , pp 536-535.

(4) Eugène Plantet: opcit ,T3 , p 465.

(5) Ibid , p p 502-507.

(6) Alphonse Rousseau: op.cit , p 282.

وقد عاجلت بنود المعاهدة عدة قضايا منها : مدة الهدنة سنة ، تتم خلالها المفاوضات لإبرام معاهدة سلام نهائية بينهما ، وكذا افتداء الأسرى ، بالإضافة إلى السماح لقنصل المملكة بالإقامة في تونس خلال هذه الفترة ، ويتمتع بالحصانة وصلاحيات باقي ممثلي الدول الأخرى ، وكذا حرية تنقل السفن النابوليتانية والتونسية في الموانئ المتبادلة للدولتين ، مع حرية الملاحة والتجارة النابوليتانية ، وحرية صيد المرجان للسفن النابوليتانية . بالإضافة إلى تعهد حكومة نابل في الأخير ، بتزويد الباي بكميات من الأسلحة ومواد صناعة السفن ، وهدايا بقيمة خمسين ألف بياستر ⁽¹⁾.

و- العلاقات التونسية السردينية ما بعد سنة 1756:

كان ملوك سردينيا الوحيدين من المسيحيين ، الذين كانوا في حرب مع تونس مستمرة طيلة القرن 18م ⁽²⁾. وقد حاولت سردينيا منذ سنة 1777م الدخول في مفاوضات مع البلاد التونسية ، لإبرام معاهدة سلم معها ، فوظفت لذلك داي الجزائر ، لكنها فشلت في سعيها ؛ نظرا للخلافات بين المدن الإيطالية ، فقد حرصت القوى الأوربية خلال هذه الفترة على منع الإيالات المغاربية من عقد معاهدات ثنائية الجانب ⁽³⁾. وفي سنة 1798م هاجم القراصنة التونسيون جزيرة سان بيتر (سانت بيار) التابعة لسردينيا ، وأخذوا 900 شخص ؛ رجال ، ونساء ، وأطفال وشيوخ ، وحسب مصادر أخرى ألف شخص ؛ أي كل سكان الجزيرة ⁽⁴⁾. وقد بقوا في تونس لمدة أربع سنوات ونصف . ثم عزم ملك سردينيا على افتداء مواطنيه الأثرياء ، وأرسل وكلاء من أجل وضع اتفاقية حسب شروط الباي حمودة باشا ، الذي اشترط 100 ريال إسباني ، لكل شخص يحرر ، وبالتالي مبلغ كلي قدره خمسمائة ألف فرنك ، تدفع لأجل تحرير هؤلاء الأسرى ، ولكن بسبب أحداث الحرب ، التي وقعت في سردينيا تأجل المشروع ثم أخفق ⁽⁵⁾.

وبعد مرور وقت طويل تكونت في مدينة كاكلياري جمعية ، من أجل افتداء أسرى سكان سان بيتر ، والتي اتصلت بالقنصل الفرنسي في تونس دوفواز ، وتم تحرير 120 أسير ، مقابل خمسون ريال على كل أسير بعد تدخل القنصل الفرنسي ، وبعد ذلك أرسل نائب الملك في سردينيا ضابطا سردينيا إلى تونس لتحرير بقية الأسرى وتنفيذ الاتفاق مع الباي . وقد اشترط التونسيون مقايضة الأسرى

⁽¹⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p 282.

⁽²⁾Thomas Maggill: **Nouveau Voyage a Tunis** , éditeur du dictionnaire des sciences médicales , Paris 1815 , p 82 .

⁽³⁾ محي الدين التيبني : المرجع السابق ، ص 311 .

⁽⁴⁾ لوسيت فالنسي : المرجع السابق ، ص 80 .

⁽⁵⁾J.J.Marcel: op.cit , p p 125-127 .

السردنيين بالأسرى المسلمين؛ بحيث لكل خمسة مسلمين يقابلهم اثنان من المسيحيين ،بالإضافة إلى المبالغ المالية المتفق عليها بين الطرفين ،وكان عدد الأسرى السردنيين ما يقارب 2000⁽¹⁾. ولن يتحقق السلم بين الطرفين إلا في سنة 1816 م .

ومما سبق يمكن القول:

— إن العلاقات السياسية بين تونس ومالطة خلال فترة من 1756 إلى 1798 بالعداء المتواصل ،ذلك أن هذه الفترة بكاملها كانت عبارة عن حملات ،وقرصنة متبادلة في البحر المتوسط . غير أنه رغم ذلك وجدت علاقات تجارية بين التجار التونسيين ونظرائهم المالطيين ؛ربطت الموانئ التونسية بنظيرتها المالطية ،طيلة النصف الثاني من القرن 18م ،فقد كانت مالطة من بين الوجهات المفضلة للتجار التونسيين ،رغم حالة العداء بين حكومة الإيالة وفرسان مالطة .

— أما بالنسبة للدويلات الإيطالية ،فقد اختلفت علاقات تونس معها ،وتباينت من دولة إلى أخرى ،بين السلمية والعدائية ،وذلك يعود إلى طبيعة المصالح التجارية من جهة ،و إلى السياسات الخارجية للطرفين من جهة أخرى .

— أما ليفورن فقد حافظت على علاقاتها التجارية البحتة مع تونس ،كما حافظت على مركزها كثنائي أهم متعامل تجاري مع الإيالة ،و الوسيط التجاري بين الإيالة ،وكثير من دول أوربا ، ويعود ذلك إلى الدور الذي لعبه اليهود الليفوريون في تلك العلاقات خلال النصف الثاني من القرن 18م .

— أما بالنسبة لجمهورية البندقية ،وبعد محاولات عديدة لعقد معاهدة سلام مع تونس خلال خمسينات القرن 18م ،نجحت في إبرام أول معاهدة سلام في سنة 1763م ،لكن علاقات الطرفين توترت خلال الفترة (1784-1792) ؛ليتيم عقد معاهدة سياسية وتجارية بينهما في سنة 1792م ، واستمرت علاقاتهما سلمية حتى سنة 1797م .

— أما نابولي وصقلية ،فقد توجت علاقاتهما مع تونس بعقد اتفاقيات في آخر عهد حمودة باشا ، ضمنت لهما علاقات سياسية سلمية و تجارية ،بعد فترة طويلة من القرصنة المتبادلة طيلة القرن 18م . فإذا كانت هذه هي طبيعة علاقات تونس مع مالطة والدويلات الإيطالية خلال القرن الثامن عشر ،فكيف هي إذن علاقات تونس مع فرنسا خلال القرن الثامن عشر ؟.

⁽¹⁾Thomas Maggill:opcit , p p 125-127 .

الفصل الثالث

علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا خلال القرن 18م

المبحث الأول : علاقات تونس مع فرنسا قبل القرن 18م

المبحث الثاني : علاقات تونس مع فرنسا من 1705م الى 1756م

المبحث الثالث : علاقات تونس مع فرنسا من 1756م الى 1814م

الفصل الثالث :

علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا خلال القرن 18م

إن العلاقات بين إيالة تونس الحسينية ، وفرنسا خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، لا يمكن بأي حال من الأحوال فصلها عن الفترات السابقة ، فهي تمثل امتداد لعلاقات القرن السابع عشر الميلادي ، وما قبله . على الرغم من أن تونس تميزت في هذه المرحلة بالذات بوصول أسرة تركية جديدة للحكم ؛ وهم البايات الحسينيون . ومن جهة أخرى فإن العلاقات بين تونس وفرنسا خلال القرن الثامن عشر متنوعة ؛ فهي سياسية وتجارية ، ولا يمكن الفصل بين النوعين ؛ لأن العلاقات السياسية تؤثر في العلاقات التجارية ، وهي نتاج عنها ، والعكس صحيح .
فلذلك قمت بدمج النوعين ولم أفصل بينهما في هذه الدراسة ، ونظرا لأن الفترة طويلة والأحداث متشعبة فقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث .

حاولت العودة من خلال المبحث الأول إلى علاقات الإيالة التونسية مع فرنسا ، إلى الفترة ما قبل القرن الثامن عشر ، لكن بصفة مختصرة دون الإهمال للجوانب الأساسية ، بطبيعة الحال . في إطار زمني عام هو الفترة الحديثة ، أي منذ تحول تونس إلى إيالة عثمانية ، وذلك حتى يتسنى للقارئ فهم خلفيات علاقات الطرفين السياسية والتجارية ، أما المبحثين التاليين ؛ فيندرجان ضمن القرن الثامن عشر ، حددتهما بمفاصل زمنية واضحة بالنسبة لتاريخ الإيالة التونسية ؛ وبطبيعة الحال ذلك سينعكس على علاقاتها الخارجية ، سواء مع فرنسا ، أو مع غيرها من الدول الأوربية المتوسطية . وتحديدًا حسب فترات معينة من حكم يايات من الأسرة الحسينية ، وحسب تغير طبيعة العلاقات بين الطرفين تبعا لسياسة الحكام الحسينيين . ذلك أن علاقات تونس مع فرنسا خلال القرن 18م كانت الأوثق ، والأكثر تميزا مقارنة بعلاقات الإيالة التونسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية الأخرى .

المبحث الأول

علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا قبل القرن 18 م :

إن علاقات تونس مع فرنسا خلال الفترة ،التي سبقت القرن الثامن عشر الميلادي . باختصار خلال الفترة الحديثة ،أي منذ ضم تونس الحفصية إلى الدولة العثمانية ،ودون الإشراف في تتبع دقائق تلك العلاقات خلال كل القرون ،التي سبقت الفترة المدروسة بالتفصيل ؛لأن تلك المرحلة من تاريخ البلدين كانت غزيرة بالأحداث ،ومتنوعة من حيث التفاصيل ،لذلك وجب الاكتفاء بنقاط موجزة ،حتى نتمكن من التمهيد للعلاقات ،التي ربطت الطرفين خلال الفترة قيد الدراسة ؛أي فترة القرن الثامن عشر الميلادي ،وهو موضوع الدراسة الأساسي .

ويمكن القول أن علاقات الإيالة التونسية مع فرنسا تعتبر من أعرق العلاقات ،بالمقارنة مع علاقات الإيالة مع دولة أوربية أخرى خلال الفترة الحديثة ؛ذلك أنه منذ تأسيسها كانت تابعة للعلاقات العثمانية-الفرنسية . ويمكن أن نحمل محتويات هذا المبحث في العناصر الآتية :

1- الجذور التاريخية لعلاقات تونس مع فرنسا في العصر الحديث.

2- تطور علاقات تونس مع فرنسا خلال النصف الأول من القرن 17م.

3- دور مرسيليا في علاقات تونس مع فرنسا خلال القرن 17م.

4- علاقات تونس مع فرنسا من 1660 إلى 1685م.

5- علاقات تونس مع فرنسا من 1685 إلى 1700م.

فنتساءل إذن عن طبيعة تلك العلاقات التي جمعت بين تونس وفرنسا قبل القرن 18 م ،وعن الظروف التي ساهمت في خلق تلك العلاقات بينهما ، وعن أهم مميزاتهما ، وخصوصياتهما ،وعن مظاهرها ، وانعكاساتها على الطرفين؟ وعلى منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط عموما ؟ .

1- الجذور التاريخية للعلاقات بين تونس وفرنسا في العصر الحديث:

إن العلاقات بين تونس وفرنسا ما قبل القرن الثامن عشر قديمة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الإلمام بها كلها، وبتفاصيلها المعقدة، ومن جهة أخرى لا يمكن تجاهلها لأننا لا نستطيع بدونها فهم المراحل اللاحقة، وعليه فإننا سنتطرق في هذا المبحث إلى الإشارة إلى بعض المحطات، التي نراها مهمة في تلك العلاقات دون الإشارة إلى الكل. وبحكم موقع تونس الجغرافي وتنوع منتوجاتها الفلاحية، ومؤهلاتها التجارية الكبيرة، تعاطت البلاد التونسية مع البلدان المسيحية الأوربية شتى أنواع التجارة، ولم يكن الدين في ذلك رادعا أو محددا لها، وقد تعززت العلاقات التجارية أو تقهقرت حسب الظروف السياسية والاقتصادية والحربية، التي سادت حوض البحر المتوسط⁽¹⁾. وتعود تلك العلاقات السياسية والتجارية إلى نظام الامتيازات، التي وقعها السلطان العثماني سليمان القانوني، وملك فرنسا فرانسوا الأول Francois I في سنة 1535م⁽²⁾.

وترجع بعض المصادر العلاقات بين الطرفين بنوعيتها إلى فترة متقدمة؛ تعود إلى القرن 15م وبالتحديد إلى سنة 1478م، وهو تاريخ تأسيس الفرنسيين لمركز تجاري في الرأس الأسود. وبعد ذلك بقرن، وتحديدا في سنة 1575م، تم تأسيس وكالة تجارية فرنسية أخرى، هي وكالة فيومارا صلاتا Fiomara-Sallata، وقد اشتغلت هذه الوكالة كملحق للوكالة المركزية برأس نيغرو Cap Nègre، واستعملت كمخزن للمرجان، كما سمح أيضا منها بإقامة تبادل تجاري، فقد كانت السفن الفرنسية تقل البضائع النافعة للأهالي القاطنين في الداخل، كالأقمشة وأنواع النسيج المطرزة، ومقابل ذلك يتم اقتناء القمح والشعير، والذرة الصفراء وقصب السكر والشمع، والمنتوجات الحيوانية، وقد امتدت الحركة التجارية للوكالة حتى مدينة باجة، واستمر استغلال المرسلين للوكالات التجارية إلى غاية سنة 1580م، حيث احتلها الجنويون المستقرون بطريقة بعد أن طردوا الفرنسيين منها⁽³⁾.

أما بداية العلاقات الرسمية بين تونس وفرنسا تعود إلى بدء التمثيل الدبلوماسي، ويعود تعيين أول قنصل فرنسي بتونس إلى تاريخ 28 ماي 1577م حيث كانت مهمته رعاية مصالح التجار

(1) عبد الجليل التميمي : الحياة الاقتصادية في الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، تونس 1986، ص 19.

(2) للاطلاع على النص الكامل للمعاهدة، ينظر إلى محمد فريد بك : المرجع السابق، ص 224-229.

(3) فرنسوا أرنولاي : فيومارا صلاتا : وكالة تجارية بالبلاد التونسية خلال القرن السادس عشر والسابع عشر، ترجمة : عبد الجليل التميمي، في م. ت. م. العدد 7-8، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، تونس 1977، ص ص 113-115.

الفرنسيين في تونس ، وشغل هذا المنصب لويس دولاموت دارياس Louis De la Motte Driès⁽¹⁾ ، ثم خلفه القنصل توماس مارتان Thomas Martin ، ثم استمر التمثيل الدبلوماسي فكان فاتحة لعلاقات سياسية وتجارية بين الطرفين ، وقد انحصرت تلك العلاقات بين الطرفين حول قضايا متعددة كالأسرى والقرصنة والتجارة⁽²⁾ .

وقد أعطت تلك الامتيازات ، ومختلف المعاهدات للتجار المسيحيين في البلاد التونسية ، يدا طويلة ؛ جعلتهم يتفوقون على التجار المسلمين في معاملاتهم التجارية . وقد سهل هذا النظام قدوم التجار المسيحيين وخاصة الفرنسيين منهم إلى البلاد التونسية ؛ يطيلون فيها البقاء ويتوسعون في العمل التجاري ، وينتظمون في شكل مجموعة متضامنة عرفت بالأمة la Nation ، ومما دعم هذا النظام وجود قناصل موفدين عن حكوماتهم ، يمثلونهم لدى الباي ، ويقومون بالدفاع عن مصالح الأمة الفرنسية المستقرة بإيالة تونس⁽³⁾ .

وفي سنة 1580م استعادت شركة لنش Lenche المارسلية المراكز التجارية الفرنسية في تامكرت⁽⁴⁾ (الرأس الأسود) ، بعد أن تدخل السلطان العثماني تحت ضغط الكونت دو جرميني de Jereméni ، لدى عالج علي بيلرباي الجزائر وتونس ، وقد تقاسمتها مع شركة مارسلية ، وهي الشركة التي أسسها جون بابتست دو نيكول Jean Baptiste de Nicole ، مقابل تسديد أداء سنوي بلغ 2662 ريال ذهبي إسباني تسدد إلى حاكم تونس محمد باشا . وفي سنة 1591م سقطت شركة دو نيكول⁽⁵⁾ . وفي سنة 1592م تأسست شركة أخرى في مرسيليا لصيد المرجان في تونس ، وكان مديرها يسمى بيار فيو Pierre Viou ، وخلال سنوات 1599م و1600م كانت الشركة موجودة ، لكنها اختفت في سنة 1606م⁽⁶⁾ .

⁽¹⁾Grandchamp Pierre: **la France en Tunisie a la fin du XVI siècle (1582-1600)**, société anonyme de l'imprimerie rapide ,Tunis 1920 ,p10 (Avant- Propos) .

⁽²⁾Paul Masson: opcit , p 59.

⁽³⁾عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص 19 .

⁽⁴⁾ قرية صغيرة كانت توجد بالقرب من طبرقة ويسميتها الفرنسيون كاب نغرو Cap-Nègre ، أي الرأس الأسود ، ينظر إلى : الهامش رقم 4 ، الإمام رشاد : المرجع السابق ، ص 59 . والرأس الأسود نتوء بحري يقع إلى الشرق من جزيرة طبرقة ، يتحكم في خط الملاحة بين بنزرت وعنابة ، عرف بهذا الاسم نظرا للون صخوره الداكنة ، يقع على خط عرض 34 و36 شمالا ، أول من بناه الجنويين ، ثم احتكره الفرنسيين ، ينظر : هابنسترايت : المصدر السابق ، ص ، ص 100-104 .

⁽⁵⁾فرونسوا أرنولاوي :المقال السابق، ص 114 .

⁽⁶⁾Paul Masson: opcit , p20.

2- تطور علاقات تونس مع فرنسا مع بداية القرن 17 م :

أبرمت فرنسا وتونس خلال النصف الأول من القرن السابع عشر عدة معاهدات للسلم ، والمبادلات التجارية كان أولها في سنة 1605م بين المبعوث الفرنسي الكونت سفاري دو براف Savary de brèves إلى تونس ،ومراد راييس في عهد عثمان داي⁽¹⁾. فقد قبل عثمان داي الاعتراف بصلاحيية التنازلات العثمانية لصالح فرنسا بالنسبة للإيالة التونسية ،وقد طالب الجانب الفرنسي بالتخلي عن القرصنة ضد سفن الفرنسيين ،وبامتيازات قمرقية لصادراته إلى البلاد التونسية ، وبظروف استقرار الرعايا الفرنسيين في تونس ،وبطبيعة الحال كانت هذه التنازلات تؤسس للعلاقات اللامتكافئة بين تونس وفرنسا ،وإن لم تطبق المعاهدة فهي تعبير عن إرادة تحول وتغيير ،تعمل على ربط علاقات تجارية سلمية مع فرنسا⁽²⁾.

لكن العلاقات ساءت بين الطرفين ،بسبب عمليات القرصنة التونسية ضد السفن الفرنسية ، خلال سنوات 1611م ،و1613م ،و1616م ،لذلك رد الفرنسيون بعدة حملات بحرية ،كان هدفها القضاء على القرصنة ،وتحرير الأسرى الفرنسيين ؛منها حملة الضابط دومنتان de Mantin في سنة 1614م ،والحملة المرسيلية بقيادة دو فانشو جير de Vanchan Jir في سنة 1616م⁽³⁾.

ونتيجة لتأزم العلاقات بين الطرفين أرسل يوسف داي مبعوثا إلى فرنسا لمناقشة مختلف القضايا مع الفرنسيين ،وتوج ذلك بإبرام معاهدة في سنة 1617م بين كل من المبعوث التونسي بابا درويش والكونت دوجوا De Joi ممثل الملك الفرنسي لويس الثالث عشر Louis XIII . كما أرسلت فرنسا بعثة أخرى في سنة 1624م بقيادة سانسون نابولون Sanson Napollon لتحرير الأسرى الفرنسيين بتونس ،وبعد مفاوضات تم التوصل إلى عقد معاهدة سلم بين الطرفين⁽⁴⁾.

ورغم المحاولات العديدة ،التي قام بها الفرنسيون من أجل الحصول على امتياز مماثل في الرأس الأسود ،كالذي تحصلوا عليه بالساحل الجزائري لصيد المرجان ،وبسبب المنافسة الجنوية باءت محاولاتهم بالفشل ،ولم يستطيعوا تنفيذ مشروعهم ؛بتأسيس شركة فرنسية لصيد المرجان بتونس ،والقيام بالمعاملات التجارية في الإيالة .وفي سنة 1631م تمكن تاجر مارسيلي يدعى جان أستيل Jen

(1) المعاهدة منشورة ،وهي تتكون من تتكون من 09 فصول .للاطلاع ينظر : Rouard de Card :

Traité de la France avec les Pays de l'Afrique du Nord ,Algerie ,Tunisie ,Tripolitaine ,Maroc ,Pédone ,Paris 1906 , p 113.

(2) عبد الحميد هنية :المرجع السابق، ص 119 .

(3) Alphonse Rousseau: op.cit , p 47.

(4) Eugène Plantet: opcit , p 12.

Estelle ؛بعد مفاوضات مع التونسيين ؛وبسبب علاقته المميزة مع باي تونس ،من الحصول على تصريح من أجل تأسيس شركة للتجارة في الرأس الأسود في سنة 1632م⁽¹⁾. وكان عليها بعد أن أخذت لزمة صيد المرجان بالبلاد التونسية ،أن تصارع التجار الجنوبيين ،وتدراً حسد التجار المقيمين بالإيالة التونسية⁽²⁾.

ومن جهة أخرى وفي نفس الفترة ،كلف الكاردينال ريشيليو Richiliou سانسون نابولون Sanson Napolon كمبعوث فرنسي للتفاوض مع يوسف داي ،من أجل السماح للفرنسيين بتأسيس شركة للتجارة ،واقترح إقامتها في الرأس الأسود .وفي الأخير تم تأسيس الشركة رسمياً في سنة 1634م ،وكان جان أستيل Jen Estelle عضواً فيها⁽³⁾. وبعد اغتيال سانسون نابولون في سنة 1637م ،قام التونسيون بتدمير شركة الرأس الأسود ،وفشلت كل محاولات الفرنسيين في استعادة الامتيازات في الرأس الأسود ،وفي سنة 1651م منح التونسيون المركز للجنوبيين⁽⁴⁾.

ولم تخلو العلاقات التونسية الفرنسية من المناوشات ،لأن البحرية التونسية لم تغفل عن الاشتراك في حركة الجهاد البحري ،ومعظم هذه الاشتباكات كانت مع الفرنسيين والمالطيين ،الذين كانوا يقومون بالغارات على السواحل التونسية ،فمثلاً في سنة 1641م هدموا الميناء المحصن ،الذي أنشأه الأسطى مراد ،واشتهر باسمه الإيطالي بورتو فارينا Porto-Farina .ولما تولى مراد بك السلطة أسس سياسة اتبعها خلفاؤه حتى الحسينيون ؛تقوم على مبدأ توثيق العلاقات بفرنسا ،باعتبارها دولة أوربية كبرى في حوض البحر المتوسط ،وذلك قصد إثبات استقلاله الذاتي عن الدولة العثمانية ، والحصول على تأييد أوروبا ضد إيالة الجزائر القوية من جهة أخرى⁽⁵⁾.

لقد كانت هذه المعاهدات تنقض باستمرار من الطرفين بسبب قضايا القرصنة والأسرى ،ولم يكن التونسيون يعارضون السلم بل كانوا يميلون إلى سياسة ودية اتجاه فرنسا إذا جنحت لذلك ، خاصة في عهد يوسف داي .أما بعد وفاة ريشيليو ،ثم لويس الثالث عشر Louis XIII في سنة 1642م ،فلم تكثر فرنسا للقرصنة المغاربية ،والتونسية خصوصاً بسبب انشغالها بمشاكلها الداخلية ،وبحربها في أوروبا ضد إسبانيا ،لكنها رغم ذلك حافظت على تمثيلها القنصلي في تونس⁽⁶⁾.

⁽¹⁾Paul Masson: opcit , p 48.

⁽²⁾ شارل أندري جوليان : المرجع السابق ،ص 364 .

⁽³⁾Paul Masson: opcit , p 49.

⁽⁴⁾Pierre Grand Champ: opcit ,T6 pp 36-37.

⁽⁵⁾ صالح العقاد : المرجع السابق ،ص ص 48-49 .

⁽⁶⁾ جون وولف : المرجع السابق ،ص 295 .

3- دور مرسيليا في علاقات تونس مع فرنسا خلال القرن 17م :

تبنت مدينة مرسيليا في فرنسا عقد المعاهدات التجارية مع الأمم الأخرى ، واحتفظت المدينة بحريتها السياسية عن الحكم الفرنسي فترة من الزمن ، ثم ظهرت للوجود غرفة التجارة ⁽¹⁾. ويظهر الاحتكار التجاري للمرسليين الذين كانوا يسيطرون على مجال واسع من المبادلات التجارية للعديد من السلع عبر الساحل الغربي للمتوسط ، في ظل تحكمهم في مصادر الإنتاج لعدد من السلع ، وأسبقية الامتيازات الممنوحة لهم في هذه المبادلات ، ومن المعلوم أن العديد من الأسر المقيمة بمرسيليا أنشأت شركات لاستغلال المرجان في السواحل الشرقية للجزائر ، بالإضافة إلى سواحل الإيالة التونسية من عنابة إلى الرأس الأسود ⁽²⁾.

وقد تفوق التجار الفرنسيون وخاصة المرسلون على التجار التونسيين والمغاربة بصفة عامة ؛ في معاملاتهم مع الدول المسيحية ؛ نظرا لتقدم فنياتهم وقوانينهم الواقية لهم من المزاحمة في أسواقهم الداخلية ، خاصة في مدينة مرسيليا ، أفقد عزيمة المغاربة والتونسيين خاصة مباشرة التجارة مع فرنسا ، غير أن بعضهم قام رغم كل العوائق بمحاولات في سوق مرسيليا ⁽³⁾.

وفي سنة 1616م قامت الغرفة التجارية لمرسيليا بإرسال القبطان جاك دو فينشغار Jaques de Vincheguerre على رأس حملة عسكرية إلى تونس لإرغامها على قبول توقيع اتفاق سلام بين البلدين يضمن عدم التعرض للسفن البحرية الفرنسية ، أو مصادرة حمولتها ، مع الالتزام بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين هناك ، مقابل إطلاق سراح الأسرى الأتراك بمرسيليا ، وتنفيذا للاتفاق الذي أبرم بين الطرفين ، تم إخلاء سبيل مائة وثلاثة أسير فرنسي ، وتعهد القبطان بالتزام المرسلين بالوفاء لشروط الاتفاق وترك ابنه كرهينة ضمانا لذلك ⁽⁴⁾. لقد ظل التجار المرسلون يحافظون على السلم من خلال تقديم الهدايا للحكام التونسيين ⁽⁵⁾. وذلك ما سمح بإيجاد سلم مؤقت بين إيالة تونس وفرنسا خلال النصف الأول من القرن السابع عشر .

⁽¹⁾ ليلي الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين 16م و17م / 10هـ و11هـ ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، ج2 ، بيروت 1989 ، ص539 .

⁽²⁾ عائشة غطاس : المقال السابق ، صص 149-162 .

⁽³⁾ عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 20 .

⁽⁴⁾ paul sebag : **Tunis aux XVII siècle une cité Barbaresque**, l'Harmattan , Paris 1989 , p 136.

⁽⁵⁾ Paul Masson: opcit , p 54.

وقد أقام المراديون في تونس ما يشبه حيا خاصا للفرنجة بالقرب من باب البحر ؛ حيث تم في سنة 1660م تخصيص فندق Fondouk⁽¹⁾ للفرنسيين ؛ وهو أكبر قيساريات المدينة ، حيث كانت القيساريات تمثل البناء النموذجي للاستثمارات المربحة ، ومن الفنادق الأكثر نموذجية فندق الجالية الفرنسية ، وهناك فندق آخر يقيم فيه قنصل فرنسا والتجار الفرنسيون⁽²⁾. وقد كان من أوسع الفنادق وأجملها منظرا ، لأن القنصل الفرنسي كان يضع تحت حمايته التجار من مختلف الجنسيات ، باستثناء الإنجليز والهولنديين⁽³⁾. وتشير بعض المصادر إلى استقرار عدد كبير من التجار الوافدين من مرسيليا في تونس خلال القرن 17م ، ولعبوا دورا كبيرا كان يعظم من يوم إلى آخر في التجارة الخارجية للإيالة ، بالإضافة إلى الجالية القادمة من الدويلات الإيطالية ، خاصة من جنوة⁽⁴⁾.

إن السيمة الطاغية على النشاط التجاري للفرنسيين بإيالة تونس ، هي ارتباطهم الوثيق بمركز رأس المال ، الذي يسيطر على أعمالهم أي مرسيليا . فالتجمعات والشركات التي يكونونها ، كان مركز أغلبها موجودا في مرسيليا ، وكثيرا ما كانت تعتمد في تشكيلها على الروابط العائلية . ولكن ذلك لم يمنع من وجود بعض الحالات الشاذة ؛ حيث كان مركز بعض الشركات موجودا في تونس⁽⁵⁾.

وترتكز تجارة الإيالة التونسية أساسا على القموح ؛ وهذه التجارة تتطلب سرعة ومرونة في النقل ، والتي توفرها المراكب الصغرى ، وهذا ما يفسر أن 40% و 50% من المبادلات التجارية بين تونس ومرسيليا وليفورنو وجنوة ومالطة ما بعد سنة 1660م ، يتم بواسطة السفن الصغرى ، ومن جهة أخرى أن انعدام وجود أسطول تجاري تونسي قادر على منافسة الأساطيل الأوربية ، جعل هذه الأخيرة تكاد تحتكر كل المبادلات سواء مع أوروبا أو مع تونس ، ونتيجة لذلك اتسمت التجارة التونسية مع أوروبا خلال هذه الفترة بطابع الاستسلام⁽⁶⁾.

(1) الفندق الفرنسي بني مثل الخان ، إنه قسم رئيسي في مسكن ، له فناء مربع في الوسط ، وبه مخازن في الطابق الأرضي ، وغرف في الأعلى تتصل فيما بينها بأروقة ، بالإضافة إلى شقة القنصل ، كما يوجد سطح في الأعلى ، بالإضافة إلى قاعة للأكل والمطبخ ،

والديوان . ينظر : Paul Sebag : *Tunis Histoire d'une ville* , opcit , p 166 .

(2) أندريه ريمون : المرجع السابق ، ص 188 .

(3) شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص 361 .

(4) أحمد عبد السلام : *المؤرخون التونسيون في القرن 17م ، 18م ، 19م رسالة في تاريخ الثقافة* ، نقلها من الفرنسية إلى العربية

: أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحوي ، بيت الحكمة ، تونس 1993 ، ص 61 .

(5) الصادق بوبكر : المرجع السابق ، ص 17 .

(6) المرجع نفسه ، ص 10 .

إن المبادلات التجارية بين تونس ومرسيليا خلال سنوات 1609م، 1651-1657، 1692-1699، ارتكزت على محاور أساسية وهي :

- تجارة عبور شملت البضائع الإسبانية والمشرقية .
- تجارة الحبوب كعنصر رئيسي في صادرات البلاد، إضافة إلى مواد فلاحية أخرى .
- الازدياد الواردات التونسية من المواد الخام؛ الخاصة بصناعة الشاشية، إضافة إلى مواد كمالية .

فقد كانت البضائع الإسبانية والهولندية، التي يتم غنمها من القرصنة؛ كالنيلة وسكر البرازيل والرنكة الدخنة والصوف الإسباني، تورّد من تونس، وكذلك خلال الحرب الإسبانية الفرنسية سنوات 1635-1636م؛ زاد عبور المواد الإسبانية من تونس، ومع منتصف القرن السابع عشر أصبح العبور من تونس يهتم المواد الشرقية كالحرير، والمنسوجات، والأرز لتجد طريقها إلى مرسيليا، وغيرها من الموانئ الأوربية⁽¹⁾. وتشير بعض المصادر إلى أن العلاقات التجارية بين تونس، ومرسيليا وصلت إلى حد الخلطة المالية بين تجار الطرفين. فقد اتخذ الفرنسيون من الوادي المالح، والراس الأسود مراكز تجارية؛ يقتنون بواسطتها إنتاج المنطقة من حبوب، وجلود، وصوف، وكانت شركة صيد المرجان تحاول احتكار هذا التبادل التجاري، وتعمل على إبعاد المنافسين، إن تجارة فرنسا مع هذه المناطق كانت لها أهمية كبيرة؛ فقد اقتنت فرنسا عن طريق الراس الأسود، والوادي المالح، وطبرقة 240 ألف قنطار من الحبوب خلال الفترة من 1633م إلى 1650م⁽²⁾.

4- علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا من 1660م إلى 1685م:

ورغم جنوح إيالة تونس إلى السلم في سنة 1660م في عهد الداوي مصطفى قارة قوز، ولويس الرابع عشر Louis XIV، فقد أرسل الداوي سفارة بقيادة سيدي رمضان في شهر مارس من نفس السنة، محملا بهدايا ثمينة للملك لويس الرابع عشر، من أجل تسوية عدة قضايا، وتوطيد أواصر الصداقة بين الطرفين، إلا أن الأساليب الدبلوماسية بين الطرفين فشلت؛ بسبب قضايا تحرير الأسرى الفرنسيين في تونس، وبسبب السياسة الفرنسية المؤيدة للبنادقة في حربهم ضد للدولة العثمانية⁽³⁾.

وفي سنة 1665م قام الدوق دوفور Duc de Beaufort بحملة ضد السواحل التونسية، بعد فشله في جيغل شرق الجزائر، حيث قاد أسطولاً مكوناً من 34 مركباً حربية، فاتجه إلى ميناء حلق

(1) الصادق بوبكر : المرجع السابق، ص 11 .

(2) أحمد قاسم : المرجع السابق، ص 324-325 .

(3) Eugène Plantet: opcit ,T1 p 156.

الوادي وأحرق ثلاث سفن من العمارة التونسية ،التي كانت راسية بالميناء .وأرغم الإيالة التونسية على توقيع معاهدة سلم في 25 نوفمبر من سنة 1665م ،تحت ضغط الأسطول الفرنسي ،والتي خصت قضية افتداء الأسرى كموضوع أساسي بين الطرفين⁽¹⁾.بالإضافة إلى الأولوية التي منحتها الإيالة لفرنسا ،مقارنة مع الدول الأخرى ،ويتضح ذلك من خلال الفصل السابع من المعاهدة :((إن جميع الأمم التي تتاجر في تونس تتصل بالقنصل الفرنسي ،وتدفع له الحقوق المعهودة بكل سهولة ؛باستثناء أمتي الإنكليز والفلامان ،التي لكل منهما ممثل دبلوماسي في تونس))⁽²⁾.

وقد اختار الدوق لهذه المهمة أحد النبلاء الفرنسيين وهو جاك ديمولان Jaque Dumoulin ، والفارس دارفيو le Chevalier D'Arvieux من أجل تسهيل عملية تحرير الأسرى الفرنسيين بتونس ،والاطلاع عن أوضاع التجارة والقوة العسكرية بالإيالة .ويمكن من إبرام معاهدة سلم بخصوص التجارة في الرأس الأسود⁽³⁾.

وبعد الحملة الفرنسية على تونس في سنة 1665م ،وإرغام التونسيين على توقيع معاهدة للسلم بين الطرفين ،وبعد مفاوضات قادها كل من المبعوثين الفرنسيين جاك دومولان والفارس دارفيو ؛تمكن الفرنسيون من استرجاع امتياز التجارة في الرأس الأسود بعد توقيع معاهدة مع مراد باي الثاني في 02 أوت 1666م ،وأعادوا تأسيس الشركة الفرنسية ،التي منحت حق احتكار تجارة الجبوب ،وصيد المرجان ،ومنع التونسيون أي تعامل تجاري مع غير الفرنسيين ،وحددت مدة المعاهدة بعشرين سنة⁽⁴⁾. غير أن معاهدة سنة 1666م لم تنص على أي تنازل تراخي لفائدة الفرنسيين ،وقمنع على المؤسسات الفرنسية أن تكتسي أي مظهر من مظاهر التحصينات ،وكانت اللزمات تقدر بخمسة أضعاف لزمات البستيون ؛من دون أن تتحمل الشركة تكاليف أخرى ،بل كانت تحظى علاوة على ذلك بحق المتاجرة في القمح والشعير⁽⁵⁾.

ورغم تلك المعاهدة إلا أن السلم لم يدم طويلا بسبب تصاعد عمليات القرصنة بين الطرفين ، لذلك كلف لويس الرابع عشر Louis XIV الماركيز دومارتال de Martal في سنة 1670م للقيام بحملة بحرية ضد السواحل التونسية بهدف حماية التجارة الفرنسية ،لكنه فشل في ذلك ،فاكتفى هذا

(1)Alphonse Rousseau: op.cit , p 52.

(2)Rouard de Card : opcit , p 121.

(3)paul sebag : Tunis aux XVII, opcit, p 136 .

(4) المعاهدة منشورة ،تتكون من 14 بندا للاطلاع ينظر . Rouard de Card : opcit , pp 126-129.

(5) شارل أندري جولييان : المرجع السابق ،ص364 .

الأخير بقنبلة ميناء حلق الوادي ،ثم عاد إلى فرنسا .وبعد عامين عاد مرة أخرى إلى قصف الموانئ التونسية بعد أن منحه لويس الرابع عشر صلاحيات كبيرة ،وأرغم الداى محمد منتشالي على توقيع معاهدة جديدة في سنة 1672م ؛أكدت على ما جاء في معاهدة 1665م⁽¹⁾. فيما يخص قضايا الأسرى ،والتجارة ،والمعاملة بالمثل ،وتسوية كل القضايا بين الطرفين⁽²⁾.

وقد تعرضت إيالة تونس ما بعد سنة 1672م إلى أوضاع داخلية ميزها عدم الاستقرار السياسي ؛ بسبب الصراع الداخلي على الحكم ،والتهديد الجزائري على الحدود الغربية⁽³⁾. وهو ما أثر على علاقاتها الخارجية ؛خاصة مع فرنسا فقد تعرض الرعايا الفرنسيون لأخطار كثيرة ،حيث أرغم القنصل الفرنسي على دفع مبالغ مالية من أجل حماية حياته وممتلكات ورعاياه ،كما اضطر التجار الفرنسيون لبيع بضائعهم وسلعهم المخزنة في متاجرهم بمدينة تونس بأسعار منخفضة ،فاضطرت الغرفة التجارية بمرسيليا إلى تعويضهم⁽⁴⁾.

ونتيجة لهذه الأوضاع التي أثرت على المستوى السياسي للإيالة ،لم يكن باستطاعة الداى ،قطع العلاقات مع فرنسا ،لذلك حاولت إيالة تونس انتهاج سياسة سلمية مع فرنسا ،فأرسل الداى محمد طاباق مبعوثا إلى فرنسا هو بابا رمضان في سنة 1680م ،من أجل تحرير الأسرى التونسيين ،الذين كانت السفن الفرنسية قد أخذتهم من السواحل التونسية ،لكن المهمة فشلت ولم يعد المبعوث التونسي إلا بعد عامين من فرنسا ،ومعه فقط خمسة وخمسون أسيرا⁽⁵⁾.

وفي سنة 1683م طلب الداى أحمد شلبي من الفرنسيين تجديد معاهدة 1672م من أجل تحقيق السلم ،بسبب التهديدات الفرنسية للسواحل التونسية ،لذلك كلف الملك الفرنسي لويس الرابع Louis XIV عشر قائد الأسطول الفرنسي الماريشال دوكين Duquesne بتجديد المعاهدة مع التونسيين ،ورغم التنازلات الكبيرة التي قدموها لإثبات نيتهم للسلم ،إلا أن المشروع فشل بسبب مطامع لويس الرابع عشر في الحصول على المزيد من الامتيازات⁽⁶⁾.

وبعد أن عقد لويس الرابع عشر معاهدات سلم مئوي مع إيالات الجزائر وطرابلس ،كلف الماريشال ديستري Déstry من أجل إبرام معاهدة مماثلة ،وتجديد معاهدة 1672م مع تونس ،ولأن

(1) Eugène Plantet: opcit ,T1 p 156.

(2) Alphonse Rousseau: op.cit , p 62.

(3) ابن أبي الضياف : المصدر السابق ،ص 61 .

(4) Alphonse Rousseau: op.cit , p 62.

(5) Eugène Plantet: opcit ,T1 pp 300-301.

(6) Ibid, pp 319.

ميزان القوى كان لصالح الفرنسيين ،بعد الحملة التي قام بها الماريشال ديستري ضد السواحل التونسية ،استغل المرسلون الفرصة ،وتمكنوا من استرجاع مركز الرأس الأسود ؛فقد قام تاجر مارسيلي يدعى جان غوتيه Jean Gauttier ؛بدفع تعويضات للداي مقابل منحه حق استغلال الموقع ،وتم توقيع معاهدة في 28 أوت 1685م ،سمحت له باحتكار صيد المرجان بالساحل التونسي ،وقد ومنحت شركته امتيازات كبيرة في التعاملات التجارية .ثم تحولت الشركة إلى تجارة القمح بين إيالة تونس وفرنسا بعد تراجع نشاط صيد المرجان ⁽¹⁾.

وقد أعطت المعاهدة أهمية كبرى للمصالح التجارية الفرنسية بتونس ،وضمنت لفرنسا تفوقها على حساب الدول الأوروبية الأخرى ، وأقرت المعاهدة مبدا المعاملة بالمثل لتجار الطرفين في الموانئ ، كما أعادت امتياز استغلال الرأس الأسود للفرنسيين ،بعدما كان في يد منافسيهم الإنجليز ⁽²⁾.

5- العلاقات السياسية والتجارية بين الطرفين من 1685م إلى 1700م :

التزم الطرفان بالسلم طيلة هذه الفترة ؛فبالنسبة لتونس التزمت بتطبيق بنود معاهدة 1685م ، من أجل إثبات النية السلمية ،أما فرنسا فكانت في حاجة إلى القمح التونسي ،والتجارة التونسية ؛ بسبب المجاعات التي شهدتها أوربا ، وبسبب الأوضاع التي أفرزتها حرب أوغسبرغ (1688م-1697م) ،والمنافسة الإنجليزية ،والهولندية للاستحواذ على تجارة حوض البحر المتوسط ، توجهت سياسة لويس الرابع عشر Louis XIV إلى السلم ،واللين اتجاه التونسيين باستمرار في هذه المرحلة ،لذلك التزمت فرنسا بمعاهدة السلم ⁽³⁾.

وقد فرض لويس الرابع عشر على تونس شروطا أخرى مست سيادة الإيالة .ومن بينها :تعهد تونس باحترام الامتيازات بما في ذلك مبدأ تحديد الضريبة الجمركية على البضائع الفرنسية ،بحد أقصى 3% ،والتي كانت تتراوح قبل ذلك ما بين 10% و 15% ،وكذلك الامتيازات القضائية الخاصة بعدم محاكمة الرعايا الفرنسيين إلا بحضور قناصلهم ،وأهم من ذلك تعهد تونس بالقبض على سفن الجزائر وطرابلس وسلا ،إذا اشتبكت هذه في البحر في حرب مع سفن فرنسية .كما تعهدت تونس بعدم استرقاق الأسرى الفرنسيين ،وتحرير من يوجد منهم في سجون الإيالة التونسية ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ المعاهدة منشورة ،تتكون من 16 بندا للاطلاع ينظر . Rouard de Card : opcit , pp 126-129.

⁽²⁾Alphonse Rousseau: op.cit , pp 67-68.

⁽³⁾Paul Masson: opcit , p 255.

⁽⁴⁾ صالح العقاد : المرجع السابق ،ص ص 48-49 .

وقد نجحت الأساطيل الفرنسية المتواجدة باستمرار في السواحل التونسية ،في هذه الفترة في التضييق على السلطات التونسية ،التي التزمت بتطبيق بنود معاهدة السلم لسنة 1685م كاملة ،في حين أن الجانب الفرنسي لم يلتزم بتطبيق البند المتعلق بالمعاملة بالمثل ؛فيما يخص تبادل الأسرى التونسيين .فقد استفادت فرنسا من المعاهدة ،لكن ذلك لن يستمر طويلا بسبب اندلاع حرب عصبة أوغسبرغ في سنة 1688م ،والتي أثرت على فرنسا ⁽¹⁾.

أما علاقات الطرفين التجارية ما بعد معاهدة 1685م فقد كانت تونس تصدر الجلود الطرية ،و كذلك الصوف والشمع العسلي والإسفنج ،والتمر ،وريش النعام ،وتستورد أنواعا أخرى من الصوف المناسب لصنع الشاشية ؛وهي صناعة رائجة في تونس ،وكذلك الخمر وأقمشة الكتان والأسلحة ، وكانت شركة الرأس الأسود تنافس باقي الأوروبيين في التجارة مع تونس ،ورغم أن التجارة الفرنسية في تونس بلغت ضعفي أو ثلاثة أضعاف ما بلغته مع الجزائر فيما بين سنتي 1670 و1690م ،فإن حجمها ظل ضعيفا .لكن تموين الشركة الفرنسية لجيوش الملك لويس 14 بكميات الحبوب ابتداء من سنة 1691م كان يدر أرباحا طائلة ،لذلك سعت الشركة إلى الإبقاء عليها بالتحصيل على لزمة دائمة مع بداية القرن 18م⁽²⁾. وقد اعترف وزير البحرية الفرنسي بونشارتران Ponchartran في سنة 1692م ،بأن تونس أصبحت مصدرا حيويا للحبوب بالنسبة لجنوب فرنسا ⁽³⁾.

لقد تراجع الدور التجاري للشركة الفرنسية بعد سنة 1694م ؛بسبب ظروف حرب عصبة أوغسبرغ (اوجزبرج) ⁽⁴⁾، والمنافسة الجنوبية والإنجليزية في تونس ،لذلك أعطى الوزير الفرنسي بونشارتران أوامره إلى القنصل الفرنسي بتونس سورهانده Sorhainde ،للتفاوض مع التونسيين في سنة 1697م ، من أجل الحصول على امتياز دائم لهم في مركز الرأس الأسود ورغم توقيع معاهدة 1698م ،التي وقعها كل من الباي التونسي رمضان باي والقنصل سورهانده والتي نصت في فصلها 15 المتعلق بالأداء القمقي ،وهو 3% الذي هو من مستحقات الفرنسيين مقابل السلع التي يأتون بها إلى الموانئ

⁽¹⁾Paul Masson: opcit , p 255.

⁽²⁾ شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص ص361 ،364.

⁽³⁾ جون وولف : المرجع السابق ،ص 369.

⁽⁴⁾ ساءت علاقات لويس 14 ملك فرنسا مع معظم الدول الأوروبية البروتستانتية ؛بسبب إلغائه لمراسيم نانت في سنة 1685م ، فتكتل ملوك وأمراء هذه الدول ضده ،وكونوا تكتلا ضد فرنسا في سنة 1688م ؛ضم كل من إسبانيا والسويد ،وبروسيا ودوق سافوا ،وعرف هذا التكتل باسم عصبة أغسبرغ ،وهدفت للمحافظة على التوازن الدولي في أوروبا ضد لويس 14 ،انضم إليها البابا في نفس السنة ،خاض لويس الرابع عشر ضدها عدة حروب في أوروبا . ينظر: يحي جلال : المرجع السابق ،ص ص 71-72 .

التونسية ، ويشمل هذا الأداء أيضا السلع التي يأمر بها الفرنسيون من موانئ فرنسا ، والسلع التي تأتي لحسابهم من قرنة أو الموانئ الإيطالية ، أو أماكن أخرى . ولكن إذا ثبت وأن صادف وأن أتى فرنسي ، أو أمر بسلع باسمه وثبت أنها ملك يهودي أو أقوام أخرى من غير الفرنسيين ، فإن السلعة مخالفة للقانون ، وتحجز لفائدة الدولة التونسية ، ويجبر التاجر الفرنسي على دفع غرامة تقدر ب 14 % من قيمة السلعة المحتجزة⁽¹⁾. إلا أن المفاوضات بين الطرفين استمرت ، لتنتهي بحصول الفرنسيين على حق الاستغلال الدائم لمركز الرأس الأسود بعد توقيع معاهدة في 31 أكتوبر من سنة 1700 م⁽²⁾.

ومما سبق يمكن القول :

— إن علاقات الإيالة التونسية مع فرنسا خلال الفترة ما قبل القرن الثامن عشر ، تعتبر من أهم العلاقات ، وأعرقها بالمقارنة مع دول أوروبية متوسطة أخرى ؛ ذلك أنها تعود إلى سنة 1577 م ، وبالتالي منذ أن أصبحت تونس إيالة عثمانية .

— إن علاقات الإيالة التونسية السياسية مع فرنسا تميزت خلال القرنين السادس عشر ، والسابع عشر بالتنوع ، والمتواصل ، فقد منحت فرنسا بتونس حق إنشاء قنصلية لحماية مصالح رعاياها في وقت مبكر ، كما عقدت مع الإيالة عدة معاهدات كانت كثير منها لمدة مائة عام . لكن نشاط القرصنة المتبادلة وقضية الأسرى كانت من بين أسباب الإخلال بينود تلك المعاهدات .

— ومن جهة أخرى كانت المصالح الفرنسية التجارية في الإيالة ، تحتم عليها إعادة العلاقات في كل مرة ، بتجديد المعاهدات السابقة ، ولو عن طريق الحملات البحرية مثلما حدث عدة مرات ، في عهد الملك لويس الرابع عشر .

— أما بالنسبة لعلاقات الإيالة التونسية مع فرنسا التجارية في الفترة ما قبل القرن الثامن عشر ، فقد كانت قضية الامتيازات الفرنسية ، والمراكز التجارية ، وحقوق الشركات التجارية الفرنسية في الإيالة محورها الأساسي ، فقد فرضت فرنسا في كل معاهدة على البايات التونسيين هذه القضايا .

— في حين أننا لا نجد خلال هذه الفترة دورا ممثلا بالنسبة للتونسيين في فرنسا ، بالرغم من المعاهدات المبرمة ؛ على الصعيد السياسي ، أو التجاري بين الطرفين .

(1) المختار باي : المرجع السابق ، ص ص 597 .

(2) Paul Masson: opcit , p259.

- ومع نهاية القرن السابع عشر ؛وهي الفترة التي تمهد لبداية القرن الثامن عشر ،وبسبب تردي أوضاع فرنسا في أوروبا ،حاولت هذه الأخيرة أن تضمن لها علاقات سياسية سلمية ،وعلاقات تجارية متينة مع الإيالة التونسية ،فكانت معاهدة السلم لسنة 1685م ،والتي ستكون أساسا لمعظم معاهدات الطرفين خلال القرن الثامن عشر .وبذلك تكون هذه المرحلة من علاقات الطرفين السياسية ،والتجارية بين تونس وفرنسا ؛قد حددت فعلا طبيعة تلك العلاقات خلال القرن القادم ، وستحافظ خلال له على وضعها المميز في تونس .

وإذا كانت هذه هي طبيعة علاقات تونس مع فرنسا ما قبل القرن الثامن عشر ،فكيف هي علاقات الطرفين خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ،وتحديدا الفترة (1705-1756) م ؟.

المبحث الثاني :

علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا من 1705م إلى 1756م :

يمكن القول أنه خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1705م و1756م فإن العلاقات بين الإيالة التونسية وفرنسا غلب عليها السلم رغم فترات التوتر المتقطعة ، فقد عقد الطرفان ثلاث معاهدات للسلم ، في عهد الباي التونسي حسين بن علي ؛ مؤسس الأسرة الحسينية ، والذي لعب دورا هاما خلال هذه الفترة. ومن الجهة المقابلة لعب ملوك فرنسا لويس الرابع عشر ، ولويس الخامس عشر الدور نفسه في علاقات الطرفين . وهي : معاهدة سنة 1710م ، ومعاهدة سنة 1720م ، وأخيرا معاهدة سنة 1728م . وقد كانت هذه المعاهدات تقريبا ماهي إلا نسخة من معاهدة السلم لسنة 1685م ، وقد كانت هذه المعاهدات تحافظ على استمرارية علاقات الطرفين .

أما المعاهدة الرابعة خلال هذه الفترة ؛ فكانت سنة 1742م في عهد علي باشا ، والتي اضطرت فرنسا لتوقيعها مع الباي الجديد حفاظا على مصالحها ، التي تميزت بها عن غيرها من الدول في عهد عمه حسين بن علي . فقد كانت سياسة الباي الجديد -علي باشا - مغايرة لسياسة عمه ، اتجاه الدول الأوروبية بما فيها فرنسا ، لذلك قبلت فرنسا شروط الباي الجديد .

ونظرا لطبيعة العلاقات بين تونس وفرنسا في هذه الفترة ، والتي تعتبر البداية المؤسسة لعلاقات الطرفين خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، فقد قسمت هذه المرحلة التاريخية ، نظرا لأهميتها من حيث التأثير في الأحداث القادمة بين الطرفين ، وباعتبارها مفاصل زمنية خلال هذا النصف الأول من القرن الثامن عشر ، إلى العناصر الآتية :

- 1- علاقات تونس مع فرنسا من 1705 إلى 1728م .
- 2- علاقات تونس مع فرنسا من 1728 إلى 1740م .
- 3- علاقات تونس مع فرنسا من 1740 إلى 1756م .

إذن فما هي أهم مظاهر تلك المرحلة التي جمعت بين الإيالة التونسية وفرنسا ، وما طبيعة العلاقات التي ربطت بين الطرفين خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي ؟ هل غلب عليها السلم ، أم العداء ؟ .

1- علاقات تونس مع فرنسا من 1705م إلى 1728م :

1.1- علاقات تونس مع فرنسا قبل سنة 1710م :

كانت العلاقات التجارية أساسية نظرا لطبيعة العلاقات التاريخية الوثيقة بين دول حوض البحر المتوسط .لقد اضطر البايات الحسينيون منذ بداية القرن 18م ،إلى مقاومة تسلط الدول الأوربية العظمى المتزايد ،مع الحرص على إقامة علاقات عادية معها ،وقد عرفت تونس في عهد مؤسس الدولة الحسينية الباي حسين بن علي ازدهارا اقتصاديا حقيقيا ،فقد كانت تونس تصدر المنتوجات الزراعية المتنوعة ، وتتوافد عليها القوافل من الغرب والشرق ،فكثر عدد الأجانب المقيمين بها ،فابرم الباي معاهدات مع الكثير من الدول الأوربية ⁽¹⁾.

وكانت فرنسا قد كسبت مواقع تجارية هامة في البحر المتوسط كما رأينا ،خاصة في الإيالات المغاربية منذ القرن 17م بفضل سياسة الملك لويس 14⁽²⁾.وقد تحكمت في علاقات تونس وفرنسا في هذه الفترة عدة عوامل وظروف ؛ كان أهمها الموقع الاستراتيجي لتونس في الحوض الغربي للمتوسط وفي شمال أفريقيا ،والذي استغله حكام تونس الحسينيون ، فقد أصبحت تونس مع بداية القرن 18م ، مركزا تجاريا هاما يربط بين تجارة أفريقيا جنوب الصحراء ، والدول الأوربية ؛ خاصة الدويلات الإيطالية وفرنسا ⁽³⁾.ومن جهة أخرى فإن وضع فرنسا الدولي لم يكن جيدا ، فقد تراجعت مكانتها في القارة الأوربية ،خاصة بعد هزيمتها في حرب السبع سنوات ، لذلك حاولت تعويض خسائرها التجارية ، وتحقيق امتيازات تجارية وسياسية في شمال إفريقيا ؛ خاصة في تونس خلال هذه الفترة ⁽⁴⁾.

وبسبب المنافسة الإنجليزية والجنوية ، دخلت فرنسا في مفاوضات مع تونس عن طريق قنصلها منذ نهاية القرن 17م ؛ من أجل الحصول على امتياز دائم في الرأس الأسود ،وقد استمرت تلك المفاوضات ثلاث سنوات ،توصلت فيها فرنسا إلى عقد معاهدة مع إيالة تونس في 31 أكتوبر سنة 1700م ،وتحصلت بموجبها على امتياز دائم في الرأس الأسود ⁽⁵⁾.وقد كانت هذه أول معاهدة بين الطرفين خلال القرن 18م .

⁽¹⁾ شارل اندري جوليان : المرجع السابق ، ص 382 .

⁽²⁾ المختار باي : المرجع السابق ،ص 574 .

⁽³⁾ يحيى جلال : تاريخ المغرب الكبير ،دار النهضة العربية ،3ج ،بيروت 1981 ،ج3 ، ص 55 .

⁽⁴⁾ المختار باي : المرجع السابق ،ص 574 .

⁽⁵⁾ المعاهدة منشورة فقط عند بلانتي ،وللاطلاع على محتوياتها ،ينظر : pp 9-11 , op.cit , Egène Plantet

ورغم تلك المعاهدة إلا أن العلاقات بين الطرفين ظلت تتأرجح بين السلم والتوتر بسبب عمليات القرصنة ،وفي 14 و17 فيفري 1706م طلب دو كاستين De castines تجديد الاتفاقيات والامتيازات التي كانت تتمتع بها الشركة الفرنسية التجارية في رأس النيقرو ،كما طلب من الباي الاعتذار الصريح عن الإهانة التي ألحقها الداوي إبراهيم الشريف سابقا بالقنصل الفرنسي ،كما طلب دو كاستين من الباي دفع ما قيمته 41145 ريال مقدار الدين التونسي لدى الأمة الفرنسية ، بالإضافة إلى 12025 ريال قيمة ما غنمه قراصنة تونس من سفينة بندقية ،كما طالب المفاوض الفرنسي بإعفاء شركة رأس النيقرو من لزمات الضرائب . لكن التونسيون لم ينظروا في ذلك ،وألزموا الشركة الفرنسية بدفع 1166 ريال كضريبة⁽¹⁾.

وقد توالى الأحداث التي عكرت علاقات الطرفين ،ففي سبتمبر من سنة 1706م حجز التونسيون مركبا فرنسيا ،كان قد رسا بميناء مدينة صفاقس لإصلاح عطب ،وأخذ قائده البارديو قاسبار ترال Gaspard Terelle وطاقمه إلى قصر ،ولم يفرج عنه إلا بتدخل القنصل الفرنسي أوجي سورهاندي Augér Sorhainde . كما رفض الباي حسين بن علي تسديد ديون فرنسا على تونس ، التي سبقت فترة حكمه ،فتعطلت المفاوضات بين فرنسا وتونس . وتأزمت العلاقات بينها في سنة 1707م بسبب منح الباي التونسي ،حق صيد المرجان لرجل من صقلية يدعى أندريا براتشي Andrèa Brocei ،مقابل 6000 ريال فاحتج القنصل الفرنسي ،واعتبر ذلك مخالفا لامتيازات الشركة الفرنسية في الرأس الأسود ، كما زادت العلاقات تأزما بين الطرفين بعد رفع الباي التونسي الرسوم الجمركية على البضائع الفرنسية القادمة من ليفورنو ؛بعد تضرر التجار اليهود⁽²⁾.

كما تأثرت العلاقات التجارية بين تونس وفرنسا بسبب احتكار الباي التونسي لتجارة القمح في تونس ،وأجبر الشركة الإفريقية الفرنسية على شراء القمح بأسعار يحددها الباي .ورغم ذلك فإن الملك الفرنسي لويس الرابع عشر Louis XIV لم يحتج على ذلك ،بسبب المجاعة التي أصابت فرنسا في سنة 1709م ،بل أنه تم نقل كميات كبيرة من القمح التونسي المخزن في مراكز الشركة بالرأس الأسود ،بل أن الوزير الفرنسي بونتشارتان Pontchartain طلب من الغرفة التجارية بمرسيليا منحه العدد الكافي من السفن لشحن القمح التونسي من مخازن الشركة الفرنسية ؛بسبب المنافسة الإنجليزية⁽³⁾.

⁽¹⁾ المختار باي : المرجع السابق ،ص 576 .

⁽²⁾ المرجع نفسه ،ص 577 .

⁽³⁾ Paul Masson: op.cit , p 267.

كما تسبب مدير شركة الرأس الأسود الفرنسية لابيروزو Lapèrouze ، في تأزيم علاقات الطرفين بسبب شرائه كميات كبيرة من القمح التونسي دون العودة إلى الباي ، فهدد الباي بمنع الشركة الفرنسية من التجارة في تونس ، فقامت الشركة الإفريقية بعزله من منصبه ⁽¹⁾. كما تكررت عدة حوادث تتعلق بعمليات القرصنة المتبادلة عكرت علاقات الطرفين . وقد أورد صاحب الحلل السندسية حادثة ؛ تمثلت في هجوم الباي حسين بن علي على مركز الفرنسيين في جزيرة طبرقة في سنة 1709م نتيجة لإضراره بمصالح الإيالة ، وعدم التزامه بالشروط المتفق عليها . بقوله : ((... وأرهب الراهب والقسيس ، فانقلبوا صاغرين ... ثم دعا طاغيتهم ، وفرسانهم ، وأعوانهم وأعيانهم ، وألقوا من رؤوسهم تيجانهم ، ولم تغنهم البيع والكنائس عن دفع ما أمرهم به الأمير الميمون ، من إحضار الذخائر ، والنفائس ، وإحضار ريع الأموال ...)) ⁽²⁾.

ونتيجة لتلك الأحداث قامت الحكومة الفرنسية بإرسال أسطول بحري بقيادة الأميرال لاقل Laigle لإعادة العلاقات السلمية بين فرنسا وتونس ، فرسا بميناء حلق الوادي في 26 نوفمبر ، واتصل بالقنصل سورهاندي وسلمه رسالة من كاتب الدولة للبحرية الكونت دي بونشارتران ، وبعد مفاوضات بين الطرفين تم توقيع معاهدة سلم في 16 ديسمبر سنة 1710م ، مثل الجانب الفرنسي القنصل أوجي سورهاندي وقائد الأسطول ميشال Méchell ، أما ممثل الجانب التونسي فهو الباي ، وصادق عليها الملك الفرنسي لويس الرابع عشر في 14 أكتوبر سنة 1711م ⁽³⁾.

1.2- معاهدة 16 ديسمبر 1710م وأثرها على علاقات الطرفين:

وقد كانت بنود معاهدة 16 ديسمبر سنة 1710م استنساخ لبنود معاهدة السلم المئوي الموقعة في 30 أوت من سنة 1685م بين البلدين ، وقد تضمنت المعاهدة 25 فصلا شملت قضايا مختلفة بشرط المعاملة بالمثل . وقضية نموذج جواز السفر وتحديد الامتيازات لفرنسا ، ووقف نشاط القرصنة بين الطرفين . وكذلك الوضع القانوني لرعايا ملك فرنسا وقنصلهم في الإيالة التونسية ، و حقوق القنصل الفرنسي بتونس وحرية . وكذلك التجارة بين البلدين ، والنظام الأساسي لسفنهم في البحر ، وفي الموانئ

⁽¹⁾ تم توحيد الشركات التجارية الفرنسية ، وحملت اسم الشركة الملكية الإفريقية في سنة 1741م ، ينظر : سامح التر : المرجع السابق ، ص 493 . وينظر : مليكة الشيخ : المرجع السابق ، ص 117-131 .

⁽²⁾ محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج : **الحلل السندسية في الأخبار التونسية** ، تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة ، 3 مجلدات ، دار الغرب الإسلامي ، مجلد 3 ، بيروت 1985 ، ص 145-147 .

⁽³⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p 102.

التونسية والفرنسية ،مع عدم الإشارة إلى التمثيل القنصلي لتونس في فرنسا ⁽¹⁾. إضافة إلى أهم الأحكام التي وردت في معاهدة 30 أوت من سنة 1685م ⁽²⁾. وقد منحت المعاهدة الحق للشركة الفرنسية المرسيلية المسماة بالشركة الملكية لإفريقيا la Compagnie Royale d'Afrique ،حق تصدير كميات من الحبوب سنويا انطلاقا من ميناء تامكرت أو رأس نيقرو ؛الواقع في الساحل الشمالي للبلاد التونسية ⁽³⁾. وقد اتفق الطرفان مباشرة على هذه البنود دون الرجوع إلى الوساطة العثمانية ⁽⁴⁾. وحددت مدة سريان معاهدة 16 ديسمبر سنة 1710م بمائة عام ،وتنشر المعاهدة وتعلق في أي مكان ؛تكون الحاجة إليه ماسة وخصوصا في محلات الديوانية بتونس ⁽⁵⁾.

ومما يلاحظ على هذه المعاهدة أنها ما هي إلا استنساخ لبنود معاهدة سنة 1685م ،بين فرنسا والإيالة التونسية ،ومعظم بنودها في صالح التجارة الفرنسية ،والرعايا الفرنسيين وبالرغم من أن مدة سريانها حددت بمائة عام ،إلا أنها لن تدوم هذه المدة ،لأن عوامل القرصنة ،والأسرى ،والمصالح التجارية ؛هي التي ستتحكم في علاقات الطرفين ،إضافة إلى السياسة الخارجية لكل طرف ،وارتباطاته مع باقي الدول .

1.3- علاقات الطرفين ما بعد معاهدة سنة 1710م:

ومنذ توقيع معاهدة 1710م اتسمت علاقات الطرفين بالسلم ،فقد وقع السيد جاسبار لا بيروز Gaspard la Pérouze ،مدير الرأس الأسود مع باي تونس حسين بن علي بتاريخ 03 جوان من سنة 1711م معاهدة تجارية التزم فيها باي تونس ،بحق شركة إفريقيا la Compagnie d'Afrique في ملكية مركز الرأس الأسود ،على مدى الزمن الذي تريده ،أثناء فترة حكم الباي .ومنعها الحماية في كل مكان يهم تجارتها ،ويحق لها أخذ 1000 قفيز من القمح سنويا ،مقابل 10 ريالات للقفيز الواحد ،وتبقى اللزمات التي تدفع للباشا قائمة .بالإضافة إلى 500 قفيز من القمح ،والتي هي ملك

⁽¹⁾ المعاهدة أبرمت بين الباي حسين بن علي ،والملك الفرنسي لويس الرابع عشر ،بتاريخ 16 ديسمبر من سنة 1710م ،الموافق ل 29 شوال من سنة 1122هـ ،كتبت باللغتين الفرنسية والعثمانية ،كما أن الوثيقة موجودة بالأرشيف الوطني التونسي ،وهي مصنفة في السلسلة التاريخية ،ضمن الصندوق 204 ،الملف 58 . كما نشرها كل من ألفونسو روسو ،ودو كار ،وبلانتي . ينظر: مليكة الشيخ :المرجع السابق ،ص ص 57-62 . وينظر :الملحق رقم 05 .

⁽²⁾ المختار باي : المرجع السابق ،ص 580 .

⁽³⁾ عبد الحميد هنية : المرجع السابق ،ص 165 .

⁽⁴⁾ حسين خوجة : ذيل بشائر أهل الإيمان ،تحقيق وتقديم الطاهر العموري ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا 1975 ، ص 112 .

⁽⁵⁾ المختار باي : المرجع السابق ،ص ص 580-581 .

للباي ،والموجودة بمخازن شركة الرأس الأسود ،وبسبب رداءة صنفها ،ولتسهيل الباي مهمة لابيروز ، فإنه سمح ببيعها للشركة بستة (06) ريات للقفيز الواحد⁽¹⁾.

تم إنهاء مهام القنصل سورهانده Sorhainde ،وتعويضه بالسيد ميشال بيار فيكتور Michel Pierre Victor في وظيفة قنصل بتونس ؛بمرسوم ملكي صادر بتاريخ 08 جويلية من سنة 1711م . وقد تمتع القنصل ميشال بصدقات كثيرة في بلاط باردو ممثلة في شخص الوزير الأكبر حسين خوجة .لكن رغم ذلك إلا أن العلاقات بين فرنسا و تونس ؛ستتجه نحو التدهور بسبب مشاكل شركة أفريقيا .ففي 15 أوت من سنة 1713م بينما كان لابيروز غائبا عن شركة الرأس الأسود ، فرض حسين باي على نائبه السيد جيرا Vairat ،دفع المبلغ المستحق عن كمية القمح المباعة للشركة قبل تسليم البضاعة ،فاستلم الباي 5000 ريال ،أما المبلغ الباقي بسند مسحوب على أحد أعوان الشركة بتونس اسمه باي Paty ،علما أن الاتفاق بين لابيروز والباي منذ سنة 1710م ،ينص على أن تدفع الشركة الفرنسية المبلغ شيئا فشيئا ،كلما وقع تسليم البضاعة .لكن باي طلب حماية القنصل ميشال Michel ،مما أدى إلى توتر العلاقات بين الطرفين ،وطالبت فرنسا من الباي إرجاع الأموال للشركة الإفريقية ،وتطور الوضع إلى قطع العلاقات التجارية في جانفي من سنة 1715م⁽²⁾.

إن حظر التجارة بين تونس وفرنسا أندر الباي التونسي ،وجعله يتخوف من المقاطعة ،والتي استمرت طيلة سنة 1715م ،وحتى ربيع سنة 1716م .وفي شهر ديسمبر من سنة 1715م قامت سفن الملك الفرنسي لويس الخامس عشر Louis XV بزيارة إلى تونس ،في مهمة دوكان مونيي Duquesne Monnier بمرافقة السيد مايلي Maillet ،من أجل مطالبة الباي بتصحيح الأضرار التي لحقت بتجارة الفرنسيين ،بسبب التونسيين⁽³⁾.

لذلك أرسل حسين باي ،ومصطفى داي تونس في شهر جوان من سنة 1716م مبعوثين هما : أحمد خوجة ،ومحمد شاوش إلى البلاط الفرنسي ؛من أجل تسوية قضايا تخص تحرير عشرة أرقاء تونسيين كانوا قد أسروا في سنة 1716م ،بالإضافة إلى المطالبة بعزل القنصل ميشال .لكن الفرنسيين لم يستجيبوا لمطالب التونسيين .وزادت العلاقات توترا بعد اتهام الباي الفرنسيين بإغراق سفينة تحمل الحجاج التونسيين قرب جزيرة صقلية .حاولت فرنسا تحسين العلاقات مع الإيالة فقامت بتعيين

⁽¹⁾Rouard de Card : op.cit , p p 161-162.

⁽²⁾ المختار باي : المرجع السابق ،ص ص 583-587 .

⁽³⁾Paul Masson: op.cit , p 274.

قنصل جديد هو السيد بايل Bayle ،محل القنصل ميشال Michel في سنة 1718م ،وأعادت خمسة أرقاء تونسيين ،وبذلت مساع في قضية الحجيج التونسيين ⁽¹⁾.

وفي ال5 من شهر جوان من سنة 1718م عبر الباي عن استيائه للقنصل الفرنسي بايل Bayle عندما زاره في قصر باردو .بعبارات قوية بمرارة وصرح بأنه قرر بالاتفاق مع الديوان ،بأنه خلال مهلة قدرها شهرين ابتداء من ذلك اليوم ،إذا لم يتم إرجاع رعاياه المحتجزين في سجون صقلية ،فإنه سيضع القنصل الفرنسي ورعاياه في السجن .وستعرض وضعية الجالية الفرنسية في تونس للمشاكل ،وقد أدى ذلك إلى إعلان القطيعة بين الطرفين ،وهو ما أثر على التجارة الفرنسية ⁽²⁾.

وفي ال21 من شهر فيفري من سنة 1719م وصل القبطان دوكان Duquesne إلى ميناء حلق الوادي ،على متن أسطول مكون من 13 سفينة تجارية ،وتمت تحيته ب 11 طلقة ، واستقبل القنصل الفرنسي على ظهر سفينته ،وكلفه بإعلام الباي بمجيئ ممثل الملك الفرنسي ؛من أجل طلب ترضية أو تعويض عن الإخلالات ،التي لحقت بآخر معاهدة سلم بينهما ،وطلب التفاوض من أجل تجديدها . وفي ال25 استقبل الباي الضابط دوكان ،الذي لم يلتزم بالمراسيم المعهودة ،وبدأت المفاوضات بين الطرفين من أجل تسوية القضايا العالقة ،للوصول إلى عقد معاهدة جديدة تعيد العلاقات السياسية والتجارية بين الطرفين .ولكن مساعي دوكان فشلت بسبب عدم التزام فرنسا بإرجاع الأسرى التونسيين في صقلية ،وعدم مراعاة الضابط الفرنسي دوكان للتقاليد الدبلوماسية ، فاضطر إلى مغادرة تونس في الثاني من مارس بعد طلب حسين باي ذلك ⁽³⁾.

وبسبب فشل مساعي الضابط الفرنسي دوكان أرسل الملك الفرنسي لويس الخامس عشر في شهر ديسمبر من سنة 1719م ،رجلا هو السيد دونيس ديسو Denis duSault موفد بصورة استثنائية ومفوض من طرف الملك ،الذي دخل في مفاوضات مع الباي التونسي وديوانه في شهر جانفي من سنة 1720م ،وبعد أن تدخل داي الجزائر لتليين موقف الباي التونسي حسين بن علي اتجاه الفرنسيين ،تمكن دونيس من تجديد معاهدة سلام بين فرنسا والإيالة في سنة 1720م ⁽⁴⁾.وبذلك تكون معاهدة 16 ديسمبر لسنة 1710م ،لم تعمر سوى عشر سنوات ،بالنظر إلى المعاهدة التالية ، ولكن واقعيا أقل من ذلك .

⁽¹⁾ المختار باي : المرجع السابق ،ص 590 .

⁽²⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p 104.

⁽³⁾ المختار باي : المرجع السابق ،ص 595 .

⁽⁴⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p 104.

1.4- معاهدة 20 فيفري 1720م وأثرها على علاقات الطرفين:

تم إبرام المعاهدة في الـ 20 من شهر فيفري من سنة 1720م ،من طرف باي وداي تونس والديوان وأغا الانكشارية ،وموفد ومفوض الملك لويس 15 السيد ديسو بقصر باردو . واحتوت المعاهدة على 28 فصلا ؛ شملت قضايا مختلفة ،تخص العلاقات السياسية والتجارية بين الطرفين ⁽¹⁾. وقد أعادت المعاهدة الامتيازات القديمة للفرنسيين ،كما التزم الطرفان بالمحافظة على المعاهدة وعدم الإخلال بها . كما اتفق الطرفان على إعادة العلاقات التجارية ،وممارسة تجارتهم في إطار التبادل المماثل والإبحار بكل أمان وحرية (الفصلان 01 و 02).

يتم تبادل الأسرى بأممتعتهم وممتلكاتهم بين الطرفين في تونس أو فرنسا ،كما يتم تحرير الأسرى الفرنسيين الذين تجلبهم سفن أعداء فرنسا ولو كانوا من إيالتي الجزائر أو طرابلس ،ولا يسمح بتقديم العون لقراصنة دول الإيالات إذا كانت في حالة حرب مع فرنسا ،والمعاملة بالمثل مع تونس إذا كانت دولة عدو لها ،ويقوم القنصل الفرنسي بافتدائهم ،ولا يسمح باسترقاق الفرنسيين ولو كانوا على ظهر سفن أجنبية ،وتكون المعاملة بالمثل (الفصول 03 و 07 و 08 و 09 و 12) .

إذا التقت سفن حربية تونسية بسفن فرنسية ،فلا يتم عرقلة رحلتها أو إيقافها ،إذا كانت تحمل الراية الفرنسية أو جواز سفر متفق عليه . وتكون المعاملة بالمثل للسفن التونسية التي تحمل جوازات مسلمة من طرف القنصل الفرنسي (الفصل 04) .

يحق للسفن الحربية والتجارية العائدة للطرفين في الدخول لموانئ البلدين ،وتقدم لها المساعدة وتنزود بما تحتاجه من مواد ضرورية . وحق الحماية وتقديم النجدة للسفن الفرنسية المطاردة ،أو التي ضلت الطريق في حالة لجوئها إلى السواحل التونسية ،وتكون المعاملة بالمثل (الفصول 05 و 06 و 10).

أما بالنسبة للعلاقات التجارية فلا يرغم الفرنسيون على شحن أي شيء ضد رغبتهم في سفنهم ،أما بالنسبة للرسوم الجمركية فلا تدفع أية رسوم على البضائع التي لم تبع ،وللتجار الفرنسيين الحق في البيع والشراء بحرية ،مع تحديد نسبة الرسوم ب 03% ،ولا تدفع أية رسوم على البضائع الموضوعة في المخازن التونسية ،والمعاملة بالمثل (الفصول 10 و 11 و 13) .

أما بالنسبة للتمثيل الدبلوماسي فقد أعطت المعاهدة حقوقا كثيرة وامتيازات متعددة للقنصل الفرنسي بتونس ،كحق مساعدة التجار الفرنسيين ،وحق ممارسة دينه في منزله ،وحق استقبال الأشخاص ،والفصل في قضايا الخلافات بين الفرنسيين بتونس دون تدخل قضاة تونس (الفصل 14)

⁽¹⁾Rouard de Card : op.cit , p 163.

مع حق اختيار سماسرته وترجمانه ،ورفع الراية الفرنسية فوق مقر قنصليته ،وحق زيارة السفن الفرنسية الراسية بالموانئ التونسية (الفصل 15) .بالإضافة إلى إعفائه من كل أنواع الرسوم أو الضرائب ،وحقه في الدفاع عن رعاياه في حالة حدوث خلاف مع تونسيين (الفصول 17 و18 و19) .

أما في حالة انتهاء السلم بين الطرفين تمنح للرعايا الفرنسيين ؛مدة ثلاثة أشهر لمغادرة الإيالة إلى أي مكان يختارونه بحرية ،وبكل أمان (الفصل 24) .وحددت مدة المعاهدة بمائة سنة على أن تنشر في الأماكن الهامة (الفصل 28) ⁽¹⁾.

ومما يلاحظ على مضمون معاهدة سنة 1720م ،أنه بالرغم من الإشارة إلى مبدأ المعاملة بالمثل بين فرنسا وتونس في كل فصولها ،إلا أنها كانت دائما في صالح الفرنسيين ،وحتى في الترتيب دائما نجد الحقوق تبدأ بالرعايا الفرنسيين ،لذلك سعى الفرنسيون إلى تجديدها نظرا لحاجتهم الملحة لمثل هذه المعاهدة .وحيث الشكل يلاحظ الإكثار في عدد الفصول 28 ،وربما كان الهدف منه ؛خاصة بالنسبة لفرنسا ،توضيح وشرح لكل النقاط ،من أجل إزالة كل لبس في أي نقطة من نقاط المعاهدة ،تفاديا للوقوع في الخطأ ،أو التهرب في حالة خرق أي بند منها ،ضمانا لاستمراريتها .ولكن بالرغم من ذلك فإن المعاهدة لن تعمر طويلا ،رغم أن مدتها حددت بمائة عام .

1.5- علاقات الطرفين ما بعد معاهدة سنة 1720م:

عُيِّن السيد بينيون Pignon ،في سنة 1723م قنصلا جديدا لفرنسا بدلا من القنصل بايل ،وقد وصل إلى التونسية في 08 من شهر أفريل من سنة 1724م ،وكتب بينيون عند مباشرة مهامه إلى حكومته في ال17 من أفريل عن التجارة الفرنسية في الإيالة ؛بأنها جيدة وأن الباي يبذل مجهودات كبيرة في تطبيق معاهدة السلم مع فرنسا .وأنه يشجع التجارة مع فرنسا ؛بسماحه بتوريد المواد الغذائية من تونس ؛وخصوصا عندما رفع الحظر عن تصدير الزيوت والحبوب إلى فرنسا ⁽²⁾.

وقد توجت مظاهر الصداقة بين تونس وفرنسا ،وبلغت العلاقات بين حسين باي ولويس 15 أوجها ،بزيارة السفير الفرنسي ،الذي توقف في تونس في شهر ماي 1724م لتعزيز علاقات الطرفين ،قبل توجهه إلى مقر عمله بإسطنبول ،رحب الباي بزيارة السفير الفيكونت داندريال Le Viconte d'Andreza عند نزوله بميناء حلق الوادي ،وخصه باستقبال رائع ،وقد اصطحب السفير الفرنسي

⁽¹⁾ المعاهدة منشورة وهي مكونة من 28 فصلا ،للاطلاع على فصولها ،ينظر إلى : Rouard de Card : op.cit , p p 163-

169. Alphonse Rousseau: op.cit , p p 491-493.

⁽²⁾ المختار باي : المرجع السابق ،ص ص 607-608 .

معه وفدا هاما من ضباط البحرية الفرنسية والموظفين ،وقد حُيّي ب14 طلقة مدفع ،وتلقى أثناء إقامته بتونس كل أنواع المودة ،وحظي بكل أنواع الحفاوة ، وعند مغادرته تمت تحيته ب21 طلقة مدفع بدلا من 14 ،وهو ما دلّ على سلمية علاقات الطرفين ؛خاصة من الجانب التونسي⁽¹⁾.

لقد دامت زيارة السفير إلى تونس من 22 ماي إلى 26 ماي من سنة 1724م ،وقد عبرت تلك الزيارة والاستقبال الذي حظي به ،عن طبيعة العلاقات التي تربط بين الدولتين ،والتي تميزت بالصدقة والمودة المتبادلة بينهما ،وقد تجلت مظاهرها من خلال مجموعة من الرسائل المتبادلة بين ساسة البلدين ؛منها رسالة مؤرخة بتاريخ 23 ماي من سنة 1724م موجهة من الباي التونسي إلى الملك الفرنسي ، وثانية موجهة من الباي إلى الوزير موربا Maurepas ،وأخرى ثالثة مؤرخة بتاريخ 1 نوفمبر من سنة 1724م ،موجهة من الوزير الفرنسي إلى الباي ؛وقد أكدت تلك المراسلات كلها على عمق العلاقات السلمية بين الطرفين ،والتزامهما بتطبيق نصوص المعاهدات السابقة المبرمة بين الدولتين⁽²⁾.

وفي سنة 1725م أرسل الملك الفرنسي لويس الخامس عشر ،رسالة مودة إلى حسين باي يعلمه فيها عن شكره ،واستعداداته إلى جانب باي تونس ؛من أجل تمتين العلاقات الطيبة ، والسلمية بينهما ،والتزامه ورعاياه اتجاه الرعايا والسفن التونسية ؛من أجل حمايتها في الموانئ الفرنسية . ومن جهتها أعطت الحكومة التونسية تعليمات صارمة للقراصنة التونسيين ،بعدم التعرض ،أو الإساءة للسفن الفرنسية⁽³⁾.

ورغم العلاقات السلمية التي ربطت تونس وفرنسا خلال هذه الفترة ،وحرس حسين باي على تطبيق المعاهدات المبرمة مع فرنسا ،إلا أنه وقعت بعض الحوادث وترت تلك العلاقات ؛منها ما قام به البحارة التونسيون من مطاردة لبعض السفن الإيطالية ،رغم دخولها للمياه الإقليمية الفرنسية ؛رغم أن نصوص المعاهدات المبرمة بين الطرفين ،تمنع على البحارة التونسيين مطاردة السفن التي تلجا للسواحل الفرنسية ،وكرد فعل على تصرفات البحارة التونسيين ،ومن أجل إيقاف نشاط القراصنة ، قامت الحكومة الفرنسية في سنة 1727م بتكوين أسطول بحري مكون من خمس سفن ، وتسليحه بقيادة الضابط ديمون Démon ،وقد كلف الأسطول بمطالبة الباي التونسي بمعاينة قراصنة بلاده ، والتعويض عن الخسائر التي سببها لتجارة الرعايا الفرنسيين⁽⁴⁾.

⁽¹⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p 106.

⁽²⁾Egène Plantet: op.cit , pp 150-152.

⁽³⁾المختار باي : المرجع السابق ،ص 608 .

⁽⁴⁾Alphonse Rousseau: op.cit , pp 108-109.

وعند مغادرة الأسطول الفرنسي ميناء طولون متوجها إلى إيالة تونس ،صادف في طريقه مركبا تونسيا كان يطارد سفينة إيطالية بالقرب من السواحل الفرنسية ،فقام قائد الأسطول الفرنسي ديمون باحتجازه ،وتوجه به إلى ميناء حلق الوادي ،وعند دخول الأسطول الفرنسي إلى السواحل التونسية ؛ نسي قائد الأسطول ديمون إنزال العلم الفرنسي من على المركب التونسي ،وشرع في التفاوض مع التونسيين ،وعندما علم الباي بمخالفة رفع العلم الفرنسي على المركب التونسي ،اتهم قائد الأسطول الفرنسي بتجاهل المعاهدات المبرمة بين الدولتين ،وسوء معاملة المركب التونسي ،وأمر بالقبض على جميع الضباط الفرنسيين ،الذين كانوا قد نزلوا إلى مدينة تونس ،ورفض التفاوض مع الفرنسيين قبل استرداد المركب التونسي ،ووعد القنصل الفرنسي بينون Pignon في سنة 1727م ،بمعاقبة البحارة التونسيين في حالة ثبوت قيامهم بأعمال القرصنة داخل السواحل الفرنسية ⁽¹⁾.

وبسبب توتر العلاقات بين الطرفين أمر لويس 15 ،ووزيره موروبا القائد دي جراندبري De Grandpré ،بتوجيه حملة بحرية كبيرة إلى ميناء حلق الوادي ،لإرغام حسين باي على توقيع معاهدة ،وقبول الشروط الفرنسية ،بتاريخ 17 جوان من سنة 1728م .وفي 21 جوان بدأت المفاوضات بين الطرفين لحل الخلاف .وفي 29 جوان كتب حسين باي إلى قائد الأسطول دي جراندبري متأملا أن يدوم السلم بين الطرفين باستمرار ،وأن لا تفسده أية أزمات أو صعوبات ⁽²⁾.

2- علاقات تونس مع فرنسا من 1728م الى 1740م :

2.1- معاهدة 01 جويلية 1728م وأثرها على علاقات الطرفين :

تم توقيع معاهدة بين الطرفين بتاريخ 01 جويلية من سنة 1728م ،فرضت فيها فرنسا شروطها على تونس ،ومنحت حقوقا تجارية في تونس ،وأرغمت الباي حسين بن علي على وضع حد لعمليات القرصنة التونسية ،وقد تضمنت المعاهدة 14 فصلا ،تضمنت هيمنة فرنسا على الإيالة من خلال الشروط السياسية والتجارية التي فرضتها المعاهدة ⁽³⁾. ومن أهمها قضية التعويضات التي تقدمها الإيالة التونسية لفرنسا .إضافة إلى قضية تحرير الأسرى ،وكذا الامتيازات و الحقوق الاقتصادية التي منحتها الإيالة للشركة الفرنسية لصيد المرجان في مركز الرأس الأسود ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾Alphonse Rousseau: op.cit , pp 108-109.

⁽²⁾ المختار باي : المرجع السابق ، ص 629 .

⁽³⁾ينظر:مليكة الشيخ :المرجع السابق ،ص ص 62-63 .وكذلك ينظر : Rouard de Card: op.cit , p 172.

⁽⁴⁾Ibid.

وإذا تتبعنا محتويات معاهدة جويلية من سنة 1728م بقراءة تفصيلية ، فنجد أن الفصلين 01 و02 تضمننا ، صياغة للاعتذارات والندم بأسلوب دبلوماسي من طرف المسؤولين التونسيين موجه إلى الملك الفرنسي لويس 15 ، يعتذرون فيه عن الخروقات التي لحقت بمعاهدات السلم السابقة ، ويلتزمون فيه بتطبيق كل بنود معاهدات السلم بين فرنسا والإيالة .

يدفع التونسيون 8000 ريال نقدا تسلم على ظهر سفن الملك تعويضا عن الأضرار التي سببها القراصنة التونسيون ، والتي لحقت بالرعايا الفرنسيين ، والسفن الفرنسية. ومما يدل على فرض فرنسا لشروطها على تونس ؛ هو عقاب عدد من الرياس بأسمائهم ، تورطوا في أعمال قرصنة ضد السفن الفرنسية ، حيث فرض عليهم النفي بضغط من فرنسا . بالإضافة إلى منع القرصنة التونسية بالقرب من السواحل الفرنسية على بعد 10 أميال ، ويعاقب كل من يخرق هذا القانون ⁽¹⁾.

يجر كل الأسرى الفرنسيين المحجوزين في السجون التونسية ، .بالإضافة إلى 20 من الأسرى المسيحيين الكاثوليك ، يختارهم القنصل الفرنسي ، ويسلموا على ظهر سفن الملك قبل توقيع المعاهدة . والأهم من ذلك هو تمتع فرنسا بالأفضلية بين الأمم في الامتيازات ، والإعفاءات دون غيرها من الدول ، كما تتمتع بحرية ممارسة التجارة الرأس الأسود . إضافة إلى حرية التجار الفرنسيين في شراء البضائع من تونس دون تدخل الباي في ذلك ⁽²⁾.

وقعت المعاهدة من طرف حسين باي ، و وقائد الأسطول الفرنسي دي جراندبري Grandpré De ، والسيد دي هاريكور d'Héricourt الأمين العام لجيوش فرنسا البحرية ، المفوضان من طرف الملك الفرنسي لويس 15 ، وبذلك تكون تونس قد منحت امتيازات كبيرة لفرنسا ، وأعطتها مكانة استثنائية مقارنة بدول أخرى ، ومن جهة أخرى كانت قاسية بالنسبة للتونسيين ⁽³⁾.

كانت فصول معاهدة سنة 1728م ، من حيث الشكل قليلة مقارنة بالمعاهدات السابقة . ومن حيث المضمون وهو الأهم فإن المعاهدة بجميع فصولها كانت قاسية على تونس ، فرضت شروطها على الباي وديوانه بقوة الأسطول الحربي ، إلى حد أنها بدأت بتقديم الاعتذارات من طرف التونسيين ، رغم أن الفرنسيين هم من كان في حاجة إلى المعاهدة . وقد اعترف الباي ضمنا بعدم شرعية القرصنة ، التي تعتبر نشاطا مهما للتونسيين بفرضه العقوبات على رياسه ، ومن جهة أخرى قضية تحرير العشرين كاثوليكيا غير فرنسيين تعتبر تدخلا واضحا في سياسة تونس الداخلية ، كما أن الفصول

⁽¹⁾ الفصول (3-4-5) من المعاهدة ، ينظر : المختار باي : المرجع السابق ، ص ص 630-632 .

⁽²⁾ الفصول (6-7-8-12) من المعاهدة ، ينظر : Alphonse Rousseau: op.cit , p p 493-495 .

⁽³⁾ Rouard de Card: op.cit , p 172.

المتعلقة بالامتيازات والتجارة أعطت فرنسا مكانة تفضيلية مقارنة بالدول الأخرى .ربما يعود هذا الخضوع من طرف الباي إلى الوضع الداخلي لتونس ،بعد ثورة علي باشا عليه في سنة 1728م.

2.2- علاقات الطرفين ما بعد معاهدة سنة 1728م:

ورغم الشروط المجحفة في حق التونسيين ،والتقييدات الكبرى التي فرضتها فرنسا عليهم في البحر ،إلا أن القرصنة التونسية لم تتوقف نهائيا إلى غاية سنة 1731م ،فقد أرغمت فرنسا الباي التونسي على احترام معاهدة سنة 1728م ،وفرضت عليه توقيف نشاط القرصنة التونسية ضد السفن الفرنسية ،لذلك استمرت علاقات الطرفين سلمية حتى نهاية فترة حكمه ⁽¹⁾. ومن بين المناطق التي منح فيها امتيازات للفرنسيين بنزرت ،التي أصبحت قاعدة للأسطول التجاري الفرنسي المتخصص في صيد المرجان منذ سنة 1732م ،و كانت توجد بها جالية فرنسية تتعاطى تجارة المرجان ⁽²⁾.

ورغم استمرار عمليات القرصنة المتقطعة من الطرفين خلال سنوات 1732م و1733م ،فإن علاقات الطرفين كانت في مجملها سلمية ،فقد لجأ حسين باي في قضية اختطاف واسترقاق 120 تاجرا تونسيا كانوا على متن سفينة فرنسية ،إلى الملك الفرنسي لويس 15 ،وأرسل له وفدا مكونا من بابا أحمد أسلان وحاج عبد الله آغا في 4 جانفي من سنة 1734م .وفي شهر نوفمبر من سنة 1734م طمأن القنصل الفرنسي الجديد جان لويس غوتيه Jean Louis Gauthier حسين باي ،عن حرص الملك الفرنسي على قضية التجار التونسيين ،وأخبره أنها في طريقها للحل ؛بفضل مساعي السفير الفرنسي في إسبانيا .وفي شهر فيفري تم تحرير 90 تاجرا تونسيا ،و17 طرابلسيا وصلوا إلى تونس . لذلك وجه الباي رسالة شكر إلى الوزير الكونت دي موروبا في 20 فيفري من سنة 1735م ⁽³⁾.

وعندما أبعد حسين باي عن السلطة في تونس ؛بعد هزيمته أمام ابن أخيه علي باشا في 4 سبتمبر من سنة 1735م ،ورغم عدم وجود روابط بين القنصل الفرنسي مع الباي الجديد ،إلا أنه تقدم له بالشكر للملك لويس 15 والوزير دي موروبا ،بعد إرجاع أمتعة وممتلكات التجار التونسيين من إسبانيا ،إلا أن العلاقات بين الطرفين ستتغير بحلول سنة 1737م ⁽⁴⁾. فقد كان علي باشا يعتقد وهو محق في ذلك أن الفرنسيين ،يشجعون قيام الثورات في بلاده ،لذلك شجع عمليات القرصنة ضد

⁽¹⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p 112.

⁽²⁾ عبد الحكيم القفصي : بنزرت والبحر في العصر الحديث ،في أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت ،بنزرت 1991-1992 ، ص 22 .

⁽³⁾ المختار باي : المرجع السابق ، ص 652 .

⁽⁴⁾ نفسه ، ص ص 652-653 .

السفن الفرنسية خلال سنوات 1737م و1738م، وكان يكن عداوة شخصية للقنصل الفرنسي جون لويس غوتيه خاصة عندما تورط هذا القنصل في قضية إمارة⁽¹⁾. حسب بعض الكتابات الغربية .

3- علاقات تونس مع فرنسا من 1740م إلى 1756م :

3.1- حادثة القنصل غوتيه⁽¹⁾ وعلي باشا وأثرها على علاقات الطرفين :

وزادت العلاقات توترا بين تونس وفرنسا في سنة 1740م ؛عندما تميز القنصل غوتيه (1734م- 1742م) عن باقي قناصل الدول الأوربية ؛بالممرور أولا والجلوس في المكان الأول قبلهم ،وبتهنة علي باشا بمصافحة يده دون تقبيلها ،مبررا ذلك بالامتيازات التي خصت بها فرنسا دون غيرها من الدول في عهد حكام تونس السابقين . لكن الباي التونسي غضب من تصرف القنصل الفرنسي ،وطالب منه بالامتنال لقانون البلاد والالتزام بعادة تقبيل يد الباي ،مثل بقية قناصل الدول الأجنبية ،باعتبارها تمثل هبة للباي .فاتصل القنصل الفرنسي بعد ذلك بالتجار الفرنسيين المقيمين بتونس ،الذين أوفدوا من بينهم وفدا إلى الخزندار ليتوسط لدى الباي ليقنعه بالتراجع عن قراره⁽²⁾.

لكن علي باشا بقي متصلبا في موقفه ،وفشلت مساعي وفد التجار الفرنسيين ،فأعلم القنصل والتجار الفرنسيين المقيمين بتونس وزير الدولة الفرنسي للتدخل في القضية ،لكنه طلب من القنصل عدم الذهاب إلى قصر الباي بباردو حتى يتم الرد من طرف الدولة الفرنسية . لكن الأوضاع في تونس كانت لصالح علي باشا ؛حيث تمكن ابنه يونس باي من الانتصار على حسين باي وقتله ،ونتيجة لهذا الانتصار قام قناصل الدول الأجنبية بتهنة الباي ،وامتنع القنصل الفرنسي ،فأرسل الباي الحراس إلى داره ،ومعهم الأمر بالتوجه إلى قصر باردو لتقبيل يده ،وخوفا على حياته ومصير الرعايا الفرنسيين المقيمين بتونس ،اضطر القنصل إلى الانحناء وتقبيل يد الباي ،وكان ذلك في 14 ماي 1740م⁽³⁾.

3.2- تدمير المراكز الفرنسية وأثره على العلاقات السياسية والتجارية للطرفين :

علم الفرنسيون المتواجدون بالقرب من جزيرة طبرقة في مركز الرأس الأسود ،أن ملائكة الجنويين يودون بيعها ،فتخوف الفرنسيون من المنافسة الإنجليزية في المنطقة ؛نظرا للموقع الاستراتيجي للجزيرة القريب من مركز الشركة الفرنسية التجارية في ميناء تامكرت ،وقد كانت فرنسا تنظر للجنويين بعين

⁽¹⁾ هذه أوردها أندري جوليان دون غيره للاطلاع . ينظر :شارل أندري جوليان : المرجع السابق ،ص 383 .

⁽¹⁾ للاطلاع على تفاصيل قضية القنصل غوتيه مع علي باشا . ينظر :مليكة الشيخ : المرجع السابق ،ص ص 70-73 .

⁽²⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p 122.

⁽³⁾Pierre Grandchamp: **Suppression du baise-main des Consuls à la cour du Bey de Tunis**, in **R.A.**, Alger 1921, T62, p336.

الحسد بسبب الأهمية التجارية للجزيرة فكانت لها مطامح فيها⁽¹⁾. وذلك بهدف توسيع حجم التجارة الفرنسية بين فرنسا وتونس، والتحكم في الباي ثم في تجارة جميع بلدان شمال أفريقيا وأوروبا⁽²⁾.

وزاد غضب الباي التونسي علي باشا من الفرنسيين بسبب موقف الشركة الإفريقية الفرنسية la Compagne d'Afrique ؛ ذلك أنه احتجز رسالة لمدير الرأس الأسود يدعى فوقاس Fougasse ، يكشف النقاب عن خطة لغزو طبرقة ، التي اعتزم جماعة لومليني التحلي عنها. فاقترح ضابط سفينة فرنسي يدعى سوران دومورات Saurins de Murat ، على وزير البحرية الفرنسية موربا Maurpas القيام بحملة لاحتلال الجزيرة ، فلقبي اقتراحه القبول لدى الوزير⁽³⁾.

وبعد أن علم علي باشا بموضوع بيع الجزيرة ، وأخبر داي الجزائر بهذا الموضوع ، وحينما حصل على أمر المخالفة ، والاتفاق مع الجزائر ، أرسل ابنه يونس بك على رأس ثماني قليونات إلى جزيرة طبرقة ، وهاجم بحارة الجزيرة ، ودمر جميع المراكز والمؤسسات التجارية فيها ، وأسر ثمانمائة شخص. وتعرضت الأماكن التجارية الفرنسية الموجودة في الرأس الأسود ، لنفس المعاملة وتمكن حوالي 500 صياد من الهرب إلى القالة وسان بير في سنة 1740م⁽⁴⁾.

لقد سبق الباي الأحداث فاستولى على القاعدة ثم على الرأس الأسود في 16 أوت 1741م ، فحاول ضابط البحرية الفرنسية سوران Saurins الاستيلاء على الجزيرة في غفلة من أهلها ، وانكشف أمره ، بعد أن هزم من طرف قوات يونس باي ، وألحقت به خسائر كبيرة حيث تم أسره⁽⁵⁾. إضافة إلى عدد كبير من القتلى والأسرى الفرنسيين ، قدرهم الفرنسيون ب 27 قتيلا و 244 أسير⁽⁶⁾. بينما ترى المصادر المحلية إلى أن عدد القتلى الفرنسيين بلغ 100 جندي ، وجرح منهم 60 ، وأسر 150 شخصا⁽⁷⁾. وبذلك تمكن علي باشا من فرض سيادته على المراكز التجارية ، واستعادها من الفرنسيين والجنوبيين ، وأثبت قوته .

(1) ناجي جلول : المرجع السابق ، ص 123 .

(2) رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص 59 .

(3) شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص 383 .

(4) سامح ألتز : المرجع السابق ، ص 493 .

(5) A.de Flaux : **la Régence de Tunis au dix-neuvième siècle** ,challamel ainé ,librairie – éditeur ,Paris 1865 ,p 210.

(6) Alphonse Rousseau: op.cit , p p 126-127.

(7) سامح ألتز : المرجع السابق ، ص 494 .

3.3- معاهدة 09 نوفمبر 1742م وأثرها على علاقات الطرفين :

بعد فشل المساعي الفرنسية تم عزل فوقاس رسميا جبرا لخاطر الباي ،غير أنه احتفظ في الواقع بإدارة القالة ،مما أقام الدليل على أن الحكومة نظرت بعين الرضا إلى محاولة الغزو ⁽¹⁾.وعينت الحكومة الفرنسية قنصلا جديدا هو فرونسا فور Francois Fort بدلا من غوتيه ،ورغم الجهود الفرنسية للوصول إلى سلم مع الإيالة ،إلا أن المفاوضات بين الطرفين استمرت ستة أشهر بسبب تمسك علي باشا بمواقفه بعد الانتصار الذي حققه على حساب الفرنسيين ،فاضطر الفرنسيون إلى القبول بشرط تقبيل اليد وإبرام الصلح ؛بسبب حاجتهم إلى الموانئ التونسية لتأمين تجارتهم في المتوسط ،وبسبب ضعف موقف فرنسا في أوروبا نظرا لمنافسة إنجلترا لها ⁽²⁾.

تم إبرام معاهدة للصلح بين تونس وفرنسا في 9 نوفمبر 1742م ،وجاءت في 25 فصلا معظمها إعادة لفصول المعاهدات السابقة لسنوات 1685م و1710م ؛باستثناء قبول فرنسا لشروط تقبيل اليد ، وتم توقيعها من طرف علي باشا والقنصل الفرنسي فرونسا فور ،كما ألحقت المعاهدة بمعاهدة فرعية في 13 نوفمبر 1742م ⁽³⁾.

وعند دراسة تفصيلية لمضامين المعاهدة ،نجد أنها نصت على ضرورة نشر المعاهدة بين جميع رعايا الطرفين .وكذا عند التقاء سفن حرية تونسية بسفن تبحر تحت العلم الفرنسي ،أو تحمل نسخة من جواز السفر المتفق عليه في آخر المعاهدة ،فلا يتم التعرض لها ،ونفس المعاملة تحظى بها السفن التونسية التي تحمل نسخا مماثلة ،أو نسخا مسلمة من القنصل الفرنسي بتونس .وفي نفس الإطار فإن السفن الحربية والتجارية للطرفين مقبولة في موانئ ومراسي الطرفين ،وتقدم لها كل أنواع المساعدة ولطاقمها ،وكل الأمور الضرورية خاصة المواد الغذائية ،وكل المواد الضرورية بأسعار مناسبة ولها الحق في الرسو بدون أن يفرض عليها دفع أية حقوق (الفصول 01 و 02 و 03) .

وفي حالة وجود السفن التجارية الفرنسية في أحد الموانئ التونسية ،وتعرضت لهجوم من طرف سفن معادية ،فيجب على المدفعية التونسية حمايتها ،وتوفر لها الحماية حتى تتمكن من الخروج والابتعاد في البحر ،ونفس المعاملة تحظى بها السفن التونسية .كل الفرنسيين الذين يتم استرقاقهم من دول أعداء لفرنسا ،ويتم جلبهم إلى تونس يحررون فورا ، ولا يسمح ببيعهم في تونس ،ويحق للقنصل

(1) شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص 383 .

(2) Ernest Mercier : *Histoire de l'Afrique septentrionale* , 3T, Ernest Ierroux éditeur, Paris 1891, T3, p 371.

(3) Eugène Plantet: op.cit , p 368.

الفرنسي افتداؤهم ، ونفس المعاملة بالنسبة للتونسيين في فرنسا (الفصول 04 و 05 و 06).
للتجار الفرنسيين لهم الحق في إنزال بضائعهم في موانئ الإيالة ، وبيع وشراء بكل حرية ، ولا يدفعون سوى نسبة 03 % ، كما يحق للضباط التجار والقناصل بممارسة التجارة بدون دفع أية حقوق . ونفس المعاملة بالنسبة للتجار التونسيين في الموانئ الفرنسية ، وفي حالة تحميل السفن التجارية الفرنسية لبضائع من دول عدوة لتونس ، تفرض عليها نسبة 10 % عند دخولها للإيالة (الفصل 10) .
لا تقدم المساعدة والحماية لسفن دول في حالة حرب مع فرنسا في الموانئ التونسية ، أو تسليحها ، نقل رعاياها . ونفس المعاملة يحظى بها التونسيون في حالة حربهم مع أمة عدوة لتونس . إضافة إلى الامتيازات والحقوق ، التي يحظى بها القنصل الفرنسي في تونس . (الفصول 11 و 18 و 19) . وفي حالة فسخ المعاهدة بين فرنسا وتونس ، فإنه تمنح مهلة ثلاثة أشهر للقنصل الفرنسي ، والتجار الفرنسيين ، من أجل مغادرة الإيالة بحريا دون التعرض لأي أذى (الفصل 22) . أما بقية الفصول فماهي إلا إعادة بحذافيرها لفصول معاهدة سنة 1685م⁽¹⁾ .

ومما يلاحظ على معاهدة سنة 1742م ، من حيث الشكل أنها احتوت على عدد كبير من الفصول ، وجاءت تفصيلية لمختلف النقاط المتفق عليها ، ومن حيث المضمون فإن محتوياتها في أغلب فصولها ماهي إلا استنساخ لفصول معاهدة أوت من سنة 1685م . لكننا نلمس إضافة نقطة أساسية لم نجدها في معاهدة سنة 1728م ؛ وهي قضية المعاملة بالمثل الواردة في كل الفصول ، وبالتالي توضح المعاهدة المساواة بين فرنسا وتونس ، وربما يعود ذلك إلى سياسة علي باشا الخارجية الحازمة حتى مع فرنسا ، وإلى حاجة فرنسا للسلم مع الإيالة .

3.4- علاقات الطرفين بعد معاهدة 1742م :

وتأكيدا للعلاقات التجارية بين الطرفين ألحقت المعاهدة ، بملحق يخص علاقات الإيالة مع شركة الرأس الأسود التجارية ، في ال 13 نوفمبر من سنة 1742م ، والذي اعترف فيه علي باشا بملكية الشركة الإفريقية⁽²⁾ والتجار الفرنسيين لمركز الرأس الأسود ، وذلك بعد وساطة القنصل فرونسوا فور ، وقد تضمن ذلك الشروط التالية : منح علي باشا للفرنسيين حق إعادة تجديد بناء مركز الرأس الأسود مثل ما كان قبل حرب سنة 1741م ؛ مع المحافظة على الأسس القديمة بدون زيادة ولا نقصان ، ولا يطلب

⁽¹⁾ للاطلاع على فصول المعاهدة ، ينظر : Rouard de Card : op.cit , p p 173-180. و Alphonse Rousseau : op.cit , p p 496-498.

⁽²⁾ عرفت الشركة الفرنسية تطورات كبيرة ، وتعاقب على رئاستها شخصيات كثيرة ، في تونس . ولمعرفة تلك المراحل والتطورات التي عرفتتها الشركة الفرنسية في مركز الرأس الأسود ، ينظر : مليكة الشيخ : المرجع السابق ، ص 383 .

من سلطات الإيالة التونسية سوى جندي من المشاة لحماية المركز من شتائم الأهالي⁽¹⁾.

تتمتع الشركة الفرنسية بممارسة تجارتها باتباع بنود المعاهدات القديمة، بكل حرية وحماية من طرف سلطات الباي، بشرط أن تدفع فعليا مبلغا قيمته 8000 ريال خلال كل السنوات. كما تواصل الشركة دفع حقوق الجوار للأهالي والأعراب مثل ما كانت قبل تدمير المركز. ولا يبدأ الدفع لهم إلا بعد ثلاثة أشهر من إعادة تحديد بناء المركز⁽²⁾.

لقد عادت العلاقات بين علي باشا والفرنسيين ما بعد معاهدة 1742م، إلى علاقات متينة نظرا للمصالح التجارية المشتركة بينهما. ذلك أن فرنسا كانت مهددة من طرف الأسطول الإنجليزي، الذي كانت سفنه متمركزة في مدينة طولون. وتواصلت العلاقات سلمية بين البلدين تحكمها مصلحة الطبقة الحاكمة في تونس والرأسمالية التجارية الفرنسية⁽³⁾. فبموجب المعاهدة التي أبرمت بين الطرفين، سمحت تونس للفرنسيين بإقامة مراكز تجارية لهم في مركز الرأس الأسود⁽⁴⁾.

كما تم إبرام معاهدة إضافية مكملّة لمعاهدة 1742م، وقعت من طرف علي باشا والقنصل الفرنسي فرونسوا فور بتاريخ 24 فيفري من سنة 1743م، أكدت على السلام بين الطرفين وضرورة الالتزام بما جاء في المعاهدة السابقة، كما حرمت على السفن الفرنسية الحرية، أو التونسية ممارسة القرصنة أو الغنيمة بالقرب من سواحل الطرفين، والتأكيد على تقديم المساعدة لسفن الطرفين في حالة تعرضها للهجوم من طرف سفن الأعداء عند لجوئها لسواحل أحد البلدين⁽⁵⁾. وتشير بعض المصادر إلى إرسال مبعوثين تونسيين إلى باريس وهما: علي أغا ومحمد خوجة، من أجل توطيد العلاقات بين تونس وفرنسا، كما أشارت المصادر إلى وجود رسائل بين علي باي ولويس 15 مؤرخة في 9 مارس 1743م، وفي 12 ماي 1743م، وفي 2 جوان 1743م؛ تؤكد على حرص الطرفين على السلام⁽⁶⁾.

لكن العلاقات توترت بين الطرفين مع بداية الخمسينات من القرن 18م، وتحديدًا منذ سنة 1752م، فبعد أن انتصر علي باشا على ابنه يونس باي، الذي ثار عليه. كافأ علي باشا فرق جنوده من الانكشارية بالسماح لهم بنهب بيوت المسيحيين واليهود بتونس. فنهبوا وأتلفوا كل البيوت حتى

⁽¹⁾Rouard de Card: op.cit , p p 181-182.

⁽²⁾Ibid

⁽³⁾عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص 183 .

⁽⁴⁾سامح التر : المرجع السابق ، ص 494 .

⁽⁵⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p 498.

⁽⁶⁾Pierre Grandchamp: **une Mission Tunisienne a Paris en 1743 par de Fienne Fils** secrétaire –interprète, relation inédite , imprimerie J.aloccio , Tunis 1931, pp 60-61.

الأسرى . كما تم نهب الرهبان بالرغم من حمايتهم من طرف فرنسا ، وقد استمر ذلك مدة خمسة أيام . ونتيجة لذلك توجه أسطول فرنسي في نفس السنة إلى تونس ، مكون من ست سفن تحت قيادة الفارس دو فيلارزال le Chevalier de Villarzel ، من أجل إظهار العلم الفرنسي أمام تونس ، وتمتين العلاقات بين الطرفين ، وإعادة السلم والتوافق بين البلاط الفرنسي والإيالة ⁽¹⁾ .

انتهرز علي باشا هذه الفرصة ليقنع رعاياه ؛ بأن فرنسا أرسلت قواتها لنجدته ضد ابنه يونس باي ، وطلب من القنصل الفرنسي فرونسوا فور Francois Fort ، أن ينزل السيد دو فيلارزال de Villarzel ليستقبله في جلسة رسمية بقصر باردو ، وقد نزل مع حوالي مائة ضابط . وبعد مدة ترك دو فيلارزال تونس بعد أن ساهم بقوة في توطيد العلاقات الجيدة بين فرنسا والإيالة التونسية ⁽²⁾ . واستمرت العلاقات سلمية بين الطرفين إلى غاية القضاء على علي باشا من طرف أبناء حسين بن علي والجزائريين في سنة 1756م .

ومما سبق يمكن القول :

- إن علاقات الإيالة التونسية مع فرنسا خلال هذه الفترة تميزت بالتذبذب ، بالرغم من حرص الطرفين على السلم . فقد عقد الطرفان أربع معاهدات للسلم والتجارة ، ورغم تحديد عمرها بمائة عام ؛ إلا أنها نقضت لأسباب معروفة تمثلت دائما في نشاط القرصنة .

- إن معاهدة سنة 1710م كانت مجرد استنساخ لبنود معاهدة سنة 1685م ، وكانت بنودها لصالح التجارة الفرنسية ، والرعايا الفرنسيين ، فقد سمحت للشركة الفرنسية بتصدير الحبوب إلى فرنسا ، ورغم أن مدتها حددت بمائة عام ، فإنها لم تعمر حتى عشر تلك المدة ، بسبب قضايا القرصنة والأسرى .

- على الرغم من أن معاهدة سنة 1720م ، قد أشارت لأول مرة إلى مبدأ المعاملة بالمثل ، إلا أن بنودها كانت لصالح الفرنسيين ، والتجارة الفرنسية ، فقد حددت قيمة الرسوم على البضائع الفرنسية ب 3% ، وهو امتياز للتجارة الفرنسية ، وللتجار الفرنسيين . لكن المعاهدة لم تعمر طويلا بسبب القرصنة التونسية ، بالرغم من أن مدتها حددت بمائة عام .

- توترت علاقات الطرفين خلال سنوات 1727م ، و 1728م ، لذلك قام الأسطول الحربي الفرنسي ، وبالقوة بإرغام الباي التونسي على توقيع معاهدة سلم وتجارة في سنة 1728م ؛ كانت بنودها قاسية

⁽¹⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p p 154-155.

⁽²⁾Ibid , p p 155-156.

على الإيالة التونسية ،وأعطت لفرنسا مكانة استثنائية من حيث العلاقات التجارية مع الإيالة ،وذلك إلى الوضع الداخلي لتونس ،لذلك ستظل علاقات الطرفين سلمية إلى غاية سنة 1740م .

- توترت العلاقات بين تونس وفرنسا في عهد علي باشا ؛بسبب قضية تقبيل يد الباي من طرف القنصل الفرنسي ،وتطورت إلى تدمير المراكز التجارية الفرنسية في تونس ،وقطع العلاقات بينهما ،مما سبب للتجارة الفرنسية خسائر كبيرة .

- جاءت معاهدة سنة 1742م لإعادة العلاقات السياسية والتجارية بين الطرفين ،وقد كانت بنودها استنساخ لمعاهدة سنة 1685م ،فقد أعادت المعاهدة قضية المعاملة بالمثل ،وهنا نلمس مدى قوة الإيالة في عهد علي باشا ،وتستمر علاقات الطرفين متينة بين الطرفين إلى غاية سنة 1756م .

فإذا كانت هذه هي طبيعة علاقات تونس مع فرنسا خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ،فكيف هي علاقات الطرفين خلال النصف الثاني من القرن نفسه ،وتحديدا الفترة (1756-1814)؟.

المبحث الثالث :

علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا من 1756م إلى 1814م

إن علاقات تونس مع فرنسا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ؛وتحديدا الفترة الممتدة من سنة 1756م إلى غاية سنة 1814م ،والتي تمثل نهاية فترة حكم حمودة باشا الحسيني ،اختلفت وتباينت من السلم إلى الحرب ،كما تنوعت بين السياسية والتجارية ،ويعود ذلك إلى الظروف الدولية التي أحاطت بالطرفين ،والى الظروف المحلية التي ميزت كل طرف .

فخلال حكم علي باي أحد أبناء حسين بن علي مؤسس الأسرة الحسينية ،تميزت أوضاع الإيالة بالاستقرار ،وبوفرة الإنتاج الفلاحي ؛لذلك وطد الباي علاقاته مع فرنسا ؛خاصة العلاقات التجارية ،وسمح الباي بتصدير المنتوجات الفلاحية التونسية إلى فرنسا ،عبر المراكز التجارية الفرنسية بالإيالة .ولكن علاقات الطرفين ستتعرض في سنة 1768م .ثم سرعان ما تعود إلى السلمية ،وتستمر إلى غاية سنة 1782م .

أما خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1782م ،وسنة 1814م ،وهي مرحلة حكم أعظم البايات الحسينيين حمودة باشا ،الذي تميزت أوضاع الإيالة التونسية في عهده بالاستقرار ،واستطاع بناء قوة عسكرية ،وتنوعت علاقاته مع الدول الأوربية ،ومن بينها فرنسا التي ربطته بها علاقات سياسية وتجارية قوية ،ستستمر إلى غاية وفاته ؛باستثناء التقطع الذي حدث بين الطرفين في سنة 1798م . وبعد ذلك عادت العلاقات السياسية السلمية ،والتجارية المتينة بين الطرفين .

يتضمن هذا المبحث العناصر الآتية :

1- علاقات تونس مع فرنسا من 1756م إلى 1768م.

2- علاقات تونس مع فرنسا من 1768م إلى 1782م.

3- علاقات تونس مع فرنسا من 1782م إلى 1814م.

إذن فما هي أهم مظاهر تلك العلاقات السياسية والتجارية ،التي جمعت بين الطرفين خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ؟ وماهي أهم مميزاتهما ؟ ،وماهي العوامل التي تحكمته فيها ؟ .

1- علاقات تونس مع فرنسا من 1756م إلى 1768م :

خلال الفترة ما بين سنتي 1756م و1762م لم تقع أحداث بارزة بين تونس وفرنسا؛ فقد وقع ركود في علاقات الطرفين، لان فرنسا كانت منشغلة بحربها مع إنجلترا (1756-1763)، أما تونس فقد كانت منشغلة بالقضاء على التمردات الداخلية⁽¹⁾. وفي ال 23 جويلية من سنة 1762م وصل أسطول ضخم بقيادة السيد دو بومبار de Bompard إلى ميناء حلق الوادي؛ من أجل إظهار العلم الفرنسي. وفي الغد حيته حصون حلق الوادي بخمسة وعشرين طلقة مدفع، وبعد لحظات قليلة وصل إلى سفينة الأميرال شراب بارد ومأكولات متنوعة، من لحوم وخضر وفواكه. وفي اليوم الموالي استقبل قائد الأسطول وعدد من ضباطه رسميا من طرف الباي، وعبر لهم عن سعادته بقدوم الأسطول الفرنسي إلى تونس، ورؤية علم فرنسا أقدم وأصدق حليف للإيالة. وبعد أيام توجه القنصل الفرنسي بارتيليمي دو سيزيو Barthélémy de Saizieu ورعاياه إلى باردو، وهنئ الباي بانتصاره على خصومه في جبل وسلات، كما اغتنم قائد الأسطول هذه الفرصة، وتقدم بتحية من طرف وحدات أسطوله تعبيرا على العلاقات الودية بين الطرفين، وغادر تونس في ال 29 من شهر جويلية من سنة 1762م⁽²⁾.

وفي سنة 1765م، وبعد مفاوضات بين القنصل الفرنسي، وعلي باي أقر هذا الأخير تصريحاً رسمياً، بمثابة معاهدة بين فرنسا والإيالة في ال 21 ماي من سنة 1765م؛ ومن أهم ما جاء فيها : اعتراف علي باي بتميز القنصل الفرنسي عن باقي قناصل الدول الأخرى، وإقراره بالعلاقات المميزة والطويلة بين الملك الفرنسي والرعايا التونسيين؛ لذلك وافق على البند الخامس من المعاهدة التي وقعها فرنسا مع إيالة الجزائر، بتاريخ 16 جانفي من سنة 1764م. ويتعلق هذا البند بقراصنة المغرب؛ ومما جاء فيه إذا توقف قراصنة المغرب بالموانئ التونسية، فهم ملزمون بالمغادرة خلال 24 ساعة، ولا يسمح لسفنهم التجارية تحت أي ظرف ببيع أشياء غنموها من الفرنسيين. على أن يتم نشر هذا البند في كل أنحاء الإيالة، ويأمر بتطبيقه⁽³⁾.

لم يظهر علي باي عداوة للفرنسيين، واعترف لهم باحتكار صيد المرجان في السواحل التونسية، كما ميزهم بحق فتح مصرف لهم في بنزرت Comtoir في سنة 1768م⁽⁴⁾. فقد كانت العلاقات بين

⁽¹⁾ محمد الهادي الشريف : المرجع السابق، ص 87 .

⁽²⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p p 165-166.

⁽³⁾ للاطلاع على محتوى المعاهدة، ينظر إلى Rouard de Card : op.cit , p p 183-184. و Alphonse Rousseau: op.cit , p 499.

⁽⁴⁾ شارل أندري جوليان : المرجع السابق، ص 384 .

تونس وفرنسا وطيدة ؛خاصة مع الوسائط الرأسمالية التجارية .وقد كانت تستند إلى المعاهدة القديمة ، التي كانت فرنسا تحرص على تجديدها وإعادة الاعتراف بها كلما تغير حكام تونس . وأهم ما فيها تلك الامتيازات القمرقية المفروضة على واردات الفرنسيين ،وهي لا تفوق 03% من قيمة الواردات الفرنسية مقابل 10% بالنسبة للبلدان التي لم تعقد مثل هذه المعاهدة .وقد أقر علي باي امتياز فرنسا التجاري بشأن صيد المرجان والإتجار به ،ومنحها حق فتح وكالة تجارية ببنزرت في سنة 1768م⁽¹⁾.

1.1- معاهدة 14 مارس 1768م بين فرنسا والإيالة:

وبعد ثلاث سنوات من المعاهدة السابقة ،أبرم نفس القنصل الفرنسي دو سيزيو معاهدة أخرى مع علي باي بتاريخ ال14 مارس من سنة 1768م بقصر باردو ،وقد تضمنت المعاهدة 06 فصول تعلق بمنح الشركة الملكية الإفريقية Royale d'Afrique la Compagnie شهادة صحيحة تتعلق بامتياز احتكار صيد المرجان في كل شواطئ الإيالة التونسية ؛وقد تم تفصيل ذلك كمايلي⁽²⁾:

1- يمنح الباي كامل الحقوق من أجل صيد المرجان في الإيالة ،من أجل استغلال هذا الامتياز في كامل الشواطئ التونسية ،باستثناء طبرقة .وقد حددت قيمة الحقوق التي تدفعها الشركة بأربعة آلاف وخمسمائة ريال سنويا ،حيث تمارس الشركة حقوقها في التصدير دون دفع أية حقوق أخرى .

2- يسمح للشركة بتأسيس مركز تجاري في بنزرت من إدارة الشركة ومستودع لتخزين المرجان من أجل تحميل السفن ،كما يتمتع الفرنسيون العاملون في الشركة بالحرية في ممارسة دينهم وهم تحت رعاية القنصل الفرنسي .

3- تعهد الإيالة التونسية بحماية الشركة الفرنسية العاملة في صيد المرجان من طرف القوى التونسية ، من كل الأخطار بمختلف أنواعها .

4- في حالة تعرض سفن صيد المرجان الفرنسية للاسترقاق من طرف سفن صديقة للإيالة ،وهي في حالة حرب مع فرنسا ؛فإن الإيالة تعد بالمطالبة بها وكأنها ملك للرعايا التونسيين .

5- وفي حالة الخلاف أو قطع العلاقات بين فرنسا والإيالة ،فإن الشركة الملكية الإفريقية غير معنية بذلك ولا يتم تعليق الامتياز أو نقضه ،أو منحه لجهة أخرى .وتتمتع بالحماية والأمن خلال وقت الحرب .وتعامل الشركة معاملة حسنة ،كذا المركز التجاري ببنزرت يحظى بمعاملة لائقة .

⁽¹⁾ عبد الحميد هنية : المرجع السابق ،ص 194 .

⁽²⁾ للاطلاع على محتوى المعاهدة ،ينظر : Rouard de Card : op.cit , p p 184-187 ،و Alphonse Rousseau : op.cit , p 499-501.

6- تمنح مدة أربعة أشهر للقنصل الفرنسي للموافقة والتصديق من طرف الشركة الفرنسية على المعاهدة، والاطلاع على عيوبها ورفضها. والمعاهدة ملزمة للشركة وكذا القنصل الفرنسي في تونس. إن التقارب الفرنسي التونسي الذي توج بمعاهدة سنة 1768م، التي سمحت للشركة الفرنسية، بتعاطي صيد المرجان على السواحل التونسية بين بنزرت وطبرقة، بعد تمنع تونسي طويل، وتحجج بالخوف من مضايقة الجزائر، وقد كان مهندس هذه المعاهدة التابع الأول للباي مصطفى خوجة حليف فرنسا، وصديق القنصل الفرنسي بتونس دو سيزيو، فقد كانت تربطه به علاقات قوية، لقد سعت فرنسا إلى إيجاد حليف لها في المحيط القريب من علي باي، وقد أثمر ذلك عن طريق مصطفى خوجة، الذي ساهم في تمرير بند ضمن معاهدة 1768م؛ حول تحديد عدد السفن الفرنسية المتنقلة في السواحل التونسية، وزمن انتهاء مفعول العمل به. إلا أن هذا الاستقرار في العلاقات بين الطرفين لن يدوم طويلا⁽¹⁾. بسبب تضارب مصالح كل من فرنسا والإيالة؛ خاصة عندما تعلق الأمر بالقرصنة، التي كانت دائما من العوامل المعكرة لعلاقات الطرفين.

2- علاقات تونس مع فرنسا من 1768م الى 1782م :

2.1- توتر العلاقات السياسية بعد إلحاق كورسيكا بفرنسا في سنة 1768م:

وعندما ألحقت فرنسا جزيرة كورسيكا بترابها في سنة 1768م، أحدثت قطيعة لم تدم طويلا؛ نظرا إلى أن ذلك من شأنه أن ينال من المصالح التونسية، فقد رفض الباي هذا الاحتلال؛ لأن الجزيرة كانت محطة يستعملها القراصنة التونسيون، ولم تعترف تونس بالجنسية الفرنسية لأسرى تلك الجزيرة الموجودين في تونس. وقد أفضى ذلك الخلاف إلى إعلان الحرب من قبل فرنسا، وقصف أسطولها بعض المدن الساحلية التونسية، كميناء بنزرت وميناء سوسة⁽²⁾.

لقد اصطدمت المصالح التونسية بالفرنسية، بعد أن أصبحت جزيرة كورسيكا التي تمثل مركزا هاما للقرصنة التونسية، خاضعة للنفوذ الفرنسي. لذلك رفض علي باي الاعتراف بهذا النفوذ، ورفض اعتبار أسرى كورسيكا تابعين لفرنسا، والتي بدورها طالبت باسترجاعهم. كما مانع معاقبة القرصان سليمان الجري، الذي اعتدى على مركب فرنسي في عرض البحر المتوسط. وقد تعمق هذا الخلاف بعد رفض الباي التجديد للشركة الإفريقية الفرنسية لصيد المرجان في السواحل التونسية⁽³⁾. وقد أورد

⁽¹⁾ سلوى هويدي : المقال السابق، ص ص 416، 418 .

⁽²⁾ عبد الحميد هنية : المرجع السابق، ص 194 .

⁽³⁾ سلوى هويدي : المقال السابق، ص 417 .

ذلك صاحب المشرع الملكي بقوله :((...وفي سنة 1184هـ وقعت مغاضبة بين الأمير علي باي بن حسين ،وسلطان الفرنسيس حتى فسد بينهم الصلح ...))⁽¹⁾.

كما تمسك علي باي بمساندة المتمردين الكورسيكيين ،وهو ما أدى إلى تدهور العلاقات الفرنسية التونسية ،حيث وجد الباي نفسه في مواجهة مباشرة مع فرنسا ،التي طوقت السواحل التونسية ،وقصفتها بالمدفعية في سنة 1770م⁽²⁾. فقد قام الأسطول الفرنسي بقنبلة كل من :غار الملح ،وبنزرت ،وسوسة ،والمستير ،وحلق الوادي⁽³⁾. وقد أوردت ذلك المصادر التونسية: ((أن جزيرة قرسقا كانت حربا لتونس ،لما كان أمرها لجنوة فغزاها الفرنسيين في هذه السنة وحاصرها (1770) ... ولما استكمل الفرنسيين تملك قرسقا وانتظمت في ملك ممالكه . أتى أحد أعيانهم في مركب حربي إلى حلق الوادي ، واجتمع بالباي وطلب منه الأسرى ،وما أخذ من مراكب قرسقا ... وكان هذا أحد أسباب الحرب على تونس))⁽⁴⁾. في حين تشير مصادر أخرى : ((أنه في سنة 1184هـ حصلت وحشة بين فرنسا ،وبين علي باشا الثاني والي تونس ؛من جهة الخلاف في الأسرى الذين أخذتهم تونس من قرسقا ،قبل استيلاء الفرنسيين عليها...وتفاقم الخلاف إلى أن جاء الأسطول الفرنسي إلى شطوط تونس ،ورمى بعض الحصون ،وكان إذاك رسول الدولة العثمانية قادما إلى تونس ؛لطلب إعانة السفن الحربية في حرب الدولة العثمانية مع روسيا))⁽⁵⁾.

رفض علي باي الاستسلام للفرنسيين ،وأبدى تصلبا في مواقفه ،على الرغم من القصف المدفعي والحصار المفروض على السواحل التونسية .ولكنه ترك الباب مفتوحا للحوار ،إذ مكن التجار الفرنسيين من الاحتماء بالمراكب الفرنسية الراسية في السواحل التونسية ،وخصّص حراسة لمنازلهم ،ومخازنهم التي تحتوي على بضائعهم .أراد علي باي من خلال تماسكه إلى تحسين وضعيته في

(1) الصغير بن يوسف : المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي ،تحقيق أحمد الطويلي ،4ج ، ط1 ، المطبعة العصرية ، تونس 2009 ،ج4 ص 219 .

(2) سلوى هويدي : المقال السابق ،ص 417 .

(3) L.Métivier :la petite Histoire de la Tunisie Charier Beulay éditeur la flèche Sarthe , Paris 1910 ,p p 103-104.

(4) ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ص 201 .

(5) محمد بيرم الخامس : صفوة الاعتبار ومستودع الأمصار والأقطار ،تحقيق :علي بن الطاهر الشنوفي وآخرون ،ط2 ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ،تونس 2000 ،ص ص 386-387 .

المفاوضات التي ستؤول إليها الأزمة ، كما لجأ إلى المناورة عن طريق محاولة جلب إنجلترا ، التي يدرك اهتماماتها البعيدة بالمتوسط . ولكنه كان يرغب من وراء السياسة إلى الضغط على الفرنسيين ، لدفعهم لفتح باب الحوار . لقد كان علي باي مدركا لنوايا فرنسا ، التي كانت تطمح للحصول على تسهيلات لمعاملات الشركة الإفريقية ، وإطلاق يدها في السواحل التونسية . كما كان يتابع من خلال جهود القرنة ما يجري من أحداث فوق أرض المعركة بين الفرنسيين والكورسيكيين . لذلك أمكنه المناورة ⁽¹⁾ . وبسبب مصالح الطرفين ، تم التوجه لعقد الصلح بالرغم من الحرب التي وقعت بينهما .

2.2- معاهدة 25 أوت 1770 وأثرها على علاقات الطرفين:

وتحت تأثير مصالح الأوساط التجارية في البلدين ، انتهت الأزمة بمعاهدة صلح أبرمت بين فرنسا وتونس بباردو في سنة 1770م ⁽²⁾ . أثمرت جهود علي باي إذ سرعان ما أبدت فرنسا استعدادها للتفاوض ، فأبدى علي باي موافقته على الشروط التي فرضتها فرنسا ، وفتح باب الحوار عن طريق مصطفى خوجة ، الذي اشترطت فرنسا التفاوض معه ⁽³⁾ . في حين تشير مصادر تونسية إلى توصل الطرفين إلى الصلح بسبب تدخل الدولة العثمانية بين الطرفين : ((... ورجعت بذلك العلاقة الحسنة المعتادة بين تونس وفرنسا ، على يد الدولة العثمانية ...)) ⁽⁴⁾ .

وتم إبرام معاهدة بين علي باي والقنصل الفرنسي دو سيزيو de Saizieu بتاريخ الـ 25 أوت من سنة 1770م ، وصادق عليها الكونت دو بروف le Conte de Broves قائد الأسطول الفرنسي على ظهر سفينة البروفانس في 02 سبتمبر من سنة 1770م ، وقد تضمنت المعاهدة 08 فصول ، ومن أهم ما جاء فيها :

- 1- اتفق الطرفان على إنهاء العداوة بينهما ، ابتداء من يوم توقيع الاتفاقية .
- 2- يعترف الباي بتبعية جزيرة كورسيكا للدولة الفرنسية ، ويفرض عليه قبل توقيع معاهدة السلام ، إعادة جميع الأسرى الكورسيكيين الموجودين في الإيالة ، مع ممتلكاتهم .
- 3- يحدد التونسي امتياز صيد المرجان للشركة الإفريقية ، ويعوضها عن الخسائر التي لحقت بها ⁽⁴⁾ .

(1) سلوى هويدي : المقال السابق ، ص ص 417-418 .

(2) عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص 195 .

(3) سلوى هويدي : المقال السابق ، ص 418 .

(4) محمد بيرم الخامس المصدر السابق ، ص 418 .

(4) للاطلاع على محتوى المعاهدة ، ينظر : Rouard de Card : op.cit , p p 187-189 ، و Alphonse Rousseau : op.cit , p p 501-502 .

- 4- وحسب المصادر المحلية فإن مدة امتياز صيد المرجان بخمس سنوات ،مستغلة بإثني عشر زورقا .
- 5- أن يمكن الباي الفرنسيين من شراء ثلاثة آلاف قفيز قمحا ،ويخرجوها من المملكة ولا يؤدوا عليها سراحا .

6- أن يدفعوا ماجرت عليه العادة عند عقد الصلح من الهدية ⁽¹⁾.

وكانت هذه آخر قطيعة بين البلدين هذه السنة مطلع فترة تطبيع العلاقات بين البلدين ، وخلاها نشطت التجارة وخاصة تصدير الحبوب إلى الموانئ الفرنسية .ورجع التجار الفرنسيون إلى مراكزهم بتونس بعد أن كانوا غادروا البلاد .وبالإضافة إلى الامتيازات السابقة منح الباي شركة إفريقية الفرنسية جزيرة جالطة la Galite ⁽²⁾ عوضا عن الرأس الأسود ، الذي كان الأهالي يطردون منه التجار الفرنسيين المقيمين بطلقات البنادق .وعوضا عن بنزرت التي طالبت بها فرنسا في سنة 1770م .لكن علي باي تمكن من المحافظة على احتكار الإيالة لتجارة الحبوب ،والأهم من ذلك هو تكثيف المبادلات التجارية بين الإيالة وفرنسا بعد سنة 1770م .وفي مقابل ذلك اعترفت الإيالة التونسية بنفوذ فرنسا على كورسيكا ،وتعهد الباي بتحرير الأسرى ،الذين تزامن أسرهم مع بداية هيمنة فرنسا على الجزيرة ،هذا إلى جانب استمرار فرنسا في صيد المرجان على السواحل التونسية بين بنزرت وطبرقة ،وتمكن الشركة الإفريقية بتصدير 3000 قفيز من القمح التونسي إلى فرنسا ⁽³⁾.

وقد استفادت تونس من معاهدة 1770م مع فرنسا ؛ فقد ارتفع عدد المراكب التجارية التونسية المتوجهة إلى موانئ فرنسا إلى 72 مركب في سنة 1772م ،و73 مركبا في سنة 1773م ،مقابل 43 مركبا في سنة 1769م .وتطورت الواردات الفرنسية من 4.6 ليرة في الفترة الممتدة ما بين سنتي 1760م و 1769م ،إلى 4.7 ليرة ما بين سنتي 1771م و1775م ⁽⁴⁾.

2.3- علاقات التجار التونسيين مع مرسيليا خلال سنتي 1773م و1774م :

كانت سنتا 1773م و1774م مليئتين بالأحداث السياسية والحربية ،التي كان لها تأثير مباشر على الحركة التجارية مع الغرب ؛منها سياسة علي باشا التجارية ،الذي حث التجار التونسيين على العمل بالقول والدعم المادي ،وتحسين العملة ؛فقد ذكر لنا ابن أبي الضياف :((أنه كان يعطي ما

⁽¹⁾ ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ص ص 205-207 .

⁽²⁾ جزيرة صغيرة تقع شمال شرق طبرقة وبشمال تونس .ينظر إلى :الهامش رقم 4 ،رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص 59 .

⁽³⁾ سلوى هويدي : المقال السابق ،ص 387 .

⁽⁴⁾ المقال نفسه ،ص 419 .

يفضل عنده من الأموال للتجار ،يتاجرون به برا وبحرا ،ولا يسترجع منهم إلا رأس المال ،ولهم الربح بتمامه إعانة لدوران المتجر))⁽¹⁾.

وقد شجع علي باشا أصحاب المال بسياسته ،فاشتركوا مع التجار على سنة المقارضة ،فمت التجارة برا وبحرا ،شرقا وغربا ؛ومثال ذلك تاجر تمتع بنظام القراض ،انتقل إلى مرسيليا في نطاق شركات قراض عقدها مع الحاج علي اللوزي والحاج بنور النيفر ومحمد الأصرم وحمودة بوبكر ؛وهم مصدر رأس المال نقدا وبضاعة ،الذي كان تاجر به .وجاءت سفرة هذا التاجر إلى مرسيليا في سنة 1773م ؛أي بعد ثلاث سنوات من تأزم العلاقات التونسية الفرنسية بسبب احتلال فرنسا لجزيرة كورسيكا ،التي انتهت بالصلح .وقد تميزت هذه الفترة برجوع التجار الفرنسيين إلى تونس ،ونمو التجارة بين البلدين وتوسع التعاون بين التجار التونسيين والفرنسيين على الأرض الفرنسية ،ومحاولة بعض التجار التونسيين ربط علاقة مباشرة مع مرسيليا ،التي كانت آنذاك أهم موانئ المتوسط⁽²⁾.

ومن الأسباب التي حثت التجار التونسيين على التوجه نحو مرسيليا ،وتجربة معظمهم في أسواقها ؛الحرب القائمة بين روسيا والإمبراطورية العثمانية ؛ففي سنة 1773م أصدرت ملكة روسيا كاترين Katrin أوامرها باستئناف الحرب ضد الدولة العثمانية ،وقد اتخذ علي باشا باي تونس من الحرب سببا آخر في تشجيع التجار التونسيين للتوجه نحو الغرب عوض الشرق .ويظهر أن التجار التونسيين كانوا يقومون بتوريد المنتوجات إلى مرسيليا عبر مراكب محملة بالغاسول ،الشعير وبعض المنتوجات الفلاحية :كالصوف والفلول ،الحمص والتمر والشمع ،أما الواردات من مرسيليا إلى المدن التونسية مثل تونس وصفاقس :كالقهوة والشب ،سكر النبات ،الحطب والأمشاط ،والمسامير ،الحديد والأسلحة ،المكاحل والطبنجات ،والأقمشة بمختلف أنواعها⁽³⁾.

ويلاحظ أن سوق مرسيليا ،تعتبر صعبة جدا للتجار التونسيين ؛بسبب صعوبة اللغة ،وصعوبة الإقامة ،وصعوبة في إقامة علاقات ومعاملات تجارية ،ترتبت عنها مصاريف إضافية بالنسبة للتجارة ،وتتضاعف هذه المصاعب نتيجة العداوة ،التي يكنها التجار الفرنسيون للتجار الأجانب ،وخاصة منهم المغاربة ، وتتجسد هذه العداوة في الحملات ،التي يقومون بها ضدهم ؛فقد كانت الغرفة التجارية بمرسيليا تضغط على وزارة الحربية لمنع التجار المغاربة من العمل بهذه المدينة كلما حلوا بها

(1) ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ص 161 .

(2) عبد الجليل التميمي :الحياة الاقتصادية في الولايات العربية ،المرجع السابق ،ص 21 .

(3) المرجع نفسه ،ص ص 21-22 .

وقد حاول تجار مرسيليا في سنتي 1757م و1767م منع بعض التجار المغاربة من دخول الميناء المارسليلي؛ رغم المعاهدات التجارية، التي كانت قائمة بين فرنسا والبلدان المغاربة والحد من مزاحمتهم، وفي سنة 1773م وقعت نفس المحاولة ضد التجار التونسيين⁽¹⁾. وتعود هذه السياسة من طرف التجار المارسليليين إلى محاولة احتكار التجارة بين تونس وأوروبا.

إن التجارة التونسية مع مرسيليا كانت نشيطة في ذلك الوقت، ولكنها جُلها في يد المسيحيين، فدور التونسيين كان محدودا، ومن كان منهم ينتقل إلى هذه المدينة التجارية النشيطة، فإنما لفترة وجيزة جدا⁽²⁾. ولكن الأكيد أن الرعايا التونسيين قاموا خاصة في طبرقة بدور الوسيط بين المنتجين التونسيين، والتجار الفرنسيين مع اتصالهم بقسط من الربح، ولكن هذه المحاولات البسيطة من طرف التجار التونسيين للتعامل مع مرسيليا وفرنسا، لم تحدد من سيطرة التجار الفرنسيين على هذه التجارة التونسية الفرنسية⁽³⁾. ورغم ذلك فإن محاولات التجار التونسيين ستتعازز مع نهاية القرن 18م.

2.4- معاهدة 24 جوان 1781م بين تونس والشركة الإفريقية :

تم تعيين السيد دي روشي du Rocher في 28 جانفي سنة 1779م؛ قنصلا جديدا لفرنسا في تونس، والذي وقع مع علي باي اتفاقية في سنة 1781م. وقد حمل هذا الاتفاق توقيع حمودة باشا إلى جانب والده. أي أن الامتيازات التجارية التي منحها علي باي ستستمر حتى في عهد وريثه حمودة باشا⁽⁴⁾. وإذا تفحصنا مضامين اتفاقية 24 جوان من سنة 1781م، التي وقعها علي باي والقنصل الفرنسي دي روشي بوساطة الوزير مصطفى خوجة، والمتعلقة بامتياز صيد المرجان من طرف الشركة الملكية الإفريقية، نجد أنها تضمنت عشرة فصول⁽⁵⁾.

وقد منح اتفاق سنة 1781م امتيازات كبيرة لفرنسا في مجال احتكار صيد المرجان، فقد سمح الباي بتركيز أربع وكالات تجارية فرنسية على ساحل الوطن القبلي، وكانت فرنسا مدينة بهذا الوضع

(1) عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، ص ص 22-28.

(2) المرجع نفسه، ص 22.

(3) نفسه، ص ص 28-29.

(4) Alphonse Rousseau: op.cit , pp 186-191.

(5) المعاهدة التونسية - الفرنسية الموقعة بتاريخ 24 جوان من سنة 1781م / 1 رجب من سنة 1195 هـ، والمعاهدة تم توقيعها من طرف حمودة باشا والقنصل الفرنسي دي روشي، وبنود المعاهدة مكتوبة باللغتين العثمانية والفرنسية، وهي تتكون من 10 بنود، مست قضايا تخص الشركة الفرنسية التجارية، ومنحتها حقوق وامتيازات في مجال التجارة وصيد المرجان بسواحل تونس. والمعاهدة مصنفة في السلسلة التاريخية بالأرشيف الوطني التونسي، ضمن الصندوق 238، الملف 550. ينظر: الملحق رقم 06.

الممتاز أولا وبالذات إلى مصطفى خوجة صهر الباي علي باي ووزيره الأول ،الذي كان وراء تدعيم الوجود الفرنسي في تونس ،ويعتبر أكبر راع لمصالح فرنسا والفرنسيين في البلاد التونسية⁽¹⁾.

ورغم أن الاتفاق يتعلق بصيد المرجان ،إلا أن الامتياز الأهم يتعلق بالمراكز التجارية ،التي تحصلت عليها فرنسا على السواحل التونسية ؛من أجل توريد المنتوجات الفلاحية التونسية إلى فرنسا ؛خاصة الحبوب التي كانت فرنسا في حاجة .

3- مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا من 1782م إلى 1814م :

3.1- معاهدة 10 جويلية 1782م وأثرها على علاقات الطرفين:

وعند تولي حمودة باشا الحسيني الحكم في تونس وجه رسالة إلى ملك فرنسا لويس السادس عشر Louis XVI ،بتاريخ 10 جويلية من سنة 1782م أكد له فيها عن مدى وفائه لشخصه ،وعن احترامه للمعاهدات المبرمة بين الطرفين ،أو العمل على تطويرها من أجل الحفاظ على أمن التجارة الفرنسية في تونس .ومع نهاية السنة وبالتحديد في 08 أكتوبر من سنة 1782م تم تحديد المعاهدة بين القنصل دي روشي du Rocher وحمودة باشا ،والتي أكدت حق الشركة الملكية الفرنسية في امتياز حق احتكار صيد المرجان .ولم تكن هذه المعاهدة سوى تأكيد للحقوق التي منحها علي باي للشركة الإفريقية سابقا ،وبحضور حمودة باشا نفسه⁽²⁾.

وعند استقراءنا لمضامين معاهدة سنة 1782م ،التي احتوت على اثني عشر فصلا ،نجد أنه :
بالنسبة للفصول السبعة الأولى ماهي إلا استنساخ لفصول معاهدة 24 جوان من سنة 1781م ،أما الفصل الثامن ،فقد أضاف نقطة تحديد عدد السفن العاملة في صيد المرجان بثلاثين سفينة ،وحدد عدد العاملين في كل سفينة بثمانية أشخاص . كما أشار هذا الفصل إلى تحديد موانئ تصدير المرجان من طرف السفن الفرنسية ؛وهي موانئ غار الملح ،وحلق الوادي ،وصفاقس⁽³⁾. وكانت بنود المعاهدة استنساخ لبنود معاهدة 1781م ،فقد أرادت فرنسا إعادة الاتفاقية مع الباي الجديد حمودة باشا .

⁽¹⁾ عبد الحميد هنية : المرجع السابق ،ص 195 .

⁽²⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , pp 195-196.

⁽³⁾ المعاهدة التونسية -الفرنسية الموقعة بتاريخ 8 أكتوبر من سنة 1782م /1 ذو القعدة من سنة 1196 هـ ،والمعاهدة تم توقيعها من طرف حمودة باشا والقنصل الفرنسي دي روشي ،وبنود المعاهدة مكتوبة باللغتين العثمانية والفرنسية ،وهي تتكون من 12 بندا ،مست قضايا تخص الشركة الفرنسية التجارية ،ومنحتها امتيازات في مجال التجارة وصيد المرجان بسواحل تونس ،مع إضافة حقوق الحماية للشركة الفرنسية ،وعملها في السواحل التونسية .والمعاهدة مصنفة في السلسلة التاريخية بالأرشيف الوطني التونسي ،ضمن الصندوق 238 ،الملف 550 . ينظر الملحق رقم : 07 .

3.2- علاقات الطرفين بعد سنة 1782م :

لقد تساهل الباي حمودة باشا مع الفرنسيين في منحهم الامتيازات الاقتصادية ، بموجب اتفاقية سنة 1782م ، وبالخصوص مع الشركة الفرنسية التي أعطاهم حق صيد المرجان من طبرقة وحتى طرابلس ، مع حق إنشاء المخازن ، وتعهد بحماية موظفي الشركة الفرنسية حتى عند وقوع حرب ، وذلك نظير عوائد سنوية ⁽¹⁾. أما عن تجاريا فقد أصبحت الشركة الفرنسية تورد إلى تونس عدة أصناف من السلع: كالصوف الإسباني ، والبن ، والسكر ، والبهارات ، والثياب والكتان . وتصدر الحبوب والزيت . ولم تمض على تولية حمودة باشا سوى ست سنوات حتى ازداد التبادل التجاري بين الدولتين زيادة كبيرة ⁽²⁾.

وفي شهر فيفري من سنة 1787م قدم إلى تونس السيد دو شاتونوف de Châteauneuf ، الذي تم تعيينه قنصلا عاما لفرنسا في تونس ؛ بموجب قرار مؤرخ في 03 سبتمبر من سنة 1786م ، مكان السيد دي روشي الذي أخذ إلى المغرب في نفس المهام ⁽³⁾. وفي سنة 1787م تلقى حمودة باشا مساعدات عسكرية من آلات ومعدات ساعدته في بناء معمل لصنع المدافع ⁽⁴⁾.

لقد كانت الظروف التي مرت بها البلاد الأوربية في نهاية القرن 18م ، مواتية جدا للبلاد التونسية فلم تحدث بين حمودة باشا وفرنسا سوى ثلاث خصومات ، فقد صادف عهد ازدهار التجارة الفرنسية ، التي نافست تجارة كل الأمم الأوربية ، وحتى تجارة اليهود ، بفضل التجار المتجولين من مقاطعة البروفانس ، الذين لم تفتأ ملاحظتهم الساحلية تتزايد في ذلك الوقت باتجاه الإيالة ⁽⁵⁾.

وتشير بعض المصادر إلى أن صادرات الإيالة التونسية إلى فرنسا قد بلغت في سنة 1787م ما قيمته 4629600 فرنك ، أي بنسبة 59.9% من مجموع الصادرات ، في حين بلغت قيمة الواردات من فرنسا 5239600 فرنك ، أي بنسبة 71.4% من مجموع واردات الإيالة . أما في سنة 1789م فقد بلغت صادرات الإيالة إلى فرنسا ما قيمته 1584100 فرنك ، أي بنسبة 30% من مجموع الصادرات التونسية إلى الخارج ، في حين بلغت قيمة الواردات من فرنسا إلى الإيالة التونسية 3073100 فرنك ، أي بنسبة 60% من مجموع واردات الإيالة التونسية من الخارج ⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ إبراهيم بن جمعة بلقاسم : المرجع السابق ، ص 48 .

⁽²⁾ رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص 305 .

⁽³⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p 221.

⁽⁴⁾ نبيهة السلطاني العبيدي : المقال السابق ، ص 130 .

⁽⁵⁾ شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص ص 385-384 .

⁽⁶⁾ Paul Sebag: Tunis Histoire d'une ville ,op.cit , p 249.

وعلى العموم فخلال الفترة الأولى لحكم حمودة باشا (1782-1792)، حافظت فرنسا على أولويتها في المبادلات الخارجية للإيالة التونسية، إذ بلغت قيمة المبادلات الفرنسية في سنة 1787م ما قيمته 9869252 ليرة، لترتفع إلى 13629349 ليرة في سنة 1792م، وهذا يعود إلى دور وزراء حمودة باشا؛ مصطفى خوجة وحمودة بن عبد العزيز؛ نظرا لعلاقتهم الوثيقة مع فرنسا⁽¹⁾. وحسب رسالة من القنصل الفرنسي السيد دو شاتونوف de Châteauneuf بعث بها إلى حكومته في سنة 1788م، ذكر فيها لائحة تبين حجم التجارة التونسية - الفرنسية، والتي تمثل حجم التبادل التجاري التونسي مع الخارج في سنة 1787م فقيمة الواردات من مرسيليا إلى تونس 5239649 ليرة، وقيمة الصادرات من تونس إلى مرسيليا 4629603 ليرة، وواردات تونس من الدول الأجنبية الأخرى بقيمة 2099750 ليرة، وصادرات تونس إلى الدول الأجنبية الأخرى بقيمة 3095665 ليرة⁽²⁾.

وفي شهر جوان من سنة 1790م تم توقيع معاهدة بين الشركة الفرنسية وحمودة باشا تضمنت 13 بنداً، تخص كلها حق احتكار الشركة لصيد المرجان⁽³⁾. وفي جانفي من سنة 1791م قدم إلى تونس السيد دو برويز de Brueys على متن سفينة حربية فرنسية؛ لمقابلة القنصل الفرنسي وحاملاً رسالة إلى حمودة باشا. يخبره فيها بسقوط النظام الملكي، وقيام الجمهورية الفرنسية. وطالب من الباي الاعتراف بالعلم الجمهوري الجديد؛ ذي الألوان الثلاثة الأزرق والأبيض والأحمر، وحق فرنسا في رفعه فوق مقر قنصليتها، وصرح حمودة باشا بعدم معارضة ذلك، واعترف به في ماي من سنة 1791م، بعد أن علم باعتراف داي الجزائر به. وفي جوان ترك دو شاتونوف تونس متجهاً إلى فرنسا⁽⁴⁾.

وفي سنة 1793م/1207هـ بعث القنصل الفرنسي دوفواز Devoise، الذي خلف دو شاتونوف في رسالة وجهها إلى حكومته بباريس لائحة تبين حجم التبادل التجاري بين تونس والخارج في سنة 1792م/1206هـ، والتي تبين زيادة حجم المبادلات التجارية الفرنسية مع الإيالة، حيث بلغت قيمة واردات تونس من مرسيليا 5878031 ليرة، وقيمة صادرات تونس إلى مرسيليا 7751318 ليرة. لكن

(1) سلوى هويدي : المقال السابق، ص 422 .

(2) رشاد الإمام : المرجع السابق، ص 305 .

(3) المعاهدة وقعت في جوان من سنة 1790م/ ذو القعدة من سنة 1204هـ، والمعاهدة تم توقيعها من طرف حمودة باشا والقنصل الفرنسي دو شاتونوف، وبنود المعاهدة مكتوبة باللغتين العثمانية والفرنسية، وهي تتكون من 13 بنداً، تعلقت كلها بامتيازات الشركة الفرنسية التجارية في احتكار صيد المرجان بسواحل تونس. والمعاهدة مصنفة في السلسلة التاريخية بالأرشيف الوطني التونسي، ضمن الصندوق 238، الملف 550. ينظر الملحق رقم 08 .

(4) Alphonse Rousseau: op.cit , pp 225-226.

هذا الوضع التجاري الممتاز الذي تمتعت به فرنسا تراجع بعد قيام الثورة الفرنسية ،بعد أن اعتبر حمودة باشا تغيير النظام في فرنسا سببا لفسخ المعاهدات السابقة ،وضرورة إعادة عقد معاهدات جديدة ، وهو ما رفضته فرنسا ،مما أدى إلى القطيعة بين الدولتين ⁽¹⁾.

وفي 25 ماي من سنة 1795م تم توقيع معاهدة بين فرنسا وتونس ،وضعت فيها شروط إضافية ؛لأنها عبارة عن ملحق للمعاهدات السابقة ،وتعلقت بتحديد المياه الإقليمية لكل منهما ،حيث نصت المعاهدة على تحديدها برمية مدفع ابتداء من شواطئ الطرفين ،ووقعت المعاهدة بقصر باردو من طرف حمودة باشا ،والقنصل الفرنسي دوفواز ⁽²⁾. كما أعادت المؤسسات التجارية الفرنسية للعمل في الإيالة ،لكن فرنسا لم تكن راضية بسبب عدم بلوغ وارداتها من تونس إلى المقادير ،التي كانت تحصل عليها قبل حدوث القطيعة ⁽³⁾.

لقد عمل حمودة باشا على إجبار الدول الأوربية التي تتعامل معها تونس تجاريا على جعل الهدايا ،التي كان يتلقاها منها بمقتضى العادات السابقة تشتمل على عتاد عسكري .أما فرنسا فقد سلك تجاهها سياسة الإغراء إذ كان يعدها بالسماح لها بتوريد الحبوب من تونس ،مقابل حصوله منها على الأسلحة .فكانت فرنسا تتردد في تلبية لرغباته ،رغم حاجتها الملحة لحبوب تونس لا سيما أثناء انشغالها بحروبها الأوربية ،غير أن تردددها لم يش حمودة باشا عن غايته ،حيث أوفد مبعوثا خاصا إلى مرسيليا في سنة 1795م لاقتناء 300 قنطار بارود للمدافع ،وعشرين ألف قذيفة مدفعية ، ولم يدفع مقابل ذلك سوى نصف ثمنها ؛لأنه احتج على ارتفاع سعرها لدى الحكومة الفرنسية ،التي اعتبرت القسط الثاني من ثمن هذا العتاد هدية لحمودة باشا .وفي سنة 1796م أهده آلات ومعدات حربية ساعدته على بناء معمل لصنع قذائف المدافع ⁽⁴⁾.

3.3- دور التجار التونسيين في علاقات الطرفين في عهد حمودة باشا:

وصلت العلاقات التجارية بين تونس ومرسيليا إلى أوج ازدهارها في عهد حمودة باشا لعدة أسباب منها ؛تشجيع حمودة باي لها ،وقد كانت سياسة حمودة باشا مسطرة في المجال الاقتصادي

(1) رشاد الإمام : المرجع السابق ،ص 306 .

(2) المعاهدة وقعت في 25 ماي من سنة 1795م 7/ ذو القعدة من سنة 1209هـ ،والمعاهدة تم توقيعها من طرف حمودة باشا والقنصل الفرنسي دوفواز ،ونص المعاهدة مكتوب باللغتين العربية والفرنسية ،نصت على تحديد المياه الإقليمية للطرفين .والمعاهدة مصنفة في السلسلة التاريخية بالأرشيف الوطني التونسي ،ضمن الصندوق 205 ،الملف 063 .ينظر الملحق رقم : 09 .

(3) رشاد الإمام : المرجع السابق ،ص 307 .

(4) نبيهة السلطاني العبيدي : المقال السابق ،ص ص 128-129 .

أثناء فترة حكمه للبلاد التونسية، وكان هدفه هو تحرير إمكانيات البلاد الاقتصادية، فقد عمل على تنشيط التجارة خاصة الخارجية، و منع على التجار الأجانب بيع المنتوجات الزراعية، وحصر عملية التصدير في التجار التونسيين، وشجع حمودة باشا التونسيين على تولي شؤون التجارة الخارجية بأيديهم، بعد أن كانت تتم التجارة في يد التجار الأوربيين، كما احتكر بعض التجارة لتجارته الخاصة، وكذا بعض كبار رجال الدولة، وبعض الأعيان التجار، وقد تواصلت تلك التجارة⁽¹⁾.

لقد استثمر التونسيون الظروف الدولية الملائمة منذ سنة 1792م مثل: النزاعات بين الدول المسيحية بعد حرب السبعة أعوام، وحروب الحقبة الثورية والإمبراطورية، مما وفر فرصة للتجار التونسيين لإقامة مراسلين في مرسيليا. فقد ورد أن يهوديا من تونس أرسل شحنته إلى مرسيليا في سنة 1792م، وتكررت التجربة اعتبارا من سنة 1795م، وقد مثلت نسبة السفن الحاصلة لحساب التجار التونسيين، أو المذكورين كتونسيين 25 %، من مجموع السفن التي وصلت إلى مرسيليا⁽²⁾.

ويذكر القنصل الفرنسي دوفواز Jacques Devoise، أن الباي خفض الرسوم الجمركية على التجار التونسيين خلال سنوات 1792، 1796، 1798، 1808، 1815؛ فيما يتعلق بالبضائع التي يستوردونها من فرنسا؛ من 11% إلى 5.5% في حين ارتفعت الرسوم الجمركية، التي يدفعها التجار الأجانب، ولم يخف قنصل فرنسا استيائه من سياسة حمودة باشا، وفسره على أن الباي يريد منه تكريه الأوربيين من الإبحار مع الإيالة التونسية وحصر تجارتها في أيدي التونسيين⁽³⁾.

ويشير بعض الكتاب أن التجار الفرنسيين هم، الذين فتحوا عيون التونسيين على أهمية التجارة الخارجية، والأرباح الطائلة التي تنجر عنها، وقد اكتسب التجار التونسيون الخبرة؛ بسبب احتكاكهم بالتجار الأوربيين، واكتسبوا منهم الطرق والأساليب، حيث انحصرت لديهم أكثر من 4/3 من تجارة تونس الخارجية، وقد أصبح عدد التجار التونسيين العاملين في التجارة الخارجية مع الدول الأوربية أكثر من 150 تاجرا كبيرا، في حين أن عدد المؤسسات التجارية الفرنسية العشرين، التي كانت عاملة في بداية عهد حمودة باشا، تقلص عددها إلى خمسة فقط، وكانت هذه المؤسسات تعمل جريا للعادة لا للأرباح، وتضيف ذات المصادر أن عددها تقلص إلى اثنتين فقط، لا تنجز كلتاها من المعاملات

⁽¹⁾ رشاد الإمام : سياسة حمودة الحسيني باشا في المجال التجاري ، في م. ت. م. ، العدد 2 ، تونس 1974 ، ص 83 -

86 .

⁽²⁾ لوسيت فالنسي : المرجع السابق، ص 77 .

⁽³⁾ رشاد الإمام : سياسة حمودة باشا في تونس ، المرجع السابق، ص 295 .

التجارية مع الخارج في السنة سوى ما كانت تنجزه سابقا إحدى تلك المؤسسات في شهر واحد⁽¹⁾. وفي شهر أوت من سنة 1798م أمر حمودة باشا قنصل فرنسا، بتونس أن يعطي (باصبرت) لأحد التجار التونسيين ليدخل سفينته لموانئ فرنسا للإبحار. أما الطبيب فرانك Frank فيذكر أن تجار تونس في فرنسا كان لهم تأثير على التجارة بين البلدين. وقد كان من هؤلاء التجار كما تثبتته وثيقة تونسية، من يتاجر في سنة 1809م بين مدينة أزمير التركية وفرنسا. وبشأن نشاط هذا التاجر طلب قنصل فرنسا بتونس، من زميله بأزمير إعلامه بكل البضائع والمنتجات، التي يشتريها ذلك التاجر، وهو الحاج إبراهيم المسدي ليرخص له بالدخول للموانئ الفرنسية وبيعها⁽²⁾.

3.4- علاقات تونس والسياسية والتجارية من 1798م إلى 1802م :

إن أهم حدث سياسي يميز علاقات الطرفين خلال هذه المرحلة؛ هو الحملة الفرنسية على مصر، فقد أرسلت الدولة العثمانية إلى الإيالات المغاربية، تخبرهم عن الحملة الفرنسية على مصر في جويلية من سنة 1798م، وعن كيفية التعامل مع الفرنسيين، وفي 20 أكتوبر من سنة 1798م أرسلت الدولة العثمانية فرمانا إلى الجزائر وتونس تخبرهم عن نقض الفرنسيين للصلح، بسبب حملتهم على مصر وأمرتهم، بتجهيز أساطيلهم، وإعلان الحرب على الفرنسيين⁽³⁾. تقاعس حمودة باشا عن تلبية أوامر الدولة العثمانية، في حربها ضد فرنسا بعد احتلالها لمصر في سنة 1798م⁽⁴⁾.

وقد أورد ابن أبي الضياف موقف حمودة باشا، بقوله: ((... إن الخلطة بين أهل تونس والفرنسيين في المتاجر كثيرة جدا، لا يمكن فصلها إلا بعد زمن طويل، والقادم منهم لبلادنا إنما قدم بأمان صلح لا يخفى. وندخل فيما دخل فيه المسلمون من الحرب معهم، غير أننا لا نأخذ مراكبهم المتجربة في هذا البحر، لأن ما بها من المتاع غالبه لأهل تونس...))⁽⁵⁾.

فعندما دعت الدولة العثمانية حمودة باشا في سنة 1798م إلى قطع العلاقات مع فرنسا؛ اكتفى حمودة باشا بتظاهرة رمزية، لكنه صرح للتجار الفرنسيين بمواصلة أنشطتهم في الإيالة، وأدى ذلك إلى انزعاج الدولة العثمانية، نظرا للمصلحة المشتركة بينهما، وللروابط التي كانت ماتزال توحد الإيالة

(1) رشاد الإمام : المقال السابق، ص ص 86-87 .

(2) المقال نفسه، ص 88.

(3) سامح التر : المرجع السابق، ص ص 573-574 .

(4) إبراهيم بن جمعة بلقاسم : المرجع السابق، ص ص 48-49 .

(5) ابن أبي الضياف : المصدر السابق، ج 3، ص 32 .

بالدولة العثمانية ⁽¹⁾. فاضطر الباي إلى قطع العلاقات مع فرنسا. ((...ولما انتقض الصلح أمر وزيره مصطفى خوجة لإزالة علامته، فأتى بنفسه لدار الفرنسيين وأزال عود الصنجق (...)) ⁽²⁾. في حين تؤكد مصادر فرنسية أن حمودة باشا كان صادقا في إخلاصه وصداقته اتجاه الجمهورية. ومن أجل مصلحته وسلطته، أطاع أوامر السلطان. الذي هددته في حالة رفض انضمام أسطوله للأسطول الإنجليزي، وأرغمه على التحالف مع الدولة العثمانية، في هذه الحرب المشروعة والمقدسة. فكان حمودة باشا أقل تشددا من داي الجزائر، الذي وضع القنصل الفرنسي ورعاياه في الحديد، فقد أعلن حمودة باشا الحرب على فرنسا، ورخص القرصنة ضد بحريتها، وترك القنصل دو فواز والرعايا الفرنسيين يستقرون في تونس بكل حرية في الفندق الفرنسي Fondouk، ووضع لهم الحراسة ⁽³⁾. وفي 28 أوت من سنة 1800م وقع حمودة باشا مع القنصل الفرنسي دو فواز Devoize، الذي زود بسلطات مطلقة؛ هدنة أوقفت كل أنواع العداوة بين الدولتين. لكن هذه الهدنة لم تعمر طويلا، بسبب تهديدات الباب العالي بضرورة الالتحاق بالقوات البريطانية، ومواصلة الحرب ضد فرنسا. حيث وصل مبعوث السلطان العثماني إلى تونس في 25 جانفي من سنة 1801م، فاستجاب الباي لذلك، ومنح الفرنسيين مهلة شهرين لترك الإيالة ⁽⁴⁾. لكن بعد توقيع صلح أميان في سنة 1802م، وعودة العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا، تم إبرام معاهدة سلام نهائية بين تونس والجمهورية ⁽⁵⁾.

3.5- علاقات الطرفين من 1802م إلى 1814م :

لقد ارتبط حمودة باشا بعلاقات طيبة مع نابليون بونابرت، وكانت بينهما اتصالات ومهاداة. وقد ذكر ذلك صاحب الصفوة بقوله : ((وعند وقوع الصلح عرفها له نابليون، وصارت بينهما مهاداة واعتراف بالكمال)) ⁽⁶⁾. وقد رجع القنصل الفرنسي دو فواز Devoize في شهر فيفري من سنة 1802م، وبدأ في التفاوض مع الباي والديوان، ولم يجد أية صعوبات في تجديد المعاهدات السابقة، وحظي بامتيازات كبيرة لفرنسا ورعاياها وقنصلها. أبرمت معاهدة سلام في 23 فيفري من سنة 1802م بين حمودة باشا والقنصل دو فواز، والتي أنهت العداء بين الإيالة والجمهورية التونسية ⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ روبر مانتزان : المرجع السابق، ص 632.

⁽²⁾ ابن أبي الضياف : المصدر السابق، ج 3، ص 32.

⁽³⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p 237-238.

⁽⁴⁾ Eugène Plantet: op.cit , p 362.

⁽⁵⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p 238.

⁽⁶⁾ محمد بيرم الخامس : المصدر السابق، ص 387.

⁽⁷⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p 238.

وقد تكونت المعاهدة من تسعة بنود ، وأهم ما جاء فيها ⁽¹⁾:

- 1- تأكيد وتجديد جميع المعاهدات السابقة ،خصوصا معاهدة 1742م بين الإيالة والجمهورية .
- 2- الأمة الفرنسية تتمتع بالأحقية في الامتيازات ،والأكثر تمييزا وتفضيلا بين الأمم المقيمة بتونس .
- 3- يحق للقنصل الفرنسي استقبال السفن الفرنسية التي تدخل ميناء حلق الوادي ،من دون أن يمنع.
- 4- القنصل الفرنسي يختار ويغير حسب رغبته ،المترجمين والانكشارية الموجودين في خدمة القنصلية .
- 5- التجار الفرنسيون القادمون إلى ميناء تونس ،أو المناطق التابعة لها ،لا يدفعون سوى 3% من الرسوم الجمركية ،مثل ما كان من قبل .
- 6- البضائع القادمة من دول عدوة للإيالة ،والتي يوردها التجار الفرنسيون ،تستمر في دفع 3% من الرسوم الجمركية والعكس بالنسبة للتونسيين .
- 7- السماسرة اليهود والأجانب الآخرون المقيمون في تونس ،وهم في خدمة فرنسا ،يصبحون تحت حماية الجمهورية .وإذا جلبوا بضائع فيدفعون الرسوم الجمركية ،تبعاً للدولة التي ينتمون إليها ،وفي حالة نزاعهم مع الأهالي أو مسيحيين ،فإن القنصل الفرنسي ينظر في القضية .
- 8- كل فرد من أي دولة محتلة أو تربطها معاهدة مع الجمهورية الفرنسية ،في حالة أسر داخل الإيالة ،يتم تحريره مباشرة بعد تسخير القنصل الفرنسي ،وإن كان من دولة عدوة للجمهورية يبقى في الأسر .
- 9- وفي حالة قطع العلاقات بين الطرفين ؛فللرعايا الفرنسيين المقيمين بتونس مهلة ثلاثة أشهر من أجل ترك الإيالة بممتلكاتهم ومتاعهم بكل حرية وأمن .

ومما سبق يمكن القول :

- إن علاقات تونس مع فرنسا تميزت بالوئام خلال عهد علي باي ،فقد كانت العلاقات السياسية ،والتجارية وطيدة ،وهذا بفضل الدور الذي لعبته الوسائط الرأسمالية التجارية في الطرفين .وقد توجت تلك علاقات بإبرام معاهدة في سنة 1768م ، منحت الشركة الفرنسية امتيازات تجارية ،واقصادية كبيرة في الإيالة .لكن سرعان ما توترت العلاقات بينهما ؛بسبب ضم فرنسا لجزيرة كورسيكا الجنوبية .
- لكن علاقات الطرفين سرعان ما أعيدت بعد معاهدة سنة 1770م ،والتي حافظت للإيالة حق احتكار تجارة الحبوب ،واستفاد الاقتصاد التونسي من التعامل التجاري مع فرنسا . كما تم إبرام اتفاقية

(1) للاطلاع على محتوى المعاهدة ،ينظر : Rouard de Card : op.cit , p p 203-205.

تجارية بين الشركة الفرنسية والإيالة في سنة 1781م ،منحت فرنسا امتيازات تجارية واقتصادية كبيرة ؛ نظرا للدور الذي لعبه بعض الوزراء الموالين لفرنسا ؛مثل الوزير الأول مصطفى خوجة .

- أما في عهد حمودة باشا ،فقد تساهل هذا الباي مع الفرنسيين ،ومنحهم امتيازات تجارية كبيرة بعد توقيع معاهدة سنة 1782م ،حيث حافظت فرنسا على أولويتها التجارية في المبادلات الخارجية للإيالة التونسية إلى غاية سنة 1798م.

- توترت العلاقات بين الطرفين في سنة 1798م ؛ بسبب الحملة الفرنسية على مصر ،لكنها سرعان ما عادت إلى الودية خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 1802م و1814م ؛فقد منحت معاهدة سنة 1802م امتيازات تجارية واقتصادية كبيرة للفرنسيين .

فإذا كانت هذه هي طبيعة علاقات تونس مع فرنسا خلال القرن الثامن عشر ،فكيف هي إذن علاقات تونس مع إسبانيا خلال نفس القرن ؟.

الفصل الرابع

جوانب من مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا خلال القرن 18م

المبحث الأول : مظاهر علاقات تونس مع إسبانيا قبل القرن 18م

المبحث الثاني : مظاهر علاقات تونس مع إسبانيا من 1705م إلى
1756م

المبحث الثالث : مظاهر علاقات تونس مع إسبانيا من 1756م إلى
1814م

الفصل الرابع :

جوانب من مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا خلال القرن

18م

إن العلاقات بين تونس ، وإسبانيا خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي تمثل مرحلة هامة ، من تاريخ البلدين خلال العصر الحديث ، ومن جهة أخرى تمثل حلقة من حلقات العلاقات التاريخية لمنطقة الحوض الغربي من المتوسط من جهة ، ودول غرب أوربا المتوسطية من جهة أخرى . لذلك لا يمكننا استكمال كل مراحل علاقات تونس مع دول غرب أوربا المتوسطية ، دون التطرق إلى علاقاتها مع إسبانيا . من جهة أخرى لا يمكننا دراسة علاقات تونس مع الدول الأوربية المتوسطية ، دون دراسة فترة القرن الثامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري .

ورغم أن حالة العداء هو السيمة الغالبة على علاقات الإيالة التونسية مع إسبانيا خلال الثلاثة أرباع الأولى من القرن الثامن عشر / الثاني عشر الهجري ؛ إلا أن العلاقات بين الإيالة التونسية ، وإسبانيا خلال هذه الفترة الطويلة أخذت منحى آخر ؛ تنوعت مراحلها نتيجة لعوامل مختلفة ، ولخصائص متناقضة لتلك المراحل .

وبحلول الربع الأخير من القرن الثامن عشر ستتغير طبيعة العلاقات بين تونس وإسبانيا ، بعد توصل البلدين إلى اتفاق ضمن مصالحهما السياسية والاقتصادية في سنة 1791م . وبذلك توجت علاقات الطرفين إلى السلمية ، بعد قرون من الصراع والقرصنة المتبادلة في الحوض الغربي من البحر المتوسط .

المبحث الأول

علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا قبل القرن 18 م :

إن العلاقات بين تونس ، وإسبانيا قبل القرن الثامن عشر / الثاني عشر الهجري ، تمثل مرحلة هامة ، ومكملة لعلاقتهما خلال القرن القرن الثامن عشر / الثاني عشر الهجري . لكن الظروف التي تحكممت في علاقات تونس ، وإسبانيا اختلفت بعض الشيء عن باقي العلائق مع دول غرب أوروبا المتوسطية الأخرى ؛ ذلك أن العلاقات بين الطرفين خلال الفترة الحديثة تعود إلى القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري .

ذلك أنه منذ عهد الأسرة الحفصية الحاكمة في تونس ، والتي كانت دائما تلجأ للإسبان من أجل طلب المساعدة ، والنجدة حفاظا على سلطتها ضد العثمانيين ، خاصة بعد أن ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية . وإلى غاية حلول الربع الأخير من القرن السادس عشر ظل الحفصيون في صراع متواصل مع العثمانيين ، وهو ما أدى إلى تحالفهم المستمر أيضا مع الإسبان .

وستأخذ العلاقات بين تونس ، وإسبانيا منحى آخر مع مطلع الستينات من القرن السادس عشر ، حيث تتحول تونس إلى منطقة صراع بين العثمانيين ، والإسبان . أما خلال القرن السابع عشر ، فقد غلب على العلاقات بين الطرفين نشاط القرصنة البحرية المتواصلة بين أسطولي البلدين . ولكن رغم ذلك نجد استثناء في تلك العلاقات ؛ تمثل في العلاقات التواصلية ، المتمثلة في تجارة العبور بين تونس ، وإسبانيا من خلال حركة تنقل لسلع الطرفين بين موانئهما . ويمكن أن نحمل علاقات تونس وإسبانيا خلال هذه الفترة في العناصر الآتية :

1- الجذور التاريخية لعلاقات تونس مع إسبانيا خلال العصر الحديث.

2- علاقات تونس مع إسبانيا خلال القرن 17م (القرصنة).

3- علاقات تونس التجارية مع إسبانيا خلال القرن 17م (تجارة العبور).

فنتساءل إذن عن طبيعة تلك العلاقات التي جمعت بين الطرفين قبل القرن 18م ، وعن الظروف التي ساهمت في خلق تلك العلاقات بينهما ، وعن أهم مميزاتهما ، وخصوصياتهما ، وعن مظاهرها ، وانعكاساتها على تونس وإسبانيا ؟ وعن منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط عموما ؟ .

1- الجذور التاريخية لعلاقات تونس مع إسبانيا خلال العصر الحديث :

من بين المظاهر الهامة للعلاقات بين الطرفين خلال القرن السادس عشر ،هي تلك المعاهدة التي فرض فيها الإمبراطور شارلكان الحماية الإسبانية على تونس ،والتي عرفت بمعاهدة الاستسلام بين السلطان الحسن الحفصي ،والإمبراطور الإسباني شارلكان Charles V ،وكانت أول معاهدة رسمية بين تونس وإسبانيا في العصر الحديث ،والتي وقعت في يوم السادس من أوت سنة 1535م ، والتي أقرت تبعية تونس للإمبراطور شارلكان⁽¹⁾. كما أقر ذلك السلطان الحفصي مولاي الحسن في خطابه ، الذي كان قد وجهه للإمبراطور الإسباني فيما قبل .وقد تضمنت المعاهدة شروطا قاسية ضد التونسيين ، وضد السلطان الحسن ، الذي قبل بها ؛ ومما جاء فيها⁽²⁾:

- أن يلتزم ملك تونس بدفع تعويضات الحملة .
- إطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين الموجودين بتونس .
- أن يدفع مولاي الحسن الحفصي للإمبراطور شارلكان ضريبة سنوية ؛ قدرت بألف دوكة ذهبية
- أن يتنازل مولاي الحسن الحفصي لشارلكان عن الموانئ التونسية وهي : حلق الوادي ، عنابة ، والمهدية ، ليقيموا بها حاميات إسبانية .
- أن يلتزم الملك الحسن الحفصي بعدم السماح لسفن البحارة ، أو القراصنة المسلمين بالرسو في الموانئ التونسية ، وأن لا يستقبل في بلاده المهاجرين الأندلسيين .
- أن يسمح السلطان الحفصي للإسبان بتجارة المرجان في تونس .
- يسمح السلطان الحفصي مولاي الحسن لجميع المسيحيين بالاستيطان في إقليم تونس ، وإقامة شعائر دينهم بكل حرية .
- أن يقدم السلطان الحفصي اثني عشر حصانا عربيا سنويا للملك الإسباني ، وقدرها من المهارة العربية ، قبل يوم من عيد القديس جاك .
- في المقابل يتعهد الإمبراطور شارلكان بحماية التونسيين .

وبعد أن تم إبرام المعاهدة بين الطرفين ، اشترط الإمبراطور شارلكان على السلطان الحسن الحفصي ؛ أنه لو خالف أحد شروط المعاهدة المبرمة ، يدفع أول مرة خمسين ألف دوكة ذهبية ، وفي

(1) محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص 233 .

(2) للاطلاع على بنود المعاهدة ينظر إلى : Alphonse Rousseau : opcit , p p 408 - 414

المرّة الثانية مائة ألف ، وفي المرّة الثالثة يسقط حق مولاي الحسن في الملك بتونس⁽¹⁾. ويمكن القول أن العلاقات بين تونس ، وإسبانيا خلال القرن 16م تميّزت بالتبعية المباشرة ، خاصة بعد أن فرض شارلكان معاهدة الحماية على السلاطين الحفصيين ،الذين كانوا غير قادرين على حماية أنفسهم ،أو بلدهم⁽²⁾. ورغم ذلك فقد تواصلت الحملات الإسبانية على بعض المدن التونسية ،التي كانت خارجة عن سلطة الحفصيين ؛مثل :الحملة على مدينة المهدية في سنة 1551م ،والحملة الأخرى على جزيرة جربة في سنة 1560م⁽³⁾.

أما عن العلاقات بين تونس ، وإسبانيا في المرحلة ما بعد سنة 1560م ؛فقد تميزت بالصراع المتواصل بين الإسبان ،والعثمانيين للسيطرة على تونس ،مع استمرار تحالف الحفصيين مع الإسبان من أجل المحافظة على سلطتهم .فقد شهدت هذه المرحلة عدة حملات من الطرفين على تونس . فعندما تولى علي الحكم في الجزائر في سنة 1568م ،راسله أعيان تونس ،وطالبوا منه إنقاذ بلادهم ، ووعدوه بتسليم الحكم في مدينة تونس⁽⁴⁾. فقرر علي في بداية سنة 1569م مهاجمة تونس ، لتخليص أهلها من الاحتلال الإسباني⁽⁵⁾. وترى بعض المصادر الغربية ؛ أن ثورة المورسكيين في إسبانيا أعطت فرصة ذهبية لسلطة الجزائر ، لبسط نفوذها على تونس ، لأن الثورة شلّت حركة الجيش الإسباني⁽⁶⁾.

وقد غادر علي الجزائر في شهر أكتوبر سنة 1569م ؛متوجها إلى تونس برا ، وعندما علم السلطان أحمد الحفصي بقدمه جمع قواته ، وخرج إليه في قواته البالغ عددها ثلاثين ألف رجل ، والتقى الجيشان في منطقة باجة⁽⁷⁾ ، فهزم السلطان أحمد الحفصي ، وأرغم على الفرار ؛حيث توجه إلى الحامية الإسبانية الموجودة بحلق الوادي⁽⁸⁾.

(1) محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص 233 .

(2) للاطلاع على علاقات تونس وإسبانيا خلال القرن 16م ، ينظر :الشافعي درويش :المرجع السابق ،ص ص 90-121 .

(3) يوسف بن أحمد الباروني : جزيرة جربة في موكب التاريخ ،تحقيق وإعداد :سعيد بن يوسف الباروني ، جربة ، تونس 1998 ، ص ص 43 ، 56 .

(4) Diego de Haedo : **Histoire des Rois d'Alger**, traduit par : H.D.de Grammont, Adolphe Jourdan . Libraire-éditeur, Alger 1881, p 141 .

(5) أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792) ، ط 3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1984 ، ص 397 .

(6) جون وولف : المرجع السابق ، ص 85 .

(7) ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 163 .

(8) ابن أبي الضياف ،المصدر السابق ،ج 2 ، ص 19 .

فتحت مدينة تونس أبوابها لعلي ، ودخلها دون صعوبة في سنة 1569م ، وأعلن أهلها ، والمناطق المجاورة لها الولاء له ، وأخذ البيعة للسلطان العثماني سليم الثاني ، وأتبع تونس للخلافة العثمانية . إلا أن التهديد الإسباني استمر من خلال تواجد حامية إسبانية في حلق الوادي ، تهدد التونسيين ⁽¹⁾ . وسيعاود الإسبان المحاولة من أجل استرجاع تونس ، وطرد العثمانيين منها ، خاصة وأن الملوك الحفصيون يرفضون وجود العثمانيين في تونس .

شرع الملك الإسباني فيليب الثاني ⁽²⁾ Philippe II في إعداد حملة كبيرة ، أوكل قيادتها إلى أخيه دون جوان دو تريش Don Juan d'AuTriche ، وبعد أن لجأ السلطان أحمد الحفصي إلى الإسبان ، اشترط عليه الملك فيليب الثاني إعادته للحكم ؛ مقابل اقتسام عرش تونس ، لكنه رفض ، ولجأ إلى جزيرة صقلية في سنة 1572م وخلع نفسه ، وبقي فيها إلى أن توفي . أما أخوه محمد بن الحسن الحفصي فقبل بعرض الإسبان ⁽³⁾ .

فخرج دون جوان النمساوي ⁽⁴⁾ Don Juan d'AuTriche في 07 أكتوبر من سنة 1572م ؛ ليقود حملة بحرية لاحتلال تونس ، ؛ وقد كانت الحملة ضخمة تتكون من حوالي 138 سفينة ، وكان الجيش المسيحي يتألف من سبعة وعشرون ألف جندي ، وخمسمائة فارس ⁽⁵⁾ . لقد تألفت الحملة من 13000 جندي إيطالي ، و9000 جندي إسباني ، و5000 جندي ألماني ، وكان الأسطول مكونا من 107 سفينة حاملة للجنود ، و31 سفينة حربية . لقد كان الملك الإسباني يستهدف طرد الأتراك (يقصد العثمانيين) نهائيا من أفريقيا ، وتدمير كل القواعد التي أقاموها فيها . وقد كتب دون جوان إلى الملك

⁽¹⁾ محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص ص 255-257 .

⁽²⁾ هو ابن شارل الخامس ولد في سنة 1527 ، اعتلى عرش إسبانيا في سنة 1556 ، انتهج سياسة معادية للفرنسيين ، بسبب الممتلكات الإيطالية ، تبني سياسة الطرد ضد الموريسكيين بين سنتي 1559 و1571 ، انتصر في عهده التحالف المسيحي في معركة ليبانت في سنة 1571 ضد العثمانيين ، فشل في الحفاظ على تونس . ينظر : إبراهيم سعيود : **الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث ، إشراف : د/غطاس عائشة ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2010/2009 ، غير منشورة ، هامش 4 ، ص 80 .

⁽³⁾ الشافعي درويش : المرجع السابق ، ص 125 .

⁽⁴⁾ ولد هذا الأمير من إحدى عشيقات شارل كان سفاحا ، بمدينة راتسيون سنة 1545م ، وبعد موت أبيه أراد أخاه فيليب الثاني ، إدخاله ضمن إحدى المدارس الدينية ، لكنه رفض . فعينه قائدا للجيش ، وفي سنة 1570م كلفه بالقضاء على ثورة الموريسكيين بقرنطة ، شارك في معركة ليبانت . توفي سنة 1578م . ينظر إلى : وديع أبو زيدون : **تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط** ، ط 1 ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 2003 ، ص 144 .

⁽⁵⁾ صالح عباد : **الجزائر خلال العهد التركي (1514-1830)** ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2005 ، ص 95 .

فيليب الثاني قائلاً له : ((...يجب المحافظة على تونس باسمكم ، وعدم إرجاعها إلى الملك الحفصي السابق ، أو إلى أبنائه ؛ وذلك لقلة الثقة التي يمكننا ، أن نمنحهم إياها جميعاً ...))⁽¹⁾. وصلت الحملة الإسبانية إلى حلق الوادي ، ثم توجهت إلى مدينة تونس بقيادة سنتا كروز Santa Cruz ، حيث هاجمها واستولى عليها دون مقاومة في 11 أكتوبر سنة 1573 م ، وبعد ذلك توجهوا إلى مدينة القيروان ، التي تحصن بها العثمانيون بقيادة حيدر باشا⁽²⁾. أما دون جوان فقد نصّب محمد الحفصي ملكاً على تونس ، وشاركه حاكم إسباني ؛ يدعى غابريال سيريلوني Gabriel Serbelloni . قام دون جوان بتحسين قلعة حلق الوادي ، وأنشأ مدينة سماها شكلي ؛ وهي على النسق الأوربي ، تقع بين ميناء حلق الوادي ومدينة تونس ؛ وذلك بهدف تشديد المراقبة على تونس⁽³⁾. فقد كان يطمح إلى إنشاء مملكة له بتونس ، وقد لقي تشجيعاً من الكنيسة البابوية في روما⁽⁴⁾.

لم يرض الملك الإسباني فيليب الثاني Phillipe II عن تصرفات أخيه دون جوان Don Juan ، فقد كان يرى ضرورة تحطيم قلعة حلق الوادي ، ومختلف التحصينات الإسبانية الساحلية ؛ بسبب ارتفاع تكاليف نفقاتها ، وقلة فائدتها⁽⁵⁾. فقد غضب فيليب الثاني من تصرفات دون جوان ، وأمره بالعودة فوراً ، فالتحق دون جوان بصقلية في نهاية 1573 م ، بعدما ترك بتونس حامية إسبانية من ستة عشر ألف شخص ، وترك حكمها تونس لمحمد الحفصي التابع للإسبان⁽⁶⁾.

وبعد ثمانية أشهر من استيلاء دون جوان على تونس ، واسترجاعها ثانية من طرف الإسبان . بدأت التحركات ، والاستعدادات الإسلامية ؛ حيث أرسل السلطان سليم الثاني ؛ سلسلة من المراسلات لقادته في مختلف الولايات العثمانية في شمال أفريقيا ، من أجل الاستعداد لتحرير تونس⁽⁷⁾. كما أعلم السلطان حيدر باشا حاكم القيروان بالحملة⁽⁸⁾. وخرج الأسطول العثماني من إسطنبول يوم 15 ماي 1574 م ، تحت قيادة علي ، وسان باشا ، ووصل إلى تونس يوم 13 جويلية ، وقام

⁽¹⁾ نقلاً عن : إبراهيم سعيود : المرجع السابق ، ص ص 85-86 .

⁽²⁾ Ernest Mercier : op.cit , p 115 .

⁽³⁾ عبد الحليل التميمي : المرجع السابق ، ص 103 ، 104 .

⁽⁴⁾ سامح التر : المرجع السابق ، ص 244 .

⁽⁵⁾ DE la Primaudie : **Documents ...in , R. A** , Alger 1877 , T21, p 295 .

⁽⁶⁾ Ernest Mercier : op.cit , p 115 .

⁽⁷⁾ سامح التر : المرجع السابق ، ص 246 .

⁽⁸⁾ عبد الحليل التميمي : المرجع السابق ، ص 105 .

بإنزال الجنود ، والمدافع في خليج قرطاجنة قبالة حلق الوادي ؛ حيث كانت تنتظره قوات حيدر باشا قائد القيروان ، ومصطفى باشا حاكم طرابلس ، والتحق بهم بعد بضعة أيام أحمد عراب ؛ قادما من الجزائر عن طريق البحر على رأس قوة معتبرة ؛ قدرت بسبع قطع بحرية ⁽¹⁾.

حاولت الدفاعات الإسبانية ، التي كانت متواجدة خارج مدينة تونس ، مواجهة القوات الإسلامية لكنهم تمكنوا من دحرها ، فاضطر الإسبان ، ومعهم السلطان الحفصي إلى ترك المدينة ، وتوجهوا إلى الباستيون للتحصن به ، بينما تمكنت القوات الإسلامية من دخول مدينة تونس ⁽²⁾.

أما حلق الوادي فتولى الهجوم عليها ؛ كل من أحمد عراب أمير أمراء الجزائر سابقا ، وكيلج علي باشا حيث سقطت يوم 23 أوت في يد المسلمين ، وتم قتل معظم من كان فيها من الجنود الإسبان ، ولم ينج منهم سوى 300 جندي ، وقعوا في الأسر . وفي يوم الاثنين 13 سبتمبر 1574م شن المسلمون هجوما مكثفا على حصن الباستيون ، فتمكنوا من الاستيلاء عليه ، وقضوا على الكثير ممن كانوا فيه من الإسبان ، وألقي القبض على سيربلوني Serbillon ⁽³⁾ ، و السلطان محمد الحفصي ، وأرسل الاثنان إلى إسطنبول ⁽⁴⁾ . وبذلك أسقط العثمانيون الدولة الحفصية ، وأنهت الهيمنة الإسبانية على تونس ، و أصبحت تونس إيالة عثمانية ، وعين سنان باشا على رأسها حيدر باشا حاكما ، وكلفه بوضع نظام عثماني مشابه للنظام السائد في إيالة الجزائر ⁽⁵⁾ . وقبل مغادرته تونس أمر سنا باشا ؛ بتهديم قلعة حلق الوادي ، وحصن الباستيون الإسباني ، اللذين بناهما الإسبان حتى لا يتمكنوا من تهديد تونس ، ولا شمال أفريقيا مرة أخرى ⁽⁶⁾ . ورغم المحاولات الإسبانية المتكررة لاسترجاع نفوذهم في تونس ، إلا أنهم لن يتمكنوا من العودة إليها .

لقد كان لعملية ضم تونس من قبل الأتراك العثمانيين دوي هائل في أوروبا ، وتوقع الجميع رد فعل إسباني قوي ، ولكن فيليب الثاني خيب ظن الجميع ؛ ويعود ذلك إلى شخصية الملك فيليب ، التي تختلف عن شخصية والده شارل كان Charles V ؛ ذلك أن فيليب الثاني Philippe II ، لم يكن ملكا جنديا ، ولم يمارس قط قيادة جيش ، ولم يظهر في ساحة معركة ؛ بل كان ملكا إداريا ، وكانت

⁽¹⁾ صالح عباد : المرجع السابق ، ص 96 .

⁽²⁾ ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 24 .

⁽³⁾ Ernest Mercier : op.cit , pp 117-118 .

⁽⁴⁾ ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ص 25 .

⁽⁵⁾ ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 189 .

⁽⁶⁾ عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 106 .

إسبانيا تعاني آنذاك من ضائقة مالية ،ومن مشاكل ثورية في إيطاليا ،والبلاد المنخفضة ،ومشاكل سياسية مع إنجلترا ،وفرنسا ،وكانت أنظارها تتجه نحو عرش فرنسا ،وبريطانيا ،وقد عوضت تونس بضم البرتغال في سنة 1580م . كل هذا يفسر انصراف الملك الإسباني فيليب الثاني عن حوض البحر المتوسط ،وشمال أفريقيا ،ورغبته في وضع حد للصراع مع العثمانيين في تونس⁽¹⁾.

لقد كان فتح تونس من طرف العثمانيين ؛ ضربة مؤلمة للمشروع الإسباني في شمال أفريقيا ، وانتصارا إسلاميا ،عوض هزيمة ليبانت ، كما كان بداية لتراجع القوة الإسبانية ،وتجربتها في البحر المتوسط . وقد أكد أحد الكتاب الفرنسيين بقوله : ((فإذا كان الإسبان قد حلقوا للعثمانيين ذقنهم في ليبانت ، فإن العثمانيين قطعوا لهم يدهم في تونس))⁽²⁾. وقد تمكن أحمد بن محمد الحفصي من إقناع الإسبان ، وعدد من القوى المسيحية بالقيام بحملة على تونس ؛ استهدفت قرنة سنة 1576م ، واستطاعت أسر 300 مسلم ، وحرقت العديد من المحاصيل الزراعية ، لكنها فشلت في الاستيلاء على الجزيرة ، كما راسل أحمد الحفصي الملك الإسباني فيليب الثاني سنة 1578م ؛ طالبا المساعدة لاسترجاع تونس من العثمانيين . كما سعى هذا الأخير بتحريض من فرسان مالطة لتنظيم حملة انطلاقا من جزيرة صقلية على تونس في سنة 1581م⁽³⁾. كما قام الإسبان بحملة بحرية استهدفت جزيرة جربة في سنة 1589م حسب بعض المصادر المحلية التونسية ، لكنها فشلت⁽⁴⁾.

ومنذ ضم البرتغال في سنة 1580م أصبحت إسبانيا في عهد فيليب الثاني Philippe II تسيطر على شبه الجزيرة الإيبيرية كلها ، وعلى الحوض الغربي للمتوسط من خلال ممتلكاتها في جزر البليار ، سردينيا ، صقلية ، وفي إيطاليا (نابولي وتوسكانيا وميلانو) ، بالإضافة إلى طنجة ، سبتة ، مليلة ، ووهران ، والأراضي المنخفضة ، إضافة إلى إمبراطورية واسعة في أمريكا وأسيا . وقد ورث فيليب الثالث في سنة 1598م هذه الممتلكات ، ورغم هذا الاتساع إلا أن إسبانيا كانت تعاني صعوبات خاصة بعد تحطم الأرمادة في سنة 1588م ، فقد بدأت الحركات الانفصالية تظهر في الممتلكات الإسبانية الخارجية (إيطاليا ، الأراضي المنخفضة) ، وفي شبه الجزيرة الإيبيرية (البرتغال ، وكاتالونيا) ، إضافة إلى

(1) محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 51 .

(2) Henri D. DE Grammont : **Histoire D'Alger sous la domination turque (1515-1830)** , Ernest Leroux Editeur , Paris , 1887 , 117.

(3) عبد الجليل التميمي : **عثمنة إيالات الجزائر وتونس وطرابلس على ضوء مهمة دفترتي 1559-1595م** ، في م . ت . م ، العدد 121 ، تونس 2006 ، ص ص 63 ، 62 .

(4) محمد أبو راس الناصري : **مؤنس الأحبة في أخبار جربة** ، تحقيق : محمد المرزوقي ، تقلم : حسن حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية ، تونس 1960 ، ص ص 114-115 .

تدهور النشاط الاقتصادي .ومن مظاهر تلك الوضعية اعتراف إسبانيا باستقلال هولندا في سنة 1609م⁽¹⁾. وبالرغم من زوال الاحتلال الإسباني في تونس ،وتوقف الحملات البحرية الإسبانية الموجهة للسيطرة عليها ،إلا أن العلاقات السياسية بين تونس وإسبانيا ستتواصل ،خلال القرن السابع عشر ، عن طريق عمليات القرصنة المتبادلة بينهما .

2- علاقات تونس السياسية مع إسبانيا خلال القرن 17م (نشاط القرصنة):

أما عن علاقات الطرفين خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ،فقد بدأت بتدعيم تونس لمسلمي الأندلس من خلال استقبالتها في سنة 1609م أكثر من ثمانين ألف أندلسي ممن شردتهم إسبانيا بعد الطرد النهائي⁽²⁾. كان ذلك في عهد الداوي عثمان داي (1591م-1610م) من أشهر دايات العثمانيين في تونس ،الذي منح مهاجري الأندلس الأموال وأقطعهم الأراضي ، واحتضنهم بعد تهجير الإسبان لهم ، فقامت عدة مدن تونسية جديدة⁽³⁾ .

وحسب بعض الوثائق الإسبانية أن :عثمان داي وزع على الأندلسيين الأراضي والسلاح ، وأعفاهم من الضرائب ،ومنحهم شبه استقلال ذاتي بالمناطق ،التي استقروا بها ،فبنوا وجددوا عدة قرى ومدن :بنزرت ،سليمان ،طبرية ،ماطر ،مجاز الباب ،السلوقية ،قريش الواد ،وتستور .وقد أتى الأندلسيون من مناطق متفرقة ،من كاتالونيا ،وطراقونا ،وأراقون ،وقشتالة .وقد جلبوا معهم أغلب الصناعات⁽⁴⁾. وهذا ما يؤكد الدور الذي لعبه الأندلسيون في العلاقات السياسية والتجارية بين تونس وإسبانيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

فقد لعب المورسكيون المطرودين من إسبانيا دورا كبيرا في الجهاد البحري بتونس ،منذ أن قام أسطا مراد بجلب عدد منهم من الجزائر لتعمير ميناء غار الملح ،والعمل فيه .نظرا لخبرتهم الكبيرة في مجال البحر ،إضافة إلى دافع الانتقام من الإسبان الذين طردوهم من بلادهم⁽⁵⁾. فقد أعقب الطرد النهائي للمسلمين من الأندلس في مطلع القرن السابع عشر (1609) ؛انهيار كامل في اقتصاد إسبانيا

(1) نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص 11 .

(2) محمد العربي الزبيدي : المرجع السابق ، ص 49 .

(3) شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ،المرجع السابق ،ص 109 .

(4) نقلا عن :ميكال دي إيلزا : وثائق جديدة حول الأندلسيين بتونس في أوائل القرن الثامن عشر ،تلخيص وتعريب :نور

الدين الحلاوي ، في م . ت . م ، العدد 17-18 ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1988 ، ص 140 .

(5) عمار بن خروف : العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م ، ط 1 ، دار

الأمل للنشر والتوزيع ، الجزائر 2006 ، ج 2 ، ص 29 .

، لأنهم كانوا طاقة عاملة لها شأنها . فقد أصيب إنتاج الصوف بضربة قاضية ؛ بسبب تدهور تربية الأغنام في هذه الفترة في إسبانيا ؛ بعد إخراج المسلمين الذين كانوا طاقة منتجة هائلة ⁽¹⁾ . وبذلك فقد تضررت إسبانيا بعد طرد مسلمي الأندلس ، ومن جهة أخرى استفادت تونس .

كانت الممالك الإسبانية إلى العقد الأول من القرن السابع عشر ⁽²⁾ ، ما تزال العدو الرئيسي لإبالات شمال أفريقية ، وكان المهاجرون الأندلسيون الهاربون من التعصب الإسباني ؛ يغذون تلك العداوة وكثيرا منهم أصبحوا أغنياء وأصحاب نفوذ ، بينما اشترك آخرون منهم في حركة الجهاد البحري ، وحتى بعد أن أصبحت إسبانيا أكثر عقلانية في نظرتها للإسلام ودول شمال أفريقية ، بقيت عائلات أولئك المهاجرين الأندلسيين ؛ يتذكرون وحشية البحارة والجنود الإسبان ، وبقوا يقنعون جيرانهم بدون صعوبة ؛ بأن إسبانيا مازال هي العدو . واجهت إسبانيا مع بداية القرن السابع عشر صعوبات كثيرة ، فبتولي فليب الثالث Philippe III العرش كانت الدولة الإسبانية في محنة حقيقية ، وقد انعكس الانحلال في الدولة الإسبانية في هبوط التجارة الخارجية الإسبانية ، وذلك لعدة عوامل كان من أهمها : أنشطة بحارة شمال أفريقية ⁽³⁾ . فقد أثرت القرصنة المغاربية ؛ ومنها التونسية (خصوصا) على التجارة الخارجية الإسبانية ، خاصة مع وجود قراصنة أندلسيين .

وفي سنة 1604م تحالف الأسطول الإسباني الصقلي في البحر المتوسط مع الأسطول الفرنسي ، وهاجموا الميناء التونسي حلق الوادي ، وأغرقوا وأحرقوا ست عشر سفينة حربية ؛ كانت تحمل أكثر من أربعمئة قطعة من المدفعية ⁽⁴⁾ . وفي سنة 1609م أدى الهجوم المشترك الفرنسي - الإسباني على حلق

⁽¹⁾ عبد الرحمن عبد الله الشيخ : دور المسلمين في تشكيل اقتصاد إمبراطوريتي جنوة والبندقية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، في م . ت . م . مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، العدد 43-44 ، تونس 1986 ، ص ص 145 ، 164 .

⁽²⁾ طبع القرن السابع عشر بنزاعين اثنين ، كان الأول هو الحرب المسماة حرب الثلاثين سنة وانتهت بمعاهدة وستفالي Westphalia سنة 1648م ، ونتيجتها توسع فرنسا والسويد ترابيا من جهة ، ومن جهة أخرى شروع ألمانيا في تنظيم شؤونها على الصعيدين السياسي والديني ، أما النزاع الثاني فتتمثل في الحرب الفرنسية الإسبانية ، التي انتهت بعقد سلم البيريني Pyrénées سنة 1659م ، الذي أتاح بالخصوص لإنجلترا بسط سيادتها على دنكارك Dunkerque وجزيرة جامايك Jamaïque في بحر الأنتيبي Antilles ، وممكن فرنسا من الإبقاء على روسييون le Roussillon ، ولويس الرابع عشر من الزواج بالبنات الثانية للملك إسبانيا ماري تريز Marie Thérèse ، والحفاظ على المكانة الأولى في أوربا . وعند عقد سلم إكس - لاشايل Aix-la-Chapelle في سنة 1678م ألحق بمملكته عدة مدن إسبانية منها ليل ودوي وشارلروا ، كما سلمت له إسبانيا لافرانس كونتي ومدن فالنسيان وكامبري ، وموبوج بالإضافة إلى مدن أخرى . ينظر : المختار باي : المرجع السابق ، ص 571 .

⁽³⁾ جون وولف : المرجع السابق ، ص ص 243-245 .

⁽⁴⁾ نفسه ، ص 248 .

الوادي إلى حرق ثلاثين مركبا⁽¹⁾. في حين تشير مصادر أخرى إلى 35 سفينة حربية تراوح حجمها من 350 برميل إلى 700 برميل⁽²⁾.

لقد كان للمورسكيين دور كبير في انتعاش القرصنة بعد سنة 1609م؛ نظرا لدوافع الثأر ومعرفتهم بسواحل إسبانيا وثرأء بعضهم، خاصة أن السلطة التونسية تجاوبت معهم، وأعانتهم على ذلك التوجه، وقد أخذت القرصنة ديناميكية ظرفية على اقتصاد موانئ الإيالة، ونسق حياتها اليومية؛ خاصة ميناء تونس، وحلق الوادي، وغار الملح، وبنزرت، وسوسة، وصفاقس، وجزيرة جربة، ويظهر أن حكام البلاد والأعيان والمرتدين (يقصد الأعلاج)، مثل مراد راييس هم الذين راقبوا غالبية نشاط القرصنة؛ لأن الاستثمار الاقتصادي بقي تابعا للنفوذ السياسي. فمثلا قبض علي ثابت 2280 سلطاني في أوت من سنة 1628م من المسمى كياكوب فالنسين Ciacob Valensin مقابل تحرير أسيرين تابعين لكنيسة مدريد الإسبانية⁽³⁾.

وتشير مصادر أخرى أن الموريسكيين الأندلسيين؛ الذين استقروا في تونس مارسوا نشاط الجهاد البحري ضد السفن الإسبانية طيلة القرن السابع عشر، ومن بين هؤلاء يمكن أن نذكر: أسطا علي قبطان، وعلي راييس أندلسي، منصور راييس⁽⁴⁾. كما أن إبراهيم أحمد بن غانم المعروف بابن غانم الذي قدم إلى تونس عندما تم الطرد النهائي للموريسكيين من إسبانيا في سنة 1609م، وقد ولاه يوسف داي ست سفن للجهاد وأمره على مائتي رجل، وقد قام بمعارك ضد الإسبان، إلا أنه وقع في الأسر، عندما انطلق من حلق الوادي متجها إلى السواحل الإسبانية في أوت من سنة 1610م، وبقي في السجن سبع سنوات، ورجع في سنة 1617م إلى البلاد التونسية ليقود حامية حلق الوادي إلى غاية سنة 1631م. حيث ألف كتابا بالإسبانية ضمّنه معلومات هامة حول صناعة المدافع وطرق استعمالها في أوروبا وإسبانيا، لأنه اشتغل في البحرية الإسبانية الرابطة بين إسبانيا والعالم الجديد، ترجمه أحد الأندلسيين وهو أحمد الحجري الأندلسي في عهد مراد باي في سنة 1639م، واستفادت منه البحرية التونسية في إدخال صناعة المدافع إلى البلاد التونسية⁽⁵⁾.

(1) إبراهيم السعداوي : المقال السابق، ص 64 .

(2) الصادق بوبكر : المرجع السابق، ص 05 .

(3) إبراهيم السعداوي : المقال السابق، ص ص 61-62 .

(4) عبد الحكيم القلعي سلامة : المرجع السابق، ص 98 .

(5) عبد الحكيم القفصي : ابن غانم التونسي بين إسبانيا والعالم الجديد وإدخال المدافع إلى تونس، في أعلام ومعال
مؤلف جماعي، وكالة التراث والتنمية الثقافية، المعهد الوطني للتراث، وزارة الثقافة، تونس 1997، ص ص 132، 135 .

لقد كانت إسبانيا منذ العشرينات من القرن السابع عشر تعاني صعوبات كثيرة ،أفقرت الخزينة الإسبانية وأرصدة الممالك الإسبانية ،بسبب النزاع المزمع مع إيلات شمال أفريقية ،كما أن التجارة الإسبانية قد أصيبت بالتدهور الكبير ،خصوصا حركة السفن بسبب تهديد بحارة شمال أفريقية . وبحلول منتصف القرن السابع عشر ،كانت القوة البحرية المتوفرة للملوك الإسبان في إسبانيا ،وفي ممتلكاتهم الإيطالية حتى بعد أن عاونها أسطول فرسان مالطة ،كانت غير قوية بما فيه الكفاية ؛لمنع بحارة شما أفريقية من التسلل إلى سواحلهم ،والاستيلاء على سفنهم التجارية ⁽¹⁾.

وكل ما كان يمكن أن تحققه البحرية الإسبانية ،هو المحافظة على المسار البحري الواقع بين برشلونة وجنوة ،آمنا لنقل الجنود والمؤونة الموجهة إلى ميادين الحرب في الأراضي المنخفضة ،وحتى بعد سلام ويستفاليا Westphalia في سنة 1648م ،وانهاء النزاع الإسباني مع الأراضي المنخفضة ،بقيت المسؤولية الإسبانية الأولى هي الحرب مع الفرنسيين في جنوب الأراضي المنخفضة ،التي انتهت بموجب سلام البيريني في سنة 1659م ،لكن سرعان ما أصاب البحرية الإسبانية الانحلال السريع ،ولم تعد قادرة على مواجهة بحارة شمال أفريقية ⁽²⁾.

ويظهر الموقف العدائي بين إيالة تونس وإسبانيا خلال القرن السابع عشر ؛من خلال رسالة وجهها السفير البندقي في فرنسا جيوبوتيسا سلفاغو Géo Boutista Salvago : ((إن الدولة الفلاماندية تحمل إلى بارباريا (دول شمال إفريقيا) ،الصواري والحبال والبارود والقار ، والمجاديف والأخشاب ، وأيضاً مدافع البرونز الخاصة بممرات القوادس ،ولو وجدوا فرصة أكبر للربح لأقدم الهولنديون ،حتى على بيع أنفسهم الخاصة بكامل تجهيزاتها ،على أن يؤدي دعمهم للقراصنة إلى الإضرار بأعدائهم الإسبان)) ⁽³⁾.

واستمرت العلاقات عدائية بينهما ،وقد طغت عليها القرصنة وافتداء الأسرى ،ومثال ذلك افتداء أسيرين إسبانيين في شهر جانفي من سنة 1695م في عهد الداوي محمد طاطار ؛وهما ماطيو مولينا Matteo Molina من مالقة ،وديقو قياندولفو Diego Giandolfo من مسينا ،مقابل فدية قدرها 2760 ريال و26 ناصري ،بالنسبة للأول و3520 ريال و13 ناصري بالنسبة للثاني ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ جون وولف : المرجع السابق ، ص 280 .

⁽²⁾ نفسه ، ص 280 .

⁽³⁾ نقلا عن :عبد الرحمان المؤذن وعبد الرحيم بنحادة : المرجع السابق ،ص 108 .

⁽⁴⁾ ابراهيم السعداوي : المقال السابق ،ص 105 .

إن ما يميز العلاقات السياسية بين تونس ، وإسبانيا خلال القرنين 16م و17م هو حالة العداء بين المستمرة . وبالرغم من ذلك إلا أن هناك مظهرا آخر للعلاقات السلمية ؛ تمثل في المبادلات التجارية غير المباشرة ، والمعروفة بتجارة العبور .

3- علاقات تونس التجارية مع إسبانيا (تجارة العبور):

كانت البلاد التونسية تستعمل القطع الإسبانية ، وخاصة الريال الذي كانت تتم بواسطته المعاملات الاقتصادية ، بصورة عادية منذ 1620 – 1630 ؛ وإن كانت القرصنة هي ، التي تمول البلاد التونسية بالسكة الإسبانية ، إلا أنها لم تكن قادرة على تزويدها بانتظام ، وأصبحت التجارة شيئا فشيئا المورد الرئيسي للريالات الإسبانية ، وقد تم ذلك خاصة عن طريق التجار الأوربيين . وحسب بعض المصادر فإن النقود الإسبانية التي كانت تدخل إلى الإيالة التونسية في سنة 1670م عن طريق طريقة قدرت ب 1000000 ريال⁽¹⁾.

إلا أن المشكل الأساسي للبلاد التونسية كان يتمثل في التبعية النقدية المتفاقمة ، إذ أن الريالات الإسبانية (الصحيحة) صارت شيئا فشيئا مفقودة ووقع تعويضها تدريجيا بريالات (مقطوعة) . فنتج عن هذا الوضع ارتفاع مبالغ في قيمة الريال المقطوع ، وانخفاض نسبي في قيمة الريال الصحيح ، وهو ما انجر عنه هجرة العملة الثقيلة وتعويضها بالعملة المقطوعة . وقد تزامن ذلك مع استفحال تناقضات السياسة النقدية المتبعة منذ بداية القرن السابع عشر ، والتي تميزت بالحفاظ على القيمة الاسمية للريال الإسباني ، والتخفيضات المتتالية في قيمة النقود الصغيرة كالناصرى والخروبة ، فاختلفت شيئا فشيئا النقود الإسبانية الصحيحة ، فاتحة المجال للنقود الضعيفة ، وهو ما أدى إلى أزمة نقدية انتهت في سنة 1703م بتغيير العملة وظهور نظام نقدي جديد في سنة 1714م⁽²⁾.

وتعتبر تجارة العبور هي الأخرى طرفا في الدورة التجارية المتوسطية ، وقد لعبت البلاد التونسية ؛ نظرا لموقعها الاستراتيجي في حوض البحر المتوسط ، دورا رئيسيا كمركز توزيع للجديد من البضاعات البعيدة المصادر ، والتي لا تستهلكها بكثرة . منها خاصة في بداية القرن السابع عشر كل ما يغنمه القراصنة من السفن الإسبانية كالنيلة وسكر البرازيل والرنكة المدخنة ، والصوف الإسباني ، كما ازداد عبور المواد الإسبانية إلى تونس خلال سنوات 1635-1636 إثر الحرب الإسبانية الفرنسية⁽³⁾.

(1) الصادق بوبكر : المرجع السابق ، ص 08 .

(2) المرجع نفسه .

(3) نفسه ، ص 11.

وقد لعبت الجالية الأندلسية التي توافدت على تونس منذ القرن 16م ، وخاصة منذ الطرد النهائي ؛ دورا كبيرا في التجارة الخارجية بين تونس وإسبانيا خلال النصف الأول من القرن 17م ، باستغلالها لمعرفتها للغات الإسبانية والبرتغالية ، وإطلاعها على عادات البلدان الأوربية المتوسطية ؛ خاصة إسبانيا والمناطق التابعة لها ، لكنها سرعان ما انصرفت عنها في النصف الثاني من القرن ، بسبب مزاحمة الليغورنيين والفرنسيين . كما تمكن بعض التجار التونسيين في بداية القرن 17م من تحقيق نجاح في حقل التجارة الخارجية الأوربية ، ومن بين هؤلاء نذكر محمد السيالة ومحمد كراث ، وإبراهيم العصفوري الذين توجهوا إلى مالطة وصقلية ، حيث لم يكن هناك رأس مال تجاري ليضيق عليهم الخناق ⁽¹⁾ .

إن أغلب ما تصدره الإيالة التونسية سواء من الناحية الكمية للقيمة الجمالية في الميزان التجاري ، كان يتركب من مواد غير محولة وخاصة الحبوب ، ففي منتصف القرن السابع عشر عرفت السواحل المتوسطية الأوربية أزمات فلاحية عديدة ، جعلتها تلجأ إلى جلب القمح خاصة من تونس . ومن ذلك أن جزيرة مايوركا الإسبانية اشترت ما بين سنتي 1652م و 1653م ، 80000 كاتير قمحا من تونس ، و 70000 كاتير من رأس النيقرو في ما بين سنتي 1651م و 1657م ⁽²⁾ .

وعمل أعيان اليهود مثل مردخاي درمون Mordakhai Dermoun وإسحاق لمبروز Izac Lanprou في تجارة البايك ووجهاء المخزن ، وحاولوا توظيف علاقاتهم بالماركتنية ⁽³⁾ الأوربية ، وتمكن بعضهم من الثراء بسرعة مثل المدعو يعقوب لمبروز ، الذي ارتكزت تجارته منذ سنة 1680م على الصوف الإسباني ومواد الصباغة التي يوردها إلى الإيالة التونسية ⁽⁴⁾ .

⁽¹⁾ الصادق بوبكر : المرجع السابق ، ص ص 18-19 .

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 12 .

⁽³⁾ لا يوجد مذهب اقتصادي أو مدرسة فكرية تسمى بالماركتنية ، وإنما مجموعة من النظريات ووسائل التدخل الاقتصادي ، التي انتشرت داخل أوروبا الحديثة منذ منتصف القرن 16م ، ولكن المؤرخين المعاصرين يلاحظون عدة أنماط من الماركتنية :

- الماركتنية الإسبانية التي انحصرت ههنا في ضمان تدفق ذهب المستعمرات والخارج ومنع خروجه من إسبانيا .

- الماركتنية الفرنسية الإنتاجية ممثلة في سياسة كولبير ، الذي فرض نظاما خاصا على الإنتاج بمواصفات نوعية وكمية ، كما فرض على المستعمرات الإنفاق الاستعماري ، الذي ضمن للصناعة الفرنسية التزود بالمواد الأولية وترويج إنتاجها .

- الماركتنية التجارية الإنجليزية التي كانت حريصة على تحقيق فائض تجاري باحتكار النقل البحري وتسديد الفائض بالمعادن الثمينة .

انبت الماركتنية على فكرتين أساسيتين : 1- أهم شيء بالنسبة للدولة هو الثروة المادية مجسدة في كمية المعادن الثمينة ، التي لا يمكن الحصول عليها إلا من التجارة الخارجية . 2- لا يمكن الحفاظ على هذه الثروة وتميئتها إلا بحماية السوق الداخلية ، وتحسين الإنتاج

كما ونوعا ، لتوفير فائض قابل للتصدير بعد إشباع الحاجيات الوطنية . ينظر : إبراهيم بن جمعة : المرجع السابق ، ص ص 79-80 .

⁽⁴⁾ إبراهيم السعداوي : المقال السابق ، ص 106 .

ومما سبق يمكن القول :

- إن جذور العلاقات بين تونس وإسبانيا خلال الفترة الحديثة ،تعود إلى بداية القرن السادس عشر ، وذلك عندما تحالف السلاطين الحفصيون مع الإسبان ،من أجل حماية سلطتهم ،ضد الوجود العثماني المتمركز في الجزائر .

- وقد تميزت علاقات الطرفين خلال تلك الفترة بعقد اتفاقية تبعية ،ضمنت لإسبانيا مكانا لها في الضفة الجنوبية من الحوض الغربي للبحر المتوسط ،لكن وجود العثمانيين في الجزائر ،أثر على تلك العلاقات المتينة بين الطرفين ،وبذلك أصبحت تونس منطقة للصراع العثماني-الإسباني .

- أما خلال القرن السابع عشر ،فقد تميزت العلاقات السياسية بين الإيالة التونسية ، وإسبانيا بالصراع المتواصل بين البايات المراديين ، وحكام إسبانيا . فكانت علاقتهما عدائية ؛غلب عليها نشاط القرصنة المتبادلة في الحوض الغربي من البحر المتوسط .

- كان للمموريسكيين الذين استقروا في الإيالة التونسية ،منذ بداية القرن السابع عشر ،دور كبير في الصراع التونسي - الإسباني ،الذي استمر طيلة القرن السابع عشر ،غلبت عليه قضايا القرصنة ، وقضايا الأسرى وعمليات افتدائهم .

- بالرغم من العلاقات السياسية العدائية بين الإيالة التونسية ، وإسبانيا ،إلا أنه كانت بين الطرفين علاقات تجارية ؛تمثلت في تجارة العبور ،فقد كانت سلع الطرفين تنتقل بين موانئهما ،بفضل دور التجار الأوربيين ،وقد وصل الأمر بالنسبة للإيالة إلى استخدام النقود الإسبانية ،والتي كانت من العملات الأساسية فيها طيلة القرن السابع عشر ،وحتى الثامن عشر .

فاذا كانت هذه هي طبيعة علاقات تونس مع إسبانيا قبل القرن الثامن عشر ،فكيف هي علاقات الطرفين خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر وتحديدًا الفترة (1705-1756) م.؟.

المبحث الثاني :

مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا من 1705م إلى 1756م

تحكمت في علاقات إيالة تونس ،مع إسبانيا خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي ،وتحديدا الفترة ما بين سنتي 1705م و1756م جملة من الظروف ، التي أحاطت بوضع الطرفين في تلك الفترة .فقد كانت الدولة الحسينية مازالت في بدايتها ،بالرغم من أن عهد حسين بن علي مؤسس الأسرة ،تميز بالاستقرار السياسي إلى غاية سنة 1728م .ومن جهة أخرى كانت إسبانيا تعاني من وضع إقليمي متردي في أوربا ؛بسبب ما خلفته حروب الوراثة في أوربا من مشاكل ،كما أن التراكمات التاريخية والسياسية للقرنين السابقين أثرت بدورها في علاقات الطرفين ، وبذلك ورث الطرفان ذهنية القرن السادس عشر الميلادي .

ومن جهة أخرى فإن الظروف الإقليمية أثرت بدورها في علاقات الطرفين ؛ونقصد بذلك الصراع الجزائري-الإسباني .لكن بالرغم من ذلك فقد وجدت جوانب من علاقات سلمية ،ساهمت فيها أطراف غير رسمية ،كالجمعيات الدينية المسيحية الأوربية ،والتي ستعالج باستمرار بعض القضايا بين الطرفين ؛كافتداء الأسرى ،أو رعاية مصالح الإسبان في إيالة التونسية .ورغم أن هذه المظاهر تعتبر غير رسمية بدورها ،إلا أنها في مضمونها كانت بموافقة السلطات الرسمية للطرفين ،وشكلت مظهرا لعلاقات سلمية بين تونس وإسبانيا .ويمكن أن نلخص تلك المرحلة في العناصر الآتية :

1- علاقات تونس السياسية مع إسبانيا قبل سنة 1720م (التوتر والعداء) .

2- معاهدة بين تونس وإسبانيا في سنة 1720م.

3- دور المستشفى الترينيتاري في علاقات تونس مع إسبانيا .

4- علاقات تونس التجارية مع إسبانيا (تجارة العبور).

5- موقف إيالة تونس من احتلال الإسبان لمدينة وهران في سنة 1732م.

6- علاقات تونس السياسية مع إسبانيا (القرصنة المتبادلة).

إذن فما هي أهم مظاهر تلك العلاقات التي جمعت بين الطرفين خلال النصف الأول من القرن

الثامن عشر الميلادي ؟ .

1- علاقات تونس السياسية مع إسبانيا قبل سنة 1720م (التوتر والعداء) :

كانت إسبانيا⁽¹⁾ خلال القرن الثامن عشر تعاني مشاكل كما رأينا في الفصل الأول، وصعوبات في حوض البحر المتوسط، ومياه المحيط الأطلسي؛ وذلك من طرف القراصنة الأوربيين: الإنجليز، والروس، الهولنديين، الإيطاليين، الأمريكيين، ومن طرف البحريات الإسلامية المغربية، فتعرضت تجارتها إلى الكساد والتدهور، وتعرضت مراكبها البحرية إلى مزيد من التهديدات. وكانت سياسة الوزير الأول الإسباني الكونت دي أراندا El-conde de Aranda؛ تعتمد على ضرورة مواجهة البلدان المغاربية، وبحرياتها الإسلامية، التي كان لها نوع من التفوق البحري في هذه الفترة، عن طريق القوة⁽²⁾.

لقد اتسمت العلاقات بين إيالة تونس وإسبانيا خلال القرن الثامن عشر بالتوتر⁽³⁾، والتنافس الشديد في الحوض الغربي للمتوسط، ودام التنافس حتى أواخر القرن، ذلك أن العلاقات بين الدولة العثمانية وحلفائها في بلاد المغرب؛ اتسمت بدورها بالعداء من أجل السيطرة على السيادة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وهو ما أثر على تونس⁽⁴⁾.

إن العلاقات السياسية بين إيالة تونس وإسبانيا كانت حقا رديئة، فلقد كانت اللصوصية والقرصنة قائمة، بما أنهما عنصر الصراع الدائم بين المسلمين والكاثوليك، يمثلان واقعة حقيقية ذات مغزى يظهر بالخصوص مع قضية المائتين وخمسين (250) حاجا الذين غرقوا قرب سواحل جنوبي جزيرة صقلية، في شهر أكتوبر من سنة 1728م، كانت هذه من بين قضايا أخرى؛ سببا في فشل

(1) تعاقب على حكم إسبانيا من أسرة آل برون كل من فليب الخامس (1700-1746) حفيد لويس الرابع عشر، ثم ابنه فردناندو السادس (1746-1759)، وكارلوس الثالث (1759-1788)، ثم كارلوس الرابع (1788-1808)، ينظر: ناصر الدين سعيدوني: المقال السابق، ص 71-93.

(2) يحي بوعزيز: المقال السابق، ص 53.

(3) تميزت أوروبا خلال القرن الثامن عشر بثلاث حروب أدخلتها في بحر من الدماء؛ فالأولى هي حرب الخلافة الإسبانية، التي انتهت في سنة 1720م بهزيمة فليب الخامس ملك إسبانيا أمام التحالف الفرنسي - البريطاني، بعد احتلاله لسردينيا وصقلية سنتي 1717 و1718م. أما الثانية هي الحرب من أجل الخلافة في بولونيا، التي بمعاهدة فيينا في سنة 1738م، بعد أن احتلت إسبانيا نابولي ومدينة بالرمو في سنة 1734م. وتوج البربون دون كارلوس الذي صار يدعى شارل السابع ملك إسبانيا ببالرمو في 3 جوان من سنة 1735م، واتخذ إقامته بنابولي وصقلية. والحرب الثالثة هي حرب الخلافة التي اندلعت في النمسا في السنة نفسها التي قتل فيها الباي حسين بن علي سنة 1740م، وانتهت الحرب بتوقيع صلح إيكس - لا-شاييل في سنة 1748م وبموجبه فرضت سردينيا سيادتها على جزء من أراضي ميلان Milan، ووسع فليب الخامس ملك إسبانيا من ممتلكاته في إيطاليا. ينظر: المختار باي: المرجع السابق، ص 573-574.

(4) المرجع السابق، نفسه، ص 669.

مهمة دوكان . التي اضطر فيها الباي حسين بن علي إلى التدخل لدى أهم البلاطات الأوربية لحلها .
يضاف إلى ذلك قضية العشرين (20) تاجرا ،الذين أسرتهم سفن إسبانية في مستوى جزيرة بنتالاريا
Pentallaria التابعة لجزيرة صقلية .وهو ما دعا الباي التونسي حسين بن علي إلى استنفار الملوك
الأوربيين الأصدقاء مجددا ؛وخاصة الملك الفرنسي لويس الخامس عشر Louis XV⁽¹⁾ .

2- معاهدة بين تونس وإسبانيا في سنة 1720م :

بالرغم من ذلك التوتر في العلاقات بين إيالة تونس وإسبانيا ،فقد تم توقيع اتفاقية مع الباي
حسين بن علي مؤسس الأسرة الحسينية في سنة 1720م ،والراهب الإسباني فرانسيسكو خمينيس
Francisco Xèminès المشرف على منظمة رهبنة الثالوث المقدس la Sainte Trinité لاقتداء
الأسرى المسيحيين ،التي مقرها إقليم قشتالة بإسبانيا⁽²⁾ .وقد تضمنت المعاهدة إثني عشر بنداً ؛
ترخص لهذه المنظمة متابعة أعمالها في تونس ، لتسوية بعض الأمور المتعلقة بحقوق وامتيازات
النصارى من أسرى بمدينة تونس .وقد أبرمت المعاهدة بمباركة الحكومة الإسبانية⁽³⁾ .

وقد احتوت هذه الاتفاقية التونسية-الإسبانية ،على إثني عشر فصلا ،في جوان من سنة
1720م بين الباي والأب فرانسيسكو خمينيس ،وهو من جمعية الثالوث⁽⁴⁾ لاقتداء أسرى قشتالة ،
ورئيس مارستان أسرى تونس الكاثوليك .والاتفاقية جددت الرخصة الخاصة بتأسيس المؤسسة ،
وضبطت حقوق الرئيس وامتيازاته ،وكذلك وضع ،ومنزلة النصارى المستقرين بتونس ،من أسرى أو

(1) المختار باي : المرجع السابق ،ص 669 .

(2) ألفونصو روسو : المرجع السابق ،ص 171 .

(3) نور الدين الحلاوي : وثائق عن العلاقات بين تونس وإسبانيا في أوائل القرن التاسع عشر ، في م . ت . م ، العدد 15 -
16 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،تونس جويلية 1979 ، ص 87 .

(4) من بين البعثات المسيحية التي استقرت في تونس ،نذكر بالخصوص بعثة الترينيتاريين Trinitaires الإسبان ،وهي التي لعبت
دورا كبيرا في المجال الاجتماعي والسياسي أيضا ،وذلك طوال ستة قرون كاملة . والمعروف أن هذه الطائفة أسسها سان جان دي
ماتا Saint Jean de Matha ،وسرعان ما وجدت التشجيع والمساندة من طرف البابوات والملوك المسيحيين ،فانتشرت في
كامل أوروبا واسيا ،وذلك لأن هدفها الأساسي كان المداواة ،واقْتداء الأسرى .ولهذا بلغت قمة إشعاعها في القرن السادس عشر ،
الذي ازدهرت فيه القرصنة ،وحُميت فيه الحروب بين المسلمين والمسيحيين .أما زوالها فهو راجع إلى إلغاء العبودية في العالم حسب
اتفاقيات مؤتمر فيينا في سنة 1815م .وطوال الستة قرون من عمر هذه الطائفة ؛تمكن الترينيتاريون من اقتداء أكثر من خمسمائة
ألف أسير مسيحي .ولعل من بين الأسرى الذين وقع اقتداؤهم من طرف المنظمة الروائي الشهير ،مؤلف رواية (دون كيشوت)
ميكال دي سرفانتاس في سنة 1580م بالجزائر .ينظر :الهادي الوسلاطي : المستشفى الترينيتاري الإسباني بتونس ووثيقة من
أرشيفه عن حملة العثمانيين بالجزائر سنة 1756 على تونس ، في م . ت . م ، العدد 21-22 ، مؤسسة التميمي للبحث
العلمي والمعلومات ، تونس 1981 ، ص 167 .

الأحرار، ولكنها لم تنظر لا في وضعية السفن، ولا في التجارة، وهو أمر خارج الصلاحيات الطبيعية لإكليروسهم التخليف مما حل بالأرقاء⁽¹⁾.

وتشير بعض الكتابات الغربية إلى أن هذا الاتفاق كان بمباركة الحكومة الإسبانية، والتي يمكن اعتبارها أحد الطرفين المتعاقدين، بل وربما بناء على دعوة منها فافض الأب خمينس، ووقع الاتفاقية التي يمكن أن تعتبر إلى حد ما وثيقة سياسية؛ تهدف إلى تسوية علاقات دولية، ذلك أن بعض بنودها هي ذات صبغة سياسية، ومنها قضية الأسرى بطبيعة الحال. وهذه الاتفاقية هي أول اتفاقية تبرم بين إيالة تونس، ودولة إسبانيا وستكون منطلقا للمعاهدة الرسمية مع نهاية القرن 18م⁽²⁾.

إن الاحتلال الإسباني الطويل لبعض نقاط الساحل الجزائري، والمغربي؛ زيادة على ذكرى احتلالهم السابق لتونس، ظل دائما عقبة أمام إقامة علاقات طيبة بينهم، وبين الإيالة التونسية. وقد حمل ملحق الاتفاقية، التي وقعها الأب خمينس عبارة باللغة الإسبانية: ((...بفضل الامتيازات التي منحها صاحب السعادة باي تونس لرهابية الثالوث الأقدس لافتناء الأسرى، التابعة لإقليم قشتالة بهدف تجديد المستشفى، وما يترتب على ذلك...))⁽³⁾.

3- دور المستشفى الترينيتاري في علاقات تونس مع إسبانيا :

وقد أشار الرحالة أندريه بايسونال André Peyssonal خلال ترحاله في سنة 1724م في إيالة تونس إلى وجود المستشفى الملكي الإسباني بتونس؛ بقوله: ((ففي الثالث والعشرين من سبتمبر خرجت من تونس، رفقة الأب القس فرنسوا خيمينار الإسباني، مدير المستشفى الملكي لعبيد تونس، والذي تكفل بمصاريفه ملك إسبانيا. وهذا الأب غريب جدا، وقد اصطحبني في معظم تنقلاتي))⁽⁴⁾. كما تكلم خيماناث عن الظروف التي حفت ببناء المستشفى، والصعوبات التي لاقاها من أجل ذلك، ونرى أنه لولا مساعدة وحماية محمود خزندار، والشريف القسطللي، لما أمكن لخيماناث تحقيق غرضه؛ لأن أهل البلاد عارضوا هذا المشروع، لكن خزندار عرف بفضل ذكائه ونفوذه، كيف يقنع الباي بفائدة وصلاحيات المستشفى⁽⁵⁾.

(1) المختار باي : المرجع السابق، ص 669 .

(2) ألفونصو روسو : المرجع السابق، ص 171 .

(3) المرجع نفسه .

(4) أندريه بايسونال : الرحلة الى تونس، المصدر السابق، ص 99 .

(5) ميكال دي إيلزا : المقال السابق، ص 140 .

لقد سمح الباي حسين بن علي للأب الترينيتاري فرانسيسكو خيمينيس Francisco Xèminès أن يبنى مستشفى آخر في سنة 1722م ؛على أنقاض حمام وخمارة .وهدم المستشفى الصغير الذي يعود إلى سنة 1204م ،عندما حل مؤسس الترينيتاريين سان جان دي ماتا Saint du Matan بتونس في 17 ماي ؛لافتداء الأسرى وأسس أول مستشفى ترينيتاري به ،وتمثل في قاعة صغيرة ملاصقة لسجن الأسرى .وتكررت زيارات هذا القديس لإيالة تونس مرات عديدة ،وكذلك زيارات العديد من المفتدين من نفس الطائفة ،لأن تونس كانت من أهم أسواق العبيد الأوربيين ؛بفضل موقعها الاستراتيجي الهام ،وقربها من فرنسا وإيطاليا من أين يأتي غالبا أكثر المفتدين ⁽¹⁾.

ويبدو المستشفى هاما وواسعا وكذلك شامخ البناء ،وقد وصفه مؤسسه فرانسيسكو خيمينيس ؛بأنه كان يشرف على كل المنازل المجاورة ،لأنه أعلى منها جميعا ،ومن نوافذه تشاهد أكثر سطوح المدينة ،وكذلك ميناء حلق الوادي وسفنه أثناء دخولها وخروجها ؛فهو بذلك يتمتع بكل الأنسام والرياح مما يجعله جد صحي .كما أنه قريب من باب البحر ؛حيث تباع كل الأغذية وضرورات المستشفى كلها .وبقي الأب فرانسيسكو خمينيس ⁽²⁾ يدير المستشفى من سنة 1722م إلى سنة 1734م ،واحتفظ المستشفى بدوره من بعده حتى وقع غلقه بتاريخ 9 أوت من سنة 1815م. فخلال 93 سنة لعب المستشفى دورا أساسيا تمثل في إعداد عمليات افتداء الأسرى ، وتنظيمها وفي مداواة كل المرضى ،بصرف النظر عن معتقداتهم وجنسياتهم .بالإضافة إلى هذا الدور الاجتماعي ،فقد كان للمستشفى دور سياسي هام حققه بفضل تمثيله لإسبانيا على المستوى الدبلوماسي ؛لأن إسبانيا لم تكن لها قنصلية في تونس كفرنسا ،أو إنجلترا على سبيل المثال ⁽³⁾.

وتكلم القس الإسباني فرانسيسكو في مذكراته ،وخاصة في كتابه (البعثة الدينية إلى تونس) ، عن دور الأندلسيين المقيمين في تونس ؛حيث تكلم عن الخزانة الذي كان يشغل منصب وزير المالية ،والذي يملك حنكة سياسية كبيرة جعلت الباي حسين بن علي يستشيريه في كل الأمور ،ومن بينها دوره الهام في إنجاز المستشفى الإسباني بتونس ،لأنه كانت له وساطة مجدية بين المسيحيين الإسبان

⁽¹⁾ الهادي الوسلاقي : المقال السابق ، ص 168 .

⁽²⁾ يعتبر فرانسيسكو خمينيس من أهم الشخصيات الدينية الإسبانية التي تعاقبت على المستشفى الترينيتاري بتونس ،فقد كان له دور كبير في افتداء الأسرى ،كما كانت له علاقات طيبة مع عدد من الشخصيات التونسية الهامة .بقي في تونس خلال الفترة (1720-1735) ،كتب عدة مؤلفات حول تاريخ تونس منها :مذكراته ،البعثة الدينية إلى تونس ،ومؤلف تاريخ تونس .ينظر :

ميكال دي إيليزا : المقال السابق ، السابق ، ص 137-140 .

⁽³⁾ الهادي الوسلاقي : المقال السابق ، ص 168 .

من جهة ،والباي وأهالي البلاد من جهة أخرى ،لتذليل الصعوبات والمشاكل ،كما ساعد محمود خزنदार خيமானث على القيام برحلات عديدة داخل إيالة تونس ؛وذلك بتقديم المعونة اللازمة له ؛معنوية كانت أم مادية ،وقد توفي محمود خزنदार في سنة 1726م⁽¹⁾.

وبالإضافة إلى الدور الاجتماعي الذي لعبه المستشفى ،فقد كان له دور سياسي هام حققه ؛ بفضل تمثيله لإسبانيا على المستوى الدبلوماسي ؛لأن إسبانيا لم تكن لها قنصلية في تونس ؛كفرنسا ،أو إنجلترا على سبيل المثال⁽²⁾. وهذا بطبيعة الحال يعود إلى أن العلاقات السياسية بين تونس وإسبانيا ،ظلت عدائية ومتوترة .

كان لفرانسييسكو خمينيس Francisco Xèminès علاقات طيبة مع عدة أفراد من عائلة الخزنदार ؛ مثل عمه وهو شيخ أصيل مدينة سرقوسطة ،وابن أخيه ويدعى محمد السريري ،وهو يبرز الجانب الصناعي والتجاري لعائلة الخزنदार مثل أغلب الأندلسيين . كما يضيف خمينيس أن هناك أندلسي آخر كان له دور كبير في تونس ،وهو سليمان الشريف القسطلبي أصله من قشتالة من عائلة الكونتريراس ،كان يقوم بأعمال القرصنة ،وكان مالكا لأكثر عدد من العبيد بعد البايك بطبيعة الحال ،وكانت هذه التجارة تدر عليه أرباحا طائلة .قام فرانسييسكو خمينيس بجولة عبر بنزرت ،والعالية ،وغار الملح ،وتكلم عن الأندلسيين الذين بنوا قراهم على الطريقة الإسبانية ،وأقاموا مدارس وكتب بالإسبانية ،لكن الباي حسين بن علي قام بمنعها⁽³⁾.

وفي رسالة بتاريخ 17 أكتوبر 1756م أرسلها مدير المستشفى الإسباني في ذلك الوقت ،الأب مانويل لوبث بينتور Manuel Lopez Pintor إلى المدير العام لمقاطعة قشتالة يحكي له عن الجو العام في البلاد عند مهاجمة الجزائريين لتونس .وعن سلوك الأتراك تجاه الأجانب المقيمين في تونس ، ودور القناصل الأجانب ومدى تأثيرهم ،وعن حالة المستشفى الإسباني . كما تكلمت الرسالة عن موقف المستشفى من الطرفين ،وعن التزامه الحياد تجاه الحرب بين التونسيين والجزائريين ،((...اتصلت برسالة من الأب المدير لمستشفى الجزائر ،يقول لي فيها أننا سوف نكون في الحياد ، فأحسنست إغلاق الأبواب ،التي تفتح من الخارج ...)) ،وذلك بعد تلقي المستشفى لرسالة من مستشفى الجزائر ؛ذلك أن الترينيتاريين الموجودين في تونس هم إداريا يخضعون لمقاطعة قشتالة بإسبانيا

(1) ميكال دي إيلزا : المقال السابق ،ص 137 .

(2) الهادي الوسلاقي : المقال السابق ،ص 170 .

(3) ميكال دي إيلزا : المقال السابق ،ص 139 .

،ولهذه المقاطعة الإشراف على جملة من المستشفيات في شمال أفريقيا ،يديرها مدير مقره في مستشفى الجزائر ،ولهذا فإن المستشفى الترينيتاري بتونس ،كان دوما تحت إدارة هذا المدير العام بالجزائر⁽¹⁾.

4- علاقات تونس التجارية مع إسبانيا (تجارة العبور) :

إن تجارة الإيالة تركز على صناعة الشاشية فقد كانت مواد الشاشية تجلب خاصة من أوربا : وفي مقدمتها الصوف الذي يختلف عن الصوف المحلي في جودته ،ويجلب من فرنسا وإسبانيا⁽²⁾. وقد أشار بايسونال عند زيارة تونس في سنة 1724م بقوله : ((تركز تجارة المملكة على مادتين أساسيتين :الأولى هي كل ما يساعد على صناعة قبعات حمراء ،التي يضعها الأتراك تحت عمامتهم ،وفي تصدير هذه القبعات الجميلة والمعتبرة ،والتي تنتشر في كل المشرق. ولتشغيل ورشات الشاشية ،يستوردون من أوربا قرابة ثمان مائة بالة من صوف سيقوفيا Ségovie وهو من نوعية أولى ،وثانوية ،وثالثة ،يقومون بتسويقها ،وقرابة عشر صناديق من دودة القز ،وأربع مائة قنطار من الزنجفر من جنوب فرنسا وإسبانيا .وكذلك ستة مائة قنطار من حجر الشب ،ومائتي قنطار من خشب القم ،ومثلها ذهباً مكسوراً وعروق مصبوغة ،وستة مائة قنطار كمخة حمراء ،ويستعمل كل هذا لصناعة الشاشية التي تصنع منها قرابة الأربعين ألف دزينة ،والتي تشغل أكثر من عشرة آلاف شخص))⁽³⁾ .

ونظرا لأهمية مادة الصوف الإسبانية - المستعملة وجوبا وحدها في خدمة الشاشية - فقد قامت السلطات التونسية بتخفيف المعاليم القمرقية المفروضة على هذه البضاعة ،بغض النظر عن موطنها ،أو عن ملة التجار المستوردين لهذه البضاعة ،فمثلا إذا أدخلها اليهود من إسبانيا إلى السوق التونسية ؛خففت نسبة المعاليم من 11% إلى 09% من قيمة البضاعة⁽⁴⁾.

يورد إلى إيالة تونس عبر مدينتي مرسيليا وليفون صوف إسبانيا المستخدم في صناعة الشاشية ، والزنجفر وهو معدن يدهن به الحديد ليسلم من الصدأ ،ومختلف أصناف البهار .وفي المقابل كانت

(1) الرسالة التي أرسلها مدير مستشفى الإسباني بتونس الأب مانويل لوبث بينتور ،بتاريخ 17 أكتوبر 1756م إلى المدير العام لمقاطعة قشتالة ،يطلب منه المال لافتدائه مع عدد من المسيحيين ،وتفيدنا تلك الوثيقة في معرفة موقف المستشفى من الحملة، وقد نشرها الأستاذ الهادي الوسلاطي بالعربية .ينظر: الوسلاطي : المقال السابق ، ص ص 171-176 .

(2) أحمد الباجي بن مامي : أسواق مدينة تونس ، في م . ت . ع ، العدد 39 ،جمعية المؤرخين المغاربة ومؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية ، المغرب 2007 ، ص 299 .

(3) نقلا عن :أندريه بايسونال : المصدر السابق ، ص ص 61-62 .

(4) محمد الهادي الشريف : المقال السابق ،ص 76 .

إسبانيا تشتري التّن التونسي⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى يتعامل سكان الإيالة في بداية القرن الثامن عشر بالريال الفضي المضروب في إسبانيا ،والدينار الذهبي . كما نجد نقودا أجنبية أخرى متداولة في تلك الفترة ،مثل الريال الإشبيلي ، والسلطان البندقي ،والشريفني العثماني ،والمحبوب المصري ،وقطع نقدية في البرتغال ،وفرنسا ،وجنوة ، ومالطة . ويعود رواج العملة الإسبانية في تونس في النصف الأول من القرن الثامن عشر ؛ بقيمة الريال الإشبيلي في أسواق الصرف ، ورغبة الحكام غير المعلنة لتأكيد استقلالية تونس عن الدولة العثمانية ، وتمكينها من حرية التعامل مع الدول الأوربية ، دون الارتباط بالنظام النقدي العثماني⁽²⁾ .

5- موقف إيالة تونس من احتلال الإسبان لمدينة وهران في سنة 1732م :

بقي الباي حسين بن علي يقظا ، ومتتبعا لخصوصيات قضية وهران ؛ هذه المدينة التي احتلها من جديد الكونت الإسباني دي مورتمار le Comte de Mortemart ؛ في 30 جوان من سنة 1732م ، وهو ما جعل تونس تخشى إطلاق سبيل علي باشا ، ويضع المساعدة التي يتعين القيام بها لفائدة داي الجزائر ، هذا الداي الذي الف الحرب والهيمنة ، لكنه يبقى رئيس بلد مسلم⁽³⁾ .

كما أورد الرحالة الألماني هابنسترايت عند زيارته إلى تونس في سنة 1732م ، موقف التونسيين المتعاطف مع الجزائريين ، والمعادي للإسبان بسبب احتلالهم مدينة وهران بقوله : ((...لقد علمنا ونحن في رأس نيغرو أن الإسبان حققوا نجاحا كاملا في حملتهم على وهران ، وأنه من غير الممكن وصف غيظ وغضب الأهالي ، ومدى شدة حقدهم على المسيحيين ؛ عندما بلغهم خبر استيلاء الإسبان على وهران ، فاعتبرنا أنفسنا سعداء جدا أن نكون في منأى عن كل هذه الأخطار ، لأنه في كل الحالات يعتبرنا الأهالي منحازين إلى الجانب المعادي لهم ...))⁽⁴⁾ .

ويضيف قائلا : ((أنه في هذه الظروف التي قُتل فيها كثير من العرب ، لم يكن التونسيون يختلفون في شعورهم عن الجزائريين ، مع أن مصالحهم مختلفة . فقد وقفوا في هذه الكوارث ، التي حلت بالمسلمين في عمومهم نفس موقف الجزائريين ، فحاولوا الرد عليها بالانتقام من

(1) علي الشنوفي : المقال السابق ، ص ص 18-19 .

(2) محمد قروة : النظام النقدي في تونس في القرنين 18م و19م -مدخل لدراسة أحد مؤشرات اقتصاد الإيالة (1740-1891) ، في م . ت . ع . د ، العدد 1-2 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1990 ، ص 216 .

(3) المختار باي : المرجع السابق ، ص ص 669 - 670 .

(4) نقلا عن : ج.أو. هابنسترايت : رحلة العالم هابنسترايت إلى الجزائر وتونس ، المصدر السابق ، ص 104 .

المسيحيين ؛كلما أمكن لهم ذلك ،فسكان نواحي رأس نيغرو كانوا أشد هيجانا ضدنا ،حيث ظنوا أن إطلاق المدافع من الحصن ،الذي سبقت الإشارة إليه ؛كان تعبيرا عن احتفالنا باستيلاء الإسبان على وهران))⁽¹⁾.

كما أشار الرحالة الألماني هابنسترايت عند زيارته إلى إيالة تونس ،لموقف باي تونس حسين بن علي من الحملة الإسبانية على مدينة وهران في سنة 1732م بقوله : ((وقد أبلغنا بعد بضعة أيام من الانتظار ،أنه لا يمانع في قيامنا بهذه الجولة ،لكنه أبدى تحفظا على ذلك بدعوى أن السفر ؛يعرضنا إلى خطر محقق نظرا للحقد ،الذي يكنه العرب للنصارى ،والذي تأجج في هذا الوقت بالذات بسبب غزو الإسبان لإفريقيا))⁽²⁾. فقد كانت كل من تونس والجزائر تشتركان في العداء لإسبانيا ،والشيء ذاته بالنسبة لإسبانيا .

وقد كتبت جريدة صدرت عن فرانسيسكو خمينيس Francisco Xèminès مدير المستشفى الإسباني في تونس في الفترة ما بين سنتي 1720م و1735م ،عن موقف التونسيين من الحملة الإسبانية على وهران والمرسى الكبير ،في 5 جوان من سنة 1732م أن الأهالي التونسيين خائفون من الأسطول الهام الذي جاء به الإسبان ،خشية أن يكون موجها للجزائر ،فساور الخوف السلطات الجزائرية ،وكذلك الموجودة في تونس ،فأرسل الباي إلى قصور المملكة البارود والرصاص ،من أجل وضعهم في حالة دفاع في حالة لو حاول الإسبان مهاجمة تونس⁽³⁾.

وفي 24 جوان توجه القائد باكسي علي وأمين الأعمال للباي إلى المستشفى الإسباني بتونس ، بأمر من الباي وفتشوا صهريج الماء الفارغ ،واتهموا أصحابه بأنهم يخبئون السلاح ،والبارود والرصاص ؛لأننا إسبان .أما عن موقف السلطات التونسية من الحملة ،فقد اجتمع الباي مع الديوان بخصوص الأسطول الإسباني المتوجه للجزائر .ومن جهة أخرى طلب داي الجزائر النجدة من تونس ،فتظاهر الباي من قبيل السياسة بأنه يريد الذهاب لمساندة الجزائر ،لكنه كان يعتقد أنهم أعداء ،لكنه تمنى أن لا يحتل المسيحيون الإسبان الجزائر ،بل تمنى أن يضغطوا عليهم فقط ،ذلك أن الباي التونسي كان يدفع للجزائريين مبالغ كبيرة من أجل ضمان أمنه⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ نقلا عن :ج.أو.هابنسترايت :المصدر السابق ،ص 104.

⁽²⁾ المصدر نفسه ،ص 109.

⁽³⁾ Mikel de Epalza :un Cas d'Opinion Publique Maghrebine : la Prise d'Oran par les Espagnols ,vue de Tunis 1732 ,in **RHM** ,Tunis 1989 , T55 /56 , pp 5-10 .

⁽⁴⁾ Ibid , pp 6-7 .

وبالرغم من سياسة السلطات في تونس إلا أن الشعب التونسي ، كان يعلم حقيقة الكوارث التي يتعرض لها المسلمون في وهران ، خاصة عن مصير الأطفال الصغار من المسيحيين ، الذين سيطروا على المدينة ، وطردها أهلها منها وأصبحوا سادة البلاد ⁽¹⁾. وبالتالي فإننا نستنتج أن موقف تونس كان رافضا لاحتلال الإسبان لمدينة وهران على الرغم من اختلاف مصالح الإيالتين ، أما الأهالي التونسيين فقد كانوا يقاسمون إخوانهم الجزائريين المسلمين الشعور ذاته .

7- علاقات تونس العدائية مع إسبانيا (القرصنة المتبادلة) ما بعد سنة 1732م:

في سنة 1732م لاحظ الرحالة أندريه بايسونال ، أن القوة البحرية التونسية قليلة الأهمية ؛ لا تتجاوز بعض السفن الحربية بمرسى بورتوفارينا Porto-Farina غار الملح ، وهي من نوع الغليوطات ، وهي تشكل خطرا على السفن التجارية وعلى سفن الشحن الصغيرة ، وهو ما يمكنها من الحصول على غنائم من الإسبان والبنادقة ، والإيطاليين وبعض السفن الأوربية ⁽²⁾.

في 12 ديسمبر من سنة 1733م تم استرقاق 120 تاجرا تونسيا من طرف دولة عدوة تقليديا للإسلام ؛ ألا وهي إسبانيا . عندما كانوا متجهين إلى أزمير على متن سفينة فرنسية مربعة الأشرعة ، تدعى « القديس يوحنا » ، بقيادة القبطان جان فرانسوا إيكار من لاسيوطا Jean Francois Icard de la Ciotat ⁽³⁾.

وقد أرسل الباي في 4 جانفي من سنة 1734م إلى الملك سفارة مكونة من إثنين من البلوك باشية تابعين للديوان ، وهما : أحمد أغا والحاج عبد الله ، بمعية إثنين من الأضباشية وتسعة أشخاص ، وكان على الدبلوماسيين تسليم رسالة إلى لويس الخامس عشر ، مؤرخة بتاريخ 15 رجب من سنة 1146 هـ الموافق ل 21 ديسمبر من سنة 1733م ؛ مبلغا إياه الظروف التي حفت بالأسر ، وطالبا منه تدخلا حازما لدى ملك إسبانيا لإخلاء سبيل التجار وإرجاع أمتعتهم . واهتم الملك الفرنسي لويس الخامس عشر Louis XV بالموضوع ، وفي 27 أوت من سنة 1734م حث الملك الفرنسي ملك إسبانيا على تقبل مطالب الباي ، والاستجابة إليها بالعدل والإنصاف . وفي شهر نوفمبر من نفس السنة طمان الملك الفرنسي الباي التونسي حسين بن علي على حالة رعاياه الموجودين لدى البلاط الإسباني والتماس إرجاعهم إلى تونس ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ Mikel de Epalza : opcit , pp 9-10 .

⁽²⁾ أندريه بايسونال : المصدر السابق ، ص 119 .

⁽³⁾ المختار باي : المرجع السابق ، ص 652 .

⁽⁴⁾ المرجع نفسه .

ولما وصل الوفد إلى العاصمة الفرنسية باريس آت من مدينة طولون ،سكن بنزل السويد ؛بنهج طرنون Tournon ،وأخذ الضابط الفرنسي دي لامادون de la Madon على عاتقه أمر الوفد التونسي ،قبل أن يركب البحر مرة أخرى من مدينة مرسيليا متجها إلى إيالة تونس في الثاني عشر من شهر أكتوبر من سنة 1734م ، ووصل الوفد إلى تونس في 30 من الشهر نفسه ؛وتعرف هذه القضية باسم قضية جان - فرانسوا إيكار Jean - Francois Icard من لاسيوتا ،وهو صاحب السفينة التي أقلت تجارا من تونس⁽¹⁾.

كما طلب الباي حسين بن علي بتاريخ 21 ديسمبر من سنة 1733م من الحكومة الهولندية ، التدخل لدى بلاط إسبانيا في خصوص إخلاء سبيل التجار التونسيين ،الذين أسروا من طرف سفن إسبانية ، وإرجاع أموالهم ، وإعادتهم في الوقت نفسه إلى تونس ،وقد وعدت الجمعيات العمومية الهولندية ؛في 28 ماي من سنة 1734م ،بمواصلة مساعيها بالإلحاح الشديد لدى بلاط إسبانيا ، لإرجاع الرعايا التونسيين بما في ذلك أمتعتهم .وفي 20 فيفري من سنة 1735م وصل إلى العاصمة تونس 90 تاجرا تونسيا و17 طرابلسيا ،على متن طرطن « Tarantin القديسة كلير » Santa Klair بقيادة العرف كلود لطة آغا قادمة من قرطاجنة الإسبانية⁽²⁾.

ومما سبق يمكن القول :

- إن علاقات الإيالة التونسية مع إسبانيا اتسمت بالتوتر ،والصراع خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ،فقد كانت دائما تنطلق من التنافس العثماني الإسلامي - الإسباني المسيحي ،وكانت القرصنة المتبادلة ؛هي الميزة الدائمة لتلك العلاقات .

- تشير المصادر الأوربية إلى معاهدة تم إبرامها بين تونس ، وإسبانيا في سنة 1720م ،بالرغم من حالة العداء بين الطرفين ،وكانت تلك الاتفاقية بين الباي حسين بن علي ،والراهب الإسباني فرانسيسكو خمينيس المشرف على منظمة الثالوث المقدس ،لافتداء الأسرى .ورغم أن المعاهدة جاءت من طرف غير حكومي إسباني ؛إلا أنها تمثل مظهرا للعلاقات السلمية .

- كما كان هناك أيضا مظهرا آخر للعلاقات السلمية ؛تمثل في سماح الباي حسين بن علي للأب فرانسيسكو خمينيس ؛بتأسيس مستشفى إسباني في تونس في سنة 1722م ،وقد لعب دورا بارزا في

(1) المختار باي : المرجع السابق ،ص 669 .

(2) المرجع نفسه ،ص ص 659-660 .

إفشاء الأسرى ،ومداواة المرضى .ومن جهة أخرى كان بمثابة التمثيل الدبلوماسي الإسباني ،لأن إسبانيا لم يكن لها قنصل في الإيالة التونسية لرعاية مصالحها .

- وعلى صعيد آخر كانت هناك علاقات تجارية متبادلة بين تونس وإسبانيا ،تمثلت في تجارة العبور ، فقد سمحت الإيالة للتجار الأوربيين ؛بتوريد المنتوجات الإسبانية ،خاصة الصوف الإسباني ؛نظرا لحاجة صناعة الشاشية التونسية له ،بل خفضت الرسوم الجمركية على هذه المادة ،وفي المقابل سمحت إسبانيا بتوريد بعض المنتوجات التونسية ،التي كانت تصل إليها عن طريق مدينتي مرسيلىا ،وليفورن .

- وتظهر العلاقات العدائية جلية اتجاه الإسبان ؛من خلال موقف التونسيين من الحملة الإسبانية على مدينة وهران ،واحتلالها في سنة 1732م .فقد التزم الباى التونسي حسين بن علي الحياذ ، واستعد وحصن الموانئ التونسية وظل يراقب الأحداث ،خشية أن يتوجه الأسطول الإسباني إلى تونس ،ومن جهة أخرى نلمس تعاطف الأهالي التونسيين مع إخوانهم المسلمين في مدينة وهران .

- لقد استمرت العلاقات العدائية ،والقرصنة المتبادلة بين البحارة التونسيين والبحارة الإسبان طيلة النصف الأول من القرن الثامن عشر ،وتحديدا إلى سنة 1756م ،وهي مفصل هذا البحث ،لكن الحقيقة أنها ستتواصل إلى العشرية الأخيرة من القرن الثامن عشر .

فإذا كانت هذه هي طبيعة علاقات تونس مع إسبانيا خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ،فكيف هي علاقات الطرفين خلال النصف الثاني من القرن نفسه ؟.

المبحث الثالث :

مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا من 1756م إلى 1814م:

إن علاقات تونس مع إسبانيا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ،وتحديدا خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1756م و 1814م ،اختلفت كلياً عن المراحل السابقة ،نتيجة للظروف الدولية التي ميزت الحوض الغربي من البحر المتوسط من جهة ،ونتيجة للتغير الواضح الذي طبع السياسة الإسبانية الخارجية اتجاه الدول المغاربية ،ومنها إيالة تونس .

ونظرا للمنافسة الإنجليزية والفرنسية في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ،وبعد فشل كل الحملات العسكرية الإسبانية على إيالة الجزائر ،بالإضافة إلى تأثيرات الثورة الفرنسية ،وانعكاساتها على إسبانيا ،كل هذه المستجدات أدت إلى التغير الجذري في طبيعة العلاقات بين الطرفين خلال هذه الفترة ،والتي جاءت بعد تغيير إسبانيا لسياستها اتجاه العالم الإسلامي ،والبلدان المغاربية على وجه الخصوص ؛ومن بينها تونس ،والتي كللت مع العشرية الأخيرة من القرن 18م بالتوقيع على معاهدة السلم ؛وبالتحديد في سنة 1791م .

ويمكن دراسة هذه المرحلة من خلال العناصر الآتية :

- 1- المبادلات التجارية بين تونس و إسبانيا ما بعد 1756م.
 - 2- دور المستشفى الترينيتاري في علاقات تونس مع إسبانيا ما بعد 1756م.
 - 3- استمرار العداء بين الطرفين حتى الربع الأخير من القرن 18م.
 - 4- السياسة الخارجية الإسبانية وأثرها على العلاقات مع تونس.
 - 5- سياسة حمودة باشا الخارجية وأثرها على علاقات تونس وإسبانيا.
 - 6- مفاوضات السلام بين تونس وإسبانيا 1786م-1791م.
 - 7- معاهدة السلام بين تونس وإسبانيا في سنة 1791م.
 - 8- علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا ما بعد سنة 1791م.
- فكيف كانت العلاقات بين الطرفين خلال هذه المرحلة من النصف الثاني من القرن الثامن عشر؟ وما هي انعكاساتها عليهما ، وعلى منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط ؟.

1- المبادلات التجارية بين تونس وإسبانيا ما بعد سنة 1756م:

كانت المبادلات التجارية بين الإيالة التونسية وإسبانيا ، تتم بصفة غير مباشرة ، إذ كانت السفن الفرنسية والإنجليزية ؛ تمثل أداة الوصول الضرورية بين موانئ إسبانيا وإيالة تونس . فبين سنتي 1750م و 1771م سُجل وصول سبع سفن ذاهبة من تونس إلى موانئ كاتالونيا محملة بالقمح ، والشعير ، والفل ، الصوف ، لم تكن منها سوى سفينة واحدة إسبانية على ملك أحد المينوريكين ، أما الست سفن الأخرى ؛ فهي فرنسية وإنجليزية ⁽¹⁾.

إن المصالح المشتركة بين إيالة تونس وإسبانيا كانت تتمثل في حاجة تونس لأصواف إسبانيا لصناعة الشاشية ، وحاجة إسبانيا إلى حبوب تونس لسد حاجيات سكانها وجنودها . لقد مثلت الأصواف الموجهة لصناعة الشاشية في تونس ؛ أول منتج تستورده الإيالة من إسبانيا خلال القرن الثامن عشر ⁽²⁾. وقد أشار محمد الهادي الشريف من خلال دراسته لبعض الوثائق المتعلقة بالواردات التونسية خلال سنة 1781م إلى مكانة المنتوجات الإسبانية ، ويتعلق الأمر بالصوف ، ومواد الصمغ القرمزي ، والتي جلبها تجار يهود والمقدرة بقيمة 66270 ريال ؛ أي بنسبة 33% من قيمة المواد الأولية المستوردة للصناعات المحلية داخل الإيالة ، ونفس المواد جلبها تجار فرنسيون في نفس الفترة ، والتي قدرت قيمتها ب 71760 ريال ؛ أي بنسبة 56% من قيمة المواد الأولية المستوردة للصناعات المحلية في الإيالة التونسية خلال سنة 1781م ⁽³⁾.

وقد شكلت واردات الأصواف الإسبانية إلى تونس أهمية كبيرة ، فقد ارتفعت قيمتها من 24.4% إلى 24.4% من إجمالي واردات الإيالة بين منتصف القرن الثامن عشر وسنة 1789م . وإلى جانب الأصواف كانت الإيالة التونسية تستورد أيضا من إسبانيا الصبغ القرمزي ⁽⁴⁾. وفي المقابل كانت إسبانيا في حاجة كبيرة إلى حبوب شمال أفريقيا ، والمشرق لسد الحاجيات المتزايدة لجيوشها وسكانها . وكانت الإيالة التونسية تشكل إحدى أهم المصادر ، التي تزود إسبانيا بالقمح في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وتشير بعض الدراسات إلى أن مينائي برشلونة ومالقة قد استقبلا خلال السداسي

⁽¹⁾ كمال جرفال : تعليق على معاهدة سنة 1791 ، في كراسات الأرشيف معاهدات واتفاقيات دبلوماسية بين البلاد التونسية والقوى الأوروبية ، تقلم وتحقيق : المهدي جراد ، الأرشيف الوطني التونسي ، تونس 2011 ، ص ص 42-54 .

⁽²⁾ القال نفسه ، ص 47 .

⁽³⁾ محمد الهادي الشريف : المقال السابق ، ص 83 .

⁽⁴⁾ الوثيقة إحصائيات مأخوذة من البايكك توضح بعض المواد الأولية التي تستوردها تونس ، من إسبانيا وفرنسا خلال عشرين سنة (1763-1783)م ، والمتمثلة في الصوف والقرمز ، وذلك عن طريق تجار فرنسيين ويهود . للاطلاع أكثر ينظر : الملحق رقم 18 .

الأول من سنة 1788م ، ما يقارب 23% من صادرات القمح التونسية الموجهة إلى أوروبا ، و 32.1% من صادرات الفول ، أي ما مقداره 168350 رطل من القمح ، و 54786 رطل من الفول⁽¹⁾. وهذا ما يؤكد أهمية الإيالة التونسية كمصدر لتزويد إسبانيا بالحبوب ، وكشريك تجاري من الدرجة الأولى⁽²⁾. ولذلك فإنه بالرغم من أن العلاقات بين الطرفين كانت ماتزال خلال هذه الفترة عدائية ، إلا أن المصلحة التجارية ، كانت تفرض على كل من تونس وإسبانيا التعامل التجاري .

2- دور المستشفى الترينيتاري في علاقات تونس مع إسبانيا ما بعد سنة 1756م:

قام المستشفى الترينيتاري في سنة 1785م/1199هـ ، أيام الوباء الكبير ، الذي اجتاح البلاد التونسية بتقديم المساعدة للتونسيين ، وقد نال كل الشكر والتقدير من مختلف الأطراف الرسمية التونسية . وقد نشرت الصحف الإسبانية في يوم الأحد 9 جويلية من سنة 1786م/1200هـ ؛ رسالة بعث بها الوزير الأكبر التونسي مصطفى خوجة ، إلى الأب لورانشو مارتي Lorenzo Marti نائب مدير المستشفى الإسباني ؛ ولم يرسلها إلى المدير الأول للمستشفى الأب بيدرو مورينو Pedro Moréno ؛ لأن هذا الأخير كان قد توفي أثناء القيام بواجبه في مداواة المرضى والمصابين بالوباء⁽³⁾.

وحسب نفس المصادر الإسبانية ، فقد أعطى الوزير الأول التونسي مصطفى خوجة هبة للمستشفى الإسباني قصد إصلاحه ؛ قدرت بستة آلاف وسبعمائة وخمسين ريالاً ، وقد كانت تلك الرسالة قصيرة ؛ هذا ما جاء في نصها: ((لقد سرتني ما سمعته عن بركم وإحسانكم أثناء هذا المصاب الجلل ، وما قمتم به اتجاه المسيحيين والمسلمين على حد سواء ، من توفير للأدوية وما قدمتم أنتم شخصياً من عمل لنجدة المصابين . أن الجميع يمدحون لي طيبة قلبكم وبركم العظيم ، وهذا مما سرتني كثيراً ، وأرجو من الله أن يجازيكم خير جزاء ، وإني لسعيد أن أكون على ذمتكم أجيب كل طلباتكم . الوزير مصطفى خوجة))⁽⁴⁾. وبغض النظر عن مدى صحة تلك المعلومات الواردة في تلك الرسالة ، فقد اكتسب المستشفى الترينيتاري الإسباني سمعة طيبة لدى الشخصيات التونسية .

(1) الوثيقة عبارة عن إحصائيات وضعها الأستاذ دانيال بنزاك عن الواردات والصادرات التونسية من وإلى أوروبا خلال سنة 1788م ، وتوضح الوثيقة حجم التعاملات مع إسبانيا . ينظر الملحق رقم : 20 .

(2) كمال جرفال : المقال السابق ، ص ص 42-54 .

(3) الهادي الوسلاقي : المقال السابق ، ص ص 169-170 .

(4) نقلاً عن الهامش رقم 10 ينظر : المقال نفسه .

3- استمرار العداء بين الطرفين حتى الربع الأخير من القرن 18م :

سجل محمد بن عثمان المكناسي في سنة 1760م في كتابه :الإكسير في فك الأسير ؛ عندما قام برحلته إلى إسبانيا بتكليف من السلطان المغربي محمد بن عبد الله (1757-1790) ،أنه قام بتحرير عدد من الأسرى المسلمين من بيتهم ؛أسرى من طرابلس وتونس والجزائر⁽¹⁾.

وعلى الصعيد الدبلوماسي ؛يظهر الموقف العدائي الإسباني ،فعندما عقدت البندقية معاهدة سلام مع تونس في سنة 1763م ،عارضتها إسبانيا باعتبارها خطرا على الملاحة الإسبانية في البحر الأدرياتيكي ،فقد قال الملك الإسباني عنها :إن هذا السلام الذي عقد بين البندقية وتونس ،كان بدون شك بوساطة أمين الدولة سفير البندقية بمدريد ،وقال إن تونس أصبحت من سادة البحر الأدرياتيكي ،وحررة في تعنيف السفن الإسبانية والسفن النابولية ،التي تمر في هذا البحر⁽²⁾.

لكن مجلس الشيوخ أجابه عن طريق السفير البندقي بمدريد ،بأن الجمهورية وقعت معاهدة سلام مع الإيالة على الأخص من أجل إعادة قواتها الذاتية ،والتي كانت دائما السور الحامي للمسيحيين . وهذه المعاهدة ليست فقط لتمنع تونس من دخول البحر الأدرياتيكي ،ولكن لا تفرض على الجمهورية تزويدها بمواد الحرب ،وعلى العكس فإن كثيرا من الأمم الأوربية ،التي تربطها علاقات مع إيالة تونس ستضمن راحة الملك وحمائته⁽³⁾.

ومن جهة أخرى تظهر حالة العداء بين إسبانيا ،والإيالة التونسية من خلال موقف التونسيين من العداء الإسباني على الدول المغاربية ،حيث تتخذ معارضة تصدير الحبوب في البلاد التونسية ،كلما كان المشتري من النصارى (أعداء الدين) ،خاصة وأن القرصنة في الاتجاهين والحروب ذات الطابع الصليبي لم تنته .وتتخذ أكثر خاصة عندما تروج أنباء عن هجوم النصارى ؛مثال ذلك عن أنباء حملة الإسبان العسكرية على مدينة الجزائر ،في سنة 1775م⁽⁴⁾.

4- السياسة الخارجية الإسبانية وأثرها على العلاقات مع تونس:

واجهت إسبانيا حلفا دوليا معاديا (الحلف الرباعي)⁽¹⁾،وتعرضت للضغوط الإنجليزية المعادية لأي تحالف بين فرعي أسرة البريون بفرنسا وإسبانيا ،كما كان لانفصال البرتغال عنها ،وضياع

⁽¹⁾ محمد علي داهش : الدولة العثمانية والمغرب ،إشكالية الصراع والتحالف ،دار الكتاب العلمية ،لبنان 2011 ،ص 57 .

⁽²⁾ A Sogerdoti: opcit ,p 296.

⁽³⁾ Ibid.

⁽⁴⁾ عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص 191 .

⁽¹⁾ تكون من إنجلترا والنمسا وروسيا وسردينيا في 1740م ،ضد أسبانيا وفرنسا .ينظر :المختار باي :المرجع السابق ،ص 574 .

ممتلكاتها الأوربية ببلجيكا وإيطاليا، تأثير مباشر على سياستها، وهذا ما دفع كارلوس الثالث (شارل الثالث) إلى السعي لتكوين تحالف مع العرش الفرنسي؛ في نطاق الروابط العائلية لأسرة آل بربون، التي تحكم في إسبانيا وفرنسا، وقد تأكد هذا المسعى في عقد معاهدات العائلة المالكة في سنوات 1743م، 1761م، 1763م، بغرض الدفاع عن المصالح والممتلكات الإسبانية الفرنسية، للوقوف في وجه المنافسة الإنجليزية⁽¹⁾. وقد توج ذلك التحالف بين فرعي البربون باسترجاع إسبانيا لمينوركا من أيدي الإنجليز في سنة 1783م. ومن جهة أخرى تمكنت إسبانيا من القيام بإصلاحات اقتصادية مناسبة، لتطوير التجارة، وتوسيع مجال مبادلاتها نحو أوروبا الشمالية، وروسيا وإفريقيا الشمالية، والشرق؛ غير أن ذلك كان يستوجب ربط علاقات دبلوماسية، وتجارية مع هذه المجالات الجديدة⁽²⁾.

أما عن العلاقات بين تونس، وإسبانيا في تلك المرحلة فيمكن القول أنها تميزت بتوجه الطرفين إلى علاقات أقرب إلى السلم، خاصة مع توفر الظروف المناسبة الإقليمية والدولية، التي حثت كلا من تونس وإسبانيا للجنوح لعلاقات سلمية، منها تولي حمودة باشا للحكم في تونس، ووجود الوزير الأول الإسباني الكونت دي فلوريدا بلانكا، وتوجهات الملك الإسباني كارلوس الثالث Charles III (1759-1788)، ثم كارلوس الرابع Charles IV (1788-1808) لسياسة سلمية من أجل حماية المصالح الإسبانية⁽³⁾. إن هذا التحول الكبير للسياسة الإسبانية تجاه البلدان الإسلامية في عهد الملك شارل الثالث ووزيره الكونت دي فلوريدا بلانكا le Comte De Flourida Blanca⁽⁴⁾، الذي كان مقتنعا بأن الدبلوماسية هي أفضل الوسائل لاسترجاع مكانة إسبانيا، وعودة تأثيرها في المتوسط. لذلك كان ميالا للحلول السلمية في معالجة قضايا السياسة الخارجية الإسبانية، لوضع حد للعداوة مع العالم الإسلامي⁽⁵⁾. وبفضل تلك السياسة نجحت إسبانيا في عقد معاهدات صلح مع الدولة

(1) ناصر الدين سعيدوني : المعاهدة الجزائرية-الإسبانية، المقال السابق، ص 71-93 .

(2) كمال جرفال : المقال السابق، ص 42-54 .

(3) نور الدين الخلاوي : المقال السابق، ص 87 .

(4) الكونت دي فلوريدا بلانكا هو خوسي رودريقات مونيرو، رجل قانون سياسي إسباني، ولد في مرسية في سنة 1728، وتوفي بإشبيلية في سنة 1808. درس القانون ثم امتحن المحاماة لمدة 18 سنة، وفي سنة 1772 عينه شارل الثالث وزيرا بالنيابة لدى البلاط، وفي سنة 1776 عين سكرتيرا أول للدولة ثم مستشارا في سنة 1777، وعزل عن مهامه في سنة 1792 ونفي إلى قلعة مبلونا بسبب قضية سياسية، وعند احتلال نابليون لإسبانيا ترأس بلانكا اللجنة العليا للمقاومة لمدة ستة أشهر، قبل وفاته في سنة 1808. قام بعدة إصلاحات سياسية، وتميزت سياسته الخارجية بالانفتاح على العالم الإسلامي والتحاور، قصد إيجاد حلول سلمية. أنظر : كمال جرفال : المقال السابق، ص 44 .

(5) المقال نفسه .

العثمانية ،والمغرب وطرابلس الغرب ،والجزائر ،وأخيرا مع تونس ،وقمت هذه المعاهدات في الفترة ما بين سنتي 1775م و1791م⁽¹⁾.

إن إبرام إسبانيا لهذه المعاهدات يعتبر تغييرا كبيرا ،ومنعرجا هاما في سياسة إسبانيا الخارجية ؛ لكن الأسباب التي أدت إلى عقد هذه المعاهدات غير ثابتة ،وبالتالي لا تتعدى الافتراضات ،أما نتائجها فهي معروفة وواضحة ؛إذ أنها وضعت حدا للنشاط البحري ،الذي كانت تقوم به السفن المغاربية ضد البواخر ،والسواحل الإسبانية . من ناحية أخرى فإنها ساعدت على تكوين تمثيل دبلوماسي إسباني في هاته البلدان ،أو بالأحرى انتصاب قنصليات إسبانية في بلدان المغرب الإسلامي وأهم مدنها ، مهمتها تتمثل في الحفاظ على اتصال مستمر بين إسبانيا و الحكومات المغاربية ،والعمل على تركيز علاقات تجارية متينة وتقوية روابطها⁽²⁾. وتؤكد بعض الكتابات هذا التوجه الإسباني، وهو توسط إسبانيا في النزاع الذي دار بين جمهورية البندقية والإيالة التونسية في سنة 1784م ؛حتى تجذب صداقة الباي في الوقت ،الذي كانت فيه مشتبكة مع الجزائريين في وهران⁽³⁾.

لقد كان الرهان الإسباني الأكبر هو الحد من نشاط القرصنة الموجهة ضد السفن التجارية الإسبانية في المتوسط ،عبر وضع أسس وضوابط للنشاط القرصني بين إسبانيا ،والإيالة التونسية . غير أن إسبانيا بعد تحقيقها السلام خصوصا مع الجزائر ، لم تكن متسعة في إمضاء اتفاقية مشابهة مع تونس ؛لأن أنشطة القراصنة التونسيين - حسب ادعاءات الإسبان - لم تكن آنذاك ،تمثل خطرا حقيقيا على الملاحة في المتوسط ،مقارنة بالجزائريين ،وحتى الطرابلسيين . وتونس لم تكن تعول كثيرا على هذا النشاط ،والتونسيون كما وصفهم فلوريدا بلانكا "هم تجار" ،وتجارهم نشيطة مع الموانئ الإيطالية ،ومرسيليا والدولة العثمانية ،وممارستهم للقرصنة من شأنها أن تعود على تجارهم بالوبال . فإسبانيا منذ تحقيقها للسلام مع الجزائر ،أصبحت غير مستعجلة لإيجاد حلول لخلافاتها مع تونس ؛ وهذا ما يفسر تأخر توقيع اتفاقية الصلح ،وطول فترة المفاوضات⁽⁴⁾. وبالموازاة مع هذه السياسة الإسبانية نالتى تميزت بالمرونة مع نهاية القرن الثامن عشر ،كانت هناك على الصعيد المقابل سياسة حمودة باشا ،التي بدورها كانت تتجه إلى تحقيق السلم من أجل خدمة مصالح الإيالة .

(1) نور الدين الحلاوي : المقال السابق ،ص 87 .

(2) المقال نفسه ،ص 88 .

(3) إبراهيم بن جمعة بلقاسم : المرجع السابق ،ص 49 .

(4) كمال جرفال : المقال السابق ، ص 48 .

5- سياسة حمودة باشا الخارجية وأثرها على علاقات تونس وإسبانيا :

أقام حمودة باشا الحسيني سياسته على تحرير تونس من التسلط الأجنبي، وإبراز سيادة البلاد واستقلالها. وقد وفق الباي إلى حد كبير في بلوغ أهدافه تلك؛ بفضل تصميمه وحزمه من جهة، وبفضل تنسيقه بين معطيات سياسته الخارجية، وإنجازاتها ومعطيات سياسته الداخلية وإنجازاتها من جهة أخرى. وبذلك ضمن خدمة الميدانين بتكامل يضمن النجاح في التخطيط والتنفيذ. وظهر ذلك جليا خاصة في تهيئة أسباب القوة لجعل تونس دولة ذات سيادة ومنعة. فقد كان يعمل على مصالحه الدول الخارجية وعقد معاهدات معها، وفي نفس الوقت يدعم إمكاناته الحربية بكل حزم وعزم⁽¹⁾. ولقد بلغت سياسة حمودة باشا الخارجية نجاحا في الإنجاز، لم يحظ به أحد من البايات في تاريخ تونس الحديث. وفي المجال العسكري اقتضت سياسة حمودة باشا تقوية إمكانات البلاد العسكرية، من أجل حماية حدود البلاد ومصالحها من الدول الخارجية⁽²⁾.

أما في المجال الاقتصادي فأخذت سياسة حمودة باشا الحسيني، بالإضافة إلى النهوض بالحياة الاقتصادية في مختلف الميادين، طريق تونسنة بعض المظاهر الهامة في ذلك المجال. وقد نجحت سياسته في تأمين أسعار رابحة، وأسواق خارجية للإنتاج الزراعي التونسي وبخاصة بعد سنة 1787م. وحمى حمودة باشا الحسيني مدخول المزارع التونسي بمنعه التجار الأجانب من ابتياع الحبوب من المزارعين قبل نضوج المحصول، وذلك للغبن الشديد الذي كان يصيب هؤلاء في تسعير ثمن حبوبهم. وزاد حمودة باشا فسمح لأول مرة في عهد الحكم العثماني؛ بتصدير المنتج الزراعي التونسي إلى أوروبا بصفة مباشرة وعلنية⁽³⁾.

هذا بالإضافة إلى مصالحته للدول وترويج تصدير منتوجات البلاد. وقد أدخلت تلك السياسة نشاطا ورواجا جديدين في المجال الزراعي، أما في المجال الصناعي فقد عمل على إبطال عادة لباس المصنوعات الأجنبية المستوردة من الخارج، بعد أن بدأ بنفسه وتبعه الأعيان والأهالي. وكذلك سن سياسة مهادة الدول الخارجية بما تنتجه بلاده، و نتج عن ذلك تنشيط الصناعات المحلية، التي كان التونسيون يقومون بها⁽⁴⁾.

(1) رشاد الإمام : المقال السابق، ص 112 .

(2) المقال نفسه، ص ص 112-113 .

(3) نفسه، ص 114 .

(4) نفسه .

أما بالنسبة للتجارة فقد اهتم حمودة باشا بتنشيط التجارة الداخلية والخارجية على حد سواء ، وحاولت سياسته تحقيق التونسة في التجارة الخارجية ؛فقد اتخذ حمودة باشا إجراء منع به التجار الأجانب من ابتياع المحصولات الزراعية من المزارعين مباشرة ، واصبح ذلك لا يتم إلا بواسطة تجار تونسنيين . كما شجع حمودة باشا التونسيين على تولي شؤون التجارة الخارجية ، واستطاع أن يجعل من التونسيين ،الذين كان همهم منصبا على الزراعة فقط ؛تجارا يعنون بالتجارة الخارجية ،بل يسيطرون على معظم سبلها بدلا من الأجانب .وليس غريبا أن نرى التجار التونسيين بما فيهم اليهود يوسعون تجارتهم مع مختلف الدول الأوربية .ونتيجة لتلك السياسة تفتحت تونس والتونسيون على مظاهر الحضارة الغربية وإنجازاتها المتقدمة ، عن طريق السفراء والمبعوثين ،وعن طريق التجار سواء منهم الأجانب أو التونسيون ،وخاصة بعد أن ازدهرت تجارة إيالة تونس الخارجية ،وفتح باب الاتصال بين تونس ودول غرب أوربا على مصرعيه ⁽¹⁾.

كما عقد حمودة باشا عدة معاهدات تجارية مع الدول الأوربية من أجل توفير المواد الخام التي تحتاجها الصناعات التونسية في صناعتها .ويتمثل ذلك خاصة في استيراد الصوف الرفيع من إسبانيا لصناعة الشاشية . كما عمل على إيجاد الأسواق الخارجية لتلك الصناعة بفضل صداقاته ومعاهداته مع الدول الأوربية .وقد بلغ اهتمامه بهذه الصناعة إلى حدا جعله يعقد معاهدة صلح مع إسبانيا ؛ لتأمين الصوف الممتاز لتلك الصناعة .ولتحاشي الخلافات في تقدير قيمة العملة ،جعل حمودة باشا الريال الإسباني le Piastre d'Espagne ،والفرانك الفرنسي العملتين المعتمدتين في التعامل التجاري مع الدول الأوربية غالبا ⁽²⁾.

لقد كان حمودة باشا متحمسا لتحقيق السلام مع إسبانيا ،لسببين اثنين :يتمثل الأول في رغبته في تنمية تجارة الإيالة التونسية ،وتوسيع افقها .أما السبب الثاني فيتمثل في رغبة الباي في الحصول على المكافأة المالية الهامة ،كتلك التي تحصل عليها داي الجزائر ،مقابل إبرام اتفاقية سلام ⁽³⁾.

6- مفاوضات السلام بين تونس وإسبانيا :1786م-1791م:

بدأت الخطوات الأولى للتفاوض بين إسبانيا وتونس في سنة 1782م ،بواسطة قنصل هولندا بتونس أرنولدو نيسان Arnoldo Nyssen ،وبالتعاون مع الأخوين خوان وخايم صولار ، الذين كانا

⁽¹⁾ رشاد الإمام : المقال السابق ،ص ص 114-115 .

⁽²⁾ رشاد الإمام : المرجع السابق ،ص ص 283 ، 286 ، 303 .

⁽³⁾ كمال جرفال : المقال السابق ، ص 48 .

تحت إدارة الكونت دي ثيفوانث القائد العام لجزر البليار . ولقد نظم القنصل الهولندي نيسان في سنة 1784م ؛أول لقاء سري جمع بين مصطفى خوجة وخوان صولار عند مرور هذا الأخير بتونس متجها إلى إيالة طرابلس ،وقد تأكد خوان صولار من استعداد باي تونس حمودة باشا لتوقيع اتفاقية سلام مع إسبانيا . وبعد توقيع الجزائر لاتفاقية السلام مع إسبانيا في سنة 1786م ،طلب أرنولدو نيسان من الحكومة الإسبانية ؛استغلال الظرف المناسب لإرسال مفاوض لبدء محادثات السلام ، لاسيما وأن الوزير مصطفى خوجة ؛قد أعلمه بحسن استعداد الباي لذلك . وقد نصح نيسان الحكومة الإسبانية بإرسال صهره ؛خايم صولار كمفاوض للإيالة التونسية بحكم معرفته بالبلاد ،وعلاقاته بأعيانها وإتقانه للغة العربية ⁽¹⁾.

وتشير بعض المصادر إلى أن إسبانيا بذلت عدة محاولات من أجل توسيط الجزائر ،لتحقيق إبرام صلح مع إيالة تونس ،وهي آخر البلدان المغاربية ،التي ترم معها صلحا وذلك في عام 1791م ؛ أي بعد سبع سنوات من إبرام صلح مع الجزائر ،وتسع سنوات من إبرام صلح مع طرابلس الغرب ، وأحد عشر سنة بعد إبرام صلح مع المغرب والدولة العثمانية ⁽²⁾.

ومن خلال مراسلات الساسة الإسبان والجزائريين ،التي تمت خلال مفاوضات الصلح بين البلدين ،ألحَّ الإسبان على الداوي محمد بن عثمان ،وعلى بعض وزرائه :حسن وكيل الحرج (وزير الحرية) ،والخزندار سيد علي برغل ،كي يبذلوا جهودهم ،ويتدخلوا لدى تونس لإبرام صلح معها . ومن هذه الرسائل رسالة من وكيل الحرج حسن إلى الوزير الأول الإسباني الكونت دي فلوريدا بلانكا De Flourida Blanca بتاريخ 21 شعبان 1199هـ / 25 جوان 1785م ،ورسالة أخرى للوزير الأول التونسي الحاج مصطفى خوجة باشا ،التي وجهها إلى حسن وكيل الحرج بتاريخ 25 ربيع الأول 1200 هـ / 20 جانفي 1786م ؛يخبره باستعداد الباي حمودة باشا ،لإبرام الصلح ،وأنة أعلن هدنة لمدة ستة أشهر بين تونس وإسبانيا ؛تبدأ من أول مارس 1786م ،وانتزع من البحارة التونسيين جوازات السفر ، حتى لا يقوموا بمهاجمة السفن الإسبانية في البحر ⁽³⁾.

وفي رسالة أخرى بتاريخ 24 جمادي الأولى 1200هـ / 26 مارس 1786م ؛ من وكيل الحرج حسن الجزائري إلى الوزير الأول الإسباني الكونت دي فلوريدا بلانكا De Flourida Blanca ،أخبره

(1) كمال جرفال : المقال السابق ، ص 49 .

(2) نشر الأستاذ يحي بوعزيز عدة رسائل تؤكد وساطة الجزائر بين تونس وإسبانيا من أجل عقد معاهدة السلام بينهما ، ومسامحي الوزير الإسباني من أجل ذلك . وهذا لتأثير الجزائر على سياسة تونس . ينظر: يحي بوعزيز: المقال السابق ، ص 53-62 .

(3) Alphonse Rousseau: op.cit , p220.

فيها عن المفاوضات بين الوزير الأول التونسي الحاج مصطفى خوجة ، والإسبان وعن الهدنة الموقعة ، ورسالة أخرى من الوزير الأول الإسباني إلى حسن وكيل الحرج والخزندار بتاريخ 25 أفريل 1786م ؛ شرح لهما مساعي الصلح ، التي يقوم بها الكونت دي سيبى De Sèbi بين تونس وإسبانيا ، والصعوبات التي تواجهها ، وهناك رسائل أخرى توضح حرص الطرف الإسباني من أجل الوساطة الجزائرية بين إيالة تونس وإسبانيا من أجل عقد معاهدة صلح لتحقيق علاقات سلمية بين الطرفين استمرت من 1785م إلى 1787م⁽¹⁾.

ونظرا لحرص إسبانيا على إبرام معاهدة الصلح مع إيالة تونس ، فقد أرسلت للإيالة مفاوضا آخر هو السيد خايم صولار Jaim Soller ، الذي حل بحلق الوادي في 3 فيفري من سنة 1786م ، واجتمع مصحوبا بمصرف المستشفى الإسباني بالوزير مصطفى خوجة أولا ، ثم بالباي التونسي حمودة باشا الحسيني . وقد تركز التفاوض حول مضمون اتفاقية السلام ، وثن توقيعها من قبل الباي ، إذ تمسك الباي مقابل منح إسبانيا امتيازات تجارية ، وقنصلية بتونس ، وتوقيعه اتفاقية السلام ، بدفع إسبانيا مكافأة مالية له شبيهة بتلك ، التي تحصل عليها داي الجزائر - وقد تحصل داي الجزائر مقابل توقيعه اتفاقية سلام مع إسبانيا على مليون بيزيتا كتعويض عن خسائر الحملات الإسبانية ، إلى جانب كمية هامة من الأسلحة والذخيرة - لكن خايم صولار عبر عن اعتراضه على شروط الباي التونسي ؛ لاختلاف الوضعيات بين تونس والجزائر ، ولكنه تأكد بأن السلم لن يتحقق بدون دفع المال إلى الباي . ولذلك بعث لحكومته ينصحها بتلبية رغبات الباي حمودة باشا من أجل تحقيق السلام معه . لكن موقف صولار لم يعجب الوزير فلوريدا بلانكا ، الذي رأى أن اشتراط الباي مليون بيزيتا أمر مجحف . ونتيجة لذلك فشل صولار في مهمته⁽²⁾.

وفي 21 فيفري من سنة 1787م قدم إلى تونس من الجزائر مفاوض إسباني جديد هو دون بيدرو سوشيتا Don Pedro Suchita ، وهو ثالث مفاوض إسباني ، وقد أرسل من أجل تمديد الهدنة السابقة التي توقفت . حاملا معه رسائل توصية من داي الجزائر ووزيره الأول ، إلى الباي ووزيره مصطفى خوجة تدعم المفاوضات بين الطرفين . وقد وفق دون بيدروسوشيتا Suchita في مهمته ، ثم توجه إلى الجزائر ومنها إلى إسبانيا⁽³⁾ . لقد طبق سوشيتا تعليمات أمره بها الوزير بلانكا ؛ تمثلت في : أولا عدم الالتزام بمنح الباي التونسي أي مبلغ مالي مقابل إبرامه السلام ، وثانيا عدم قطع

⁽¹⁾ يحي بوعزيز : المقال السابق ، ص 57 .

⁽²⁾ كمال جرفال : المقال السابق ، ص 49 .

⁽³⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p p220-221.

الاتصالات مع التونسيين مهما حصل⁽¹⁾.

لقد استطاع دون بيدرو Don Pedro Suchita تخفيض المبلغ الذي طلبه الباي تدريجيا من مليون بياستر إلى (200000) بياستر تدريجيا ، غير أن الوزير فلوريدا بلانكا لم يكن مستعدا لدفع أي مبلغ مالي ، وقد استغل القطيعة الحاصلة بين الجزائر ، وتونس التي حدثت في سنة 1789م ، لينتظر مضاعفاتها واخذ القرار المناسب بعد ذلك . وفي 12 سبتمبر أبلغ سوشيتا حكومته ؛ بأن الباي مستعد لإمضاء السلم حسب طلبات الوزير فلوريدا بلانكا ، مقابل دفع إسبانيا ل100 ألف بياستر فقط ، لكن توقيع الاتفاقية تأخر بسبب بعض التوضيحات ، التي كانت قد طلبتها الحكومة الإسبانية⁽²⁾.

7- معاهدة سلام بين تونس و إسبانيا في جانفي 1791م :

وفي شهر جانفي من سنة 1791م تم توقيع معاهدة السلام النهائية بين إسبانيا وإيالة تونس بقصر باردو ، وصادق عليها كل من الملك الإسباني كارلوس الرابع Carlos IV ، وحمودة باشا ، بالإضافة إلى إبراهيم داي وأحمد أغا الانكشارية ، ومن جهة أخرى حضر الوزير الأول الإسباني دون جوزيف مينينو Don Joseph Menino الكونت دو فلوريدا بلانكا . أما دون جوان سوشيتا Don pédro Sochita⁽³⁾ فقد عين قنصلا عاما لإسبانيا بتونس . وقد كلف السلام إسبانيا مائة ألف (100000) بياستر دفعت للباي ، وثمانية آلاف (8000) بياستر للوزير الأول مصطفى خوجة ، وألفين (2000) بياستر للوزير الثاني يوسف صاحب الطابع⁽⁴⁾ ، بالإضافة إلى حوالي عشرون ألف (20000) بياستر على شكل هدايا توزع على بلاط باردو ، تتكون من بنادق ، ومسدسات ، وساعات ، وخواتم

(1) كمال جرفال : المقال السابق ، ص 50 .

(2) Alphonse Rousseau: op.cit , p 223-224.

(3) بيدرو سوشيتا من أصل كرسكي بقي سنوات في الأسر بإحدى الإيالات المغاربية ، وبعد عتقه استقر بمدينة قادس ؛ حيث تحصل على الجنسية الإسبانية ، ثم دخل ميدان التمثيل القنصلي ، فشغل منصب نائب قنصل بأغادير في سنة 1781 ، ثم رافق الكونت اكسبيلي للتفاوض مع الجزائر . كان أول قنصل عام إسباني يعين بمرسوم ملكي في تونس في أكتوبر من سنة 1792م . ينظر: كمال جرفال : المقال السابق ، ص 50 .

(4) يوسف خوجة (1765-1815) أصله من البغدان (مولدافيا العثمانية) ، جلب من إسطنبول إلى تونس وهو صغير ، اشتراه بكار الجلولي احد كبار تجار وقايد مدينة صفاقس ، بقي فيها فترة من الزمن ، ثم قدمه سيده هدية إلى حمودة باشا ، استخدمه حمودة باشا لطبع المكاتب ، ونتيجة لإتقانه لعمله لقب بيوسف صاحب الطابع ، قره حمودة باي ورقاه في الرتب بسرعة حتى وصل إلى الوزارة الأولى بعد وفاة الوزير مصطفى خوجة في سنة 1800م ، وقد كان حمودة باشا يستشيريه في أغلب الأمور . اعتمدت سياسة يوسف صاحب الطابع الخارجية على معاملة قناصل الدول الأوروبية معاملة متشابهة ، عكس مصطفى خوجة ، وهو ما اضر بمركز فرنسا في تونس . توفي في سنة 1814م . ينظر : رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص 110 - 120 .

إلى آخره ،زائد سفينتين حرييتين من نوع (شباك) ⁽¹⁾. وفي المقابل منحت الاتفاقية امتيازات هامة لفائدة إسبانيا ، إذ وضعت أسس تطبيع العلاقات بين البلدين ، وحدثت من تأثيرات نشاطات القرصنة ؛ بوضع قواعد لها ، وتنظيمها وفق مصالح البلدين ، ومكنت إسبانيا من التمثيل القنصلي بتونس ، ومنحتها امتيازات تجارية وجمركية كبيرة ⁽²⁾.

وقد احتوت المعاهدة ستة وعشرون بنداً (فصلاً)، تضمنت في معظمها تنظيم الملاحة البحرية ، بتحديد طرق وأساليب التعامل بين الطرفين للحد من نشاط القرصنة ، والإجراءات العقابية ضد القرصنة ، وقد منحت المعاهدة لإسبانيا كثير من الحقوق والامتيازات ⁽³⁾. وقد غطت بنود الاتفاقية كافة مجالات التعامل بين إسبانيا وتونس ؛ على المستوى السياسي ، والتجاري ، والرسوم الجمركية ، والملاحة البحرية ، والتمثيل القنصلي ⁽⁴⁾.

وإذا قمنا تفصيل محتويات بنود المعاهدة ، فنجد أن البنود الثاني ، والثالث والرابع ، والسادس والسابع ، والحادي عشر ؛ فتتعلق بعدم تعرض القرصنة التونسيين للسفن الحربية والتجارية الإسبانية ، وفي حالة الالتقاء يتم إظهار نسخة من جواز السفر المتفق عليه في المعاهدة ، ونفس الشيء بالنسبة للسفن التونسية . كما يجب يسمح للسفن الحربية والسفن التجارية الإسبانية أو التونسية باللجوء إلى الموانئ الطرفين في حالة ملاحقتها من طرف بسفن دولة عدوة لها في البحر ، والاحتماء بموانئها ، وتقديم المساعدة لهذه السفن وللبحارة في حالة غرقها بالقرب من سواحل الدولتين . أما البند الخامس فينص على أنه في حالة استرقاق إيلات الجزائر وطرابلس أو أي دولة أخرى لسفن إسبانية ، يجب عدم شراء الأسرى الإسبان من طرف التونسيين ، أو بيعهم داخل تراب الإيالة . ونفس المعاملة يحظى بها التونسيين داخل إسبانيا ⁽⁵⁾.

⁽¹⁾Alphonse Rousseau: op.cit , p225.

⁽²⁾ كمال جرفال : المقال السابق ، ص 51 .

⁽³⁾ المعاهدة أبرمت بين الباي حمودة باشا ، والملك الإسباني دون كارلوس الرابع ، في شهر جانفي من سنة 1791م ، الموافق لشهر جمادي الأولى من سنة 1205هـ ، كتبت باللغتين العثمانية والإسبانية ، وقد تناولت المعاهدة تحقيق السلم بين الطرفين ، بعد حوالي القرنين من الصراع ، بالإضافة إلى قضايا الملاحة البحرية ، والتجارة بين تونس وإسبانيا ، وكذا قضايا القرصنة والمياه الإقليمية ، والتمثيل القنصلي . والوثيقة موجودة بالأرشيف الوطني التونسي ، وهي مصنفة في السلسلة التاريخية ، ضمن الصندوق 254 ، الملف 705 . كما نشرها ألفونسو روسو ، وللاطلاع عليها . ينظر الملحق رقم :10.

⁽⁴⁾ كمال جرفال : المقال السابق ، ص 51 .

⁽⁵⁾ ينظر الملحق رقم :10.

كما أقرت الاتفاقية أيضا حرية الملاحة البحرية لسفن البلدين ،ومنحت السفن التجارية والحرية الإسبانية حرية دخول موانئ الإيالة التونسية ،والإرساء بها مقابل دفع معلوم الإرساء المقدّر ب 30 ريال (البندان الثامن والتاسع) . وهذه الحقوق التي تدفعها السفن الإسبانية مقابل رسوها في الموانئ التونسية ،عبارة عن خمسة وعشرين ريال ،بالإضافة إلى خمسة ريالات تدفع لحراس الجمارك ولا شيء غير ذلك ،ولا يحق لهم تعنيفهم أو مضايقتهم . وبالمثل سمحت الاتفاقية (البند الخامس والعشرون) للسفن التجارية ،ولسفن القرصنة التونسية بالإرساء في جميع موانئ إسبانيا ؛إن كانت في حاجة إلى التزود بالماء والمؤن . كما ألزمت الاتفاقية الطرفين بالتعاون لضمان أمن مراكبهما البحرية ،عندما تكون راسية في موانئهما ،أو عندما تضطر إلى اللجوء إليها ،كما أكدت على ضرورة التصرف بالمثل في عرض البحر ،وذلك بتقديم النجدة ومد يد المساعدة لسفن أحد البلدين ؛عندما تكون مهددة بالغرق ،أو ملاحقة من طرف العدو قرب سواحل أحد البلدين (البندان الثالث والرابع) . كما انفرد البند الحادي عشر بفرض نوع من الحياد العسكري والسياسي على الإيالة ،يمنعها من نجدة أو مساعدة الدولة ،التي تكون في حالة حرب مع إسبانيا ⁽¹⁾ .

وفي الميدان التجاري وضعت بنود عديدة من المعاهدة المبرمة بين تونس وإسبانيا في سنة 1791م قواعد للتعامل التجاري بين البلدين ،من حيث فتح أسواق البلدين ،وحرية التجارة بها ،ومن حيث الأداءات الجمركية الواجب دفعها . فلقد نص البند الثاني عشر على فتح السوق التونسية للتجار الإسبان ،الذين يمكنهم الإقامة ،وممارسة نشاط التوريد ،والتصدير بكامل الحرية وبدون ضغوط . أما البند العاشر يذكر أنه يجب على التونسيين المسافرين إلى لبلاد إسبانيا أن يذهبوا رأسا إلى بورط (ميناء) ماهونة ،لإجراء القرنطينة laquarantaine ⁽²⁾ ،وبعد ذلك يتوجهون إلى مالقة أو أليكانت ،أو برشلونة ويباشروا البيع والشراء ⁽³⁾ .

أما البند الخامس والعشرون يتعلق بحق التجار التونسيين في ممارسة التجارة في إسبانيا بشرط أخذ البصابورط ،فقد ورد فيه أنه عندما يريد أحد تجار تونس وملحقاتها السفر لبلاد إسبانيا يجب عليه أخذ بصابورط Passport من قنصر (قنصل) إسبانيا المقيم بتونس ،كما يجب على التونسيين القاصدين إسبانيا ،والمقيمين خارج البلاد التونسية في بلاد الإسلام أو النصارى ،أخذ بصابورط من

⁽¹⁾ المعاهدة التونسية-الإسبانية ،ينظر الملحق رقم : 10 .

⁽²⁾ القرنطينة ،أو الكرنطينة ويقصد بها الحجر الصحي للسفن القادمة من مكان انتشار الوباء (المرض المعدي) . ينظر :أي عبد الله

محمد الباجي المسعودي : الخلاصة النقية في أخبار إفريقية ، ط2 ، مطبعة بيكار وشركائه ، تونس 1323هـ ، ص 134 .

⁽³⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p470.

قناصر (قناصل) إسبانيا المقيمة في تلك البلاد ليعرفوا أنهم تجار تونس⁽¹⁾.

إن انفتاح أسواق البلدين على بعضها البعض يعني أيضا ؛منح تجار كل البلدين امتيازات جمركية ،لذا فإن قضية الأداءات الجمركية ،قد حظيت باهتمام كبير ،وأفردت لها الاتفاقية عدة بنود .فلقد اقر البند العاشر من الاتفاقية دفع التجار الإسبان بتونس بنفس الأداء ،الذي يدفعه الفرنسيون ؛أي 03% من قيمة البضاعة ،ودفع التجار التونسيين بإسبانيا نفس الأداء ،الذي يدفعه المسلمون ؛أي 10% من قيمة البضاعة .وقد تأخر توقيع المعاهدة بين الطرفين بسبب هذا البند ،حيث تركزت المفاوضات حوله إلى أن قبلت إسبانيا في الأخير منح التجار التونسيين نفس الامتياز ،الذي يتمتع به التجار الإسبان ؛أي دفع 03% فقط كأداء على السلع والبضائع ،التي تكون من منتجات تونس ،ومصنوعاتها ،ومحمولة على سفن تونسية أو إسبانية⁽²⁾.

أما البنود الثالث عشر والخامس عشر والسادس عشر ،والسابع عشر ،والثامن عشر ،والتاسع عشر والثاني والعشرين ،فتتعلق بمهام وامتيازات القنصل الإسباني في حقه في الإقامة تونس ،وكذا رعاياه .بالإضافة اللي حق القنصل في رعاية رجال الدين القادمين من روما ،والمقيمين في تونس وحدد ذلك في البند الرابع عشر من المعاهدة المبرمة .فقد منح هذا البند في المجال العقائدي قنصل إسبانيا حق حماية الرهبان الكاثوليك القادمين من روما ،علما أن مبدأ الحرية الدينية ،وممارسة الشعائر المسيحية ، أو الإسلامية . كما أكد البند الثالث عشر على حق ممارسة الشعائر الدينية المسيحية في تونس ، والإسلامية في إسبانيا ،ولكن في حدود المنزل⁽³⁾ .ويعكس ذلك درجة التسامح الديني ،التي بلغت بلدان ضفتي الحوض الغربي من البحر المتوسط بعد ما يقارب ثلاثة قرون من الصراع الديني المسيحي - الإسلامي بينهما .وذلك نظرا لتحكم المصالح التجارية في علاقاتها خلال هذه الفترة ، بدل التعصب الديني .

لقد مكّنت معاهدة 1791م بين إيالة تونس وإسبانيا من تحقيق السلام بين الطرفين ،وساهمت في تطوير العلاقات التجارية ،لكنها من جهة أخرى بينت عدم التكافؤ في علاقات الطرفين ؛فعلى الصعيد التجاري سمحت بنود المعاهدة للتجار الإسبان بالمناجزة في جميع موانئ الإيالة ونواحيها ،في حين حدد مجال مناجزة التجار التونسيين في ثلاثة موانئ فقط سالفه الذكر .أما على صعيد التمثيل الدبلوماسي والقنصلي ،فقد أقرت المعاهدة إقامة بعثة قنصلية إسبانية بتونس ،لكنها في المقابل لم

⁽¹⁾ المعاهدة التونسية-الإسبانية ،ينظر الملحق رقم : 10 .

⁽²⁾ كمال جرفال : المقال السابق ، ص 52 .

⁽³⁾ Alphonse Rousseau: op.cit , p472.

تتطرق إلى مسألة التمثيل القنصلي للإيالة في إسبانيا ،ربما يعود ذلك إلى أن إسبانيا كانت تعتبر تونس إيالة تابعة للدولة العثمانية ،ولا يحق لها التمثيل الدبلوماسي والقنصلي⁽¹⁾. وهذه المسألة نجدها في علاقات تونس وباقي الإيالات المغاربية مع كل الدول الأوربية التي كانت لها معاهدات واتفاقيات سياسية ومعاملات تجارية .

ومهما يكن من أمر ؛فان المعاهدة قد ساعدت الإسبان على تنظيم نشاط القرصنة والحد من تأثيراتها السلبية على التجارة والملاحة الإسبانية ،وفتحت الإيالة التونسية أمام التجار الإسبان ،كما مكنت إسبانيا من ربط علاقات سلمية مع تونس بعد قرابة الثلاثة قرون من الصراع والحروب ، ومكنت الطرفين من ربط علاقات سياسية سلمية وعلاقات تجارية متينة ،سمحت لمنتجات الطرفين من دخول أسواق البلدين ،كما ربطت حكام البلدين بمراسلات ساهمت في توطيد علاقات الطرفين.

8- علاقات تونس و إسبانيا السياسية والتجارية ما بعد سنة 1791م :

إن تطبيع العلاقات بين البلدين يعني أيضا إقامة علاقات سياسية ،وتبادلا للتمثيل الدبلوماسي، والقنصلي .غير أن وضع تونس آنذاك كإحدى الإيالات التابعة للدولة العثمانية ،لم يكن يسمح بمستوى هذا التمثيل الدبلوماسي ،وبالتالي يكفيها التمثيل القنصلي .وقد سمحت الاتفاقية المبرمة بين إسبانيا وتونس ،لملك إسبانيا بتعيين قنصل عام لإسبانيا بتونس ،وطالب بأن يحترم هو ورعايا دولته ، وأن يحظوا بالاعتبار مثل :قنصل فرنسا ورعايا دولته⁽²⁾.

وقد كان أول قنصل رسمي إسباني بتونس هو دون بيدرو سوشيتا Don p  dro Sochita في سنة 1791م/1205هـ ،فقد أرسل الملك الإسباني دون كارلوس الرابع رسالة إلى حمودة باشا مؤرخة في 1 أكتوبر من سنة 1792م/1206هـ ،تتضمن تسمية بيدرو سوشيتا كأول قنصل لإسبانيا في تونس ، وكنائب له دون مانويل بنتورابوشاران Don Manwil P  ntora Boucharran ،وقد اشار الملك إلى دورهما في مفاوضات السلم ،بهدف التعريف بهما لدى حمودة باشا⁽³⁾. ثم يأتي دون خايم صولار Don

(1) كمال جرفال : المقال السابق ،ص 53 .

(2) المقال نفسه .

(3) الوثيقة عبارة عن رسالة مؤرخة في 1 أكتوبر من سنة 1792م ،وهي مكتوبة باللغة الإسبانية موجهة من دون كارلوس إلى الباي حمودة باشا .وقد أشار الملك الإسباني في رسالته إلى أن السيد سوشيتا كان قد شارك في مفاوضات السلام بين تونس وإسبانيا من أجل عقد معاهدة السلم بينهما .والوثيقة تندرج ضمن المراسلات بين ملوك إسبانيا وباي تونس حمودة باشا ،وهي مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،ضمن الصندوق 254 ،الملف 707 .وقد قام الأستاذ نور الدين الحلاوي بتعريب بعضها ونشرها في المجلة التاريخية المغربية .وللاطلاع أكثر على هذه الوثيقة ،ينظر :الملحق رقم 12 ،ونور الدين الحلاوي : المقال السابق ،ص 91 .

Don Manwil Khaim Sollar⁽¹⁾ إلى غاية سنة 1798م، ثم جاء بعده دون مانويل بنتورابوشاران Péntora Boucharran، الذي لم يلتحق بمنصبه، وعوضه الملك الإسباني بالسيد دون خوسي نوقيرا Don Khoussi Nogéra في سنة 1802م. ثم قناصل آخرون مثل دون أرنولدو صولر Don Arnoldo Sollar، ودون كارلوس صولار Don Charlous Sollar في عهد الملك الإسباني دون فرناندو السابع Don Fernando VII، أما بالنسبة للتمثيل الدبلوماسي التونسي فتشير بعض الوثائق التاريخية المتعلقة بتونس؛ إلى منصب مكلف بالشؤون التونسية بإسبانيا، وكان إيطالي الجنسية ويدعى: لويس جيانو Louis Géyano⁽²⁾.

ومما يلاحظ على العلاقات التجارية بين الطرفين، أن الواردات التونسية قد زادت من إسبانيا، والتي تمثلت أساسا في الصوف الإسباني، الذي ارتفع عليه الطلب داخل الإيالة التونسية، فقد ارتفعت نسبته من مجموع الواردات من 27.5 % في سنة 1788م إلى ما نسبته 34.1 % من مجموع الواردات في سنة 1789م؛ أي خلال سنة واحدة فقط⁽³⁾. وقد قوى حمودة باشا علاقاته التجارية مع إسبانيا بداية من سنة 1790م؛ تماشيا مع توسيع مجالات بلاده التجارية مع الدول الأوربية، وقد وصف القنصل البريطاني سياسة الباي التونسي تلك مع إسبانيا بقوله: ((بأنها خدمت مصالح الباي التجارية وحققت له مصالحه مع إسبانيا، وأن تلك السياسة عمليا ستؤثر كثيرا على تجارة فرنسا مع الإيالة التونسية، ويصدق ذلك بالخصوص على استيراد الصوف الإسباني والصبغ القرمزي، اللذين كانا يستوردان عن طريق فرنسا)). ويضيف القنصل البريطاني قائلا: ((أنه في مدة شهر واحد فقط دخلت إلى موانئ تونس 31 سفينة إسبانية، لنقل الحبوب التونسية، وهو أمر لم يسبق له مثيل بين البلدين))⁽⁴⁾. وهذا ما يدل على تغير العلاقات التجارية بين تونس وإسبانيا من تجارة العبور خلال الفترات السابقة، إلى علاقات تجارية مباشرة بينهما.

(1) خاتم صولار وأخوه خوان صولار ينحدران من عائلة أصيلة مدينة ماهون عاصمة جزيرة مينوركا، لعبا أدورا كبيرة في إبرام اتفاقيات السلام، والصداقة بين إسبانيا والدولة العثمانية وطرابلس الغرب. عين خوان قنصلا عاما لإسبانيا في إسطنبول، أما خاتم فعين قنصلا عاما لإسبانيا بطرابلس بين سنتي 1791م و1796م، ثم عين قنصلا عاما لإسبانيا بتونس في سنة 1796م إلى غاية سنة 1798م، حيث توفي وترك ثلاثة أبناء هم: أرنولدو، وييدرو وكارلوس صولار، تداولوا بدورهم على إدارة القنصلية الإسبانية بتونس بين سنتي 1798م و1828م؛ إما كنواب قناصل، أو كقناصل عامين. ينظر: نور الدين الحلاوي: المقال السابق، ص 52.

(2) المقال نفسه، ص 88.

(3) Eugène Plantet: op.cit, T3, p p 393-394.

(4) عن القنصل البريطاني نقلا عن: رشاد الإمام: المرجع السابق، ص ص 312-313.

وزاد حمودة باشا فكّر في تنشيط تجارة بلاده مع إسبانيا بعد معاهدة سنة 1791م ،وقد بلغت تجارة تونس مع إسبانيا ،خاصة تجارة الصوف ،حدا جعل قنصل فرنسا في تونس ،يطلب من حكومته للضغط على باي تونس ؛وذلك باحتلال مدينة أليكانت Alicante الإسبانية ،التي كانت تؤمن حاجيات الإيالة من الصوف لصناعة الشاشية .غير أن شيئا من ذلك لم يحدث ،بل زاد حجم التجارة بين الطرفين ،وتنوعت السلع المتبادلة بينهما ⁽¹⁾. ذلك أن المبادلات بين تونس وشبه الجزيرة الإيبيرية حيوية بالنسبة لصناعة الشاشية التونسية ،إذ أن إسبانيا تقدم الأصواف الناعمة الضرورية لصناعة الشاشية ،وتونس تباع إسبانيا حبوبا وزيتا ،لتأمين حاجياتها من المواد الغذائية ،وقد حاول التجار التونسيون التخلص من وصاية التجار الفرنسيين المرسلين ؛لتحرير هذه التجارة ⁽²⁾. وبذلك منذ توقيع معاهدة السلام مع إسبانيا بدا تحرر التجارة التونسية من وساطة التجار المرسلين ،ولم يبق من عائق أمام التجار التونسيين سوى القراصنة المالطيين .

من جهة توطدت علاقات التحالف بين الطرفين بعد معاهدة 1791م ،فقد بدأ التعاون بين الطرفين ضد سفن القرصنة المعادية لأحد الطرفين ،ويظهر ذلك جليا من خلال وثيقة مؤرخة في سنة 1793م ،وهي عبارة عن حكم أصدره حمودة باشا بحضور القنصل الفرنسي دوفواز ،بحضور القنصل الإسباني بيترو ،يطلب فيها ضرورة إرجاع سفن إسبانية كان القراصنة الفرنسيون قد استولوا عليها بالقرب من السواحل التونسية ⁽³⁾. ويدل هذا العمل على التزام الباي حمودة باشا بتطبيق بنود معاهدة السلام المبرمة بين تونس وإسبانيا ،وحرصه على العلاقات السلمية مع إسبانيا خلال هذه الفترة ،التي تلت توقيع معاهدة السلم .

وفي سنة 1798م راسل حمودة باشا الملك الإسباني دون كارلوس Don Charles ،يطلب منه بعض المراكب التي أراد أن يقوي بها أسطول البحر ،ويتضح مدى ترابط العلاقات بين إيالة تونس وإسبانيا خلال هذه الفترة ،من خلال الرسالة التي رد فيها الملك الإسباني دون كارلوس على حمودة باشا ،والمؤرخة في 20 فيفري من سنة 1798م/1212هـ ،والتي تؤكد حرص الملك الإسباني على استمرار العلاقات بين الطرفين ،ومما جاء في تلك الرسالة : ((... ونظرا لحرصنا الشديد بأن أقدم

⁽¹⁾ رشاد الإمام :المرجع السابق ،ص 313 .

⁽²⁾ لوسيت فالنسي : ،المرجع السابق ،ص 89 .

⁽³⁾ الوثيقة عبارة عن طلب تقدم به حمودة باشا إلى القنصل الفرنسي دوفواز من أجل إرجاع سفن إسبانية وشحناتها ،أخذها قراصنة فرنسيون بالقرب من سواحل تونس .الوثيقة مكتوبة باللغة العربية ،وهي مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،في الأرشيف الوطني التونسي ،الصندوق 186 ،الملف 1055 مكرر .ينظر الملحق رقم : 11 .

لكم شاهدا حيا على الاهتمام ،الذي أوليه لطلباتكم فإني جددت أوامري ،بأن يقع في أقرب الآجال صنع المراكب التي طلبتموها منا ...))⁽¹⁾ .

وفي سنة 1802م تعمد حمودة باشا تأزيم العلاقات مع البلاط الإسباني ،بحجة أن الهدايا التي أرسلتها إسبانيا لم تكن في المستوى الذي طالب به سابقا .فأمر بإلقاء القبض على الرعايا الإسبان المتواجدين بتونس ،دون إعلان مسبق لقطع العلاقات ، وبسبب الظروف التي كانت تمر بها إسبانيا فإنها لم تكن قادرة على الدخول في حرب مع الإيالة ،لذلك اضطرت إسبانيا إلى الرضوخ لمطالب الباي حمودة باشا ،فتم إنهاء مهام القنصل دون بيزاران Don Buzaran مع نهاية سنة 1802م ؛ بسبب شكاوي الباي ،فقد طالب الباي بتغيير القنصل الإسباني ،لعدم أمانته في معاملاته المالية مع التونسيين ،وعلى الرغم من تهديدات ملك إسبانيا لتونس ،لم يجد بدا من تغيير قنصله⁽²⁾ .وصل إلى تونس السيد سيبقي M.Séguï ،الذي دفع للباي ثمانين ألف (80000) بياستر ،وسلم له سفينتين مزودتين بستة وعشرون (26) مدفعا ، وأفرج عن ثلاثين إسبانيا كانوا محتجزين منذ مدة .وعادت العلاقات جيدة بين الحكومتين بعد أن تنازل الباي عن مطامعه اللاحقة . وفي أوت من سنة 1804م عين السيد سيبقي قنصلا عاما في تونس⁽³⁾ .

وفي سنة 1807م تم عزل القنصل سيبقي بسبب تماطله في تسديد ديون بعض أثرياء تونس ، الذي قدموا شكوة إلى الباي حمودة باشا في هذا الشأن ،لذلك تم عزله من طرف الحكومة الإسبانية ،وعوض بدون أرنولدو صولر Don Arnaldo Sollar ،أكد القنصل صولر على ضرورة تسديد الديون ،حفاظا على العلاقات مع تونس ،لذلك أرسلت الحكومة الإسبانية رسالة إلى حمودة باشا

⁽¹⁾ الوثيقة عبارة عن رسالة مؤرخة في 20 فيفري من سنة 1798م ،وهي مكتوبة باللغة الإسبانية موجهة من دون كارلوس إلى الباي حمودة باشا .فقد شكر الملك الإسباني في رسالته الباي كعلى إطلاقه سراح بعض الأسرى الإسبان ،وأكد له حرصه على استمرار العلاقات الطيبة بينهما ،واعتذر له عن تأخير تلبية طلبه ،وأكد له تسريع تلبية .والوثيقة تندرج ضمن المراسلات بين ملوك إسبانيا وباي تونس حمودة باشا ،وهي مصنفة ضمن السلسلة التاريخية ،ضمن الصندوق 254 ،الملف 707 .وقد قام الأستاذ نور الدين الحلاوي بتعريب بعضها ونشرها في المجلة التاريخية المغربية .وللاطلاع أكثر على هذه الوثيقة ،ينظر :الملحق رقم 13 ،و نور الدين الحلاوي : المقال السابق ،ص 92 .

⁽²⁾ رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص 372 .

⁽³⁾ الوثيقة عبارة عن نماذج من مراسلات تمت بين ملك إسبانيا دون كارلوس الرابع وحمودة باشا باي تونس ،هذه المراسلات كانت خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1799م و1805م ،وتتعلق بمهام وأعمال القناصل الإسبان في تونس ؛وهم دون مانويل بنتوران بوثران ،ودون فرانسيسكو سيبقي .والوثائق كاملة موجودة في الأرشيف الوطني التونسي ضمن الملف : 706 ،الصندوق : 254 . ينظر :الملحق رقم : 14 .

بتاريخ 25 أفريل من سنة 1809م ،وعدته فيها بتسديد جزء من الديون ،أما الجزء الباقي فستقوم بإعفاء التجار التونسيين ،الذين لديهم ديون على سيجي Ségui من الرسوم الجمركية في ميناء أليكانت Alicante الإسباني ،إلى غاية تسديد ديونهم ،وبهذا حلت المشكلة ⁽¹⁾. وبعد ذلك تحسنت السياسية العلاقات بين تونس وإسبانيا ،ومما يدل على ذلك ،أنه ورغم علاقات حمودة باشا المميزة مع نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte ،إلا أنه رفض منحه استعمال الموانئ التونسية لضرب القوات الإسبانية ،لذلك بعث له دون فردناندو السابع Do Fernando VII برسالة شكر بتاريخ 13 سبتمبر من سنة 1810م ⁽²⁾. وهذا الموقف يدل على التزام حمودة باشا بالعلاقات السلمية مع إسبانيا ،وتطبيق معاهدة السلم المبرمة بين الطرفين في سنة 1791م .وقد استمرت العلاقات السلمية بين تونس وإسبانيا حتى سنة 1814م ،ويظهر ذلك من خلال المراسلات بين ملوك إسبانيا والباي التونسي حمودة باشا ،التي كانت دائما تلين مواقف الطرفين ،وتحل المسائل العالقة بينهما من أجل الحفاظ على السلم .

ومما سبق يمكن القول :

- إن علاقات الإيالة التونسية مع إسبانيا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ،اختلفت ، وتنوعت كليا مقارنة بالمراحل السابقة ،ويعود ذلك التنوع إلى المستجدات ،التي حدثت خلال هذه الفترة ،والسياسات الجديدة للطرفين ،التي بدأت تتوجه إلى السلم حفاظا على مصالحهما من جهة ، ونتيجة للظروف الدولية في الحوض الغربي للمتوسط .
- لقد تواصل دور المستشفى الإسباني في تونس إلى ما بعد سنة 1756م ،فقد ساهم المستشفى في تليين الموقف التونسي اتجاه الإسبان ،بعد الأعمال التي قام بها في مجال مداواة الأهالي ، بعد الحملة الجزائرية على تونس في سنة 1756م .
- ونظرا لوجود بعض القضايا ،التي ما زالت تعيق توجه الطرفان إلى علاقات سلمية ؛منها قضايا الأسرى ،ومواقف الإيالة التونسية من الحملات الإسبانية على إيالة الجزائر ،خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر .

⁽¹⁾Arnoldo Soler: **Chargé d'affaires d'Espagne aTunis et sa Correspondance 1808-1810** ,in **RA** ,Tunis 1905 ,N°12 ,p p 306-308.

⁽²⁾ نور الدين الخلاوي : المقال السابق ،ص ص 90 ، 96 .

- وبحلول السبعينات من القرن الثامن عشر ؛برز توجه جديد للسياسة الإسبانية ،يهدف إلى الوقوف في وجه المنافسة الخارجية الإنجليزية ،والفرنسية .لذلك ستعمل إسبانيا على التقرب من الدول الإسلامية والمغربية خصوصا ؛من أجل عقد اتفاقيات سلام وتجارة معها ،ففي سنة 1782م أبرمت معاهدة سلام مع الدولة العثمانية ،ثم المغرب ،فطرابلس الغرب ،ثم الجزائر .
- وعلى الصعيد المقابل كانت سياسة حمودة باشا خلال الفترة (1782-1814) ،منفتحة على دول غرب أوروبا المتوسطية ،من أجل عقد اتفاقيات سلام وتجارة معها ،بهدف تشجيع المبادلات التجارية ،من ترويج المنتوجات التونسية .
- توسطت الجزائر بين الإيالة التونسية وإسبانيا ،من أجل توصل الطرفين إلى عقد الصلح .خاصة وأن الدول المغربية قد توصلت إلى إبرام معاهدات سلام وتجارة في هذه المرحلة مع إسبانيا :المغرب ،الجزائر ،طرابلس الغرب .فتم إبرام معاهدة سلام وتجارة في سنة 1791م .
- وبعد سنة 1791م بدأت مرحلة جديدة من العلاقات السياسية ،والتجارية ؛تجسدت في التمثيل الدبلوماسي ،بين إسبانيا وتونس ،فقد أصبح لإسبانيا قنصل رسمي ،يشرف على مصالح الرعايا الإسبان بالإيالة ،وكانت هناك مراسلات بين حكام الطرفين ،تجسيدا للعلاقات السلمية ،التي ستستمر إلى غاية سنة 1814م .وكذا المبادلات التجارية بين الطرفين .

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة توصلت إلى جملة من الملاحظات ،والاستنتاجات أوجزها في الآتي :

- بينت الدراسة أن الأوضاع العامة التي سادت منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط ،خلال فترة القرن الثامن عشر الميلادي ، سببا مباشرا في حدوث ذلك الاحتكاك بين الضفتين ،سواء كان تقارب ،أو تنافر، تولدت عنه تلك العلاقات السياسية ،والتجارية بين تونس ،ودول غرب أوروبا المتوسطية .
- لقد أثر الوضع السياسي العام في الضفة الشمالية من الحوض الغربي للبحر المتوسط ،بدوره على علاقات دول غرب أوروبا المتوسطية السياسية ،والتجارية مع تونس ،خلال القرن الثامن عشر .
- ساهم الوضع السياسي العام الذي كان سائدا في الضفة الجنوبية للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ،أي في بلدان المغرب الإسلامي (طرابلس ،وتونس ،والجزائر ،والمغرب) ، بشكل مباشر في علاقات تونس مع دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر ،نظرا للترباط الجغرافي ،والسياسي ،والاقتصادي ،والحضاري لهذه الدول .
- وضحت الدراسة أن علاقات تونس مع دول غرب أوروبا المتوسطية عموما ،تميزت خلال القرن الثامن عشر ، بالتنوع ،واختلفت من دولة إلى أخرى ؛حسب ظروف كل دولة ،ووضعها السياسي ،والتجاري .إن العلاقات بين الطرفين عموما سواء كانت علاقات حرب ،أو اتفاقيات سلم ؛أو علاقات تجارية بين موانئ الطرفين .كانت حتمية تاريخية لا مفر منها ،فرضتها ظروف تاريخية وجدت ،ومن أهمها حاجة الطرفين السياسية ،والتجارية لمثل ذلك التقارب ،أو التنافر .
- تميزت علاقات الإيالة التونسية السياسية مع مالطة خلال فترة القرن الثامن عشر ؛بالعداء المتواصل ،وهذا في حقيقة الأمر يعود إلى العوامل التاريخية والدينية ،وإلى الظرفية التي ميزت منطقة الحوض الغربي من البحر المتوسط ،خلال القرن السادس عشر .لذلك نجد أن القرن بكامله كان عبارة عن حملات مالطية على تونس ،وقرصنة متبادلة في حوض البحر المتوسط .غير أنه توجد رغم حالة العداء المستمر ،فقد كانت هناك علاقات من نوع التواصل بين التونسيين والمالطيين ؛تتمثل في العلاقات التجارية غير الرسمية ،التي كان تجار الطرفين يقومون بها إلى الموانئ التونسية ،ونظيرتها المالطية ،طيلة القرن الثامن عشر ،فقد كانت مالطة من بين الوجهات المفضلة للتجار التونسيين .
- أكدت الدراسة أن علاقات الإيالة مع الدويلات الإيطالية اختلفت ،وتباينت من دولة إلى أخرى ،بين السلمية والعدائية ،نظرا للمصالح التجارية من جهة ،وإلى سياسات الطرفين من جهة أخرى .

- تأرجحت علاقات تونس مع جمهورية جنوة خلال القرن الثامن عشر ،بين السلمية والعدائية ، فنجد القرصنة بين الطرفين أحيانا ،وعلاقات تجارية أحيانا أخرى ،وتعود هذه العلاقات إلى المرحلة السابقة خلال القرنين السادس عشر ،والسابع عشر ،ولكن تلك العلاقات التجارية في تونس ستكون نهايتها مأساوية في سنة 1741م في عهد علي باشا .ورغم ذلك فقد استمرت تلك العلاقات التجارية حتى نهاية القرن الثامن عشر .

- وبينت الدراسة أن ليفورن ذلك الميناء التوسكاني ، ربطته بالإيالة علاقات تجارية بحتة ، وكانت ليفورن ثاني أهم متعامل تجاري مع تونس بعد مدينة مارسيليا الفرنسية ،وكانت هي الوسيط التجاري بين الإيالة ،وكثير من دول أوروبا ، وهي المصدر والمورد لكثير من السلع من وإلى الإيالة ويعود ذلك إلى الدور الذي لعبه اليهود الليفورنيين في تلك العلاقات خلال القرن الثامن عشر الميلادي .

- وضحت الدراسة أن جمهورية البندقية حاولت طيلة النصف الأول من القرن الثامن عشر ؛عقد اتفاقيات ومعاهدات مع الإيالة التونسية ،لكنها فشلت في ذلك ،لذلك ميز نشاط القرصنة المتبادلة علاقات الطرفين ،التي اتسمت بالعدائية خلال النصف الأول من القرن ،وبعد عدة محاولات توصل الطرفان إلى عقد اتفاقية في سنة 1763م ،لكنه سرعان ما عادت العلاقات عدائية ،بل تطورت في سنة 1784م إلى إعلان الحرب بين الطرفين ،والتي انتهت بتوقيع معاهدة سلام وتجارة في سنة 1792م ،لتستمر علاقات الإيالة التونسية وجمهورية البندقية سلمية حتى نهاية القرن الثامن عشر .

- أما لمملكة نابولي وصقلية ،فقد حاولت عقد اتفاقيات مع الإيالة التونسية ،من أجل الحصول على امتيازات تجارية ،لكنها فشلت بسبب تشجيع الطرفين نشاط القرصنة المتبادلة ،اتسمت علاقات الطرفين بالعدائية خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ، وأخيرا توجت علاقاتها مع الإيالة بعقد اتفاقيات في آخر عهد حمودة باشا ،ضمنت لها علاقات سياسية سلمية ،وعلاقات تجارية ،بعد مرحلة طويلة من القرصنة المتبادلة طيلة القرن الثامن عشر .

- تميزت علاقات الإيالة التونسية مع فرنسا خلال فترة الدراسة بالتذبذب ،بالرغم من حرص الطرفين على السلم .فقد عقد الطرفان أربع معاهدات للسلم والتجارة ،ورغم تحديد عمرها بمائة عام ؛إلا أنها نقضت لأسباب معروفة تمثلت دائما في نشاط القرصنة .

- عقدت تونس وفرنسا عدة معاهدات للسلم والتجارة خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر وهي: معاهدة سنة 1710م ،ومعاهدة سنة 1720م ،ثم معاهدة سنة 1728م ؛ التي ضمنّت للطرفين علاقات سلمية إلى غاية سنة 1740م ،حيث توترت العلاقات بين تونس وفرنسا في عهد علي باشا

؛ بسبب قضية تقبيل يد الباي من طرف القنصل الفرنسي ،وبعد ذلك تم توقيع معاهدة سنة 1742م ،
التي أعادت العلاقات السياسية والتجارية بين الطرفين ،لستمر إلى غاية سنة 1756م .

- تميزت علاقات تونس مع فرنسا بالوئام في عهد علي باي ،فقد كانت العلاقات السياسية ،
والتجارية وطيدة ،وهذا بفضل الدور الذي لعبته الوسائط الرأسمالية التجارية في الطرفين ،وتوجت
علاقات الطرفين بإبرام معاهدة في سنة 1768م .لكن توترت علاقات تونس مع فرنسا مرة أخرى في
سنة 1768م ؛بسبب قضية ضم فرنسا لجزيرة كورسيكا ،لكنها سرعان ما أعيدت بعد معاهدة سنة
1770م ،التي حافظت للإيالة حق احتكار تجارة الحبوب ،واستفاد الاقتصاد التونسي من التعامل
التجاري مع فرنسا . كما تم إبرام اتفاقية تجارية بين الشركة الملكية الفرنسية والإيالة في سنة 1781م ،
منحت فرنسا امتيازات تجارية واقتصادية كبيرة .

- تساهل حمودة باشا مع الفرنسيين ،ومنحهم امتيازات تجارية كبيرة بعد توقيع معاهدة سنة 1782م
،فقد حافظت فرنسا على أولويتها التجارية في المبادلات الخارجية للإيالة التونسية . ورغم ذلك
توترت العلاقات بين الطرفين في سنة 1798م ؛بسبب الحملة الفرنسية على مصر ،بعد تدخل الدولة
العثمانية ،فقطعت العلاقات السياسية ،بالرغم من تساهل حمودة باشا مع التجار الفرنسيين .لتعود
العلاقات العلاقات السلمية بعد توقيع معاهدة سنة 1802م بين حمودة باشا ونابليون بونابرت .

- أكدت الدراسة أن علاقات الإيالة التونسية مع إسبانيا اتسمت بالتوتر ،والصراع خلال النصف
الأول من القرن الثامن عشر ،فقد كانت القرصنة المتبادلة ؛هي الميزة الدائمة لتلك العلاقات .ورغم
ذلك تشير المصادر الأوربية إلى معاهدة تم إبرامها بين تونس ، وإسبانيا في سنة 1720م ،بالرغم من
حالة العداء بين الطرفين ،وكانت تلك الاتفاقية بين الباي حسين بن علي ،والراهب الإسباني
فرانسييسكو خمينيس المشرف على منظمة الثالوث المقدس ،لافتداء الأسرى .

- كما كان هناك أيضا مظهرا آخر للعلاقات السلمية ؛تمثل في سماح الباي حسين بن علي للأب
فرانسييسكو خمينيس ؛بتأسيس مستشفى إسباني في تونس في سنة 1722م ،وقد لعب دورا بارزا في
افتداء الأسرى ،ومداواة المرضى .ومن جهة أخرى كان بمثابة التمثيل الدبلوماسي الإسباني ،لأن
إسبانيا لم يكن لها قنصل في الإيالة التونسية لرعاية مصالحها .وسيتواصل دوره في تونس خلال
النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

- بينت الدراسة أنه كانت هناك علاقات تجارية متبادلة بين تونس وإسبانيا ،تمثلت في تجارة العبور
،فقد سمحت الإيالة للتجار الأوربيين ؛بتوريد المنتجات الإسبانية ،خاصة الصوف الإسباني ؛نظرا

لحاجة صناعة الشاشية التونسية له ، بل خفضت الرسوم الجمركية على هذه المادة ، وفي المقابل سمحت إسبانيا بتوريد بعض المنتوجات التونسية ، التي كانت تصل إليها عن طريق مدينتي مارسيليا ، وليفورن .

- برز توجه جديد للسياسة الإسبانية ، خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر ؛ يهدف إلى الوقوف في وجه المنافسة الخارجية الإنجليزية ، والفرنسية . لذلك ستعمل إسبانيا على التقرب من الدول المغاربية ؛ لعقد اتفاقيات سلام وتجارة معها ، وعلى الصعيد المقابل كانت سياسة حمودة باشا خلال الفترة (1782-1814) ، منفتحة على دول غرب أوروبا المتوسطية ، من أجل عقد اتفاقيات سلام وتجارة معها ، بهدف تشجيع المبادلات التجارية ، من ترويج المنتوجات التونسية .

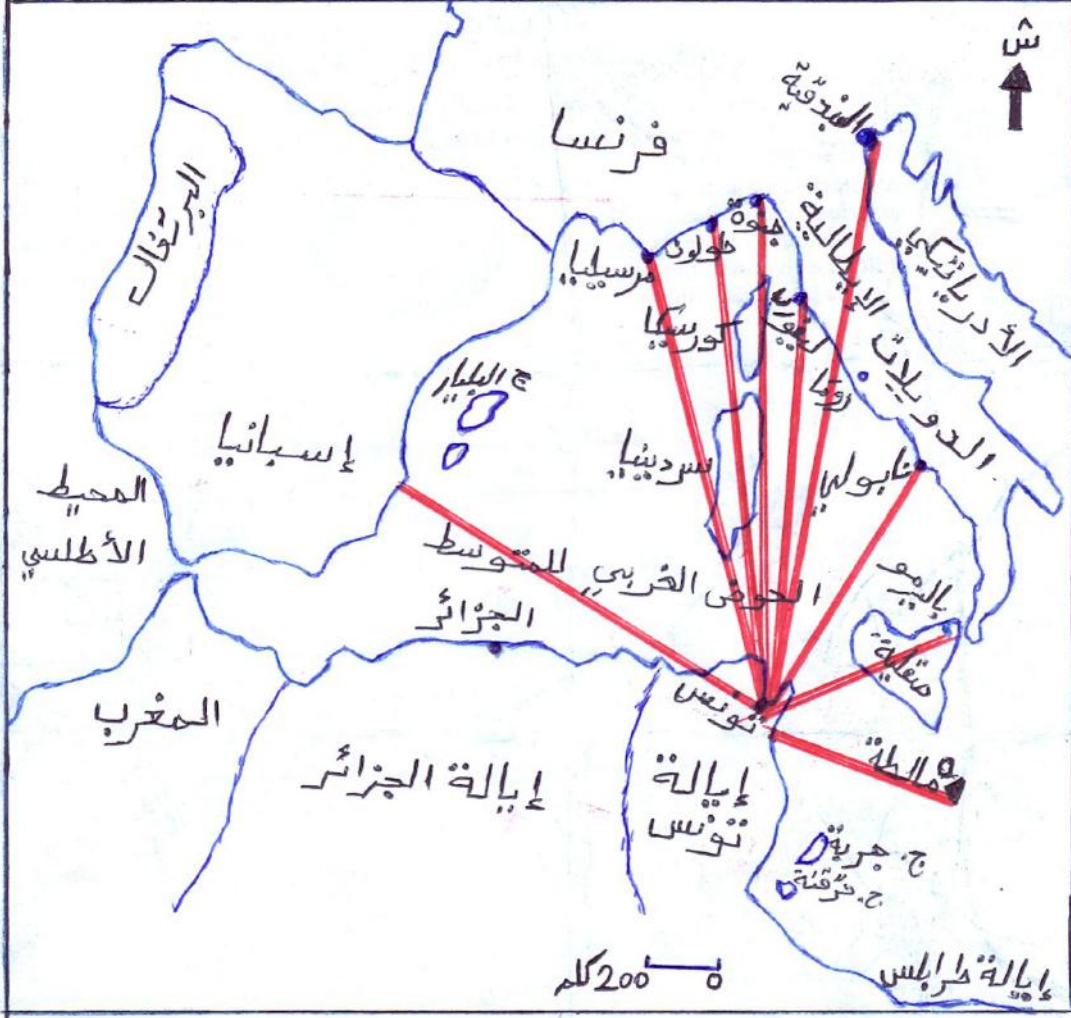
- توصلت الإيالة وإسبانيا إلى إبرام معاهدة سلام وتجارة في سنة 1791م . وبعد هذه السنة بدأت مرحلة جديدة من التمثيل الدبلوماسي ، بين إسبانيا وتونس ، فقد أصبح لإسبانيا قنصل رسمي ، يشرف على مصالح الرعايا الإسبان بالإيالة ، وكانت هناك مراسلات بين حكام الطرفين ، بتجسيدا للعلاقات السلمية ، التي ستستمر إلى غاية سنة 1814م .

تلك أهم الملاحظات والاستنتاجات التي توصلت إليها في ختام هذه الدراسة ، إلا أنني أقرّ بأن موضوع البحث ، والمتعلق بالعلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، مايزال يحتاج إلى دراسات أعمق ؛ ذلك أن الموضوع شامل وطويل ، كما أن إطاره الزمني طويل أيضا ، لذلك فإن باب البحث لايزال مفتوح لطلبة باحثين آخرين ، يمكنهم إضافة الكثير مستقبلا ، من خلال تقصي الوثائق الأرشيفية الوطنية والأوربية .

ملحق الدراسة

- ملحق الخرائط .
- ملحق الوثائق .
- ملحق الجداول .

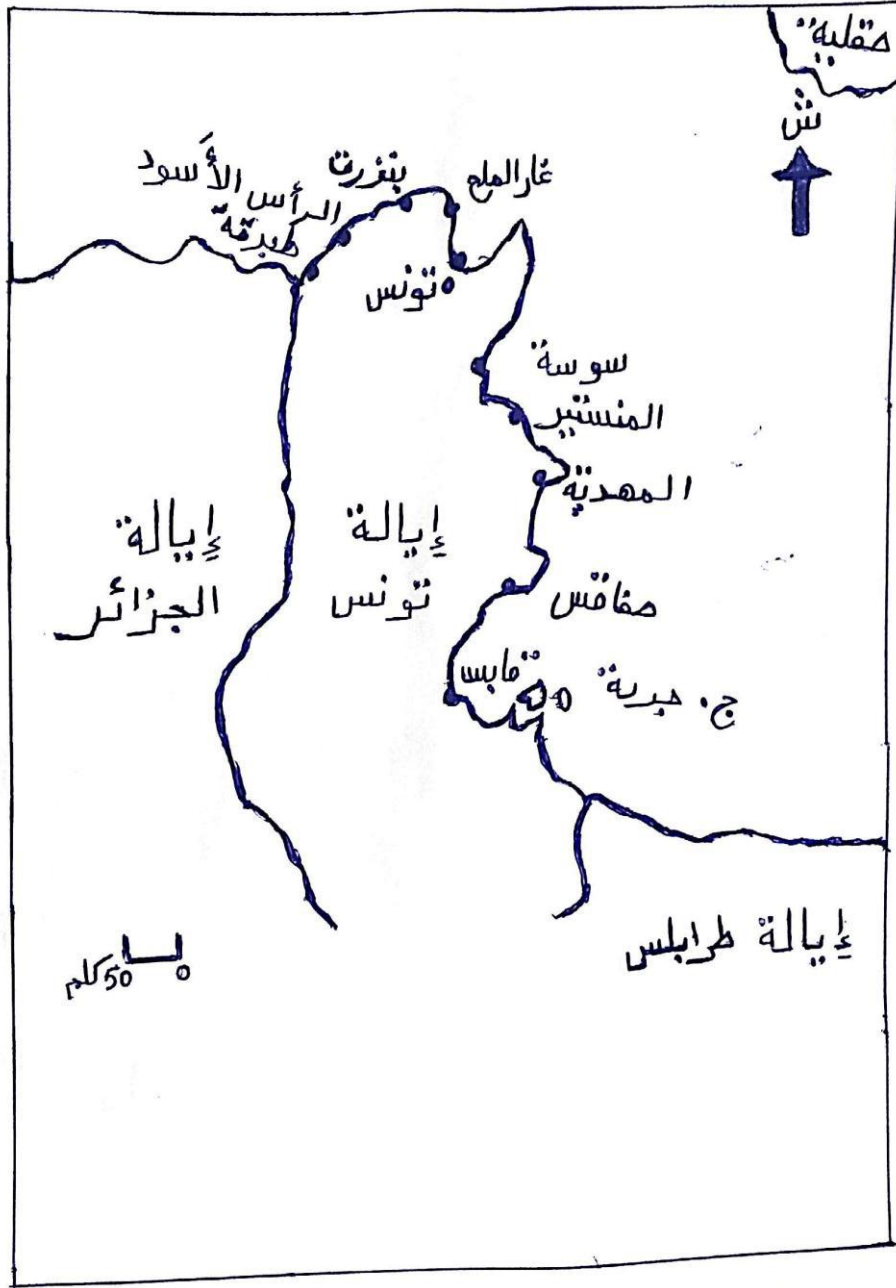
الملحق رقم 01 :خريطة توضح علاقات تونس مع دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر⁽¹⁾:



العلاقات بين تونس ودول غرب أوروبا
المتوسطية خلال القرن 18م/12هـ

⁽¹⁾ من إعداد الطالب الباحث: الشافعي درويش .

الملحق رقم 02 : الموانئ البحرية والمراكز التجارية في تونس خلال القرن الثامن عشر⁽¹⁾:



أهم الموانئ البحرية والتجارية
لإيالة تونس خلال القرن 18 م

⁽¹⁾ من إعداد الطالب الباحث: الشافعي درويش .

الملحق رقم 03 : بعض بنود معاهدة 01 سبتمبر 1763م بين تونس والبندقية ⁽¹⁾.



سبب خبر كتاب ورجع في غير خطاب وركر

امير لا حرم كبر كبر و الفهم والقدر والاحترام حبل النور والاحتساب شخص بمير غايد الملك
الا على حال تونس وجامعي واباني بكون كيسي وحاشي ولا هي باسناد ام عاكس حضرت برك وفست حكومت
وزعاصد ارتون عروسه تونس وبلغها صاندها في ابله وتلك قراني تايدلن عقد صلح وصلاح ايجوت
حالا دوسم غزال صوي ابله طرفه مكالمه به نصيب وانعام مصالح صلح وصلاحه مشور وخص
اولا قضا نو حير وزوفي نام وكيل لري وجامعه كنوب وكل وخصه ولفوقه صلبين بذكر اول
مكاتب رانه اولوب طالبي معلوم وبقدر مساعى وحب مجرر عقد صلح وصلاح وبقدر يوم طرف
امن وامان وصلاح ولفوقه ايجوت غمره ماني حركات ونشيد ساسن صالحا اولوب طرفه
اتفاق واتحاد ورضا ابله اعدا دشر وجرى تجرير وقرير وانفا وقرير الحسنه طرفين محض ودمر
برله مخوم سدرت اخذ واعطا القفل بعد يوم خلاف صلح طرفه وقرير آخره وجرم ايجوت
وسبب ايجوت اسباب رضا وجوز كوستر لوب وافراد آفون جردتني خلاف شرط صلح ملك ايجوت
مبايعت ومجايزت ولفوقه خبر في النايح وخرجه صفر في سنة 1184 هـ سبعة وسبعين واثنا مائة

الاعلى الوطن

⁽¹⁾ الصندوق رقم : 247 ، الملف رقم : 647 ، الأرشيف الوطني التونسي .

Il presente io *Alf. Barcia* e *Re di Tunis* faccio le qui Sotto dichiarazioni et esclusioni
del Trattato stabilito con la Serma Republica di Venezia Amica, e ciò per l'istanza fatta
a *Luanne Comata* Ministro incaricato per gli affari della stessa Serma Republica di Ven-
ezia.

Si dichiara che la Serma Republica di Venezia Amica non concederà Patenti o Passaporti
Marittimi Estere e se per sorte li suoi Bastimenti Tunisini ritrovaranno Passaporti o Patenti Ve-
nitiane diverse sarà fatta *elle mio* buona prova, ma nonostante la nra Pace resterà sempre
pura e stabile. Inche la presente valerà per escludere dal Articolo primo del Trattato ciò che
non se saranno concedute Patenti o Passaporti Venetiani a Navi diverse la nra Pace sarà rotta
e tutte convenzioni saranno annullate, adunque il detto Punto resta escluso dal Trattato e di niun
valore.

Si dichiara che per la sicurezza di contrabando qualunque Lettera Doppia, e ogni
altro proprio alla sicurezza dei Bastimenti proprii loro (attraverso Alterri da Guerra, et ogni
appartenente agli Armamenti da Guerra per li detti effetti non verrà ricercata da noi cosa alcuna
invece la Serma Republica di Venezia Amica sarà obbligata ne tenuta in alcun tempo di
interrompere e negoziare di tali denari con la Soggerenza o altri luoghi del Regno di Tunis, ne sorga
la Causa e li denari del Regno di Tunis non faranno alcuna domanda di tali denari alla Re-
publica di Venezia Amica. Inche con la presente nra esclude dal secondo Articolo del Tra-
tato ciò che non si trova. Meritano. *Alf. Barcia* e *Re di Tunis* non esigeranno cosa alcuna
da il detto punto senza presente dichiarazione. Inche esclude dal Trattato d'essa di niun valore.

Giovane Comata
incantato
B

شرح طالع اول

اسبوبلن بوزیش بدی سندی و آخر هر صفر اخیر تاریخ ابدی و رخ و نیک فرانی ابدی و صلا
و نیک نیت حکومتن اول اسکندر کملوی کزو جنس از نون او فخر کزو یا صبر و پرهیز ابدی
در باره آمدند ابرو با من و امان اوزی نون و حاجی نور صابر نون کد و نون دق و ضرر
و قصد و غفرت و تقوی و نیک طایفه سبده نون ها کبسی نون دق اوزده ثابت قدم و رستخ
اولین خلافت رضا و جواز کوسه تطهیر و اجناس مختلفه و آخر فرق یا صبر و پرهیز و یا نون و بر میسد
خلاف ضرر و غرور حرکت هم نور ابرو بر سر طالع اول

Articolo vigesimo Terzo

Quello oimè stabilito nel presente articolo si è
che le Navi di Guerra di Sciabecchi o altri Bastimenti armati
in loro detta Regia di Tunis, i suoi particolari sud detti non
potranno entrare nel Golfo di Bonifacio sotto qualunque
scudo, o portate a farvi il loro comodo, scendere di bordo
il capo Santa Maria in giù da una parte e dall'altra in giù
di firmare possono così ogni qualunque inconveniente.
Di più non potranno far corso se non da oggi sotto la meglio
di tutte le Barche suddette e se mai prendessero qual che
bastimento dentro il limite sudetto di Santa Maddia
Saranno obbligati a restituirlo, ed in caso compiere di legna
di Corruccione o di fucili potranno caricarli di tutto
le Barche suddette che le sarà conquistate secondo il
consueto e corrispondente. E ogni armata della Regia
Regia di Tunis non farà corso sopra gli amici della
Regia di Tunis dentro il limite delle migliori Barche
delle sue acque ed all'incontro la sud Regia di Tunis
si obbliga di far restituirsi tutti quelli bastimenti scattati
che fossero predati nelle sue acque dentro il limite
sudetto di meglio Regia.

Et visto o Barche dell'Armata di Santa Maddia, si è ora firmata e stipolata trattata si segue
Alphabolo: firmata venti due della Regia, l'anno mille e cento e quaranta e due
Voi Dettano: firmata l'Armata di Santa Maddia della Regia di Tunis, di meglio
in vista dell'Armata di Santa Maddia, l'anno mille e cento e quaranta e due
abbiamo aguali di più una copia di questa scrittura di Santa Maddia, di meglio
e autentici si debbano col sigillo di Santa Maddia.



Dato nel Porto di Santa Maddia, la quale
Barche di Santa Maddia, l'anno mille e cento e quaranta e due
e firmate di Santa Maddia, l'anno mille e cento e quaranta e due

Il Re di Tunis, l'anno mille e cento e quaranta e due

مضمون بعض بنود معاهدة 01 سبتمبر 1763م: والتي تتكون من 23 بنداً⁽¹⁾:

1- إبرام معاهدة السلام بين سمو جمهورية البندقية وعلي باشا باي تونس، وأغا الانكشارية والديوان وتم توقيع المعاهدة من طرف الوزير المفوض من طرف الجمهورية قاتنانو جرفازوني، وعلي باي عن إيالة تونس .

3- يتعلق بقضايا الملاحة البحرية والتجارية في البحر المتوسط، وعدم ممارسة القرصنة ضد سفن الطرفين، وعدم الحاق الضرر بسفن الطرفين، ورعاياهم، وممتلكاتهم .

9- لا يسمح للجزائريين والطرابلسيين، واهل سلا وغيرهم، أن يجلبوا إلى تونس سفنا تعود إلى البندقية، أو بضائعها وأمتعتها، أو رعاياها، ونفس الأمر ينطبق على تونس في موانئ الجمهورية .

16- إذا وقعت قضية بين احد رعايا جمهورية البندقية مع مسلم، فان القنصل البندقي يحضر المحاكمة، أما إذا وقع الخلاف بين رعايا الجمهورية فان القنصل البندقي يبت في القضية .

17- بإمكان القنصل البندقي أن يحظى بالأمن والطمأنينة، ولا يلحق أحد الضرر بشخصه أو أمتعته، وبإمكانه أن يستخدم مترجما، وله الحق في ممارسة دينه في داره الخاصة، وبإستطاعته أن يحصل على ضرورياته الدينية .

20- عندما تصل سفينة حربية تابعة لجمهورية البندقية إلى تونس، وبعد أن يبلغ القنصل البندقي الحكومة التونسية بخبر رسوها أمام الميناء، فإنه احتراماً للجمهورية يطلق إحدى وعشرين طلقة مدفع، ويرد الریان البندقي بعد ذلك بنفس العدد .

23- إن السفن الحربية أو القرصنية التونسية لا يمكنها الدخول إلى خليج البندقية لممارسة القرصنة، ولا يستطيعون ممارسة القرصنة، إلا على بعد ثلاثين ميلاً من السواحل البندقية، وفي المقابل فان السفن المسلحة البندقية، لا تقوم بالقرصنة إزاء الأصدقاء بتونس، في حدود ثلاثين ميلاً من مياهها .

(1) من إعداد الطالب الباحث: الشافعي درويش.

الملحق رقم 04 : بعض بنود معاهدة 18 ماي 1792م بين تونس وجمهورية البندقية ⁽¹⁾.

مسبب تحرير كتاب وموجب طير خطاب وارده
امير الامراء الكرام كبر الكبراء النخام ذوالقدر والاعزاز صليبا المرح والاحتشام
بمزيد عناية الملك الاعلى جلالة تونس واجا غي وايا التي بكم كيسي وحاكي اولان محمود باشا
وبك ايترابه من الخير ما يريد وما يشاء، حضر تليين وقت حكومت وزمان
صلا تليين محروسة ونسداد الجهاد صانها الله تعالى اياه وندين بكمي ما يستلزمه
تجديد عقد صلح يكون حاله مستلزم وندين بكمي كيلي طرف تليين
مكالمه به توين وانما مصلحة صلح وصلاحه فامور ومرخص اولان توماذ
تولم توم قوماذاتي او جا غره كوب وكيل مرخص ولدين ميتين ومطالب
معلوم والمغله مرانه مساعده ولوب تجديد عقد صلح وصلاحه وبعد اليوم
امان اولو ايجون تهر ميا في موالات وتشييد اساس مصالحات اولوب
طرفيك اتفاق واتحاد ورضا الريله اعداد شرو طلي تير وتقرير وتجديد واتقا
اولسه كيلي طرفون ممضي ومحمود براه سندات اخذ واعطا اولفغله بعد اليوم
خلاف ومفاير صلح طرفين وطرف آخر دن وجهها من الوجه وسببا من
الاسباب رضا وجراد كوستيلوب وافراد افریده دن بر فرد مخ
خون من صلاحت لوب مساعده ومجا نيت اولنه
تونس ١٢٠٤

⁽¹⁾ الصندوق رقم : 247 ، الملف رقم : 647 ، الأرشيف الوطني التونسي .

شرط اول

وندیک بکار کیسه دو ستغری صحیح و محقق اولوب وندیک بکاک سفینه لر
ویا خود تجار سفینه لر طرفین غایتلریله دو ستغری بر طرفین طرف
خل و یرمیه لر و ایکی طرفین کرک طائفه وندیک و کرک تونسلی وقتا علیه
بینماده امن و امان اوزده اوله لرایمدی اشبو خصوصه طرفین طرف
دیوان مستوره دن و یکچریان زهره سی بالجه سنک معرفتلیله تاریخ
کتب صلح کونی هر حاله وند کولر دوست اولوب برکسنه مخالفت و تعرض
ایلیله و کذاک وجه شروح اوزده وندیک بکار کیسی دخی تونس
اهالیلریله بو گونه سن نظر لری اوله هر

uente
lei, vi
egia,
ce
nen
e coll
una in
e gli
mo di
vicina;
funerini

شرط الرابع والعشرون

ويؤدى مكره برسيايله افساد صلح مراد ايدى و دستلغه خلل ويره اسوده رويت ائمه
وصلح كاكاد باقى اوله ونظام ويريله كرك ونديكده و كرك طرفزون ديوقول و شرط
اولمشدر و حقى اولاندر حقيقى مطلوب ايدى لوقا حجت صاحبى دخی حاكم معرفتيله تاديب
اولنده و فى الواقع بينه ماده دستلغه بر كدر اولور ايسه مابستغره دستلغه تجديد و تمشيت
ويريك ايچون سكرائى وعدده وضع ايدى لرايشدر نظام و تمشيت ويرنجده و ثبوت وعدده
مذكوره ده طرفزون و طره اخرون عداوت و فساد صلح مطلوب ائمه لرعهده يمه
واقف و ثابت اولنجده و ديوقول اولدى و بعده سكرائى دن مكره حق و باطل ثابت
اولدره حق صاحبده حق و بيدلر و اگر فتح صلح تحقيق اولور ايسه تونده مقيم
ونديك قونسلوسى و كرك ونديك جمهورى طائفه سنه امان و ميرلوب ماليله
مطلوب ايلدى كى ملكه كيدى لر و بر كسنه تعرض ائمه و ديوقول اولمشدر و بالاده
اولشان سكرائى وعدده ابتدا سى اول زمانده اولاكه بينه ماده ظهور ايدى هر نه ايسه
طرفزون و نديك بلكر بكيسته خبر و اعلام ايلد كرك مكره وعدده مذكور حساب
اولنده و كرك ونديك بلكر بكيستى طرفزون دخی بر شى ظهور ايدى ايسه اول دخی
دو تنلور شائى مشا رايله حضرت لر نه اخيار دن سكره مدت مذكور حساب
اولنده ديور بينه ماده قول و شرط اولمشدر و صلح فسخ اولور تونده مقيم و نديك
طائفه سى ماليله امن و امان اير ديه دوى بر كسنه تعرض اولمشدر و قونسلوسيه دخی
مسائل ايج عمل ائمه و نديك حاكمى اولار ديه

Articolo Cigesimo Quarto

Quello viene stabilito ed presente ultimo Articolo si è

Se in avvenire auderà cosa contraria a questa conluza, qualunque parte succederà un simile concerto, non offenderà, nè avrà il corpo della pace stessa, nè disturberà la reciproca amicizia, due Nazioni; ma la parte offesa qualunque sarà riceverà rugga alia, dovendo li sudditi, che saranno riconosciuti li veri contrasse puniti; ma se mai accade che non potesse essere conciliata volmente qualunque dipartita che insorgere potesse, in tal caso sarà il tempo di mesi otto per combinare se sia possibile la questione, e se la ricercata soddisfazione, non potendo nè la una parte, nè l'altra essere usata qualsivoglia ostilità, ne rotta la pace, prima dello spirar di mesi otto, contati dal momento che la parte offesa avrà notificata all'altra le sue ragioni, e pretese. Quella nella circostanza di non rottura avrà il consolo Veneto in Danigi, come pure ogni suddito Serenissima Repubblica nello stesso Stato esistente la libertà di starsi da qualunque offesa, e danno; potendo portar seco loro tutto ad essi appartenente; e le ragioni dei Danigiani esistenti nello Stato di U.

Il presente Trattato di pace ratificato dal Serenissimo Li. di Venezia dovrà essere uneso al felice Assemblée Capra e da Danigi dentro il periodo di mesi quattro e più combinati.

دعوت برونی

ذکر اولنامه عهد و شروط موالات و مصافاته صکر و دخی بینهاد کتر
و قتل یعنی ایام محاربه ده اسیر و لاده و نیکو لری کیرویه رد اولندی و نیکو
اسیر ایلد کتری ممان لری کیرویه رد اولندی و خصوص فرد طرفینده قتل اولمشد
بر اقله و برجیه و یرمک شرطیه و اگر ذکر اولنامه کتر وقتله بر اسیر ایلده یه
فروخت اولمشد ایله خلاصیچون جمد اولنوب کیرویه رد ایله لر بر اقله و برجیه
طرفینده النیه دیو قول و شرط اولندی

خاتمت کتاب بهاد و شرط و کتبا و لنامه تجدید عقد صلح و صلاح ایچره و نیک
بکری طرفینده حاله محروسته تونس او جاعی و الیسی و ما کیم و نیکو و سعاد تو عنایتلو
همد پاشا شایر الله له من الخیر ما یرید و ما یشاء حضرت علیه و آله و تحجید میانی
موالات و تشید اساس مصالحات ایچون و نیک بکر بکلیری قدوة اماثل ملة المسیحیه
تومان تو ندر نام قوما مذاقی وکیل و مرخص تعیین و توکیل اتمد یله محب الوکاله
تجدید صلح و صلاح احوال بعد الکالمه اتمام و ثبت و قید صحیفه عهد نامه
طرفینده مقول بد اولد یغیر بین منضی و عهد و مخوم سندات طرفینده اخذ و اعطا
اولمخله جانبینده مرغی و معتبر تو تیلو بخله فزون اتقا و مجابنت اولنده
تجدید ایوم السابغ و الحشر من شهر رمضان المعظم سنه ۱۰۶۶



Si dichiara, che tutti li articoli del Trattato fatto fatto, che la restit
cipioia dei Schiavi è seguita senza ingratitudine di parte colla obbligazio
curare con tutto l'impegno di ritirare da qualunque altro Reale ogni
che potesse essere stato preso in tempo di guerra, onde anche lui
libertà senza esborso alcuno.

Questa è la conclusione di ogni Trattato fatto fatto in questa nuova
vesta ben legata con una costante amicizia con il Principe di Venezia
del felice Aknada Kapà Bey di Janigi, e per parte della Serenissima
Repubblica di Venezia dall'appositamente spedito eccellentissimo Al
lommago Condulmer, che ha eliminato quanto ha smandato nelle
suepropi e così è restato il tutto combinato, venendo firmate, e
a tutte due le parti le presenti capitolarioni, delle quali ogni p
la sua copia, onde sempre per regola in avvenire al mont
della Kapà Bey. Fatto il giorno ventisette della Luna Samat
anno mille duecento sei.

Ulei Lommago seniores Ammirante delle Flotte della Serenissima
Repubblica di Venezia, notabilmente con onore e facoltà conferitavi
Unato, abbiamo convenuto, facilitati, e seguiti gli affari del pr
tato di pace, e amicizia, tra la medesima Serenissima Repubblica
Akmanada Kapà Bey di Janigi.

Stata fatta sopra per il in luogo di carta d'acqua.

مضمون بعض بنود معاهدة 18 ماي 1792م: والتي تتكون من 24 بنداً⁽¹⁾:

- 1- أُرسي سلام ثابت وصادق بين جمهورية البندقية وأراضيها وسفنها سواء المسلحة أو غير المسلحة وصاحب السعادة حمودة باشا باي تونس وبلدانه وأسطوله، ولهذا وفي كل الحالات لا يجب من هذا الجانب أو ذاك، أن يقع إزعاج أو الإضرار برعايا الجانبين في أشخاصهم وأموالهم وحریتهم .
- 6- يجب تفضيل البندقية في التجارة مع تونس، ولا تفرض أية ضرائب على البضائع التي تحملها السفن البندقية، وإن فرضت فلا تتعدى ما تدفعه الدول الأوربية ذات الامتيازات في الصادرات التونسية، ولا تدفع السفن البندقية حق الرسو في الموانئ التونسية؛ سوى اثنا عشر ريالاً.
- 13- لا يسمح للجزائريين والطرابلسيين، واهل سلا وغيرهم، أن يجلبوا إلى تونس سفناً تعود إلى البندقية، أو بضائعها وأمتعتها، أو رعاياها، ونفس الأمر ينطبق على تونس في موانئ الجمهورية .
- 14- لا يمنع القراصنة البنادقة من بيع أية غنائم أو أملاك في أي مكان من تونس، بشرط أن لا تكون أخذت من مسلمين، كما أن السفن الحربية لا تدفع أية ضرائب عند نزولها في الموانئ التونسية، من أجل التزود بالمؤن وبالسعر الجاري دون زيادة .
- 21- بإمكان القنصل البندقي أن يزور دولة تونس بكل أمن وطمأنينة، ولا يلحق أحد الضرر بشخصه أو أمتعته، وبإمكانه أن يستخدم مترجماً، وله الحق في ممارسة دينه في داره الخاصة، وكما هو متفق عليه، فإن القنصل البندقي يستقبله الباي والديوان عند تعيينه، ولا يطالب بأي هدية عند تنصيبه، كما لا تخضع حاجياته من الغذاء واللباس إلى أية رسوم أو ضرائب .
- 23- إن السفن الحربية أو القرصنية التونسية لا يمكنها الدخول إلى خليج البندقية لممارسة القرصنة، ولا يستطيعون ممارسة القرصنة، إلا على بعد ثلاثين ميلاً من السواحل البندقية، وفي المقابل فإن السفن المسلحة البندقية، لا تقوم بالقرصنة إزاء الأصدقاء بتونس، في حدود ثلاثين ميلاً من مياهها .
- 24- إذا حصل في المستقبل ما يناهز ويعكر من أي طرف من معاهدة السلم، فإن ذلك لا يضر ولا يقف العمل بالمعاهدة نفسها، غير أن الطرف المتضرر مهما كان بإمكانه البحث لدى الطرف الآخر عن السبب. غير أنه إذا لم يقع التوصل ودياً إلى المصالحة، تعطى ثمانية أشهر قصد التوصل إلى مصالحة ممكنة. وفي حالة حدوث قطيعة جديدة، فإن القنصل البندقي بتونس، والرعايا البندقيين يمكنهم الخروج من تونس سالمين من أي ضرر أو أذى، وهو ما ينطبق على التونسيين الموجودين بدولة البندقية .

⁽¹⁾ أنظر: عبد الحليل التميمي: دراسات ووثائق في التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص ص 134-150 .

الملحق رقم 05 : القرصنة التونسية ضد نابولي (1):

في سنة ألف ومائتين وعشرة عجزنا سفينتين من السفن
القرصانية الموجودة في غار الملح الترساة العمورة من ترسانة
أوجاقنا المضروكة الأولى بقرننج (خفاف) وتسمى بقرلا
سليمان والثانية تعرف بشباك الفانيز وعندما حصل المراد
لغز الجراد في سبيل رب العباد عجزنا سفينة قرننج بأربعة و
عشرون قطعة مدفع ومائة وستون نفر من خير الشجعان
وأودعناها لأحد رؤسائنا أوجاقنا المضروكة قدوة للرؤساء
والمجاهدين محمد رئيس الرومالي وعجزنا كذلك سفينة شباك
بستة عشر مدفع وبمائة وثلاثون من شجعان الإخوان
وأودعناها لمعرفة مدرك مصطفى رئيس ومن بعد أشكال
الآلات والادوات القضائية وترتيب اللوازم المخططة لجميع القوارب
فيما السفينتين المذكورتين لإبطاء الإقامة من مرسى حلق الوادي
فملا ذيل الحجة من سنة الزبورة وبادرا للسير في البحار متولين
على العزيز الجبار وعندما كانا في غاية ما يكون من الغيرة والندمة
على أخذ الانتقام من العدو تصادفنا بعد يومين في بعد ثلاثين
ميلا من ساحل جزيرة نابولتان مع أربعة سفن من طائفة
قوربان نابولتان التي هي عادة أوجاقنا المضروكة السفينتين
مع وقوع هذا تصادف اجتماعا

الرئيسين المجاهدين وتذكر على تذاوير الحاربة وبعدها تقرر
القرار القطعي ببقاء لا سائر المجاهدين الذين بحسب تخلفهم
والحمية وكان الشجاعة ما حصل عندهم ولا تردد لحظة وحللا
الحال بادروا جميعا للحرب والقتال ووقعنا رهش المجاهد
على السفن المبحوثة التي من شدة الرماية في مدة خمسة
ونصف عادة كالغزال وعندما تجلت المفردة في جانبنا
تقرب عمدة الرؤساء المستعطفين وقدوة الغيرة والمجاهد
رئيس الموحديين بسفينة القراننج من سفينة تسمى
وتجارية وعشرين مدفع كبير وحين ما أدركها
قارط على والي عثمان وأضر على الأحمدي في طاش كوبر
عثمان وطربزونلي لأزغلي أي أربعة رجال من شجعان
ومن بعد قتال بجري عن وصد حول الدسان خبطوا إلى
المذكور أمام من حصص الثلاثة السفن الأخرى تركبوا عارا
لعدم مقاومتهم لشدة مهاجمات المجاهدين وبحسب الحال
النظر عن تعقيبهم في هذا القتال العظيم حرج سبعة
مجاهد من سفينة محمد رئيس وخمسة عشر نفر من
مصطفى رئيس واستشهد خمسة عشر نفر من القراننج
ما المشاك وأما المشاك المضروب المحتوي على ما

(1) الصندوق رقم : 186 ، الملف رقم : 1055 مكر ، الأرشيف الوطني التونسي .

4
واسر الباق ووضعت في السبيل والادخل من بعد هذه
التجليات الهية عاود السفينتين المظفرتين المرسى حلق العادي
وعند ما الرئيسين المجاهدين وردا لتقبيل اياديا حائلين البشا
الساة سجدنا لله تعالى شكرا وصرف النظر عن لزوم تلبية
او استئناس المجاهدين حيث كونه معنى جائل في درجة الوجوه
اعطينا احسانا الاحمد شمس قبوه كامل بجماعة كاملة بالشك
وسكنية كبيرة مذهبة بجماعة ذهب وكسوة مكملة واسيرين
والامصطفى شمس كذلك قبوه وكسوة مكملة واسيرين و
كل من الاربعة اشخاص المتقدم اسمهم اسير واحد وكاد
المجموع العطايا الى المجاهدين والمجروحين والرؤساء والاضياء
والمبشرين وغيرهم من حيث النقده ستة عشر الف ريال
الذي ترك الجميع غريق في العطايا العظما والمسرور الكبر
حسب ظهور هذه النعم التي ما وقعت من عهد بعيد في احوالنا
وتجليا في زمان الفقير حمدنا الله تعالى حمدا كثيرا وقديرا
هنا من قبل تحديث النعم

لازمت الرقعة الاولى

مضمون الوثيقة رقم 05⁽¹⁾:

في سنة 1795م تم تجهيز سفينتين من السفن القرصانية الموجودة بميناء غار الملح، الأولى من نوع (خطاف)، وتسمى بقرة سليمان، والثانية تعرف بشباك الفرائنجيز، وقد خرجت السفينتين تحت قيادة: الأولى محمد ريس الرومايلي مجهزة بأربعة وعشرون مدفعا، وبها مائة وستون رجلا، والثانية بقيادة مصطفى ريس ومجهزة بستة عشر مدفعا، وبها مائة وثلاثون رجلا، وبعد يومين على خروجهما، وعلى بعد ثلاثون ميلا من ساحل جزيرة نابولي، تصادمت مع أربعة سفن قرصانية نابوليتانية، وبعد قتال بين الطرفين كانت الغلبة في الأخير للتونسيين؛ حيث غنموا السفن النابوليتانية بالرغم من بعض الخسائر، التي لحقت بهم، وتم جلبها إلى تونس.

(1) من إعداد الطالب الباحث: الشافعي درويش.

الملحق رقم: 06 نموذج من مراسلات بين حاكم مالطة وحمودة باشا⁽¹⁾:

Eccellenza

١٨٠٠
١

Referendo al Commercio di qualunque altro Paese quello della
Barberia, ed in modo speciale quello di Tunisi, ove presiede l'E.V.; spedisco
espressamente il portatore Salvatore Fatt per provvedere tre, o quattro Carichi
di grano per quest'Isola; il prezzo de quali sarà puntualmente da me stesso
pagato appena arrivati in Malta il Carico; Prego perciò l'E.V. se mai non
ha di piacere distinguere con me, e con quest'Isola un ampio commercio; com-
piacersi agevolare nella miglior maniera la riuscita di tal mio desiderio; spero
che allata l'amicizia tra la Gran Bretagna, e la Principi della Barberia,
e specialmente l'E.V. non vorrà negarmi il favore; Quale servirà per un
nuovo contro segno della bontà, che ha sempre verso me mostrata, ed accrescerà
in me il dovere di protestarmi.

Di V. Eccel.

Malta li 4. Ottobre 1800.

Si E.
Si E.
Tunisi

Umilmo e devoto Servo
Alessandro Ball

الأدب الوطني

مضمون الوثيقة: مراسلة بين حاكم مالطة فكتور فن وحمودة باشا تتعلق بقضايا تجارية في 4 أكتوبر
من سنة 1800 م.

⁽¹⁾ الصندوق رقم : 224 ، الملف رقم : 001 ، الأرشيف الوطني التونسي .

الملحق رقم 07 : بعض بنود معاهدة 16 ديسمبر 1710م بين تونس وفرنسا (1):

(مقدمة)

من أجل تحرير شروط وموافقة لشروط المباشرة فليست
أقلًا فبطان جرفا لجنه وكمنرت عمارة مراكب فيس
البرنيسيس التي تلحق بالبريد (نفاذ من باذن من انبلور ودراسة
لما في بيما ينز المنزلة للذوور وينز انبلور باي داي ديوران
واعة الانقشاريه وكلمه مرفقة تونس

الشركة الأولى

جميع الشركات والمواصفة وما يليه بعد هذا المرفوع في كل
السلطان (العمارة) بران واسملا فيه وما يليه بعد يكونوا
مستقيمين ومتكئين ومتفق عليهم مع بشور ودراسة
للسلطان (العمارة) بالخصوص والصلح وراحة (العبد
والعبد) للبرنيسيس في كل انشا فوافو عليه كمنلا ولا يكون
فيه تبعه يال ولا تغير من الجانين ودراسة وتونس

الشركة الثانية

جميع مراكب فرطان (التونس) التي هي من ممتلكات تونس
وساير ممتلكات (التونس) (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
البرنيسيس وبدا بصحت من ارضه لال برنيسيس (البرنيسيس)
يصله (البرنيسيس) (الشركة) يكون مسرعا في سيم يذهب
حيث شاء ولا يتعذر له احد وانما في (البرنيسيس) (البرنيسيس)
لشيه (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
سماير كج مبدلا (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
من البرنيسيس (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
البرنيسيس (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
يكون يحمل مراكب (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
ويكون يبرز اسر (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
فمنظر (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
آخر (الشركة)

لا تعقب له منة التوسني

الشركة الثالثة

جميع مراكب (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
البرنيسيس (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
والجملية (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
ويكون في جميع ممتلكات جوفه من ارضه شغوفه مثل حبل
وممات وما تلو ومشروب ويودون عفة بالتميز الجاري (العبد)
من (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
البرنيسيس (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)

الشركة الرابعة

ان (التونس) (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
وذلك عليه (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
وغيره (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
عنهم من (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
البرنيسيس (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
سماير مراكب (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
البرنيسيس (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)

الشركة الخامسة

جميع (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
يكونوا في (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
مراكب (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
هم في (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
سماير (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
ان (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
في (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
مع (البرنيسيس)

الشركة السادسة

ان (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
راي (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
ولوان (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)
البرنيسيس (البرنيسيس) (البرنيسيس) (البرنيسيس)

(1) الصندوق رقم : 204 ، الملف رقم : 58 ، الأرشيف الوطني التونسي .

الشرك الرابع عشر

انما هو الكيم وجميع انبياء حيز الزير يا قون لتونس من
جنس كانوا يكونوا تحت حماية ومراعات فضل التبر تسييس
وانهم في رعايا التبر تسييس تحت حمايته واما جنس الايقري
عليهم احري فيكم والاما احري عليهم سبيل لا في برنهم واما انهم
انما حيز في ديون تونر الفصل عليهم حمايتهم وتسييس

الشرك الخامس عشر

الفصل بجزر ان بصر اني حمانه وسمساره اذ لم يلبسوا به
من غير معارض له ولا احتاج لادان من طرفه (البروله وله ان يعل
تسجن ابيض كالباب داره وكرانك في جلوسه لا ابر حير
ركوب (البحر صوبه اصبانك) او غيرهما من غير ما عولته ايتها

الشرك السادس عشر

اذا دفتت ملاحة من مسلم في اوعى مع رجل من تسييس
ما يكون الخم واما انما تسييس (البحر) ديوان باي وادي
وفصل التبر تسييس

الشرك السابع عشر

ما يملك فضل التبر تسييس في دينه تاجر من تسييس الا
يكون في طبره وباسمه واما الفصل بجمع تحت (البحر) (البحر)
(البحر تسييس) حرمه تحت بركة عذمة وارشيه (البحر) عليه
حق وكذا لم عمل (البحر) في وارشيه

الشرك الثامن عشر

الفصل يكون سرها في جميع طابقيه من بلاد من ماحول
ومشروب ومن سلع لازمة لدار

الشرك التاسع عشر

كل من تسييس في مسلم في اوعى لا يملك فيه (البحر) (البحر)
الفصل وصفه لاجل الترامعة واما (البحر) (البحر) لا يملك
به الفصل واما (البحر) (البحر) مركب كركه واما (البحر) (البحر)
مركب تاجر بارفان فان لم يملك ان يملكه ويملك من فصله
البحرانه في صوبه

الشرك العاشر

اذا وقعت معارضه بعد تونر (الشرك) لا توقع فيه (البحر) (البحر)
البحر (البحر) (البحر)

الشرك الحادي والعشرون

اذا كان في طرقت تونر (البحر) (البحر) (البحر)
صوبه من غير عيب في مركب تاجر من تسييس في (البحر) (البحر)
تونس صوبه عليه عيب في (البحر) يكون الخم فيهم (البحر) (البحر)
والزير بجزر (البحر) (البحر) يكون ضامنا وهو (البحر) (البحر)

الشرك الثاني والعشرون

ان كانت قلة (الشرك) (البحر) على ير سبور (البحر)
بامر من (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)
ديوان تونر (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)
تشيد (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)
رجيع (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)
في (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)
في مرقه (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)

الشرك الثالث والعشرون

لما تلت مركب في تونر من تسييس (البحر) (البحر) (البحر)
(البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)
على قدر مقامه وتم مرمع زاييد (البحر) (البحر) (البحر)
وفروا بملكو (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)
وكذا (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)
(البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)

الشرك الرابع والعشرون

لما جازي لا يقع القلع والحد (البحر) (البحر) (البحر)
داخل الحقت يرا (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر) (البحر)
وختم كبار اهل البلاد

مضمون بعض بنود معاهدة 16 ديسمبر 1710م: تتكون المعاهدة من 25 بندا⁽¹⁾:

- 2-** عند التقاء السفن الحربية التونسية في السواحل التونسية ،أو في البحر بالسفن البحرية الفرنسية ، يتم استظهار جوازات السفر المسلمة من قائد البحرية الفرنسية ،وبالمثل بالنسبة للسفن التونسية تستظهر جوازات السفر المسلمة من طرف القنصل الفرنسي بتونس .
- 3-** يحق للسفن الحربية والتجارية لكل من فرنسا وتونس ،التوقف في موانئ الطرفين ،وكل أنواع المساعدة والحماية ،وشرء المؤونة والأشياء الضرورية بأثمان مناسبة .
- 4-** اذا تعرضت سفن تجارية فرنسية في السواحل أو الموانئ التونسية ،لاعتداء من طرف سفن عدوة لها ،تحميها المدفعية التونسية ،ونفس المعاملة التونسية في فرنسا .
- 7-** ضرورة إغاثة كل سفينة فرنسية ،مشرفة على الغرق لجأت إلى الشواطئ التونسية ،أو متابعة من طرف العدو .ولا يتم الدفع على البضائع التي نقلت من السفينة ،ولا يقع بيعها أو فرض أي رسم أو ضريبة عليها ،ونفس المعاملة بالنسبة لرعايا الجمهورية الفرنسية .
- 8-** حددت قيمة الرسوم المفروضة على السفن التجارية الفرنسية في الموانئ التونسية ،والتي قدرت بخمسة وعشرين ريال للسفينة ، وخمسة ريالات تدفع للحراس الانكشارية .
- 10-** جميع التجار الفرنسيون الذين يأتون إلى الإيالة التونسية ،يبيعون ويشترون كل السلع بحرية ،ولا يدفعون سوى 03 بالمائة من الرسوم .
- 13-** يعرئ القنصل الفرنسي مصالح التجار الفرنسيين ،وله كل الحرية في ممارسة الشعائر الدينية المسيحية في بيته ،وكذا بالنسبة للرعايا الفرنسيين ،والدفاع عنهم عند حدوث الخصومات في تونس . وللرعايا التونسيين الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية في بيوتهم في فرنسا .
- 21-** يقع تحميل المسؤولية لكل قرصان فرنسي أو تونسي ،قد يحدث ضررا لسفن البلد الآخر وقراصنته.
- 22-** كما تقرر منح مهلة ثلاثة أشهر في حالة قطع العلاقات الدبلوماسية للقنصل الفرنسي لينسحب بحرية ،إلى أي مكان يختاره بحرية .
- 23-** عند قدوم سفينة حربية فرنسية للموانئ التونسية تتم تحيتها بعدد من طلقات المدافع مقارنة مع بقية الأمم الأخرى ،ونفس التحية عند التقاء سفن الطرفين في البحر .

⁽¹⁾ تعريب الطالب الباحث: الشافعي درويش .

الملحق رقم 08 بعض بنود معاهدة 24 جوان 1781م بين تونس وفرنسا : ⁽¹⁾

سبب تحرير كتاب وجوب طبر خطابه

امير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العز والوجوه المحض منبر عنايت
للملك الوعلى حلا ومجبة تونس واجتبا بكم بكم على ايشا ايسر الله ما يريد وما يشاء ويرزق
وقت وزمان سعادته التزم صيد مرجان خضوي باين بلود افرقيه نك فرائجه بلك تجار
شرط وانفاقه او غلوز مصافي حواجه بدينه بكتاب مستطاب ذكر وبيان له

شع اول

بحر بلود افرقيه نك فرائجه بلك تجاري حقن بهر نه اون اوج ملك بشيوز وبال تونسبه
او اري طيله مملك تونس صولرين عدا خمس طبرقه اظهندن برو مملك طبر لحدوديه دكن
جانب دومت تونسبه ون اذن واجازت له نشدرو ومبلغ مكرودي بهر نه بالتمام والكمال
او وتسليم او لشدرون صكن تجار فخرودرون عوايد بهائيله جبهه زياحه طلب له

⁽¹⁾ الصندوق رقم : 238 ، الملف رقم : 550 ، الأرشيف الوطني التونسي .

Traité pour le Privilege de la Pêche du Corail -
conclu entre la Compagnie Royale d'Afrique,
et son Excellence le tres illustre, et le tres Magnifi-
que Ali Pacha, Bey de Tunis par la mediation
de Mustapha Beya son fils bien aimé.

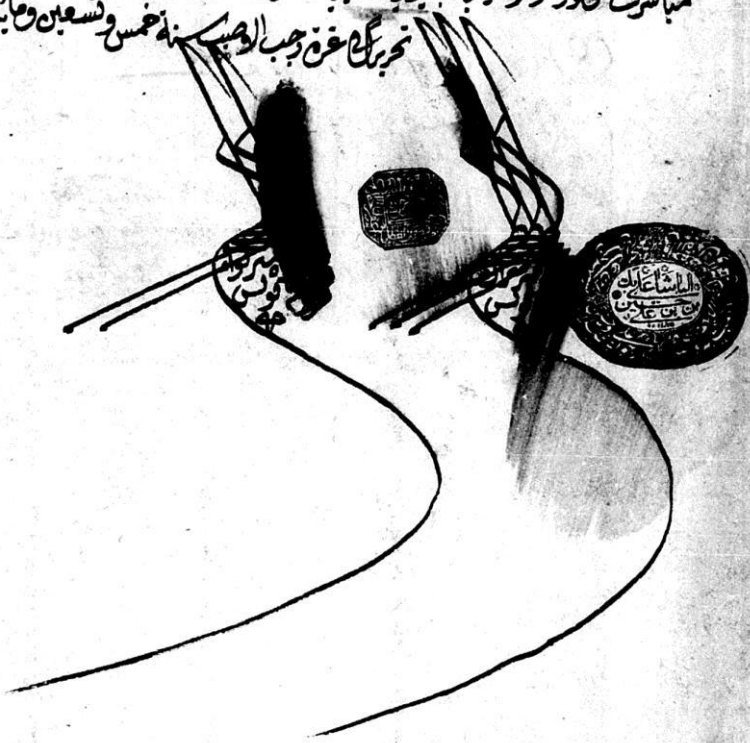
Article premier.

La Compagnie Royale d'Afrique jouira du privilege
exclusif de la Pêche du Corail dans toutes les mers du
royaume de Tunis depuis Cartarque comprise, jusqu'aux
confins de Tripoly, en payant annuellement ce Gouverne-
ment Treize mille et Cinq Cent Scastres de Tunis, Elle ne
sera tenue en sus a aucune autre Espece de present
ni de Donative.

شروط قديم

شرط العاشر

وصيد جانك الذي يابنك طور اوله قود وشرطه فوس محبة لمرمقهم فرائجه بالبور
وساكنه جانينك فابنك سجون كب وحررا لهن منكر فرائجه بكنك تجار لربك جوبانه دين
انظار الحسنه قول وقرار لهن اكر تجار منكر دون فرائجه دولينك رضا سبله فوس دولي
جانبك وخصت وحن فندان عاكر لري قبول ابر رسه موجهه عمل وديك لري وقت واعدن
مباشرة اوله واول فرائجه بالبور ينك بینه طرفه ون وري لهن بوجه شرفه شق لهن ابطال اوله
تجربك غرق حب الوحيه نه خمس وتسعين ومايز والف

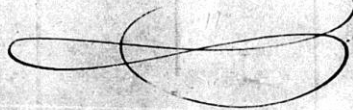


Article Dixieme

Les articles de ce present traite pour le privilege exclusif de la peche du Corail ont été accordés a la sollicitation du Consul del'Empereur de France resident a Tunis, pour le bien et la convenance des deux parties contractantes, et il a été décidé qu'ils resteront en suspens jusqu'à la reponse de la Compagnie Royale d'Afrique. Si elle les accepte toute fois avec l'autorisation de la Cour de France, ils seront mis en execution selon leur forme, et teneur, et la susdite Compagnie sera la maîtresse de commencer a l'heure et au moment qu'elle voudra, et dans le cas contraire, le present traite remis au Consul del'Empereur de France sera regardé comme non avenue.

Fait et arrêté le premier de Régeb del' -
an del' Hegire 1198, qui revient au 24 juin 1781.

Du Rocher.



مضمون بعض بنود معاهدة 24 جوان 1781م :تتكون المعاهدة من عشرة بنود وهي كالتالي ⁽¹⁾:

- 1- تتمتع الشركة الملكية الإفريقية باحتكار امتياز صيد المرجان في السواحل التونسية من طبرقة وحتى طرابلس ،مقابل مبلغ ثلاثة عشر وخمسمائة ريال تدفع سنويا للحكومة التونسية .
- 2- تحتفظ الشركة الإفريقية باحتكار امتياز صيد المرجان لمدة ست سنوات متتالية .وفي حالة نزع الامتياز عنها لا يلحقها بأي تعويضات ،وفي حالة ارتياح الشركة بالاحتفاظ بالامتياز لمدة الست سنوات وقررت الاستمرار فيه تعقد اتفاقية جديدة تمكنها من عشر سنوات أخرى .
- 3- من أجل استغلال المرجان يسمح للشركة الإفريقية ؛بإنشاء مراكز تجارية ،ومنازل ومخازن .
- 4- يتمتع عمال الشركة الإفريقية بالحرية في المؤسسة فلا يخضعون إلا للقنصل ،وبحرية ممارسة شعائهم الدينية داخل مراكز الشركة .
- 5- في حالة وقوع نزاع بين أحد المسلمين وعمال الشركة الإفريقية أو من الأفراد التابعين لخدمتها ، فإنه تتم محاكمتهم من طرف الباي وبوساطة القنصل الفرنسي .
- 6- الحكومة التونسية ملزمة بحماية السفن والبحارة المتخصصين في صيد المرجان ،كما يجب عليها تقديم المساعدة لهم في حالة تعرضهم للعطب ،بدون أن يدفعوا رسوم على الرسو في الموانئ التونسية .
- 7- لا تفرض أية رسوم على المرجان الموجود في مخازن الشركة الإفريقية ،ولا عند دخول السفن أو عند خروجها ،ولا على المستلزمات والبضائع التي يتم جلبها من فرنسا كالخمر ،ولا على التي يتم شراؤها من أسواق الإيالة .
- 8- لا يتم التعرض لسفن صيد المرجان التابعة للشركة في الموانئ التونسية ،ويسمح لها بشراء المستلزمات الضرورية ،ولا تضايق أو تفرض عليها أية رسوم على الرسو .

⁽¹⁾ تعريب الطالب الباحث: الشافعي درويش .

الملحق رقم 09 : بعض بنود معاهدة 08 اكتوبر 1782 م بين تونس وفرنسا : (1)

بسم الله تعالى
Treaté Pour le Privilege exclusif
de la Pêche du Corail Conclu entre
La Compagnie Royale d'Afrique
Et Son Excellence le très illustre
Et très magnifiqué Kamoued
Pacha Beyler Bey d'Alger
de Tunis par l'Intermediaire
de Moustapha Cogea son fils
son ami.
سبب تحریر کتاب و موجب خطابه
امیر الومراء الکرام کبر الکبراء الفخام ذوالقدر و الاحکام
صاحب الغزوات و الحشم المخلص حمید بن عیسیٰ بن علی بن
حمید بن فونس و جاعینک بکربن حمید بن علی بن علی بن
ما یرید و ما یبشأ حضرتینک وقف و زمان سعادتینک واقع
غریز او غول لرینک مطفی خواجه یدیه الترام صید و جان
خصی باندن کومبانیة افریقیة تعبیر لغیر غیر استیجاد
لرینک مشروط و اتفاق لغیر منبکتاب خطایین ذکر
و بیان لغیر

مصادرة لبرمت بین
حصود

(4)

238 ملف 550

1

(1) الصندوق رقم : 238 ، الملف رقم 550 ، الأرشيف الوطني التونسي .

Article Premier

شروط اول

La Compagnie Royale d'Afrique
jouira du Privilege exclusif de
la Pêche du Corail dans toutes les
Mers de Tunis depuis Tabarques —
Comprise, jusqu'aux Confins
du Royaume de Tripoly en Payant
annuellement à ce Gouvernement
une rédemption de trois mille
Cinq Cent Piastres, Monnaie de
Tunis, dont six mille sept cent
Cinquante seront comptés six
mois après le point ou commencera
la Pêche et le restant à la fin
de l'année. en Conséquens la
Compagnie Royale d'Afrique —
après avoir Payé en deux fois,
après l'expiration de chaque
Semestre, la somme cy dessus
spécifiée de trois mille cinq
Cent Piastres Monnaie de Tunis —
Ne sera tenu en sus à aucun
autre loyer de Présents ni de
Donations sous quelque Prétexte
qu'il soit.

کومپانیة افريقية تعبير لحد فرمیه تجارینک حقیقت
برکنده اون اوج بیک بنیوز دیال تونسیه ادا وری طلبه
مملکت تونس صولزیه عد لغشی طبرق اطلس کنده بر
مملکت طرابلس مدو دینه ویکه جنب ویکه تونسیه در
مرجان صید امتسند اذن و اجازت لکنند و صید و
مباشرت لغش یغی کونون النی ای مروندن مکن مبلغ
فکر کن یارسی که النی بیک بیری یوز الی دیال ابد
فقط ویریوب باقی قلو نصفی سنه تمامند ادا
وسیم لحد بنا علیه ذکر افغان اون اوج بیک بنیوز
دیال تونسیه بی برجه موعجل برکنده باکم و الکمال
اتفاق و زده ادا و تسلیم لغش مکن تجار و فرزند و
عواید بهانه سبله برجه و زیاده سنه طلب لغش

Article onzième

L'époque fixée pour l'exploitation
de ce Privilège sera différée jusqu'au terme
de huit mois Lunaires à Compter de
la Date du présent Traité, mais à
Condition qu'à cette époque Commencera
la rédevance annuelle fixée
par ce Traité, soit que la Pêche du
Corail ait lieu, soit qu'elle soit
encore différée.

شرط الحادي عشر

ذكر ان صيد مرجان مقول الزمان مباشر
ومبداً من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠٠
لكن بشرط ان يكون صيد مرجان
مباشراً للورد، ياخود افكاره من الزمان بان
بالله حرم اورد مبعوث كوميته اقرقبة تجار لبنان
حساب للورد اورد اورد كلود

Article Douzième

Les articles de ce Présent Traité -
pour le Privilège la cession de la Pêche
du Corail ont été négociés et arrêtés -
par l'Intermédiaire de Notre Ami
Dul Rochoy Cousin de l'Empereur -
de France Résident à Tunis, et
Suffisamment muni des Pouvoirs de
sa Cour à cet effet, et il en a été
remise une Copie authentique entre
les Mains de la Compagnie Royale
d'Afrique, pour qu'il soit la suite
fidèlement et exactement par
les Parties Contractantes selon la
forme des tenues.

الشرط الثاني عشر

صيد مرجان الذي التزمه بانين باله
قيود وشروطي قوس محمد بن مقيم
نام فرانجه بالبورنيك وساطة
رضاسي مفضله كيت ومحرر لورد كوميته اقرقبة
فرانسس تجار لبنان يد ربة ربة ربة
لورد كوميته مفضله ومحرر لورد كوميته اقرقبة
محرر لورد كوميته مفضله ومحرر لورد كوميته اقرقبة

Fait et arrêté au Caire le
Premier de Zilkade l'an de l'égire -
mille Cent quatre vingt six.

Sauf la ratification de la
Compagnie Royale d'Afrique
au Caire, le 8^{me} 8^{bre} 1782.

Dul Rochoy



مضمون بعض بنود معاهدة 08 أكتوبر 1782م: تتكون المعاهدة من اثني عشر بنداً⁽¹⁾:

- 1- يحق للشركة الملكية الفرنسية احتكار صيد المرجان في المياه التونسية، بشرط أن تدفع الشركة مبلغاً مالياً قدره ثلاثة عشر وخمسمائة ريال لسلطات الإيالة .
- 2- تملك الشركة الملكية الإفريقية امتياز حق احتكار صيد المرجان لمدة ستة سنوات متتالية، ولها الحق بعد انتهاء هذه المدة في التخلي عن الامتياز، إذا لم تحقق الأرباح المرجوة . كما يمكنها تجديد الامتياز عن طريق اتفاقية جديدة لمدة عشر سنوات .
- 4- يتمتع عمال الشركة الملكية الإفريقية بكل الأمن والهدوء في الأماكن التابعة لمؤسستهم، ونفس الامتيازات الممنوحة للقنصل الفرنسي بتونس، كحرية ممارسة الشعائر الدينية المسيحية في بيوتهم .
- 6- تتعهد الحكومة التونسية بتوفير الحماية للسفن والبحارة المتخصصين في صيد المرجان، في كل المياه المحتلة من طرف الشركة الملكية الإفريقية لصيد المرجان .
- 7- لا تفرض أية رسوم على المرجان الذي يتم وضعه في مخازن الشركة الملكية الإفريقية، سواء أثناء الدخول، أو الخروج . ونفس الشيء بالنسبة لجميع العتاد والأدوات الضرورية للسفن، وكذلك الخمر والمؤونة، سواء القادمة من فرنسا، أو التي يتم شراؤها من المملكة، تعفى من كل حقوق الرسوم .
- 9- في حالة إزعاج أو تعنيف الشركة الملكية الإفريقية في استغلال امتيازها، من طرف بعض القوى الإسلامية، فالشركة تصبح حرة والمعاهدة الحالية ملغية وبدون مفعول، إلى غاية إعادة الانتفاع بالامتياز بحدوء وفق شروط المعاهدة الحالية .
- 10- في حالة وقوع حرب بين الإيالة التونسية فرنسا، تتعهد الحكومة التونسية بالحماية الكاملة للشركة الملكية الإفريقية، وتمنع عنها كل الضرر، وعن مؤسساتها، وعمالها، وبجارتها .
- 12- بنود هذه الاتفاقية من أجل امتياز احتكار صيد المرجان، والذي تفاوض وتقرر عن طريق وساطة السيد دي روشي قنصل فرنسا بتونس، ويسلم نسخة من الاتفاقية للشركة الملكية . تم التوقيع بقصر باردو بتاريخ الأول من ذي الحجة لسنة 1196هـ، الموافق للثامن من أكتوبر لسنة 1782م .

⁽¹⁾ تعريب الطالب الباحث: الشافعي درويش .

الملحق رقم 10 : بعض بنود معاهدة جوان 1790 م بين تونس وفرنسا ⁽¹⁾ :

بمنزلة

Nouveau Traité pour le privilège
exclusif de la Pêche du Corail, conclu
entre la Compagnie Royale d'Afrique et
son Excellence le très illustre et très
magnifique Hamouda Pacha Beyler
Bey de l'Algérie de Tunis par
l'entremise de Sidi El Hadj Moulapha
le plus cher de ses fils.

سبب تحرير كتاب وموجب طر خطاب اولدنه

اميرالو الكرام كبير الكبراء انقام ذوالقدر والامتنان
صلب الغر والمعتشام تختصر عناية الملوك الاعلى
حالهم في تونس واجا غنيك بكار بكسي حرمه باشا
يسر الله ما يريد وما يشاء حفظك منك وقت زمان
سعادتك وقب عزيز ومحترم او غوللر منك في مطفي
خولبه يدليه التزام صيد مرجان في كومانيه
افريقية تعبير اولنور قرانسر تجار لر ينك شرط واقفا قري
اشبو كتاب ستطابه ذكر وبيان اولنور

الارشيف الوطني التونسي

Article 1^{er}

La Compagnie Royale d'Afrique n'ayant
fait représenter qu'elle désirait renouveler
l'ancien traité pour la Pêche du Corail
aux mêmes conditions, nous y avons
consenti amicalement, et avons fait signer
en conséquence le nouveau traité, et approuvé
ce qui a été inséré de plus dans le troisième
article pour qu'on ait à y conformer.

شروط اول

كومانيه افريقية تعبير اولنور بوندن اقدم صيد مرجان
شروطي اتفاقر اوزده تجديديك ليجون عرض وبار
ايدكلر دن مقبول اولق اوزده دوستلغه بناء اشبو
تجديد اتفاقاري اولكك شرط اوزده تحرير وبيان اولنوري
واجب شرطه زياده اولك مادده في عناية اخف
عمل اولدنه

C:238
D:550 (5)

⁽¹⁾ الصندوق رقم : 238 ، الملف رقم 550 ، الارشيف الوطني التونسي .

Article 12^o

L'époque fixée pour l'exploitation de ce privilège sera différée jusqu'au terme de huit mois à compter de la date du présent traité, mais à condition que cette époque commencerait la redvance annuelle fixée par le présent traité, soit que le pêche du Corail ait lieu, soit qu'elle soit différée et le paiement n'en sera pas moins dû.

Les Archives Nationales
de Tunisie

شروط ثمانية عشر

ذكر اولان صيد مرجانه من مملكت الترابل مباحثون
ومبتدأ شي شوكا تا ينجدن سكرانية دكن تاخير اولون
لكن كيش طلبة كم طورا اولون تا ينجدن صيد مرجانه مباحث
اولون رايسته باخود اولون رايسته اشوالتزام باينده
بايوده محرد اولون مبلغ مقلاري كومبانية افريقه تجار ريد
ذمتن حساب اولون اداسي لوزم كلور

Article 13^o

Les articles de ce présent traité pour le privilège exclusif de la pêche du Corail ont été négociés et arrêtés par l'entremise de notre bon ami Platenau, Consul de l'Empereur de France, et suffisamment muni des pouvoirs nécessaires à cet effet, et il en a été remis une copie authentique entre les mains de la Compagnie Royale d'Afrique pour qu'il soit exécuté fidèlement et ponctuellement par les parties contractantes, selon la forme et teneur.

Fait et conclu au Grand dans le courant de la lune de Zilcade l'an de l'égire mil deux cent quatre, ce qui revient au mois de Juin de notre présente année mil sept cent quarante.

Sauf la ratification de la Compagnie Royale d'Afrique au Grand le
28. juillet 1790

Delapine de Platenau

Le Souverain Consul de l'Empereur de France en vertu de l'autorité de la Compagnie Royale d'Afrique a été chargé de négocier lesdits articles avec l'autorité locale et de les faire ratifier par la Compagnie Royale d'Afrique, ce qui a été fait le 28. juillet 1790.

Delapine de Platenau

شروط ثمانية عشر

صيد مرجانك الترابل باينده بايوده موطور اولون قيود اولون
تونس محبة دهم مقيم اولون دوتزوه شاطونف نام فرانجه
بالبورينك وساطينه فرانجه دولسك رضايي مقصده
كتب وخر اولون كومبانية افريقه فرانسير تجار ريدك
يدلرنيه اشو حجة شريفه تريم اولونشدر كيه طرفيدت
مرعي ومقبوط اولون مضموني مويجه بلونفصل اولون رايده
عمل اولون جو تحريك عن قمن سنة اربع وماين كيه



مضمون بعض بنود معاهدة جوان 1790: تتكون المعاهدة من ثلاثة عشر بنداً⁽¹⁾:

- 2-** تدفع لشركة الملكية الإفريقية كل سنة مبلغ 13500 ريال من اجل احتكار صيد المرجان في المياه التابعة لمملكة تونس ، في الحدود التي تبدأ من جزيرة طبرقة إلى غاية حدود مملكة طرابلس والضرية ستدفع خلال كل ستة أشهر ابتداء من المعاهدة الحالية .
- 3-** تحتفظ لشركة الملكية الإفريقية بحق احتكار صيد المرجان خلال السنوات المحددة ، وبعد انتهاء الأجل تصبح الشركة حرة في إنهاء الاحتكار ، في حالة عدم تحقيقها المنفعة المرجوة ، ويمكنها مواصلة الامتياز بعد عقد معاهدة جديدة مع الإيالة .
- 5-** يتمتع عمال الشركة الملكية الإفريقية بنفس الحقوق والامتيازات ، التي يتمتع بها القنصل الفرنسي بتونس ؛ كوجود مكان للعبادة في منازلهم ، ولا تتم مضايقتهم أو إزعاجهم ، بشرط إقامتهم لعبادتهم في منازلهم بهدوء .
- 6-** في حالة وقوع شجار بين عامل تابع للشركة الملكية الإفريقية ، أو أحد بحارتها الذين يشتغلون بصيد المرجان ، مع أحد الأتراك ، فيتم إخبار القنصل الفرنسي ، ويحضر المحاكمة .
- 7-** يجب حماية سفن وعمال الشركة الملكية الإفريقية لصيد المرجان في المياه التابعة لمملكة تونس ، وفي حالة جلب رعايا تونسيين ، أو قوى أخرى لسفن بالقرب من البحار المخصصة لصيد المرجان ، فإن الحكومة التونسية تحجز هذه السفن وتعاقب بشدة طاقمها .
- 10-** في حالة إزعاج أو تعنيف الشركة الملكية الإفريقية في استغلال امتيازها ، سواء من طرف قوة إسلامية ، أو قوة مسيحية ، إذن فالمعاهدة الحالية ملغية وبدون مفعول ، إلى غاية إعادة الانتفاع بالأمن للامتياز وفق شروط المعاهدة .
- 11-** في حالة وقوع حرب بين الإيالة التونسية وفرنسا ، تتعهد الحكومة التونسية بحماية عمال ، وبحارة الشركة الملكية الإفريقية وكل ممتلكاتهم ، وأن لا يتعرضوا لأي ضرر إلى غاية أعادتهم إلى بلدهم بأمان .
- 12-** بنود هذه الاتفاقية المتعلقة بامتياز احتكار صيد المرجان ، تمت بتفاوض وعن طريق وساطة السيد دو شانتوف ؛ قنصل فرنسا بتونس ، وتسلم نسخة منه للشركة الملكية الإفريقية ، وتم التوقيع بباردو في شهر ذو القعدة من سنة 1204 هـ ، الموافق لشهر جوان من سنة 1790 م .

⁽¹⁾ تعريب الطالب الباحث: الشافعي درويش .

الملحق رقم 11: ملحق لمعاهدات بين باي تونس والقنصل الفرنسي دوفواز⁽¹⁾:

ملحق لمعاهدات بين باي تونس والقنصل الفرنسي دوفواز
تجوز باي والقنصل الفرنسي دوفواز
في سنة 1209 هـ الموافق 1795 م
الملق 563 / الصندوق 563

III
في الشريعة المفقدة سابقاً بين دولة فرنسا ودولة تونس
تونس التونسية رعاية الخاطربا فرنسا وقم القول على ان
سفن قرصان تونس تأخذ غنائمها على بعد ثلاثين ميل من سواحل
فرنسا ولكن حيث القول المذكور اجبا نزاع بين الدولتين ابطال
الآن واعتباراً من هذا اليوم مسافة حدود الامان
سفن القرصان التابعة لوجاق المفضلة السائرة في مياه فرنسا
ستكون بعد من المدفع وهذا البعد ستمثل سفين اعدائها
ايضا وذلك في السواحل المباشرة بجزيرة مدافع طائفة املا
مع استثناء بيان خلق الردي وغار الملح اما في اليابسين المذكورين
بأن يكون لاعداء فرنسا التعرض لسفنها
وسفن قرصان تونس تكون امنية من اعدائها في المسافة الجديدة
وهي ايضا لا يجوز لها بر من الرخوة التعرض للسفن الحربية في المسافة
المذكورة وما عدا ذلك الحب القديمة الموجهة بين دولة تونس
وطائفة فرنسا تبقى ثابتة لا يشر العمل بالشرط المذكور
بعد اربعة اشهر يكون لدولة فرنسا اعداء جميع الفرنسيين
بذلك
1209 هـ
حمودة
مرمران
دار الجهاد
المحررة تونس



مضمون الوثيقة⁽²⁾:

تم تغيير حدود المياه الإقليمية بين الدولة الفرنسية والإيالة التونسية ،بعد أن كانت وفق المعاهدات السابقة محددة بثلاثين ميلا عن سواحل الطرفين ،وأصبحت بداية من هذا الاتفاق برمية المدافع .تم توقيع هذا الاتفاق من طرف حمودة باشا باي تونس ،والقنصل الفرنسي دو فواز ،بتاريخ السابع من ذي القعدة من سنة 1209 هـ ،الموافق للخامس والعشرين من شهر ماي من سنة 1795 م .

⁽¹⁾ الصندوق رقم: 205 ،الملف رقم 063 ،الأرشيف الوطني التونسي .

⁽²⁾ من إعداد الطالب الباحث: الشافعي درويش .

الملحق رقم 12 : بعض بنود معاهدة شهر جانفي 1791م بين تونس وإسبانيا ⁽¹⁾:

HE VENIDO en aceptar, y aprobar
dicho TRATADO tal qual se acaba de insertar,
como en virtud de la presente le ACEPTO, y
APRUEBO en la mejor, y mas amplia forma
que puedo: prometiendo en fe, y PALABRA de REY cum-
plirle y observarle, y sacarle cumplir y observar enteramente. Y
para su mayor validacion y firmeza, se mandado despachar la pre-
sente firmada de mi mano, sellada con mi Sello secreto, y refrenda-
da del infrascripto mi Consejero de Estado, Primer Secretario de Es-
tado y del Despacho en Madrid a. de Julio de mil,
setecientos noventa, y uno.

Yo El Rey.

الأرشيف الوطني التونسي

Joseph Moïno

⁽¹⁾ الصندوق رقم: 254، الملف رقم 705، الأرشيف الوطني التونسي .

جناب دبا العالمین جل شانہ حضرت نیک مزید نعمت بی غایات مقارنتی برکاتیلہ شوکتلو قدرتلو پادشاہن
سلطان سلیم خانہ اعز اللہ انصارہ حضرت نیک زمانہ سعادت و ایام دولتند دارالجهاد و محروستہ تونس
او جاعی و عموماً مملکتان متصرفی و والیسی و اوطانہ میرکواسی دولتلو سعادتو محمودہ پاشا و بکن
یسترا لہ من الخیر ما یرید و ما یشاء حضرت نری و سرعسکر دایی و یکجری اناسی و اہالی دیوان و اہوان
اختیار لری حالہ اسپانیہ امپراطوری و پادشاہی سلطانہ سلاطین الملت المسیحیہ و مالک کبرہ
الطایفۃ العیسویہ دولت ارنسام صاحب العز و الاحتشا ملری دولتلو درود دجی دودہ قارلوں
ختت عواقبہ بالخیر و الرشاد بینند منعقد اولئانہ مصالحہ و عہد و امانہ و شروط صلح و بیادہ اسپانیہ
امپراطوری و پادشاہی مشارالیه طرفندہ مرخص و قاذونہ وزیر جو زاب موینو کو نتہ دہ قلوبیضا
بلد نکا نام معتبر کن و ساطیلہ منعقد اولئانہ مصالحہ متمومہ تک شروط و عہودی و تشیید اسس
صلح و امودی تقریر و تاکید رسوم صلاحی تمہید اولغین طرفیندن مرغی و مودی قلوب ارنک جانبدہ
خلافتہ ارنکاب و جوان اولنمیہ

اشطراؤل

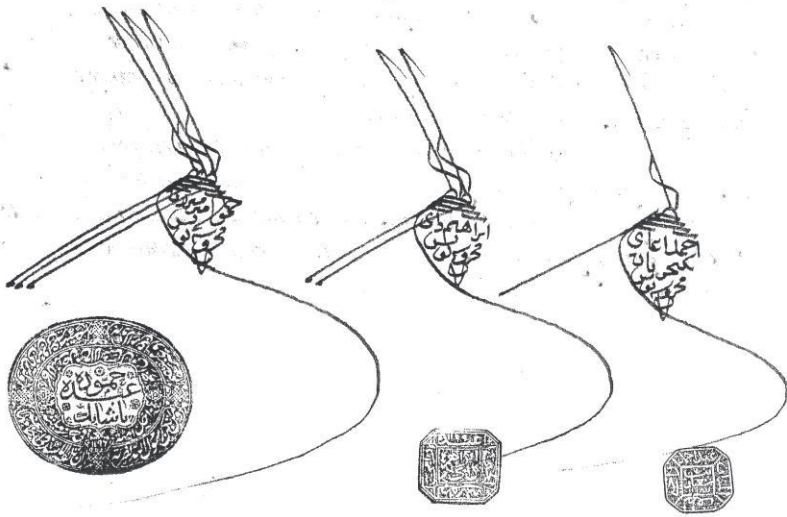
اشبوصلح مبارک و متموم طرفینک مالمکدہ اشاعت اولنوب میانہ دہ اولان برودت و عداوت دفع و دفع
وازالہ اولنوب حصول مودت و خلوص طویت بین الطرفین ثابت اولنہ

درجہ مرتبی تونس

۲۶ ط سادس وعشرون

اشبهو دار الجهاد محروسة تونس اوجا غينك وعموما عملكيتك حاجي ووالى متصرفى واوطان
ميرلوا سى دولتوس سعادتلو محمودة پاشا و بك يسر الله له من الخير ما يريد وما يشاء وسر عسكر
داى ويكيجرى اغاسى واهالى ديوان و اوجا ق اختيار لرى بيله حالا اسبانية مملكيتك امپراطورى
وپا دشاى سلطان سلاطين الملة المسيحية ومالك كيراء الطائفة العيسوية دولتودود دنج
دون قارلوس ختمت عواقبه بالخير والرشاد طرفدن قاذون اولان جوارب موبيتو كوتنه د
فلور دىضا بلو نكازام معتبر و زيرى وساطيله طرفينك ما بيننده منعقد ومقوم اولان صلح مبارك
عقدو تمشيتى وشوقى اظهار مودت و خلوص طوبيت اينله بين الدولتين وجه مشروح
اودره قول وقرار اولوب اشبهو خاتمه ده ذكر اولندى خلافتنه اصلا بر كسنة ارتكاب و جواد
كوردليه

۱۴۰۵



دوقف الوثائق

Artículo 26.

EL Magnífico Sultán de los Sultanes de la Nación (Christiana),
y presente Monarca y Emperador de España, el Augusto D.^{no} CAR-
LOS Quarto, cuyos dias acaben felizmente, y la Cámara de la Preserva-
da Ciudad de Túnez, domicilio de la defensa de la Ley, y el Príncipe
que manda en ella, y en toda la Regencia, el Prospero y feliz Ha-
mud Baxá, y Bey, á quien Dios satisfaga sus deseos; el Day Capitan
General del Exército; el Aga de los Genizaros; los Ministros del Di-
van; y los respetables Ancianos de la Cámara, prometen y dan pala-
bra de observar inviolablemente este Tratado de Paz, no obrar nada
contrario á ella, y conservar lo que se ha tratado con el Ex.^{mo} Señor D. Jo-
seph Moñino, Conde de Florida Blanca, Primer Secretario, y Ministro
de Estado del citado Monarca y Emperador de España, por orden del
Rey su amo. Dado á los principios de Gemaz-el-Ewel, Luna del Año
de 1205 de la Cõira, que corresponde á los principios del mes de Enero
de 1791. de nuestro Señor.

Hamud Príncipe Comand.^{te}
de la preservada Túnez.



Ibrahim Day de la
preservada Túnez.



Ahmed, Aga de los Geni-
zaros de la preservada Túnez.



لا يقف الرقي التوس

مضمون بعض بنود معاهدة شهر جانفي 1791م: تتكون المعاهدة من ستة وعشرون بنداً :

1- تنشر اتفاقية السلام في مملكتي الطرفين ،قصد إنهاء العداوة وإزالة سوء النية ،وحصول المودة والألفة بين رعايا الدولتين .

2- عند تعرض قراصنة إيالة تونس في عرض البحر المتوسط في عرض البحر لسفن تجارية إسبانية ، يقومون بفحص جوازات السفر الإمبراطورية ،ولا يمكنها الاستيلاء عليها ،بل يجب أن يقدموا المؤونة والمساعدة لها ،ونفس المعاملة تحظى بها السفن التجارية التونسية .

3- إذا لجأت سفن حربية أو تجارية تابعة لأحد البلدين إلى موانئ البلد الآخر لسبب ما ،يجب استقبالها وحسن معاملتها ،وتقديم ما تحتاجه .

19- عند إساءة إسباني لتركبي في المعاملة في تونس ،فلا تتم مقاضاته أو معاقبته ،إلا بحضور القنصل الإسباني ،ونفس المعاملة لعبد مسلم في إسبانيا .

20- إذا حدث شيء ما مخالف لاتفاقية السلام الحالية ،فعلى الطرف المتضرر عرض ادعاءاته وإثبات ما لحق به من ظلم .

21- إذا اعتدى القراصنة الإسبان في عرض البحر على مركب تونسي ،وألحقوا به ضرراً ،فإنهم يعاقبون ،وبنفس الطريقة يعاقب القراصنة التونسيون ،إذا تعرضوا لمركب إسباني .

22- في حالة نقض اتفاقية السلام المبرمة بين الطرفين ،يسمح للقنصل الإسباني ولجميع الرعايا الإسبان بمغادرة الإيالة بكل حرية ،وتمنح لهم مدة ثلاثة أشهر .

23- عند رسو سفينة حربية إسبانية بموانئ تونس تحيى بنفس عدد طلقات المدفعية ،التي تحيى بها السفن الحربية الفرنسية ،وعند التقاء سفن إسبانية بسفن تونسية في عرض البحر تتبادل التحية .

25- أي سفينة حربية أو تجارية تونسية إذا كانت بحاجة للمؤونة أو الحماية ،يمكنها الدخول إلى جميع الموانئ الإسبانية ،ويمكنها المغادرة بأمان .يجب على جميع تجارة تونس عندما يذهبون إلى إسبانيا للتجارة ؛حمل جوازات سفر يسلمها لهم القنصل الإسباني بتونس ،وإذا كانوا في بلدان إسلامية أو مسيحية ،عليهم الحصول على جوازات من قناصل إسبانيا هناك .إضافة إلى قضية الرسوم التي يدفعها التجار التونسيون على بضائعهم في الموانئ الإسبانية .

26- يتعهد كل من الملك الإسباني دون كارلوس الرابع وحمودة باشا حاكم الإيالة ،باحترام اتفاقية السلام والالتزام بعدم خرقها ،والمحافظة عليها .مع تحديد تاريخ التوقيع .

الملحق رقم 13 : طلب حمودة باشا برجوع سفن إسبانية أخذتها سفن فرنسية (1):

الحكم صادر من حمودة باشا ميرميران محمد بن تونس مؤرخا في غنى شهر
القعدة ١٢٠٧ هـ
١٧٩٣

السبب في تحريم والموجب لتسليطه
ان في يوم غرة شوال القعدة عام الف ومايتين وثمانين وكسبة الحالى قد حضر بين يدينا القوامدات
السمى تونس قوامدات سفن فرنسا الميرية والقوامدات لسمى مزال قوامدات
الفرقاطة الفرنسية وقصل فرنسا لسمى دواز وقصل اسبانيا لسمى بترو واضبوط
الجميع ان فسان اسبانيا بعدما اخذت الشئ من السفينة الفرنسية فكان
من القوامدات الفرنسية لسمى مزال المذكور الان اخذ الشئ من يد الاسبانول وطلب المكالمه
في خصوص هذه القضية وقد نظرنا الى الشئ رة الواقعة هذه المرة من طرف اغا قليبى
واهل البلدة المذكورة وعلى مقضاها قد كلنا باسترجاع الشئ المذكور الى الاسبانول
بناء على الشروط التى بيننا وبين فرنسا لان قوامدات الفرقاطة المذكورة ارسل فلوكلته
الكبيرة الى القضية المذكورة اثناء وجودها تحت برج قليبى وخوفا بالاضد والحق ولما ان
هبت اخذها الى فرقاطته ولما كانت هذه الافعال مخالفة للشروط فثبت الان ان القضية
المذكورة من حق الاسبانول وبناء على ذلك قد كلنا برر الشئ المذكور الى الاسبانول
واعطاه جميع المصاريف واسترجاع ما يخص المسلمين من الشئ المذكور الى اصحابها وهذا
حكمنا بذلك وحرر في غنى ذي القعدة سنة ١٢٠٧ هـ
حمود ميرميران
محمد بن تونس

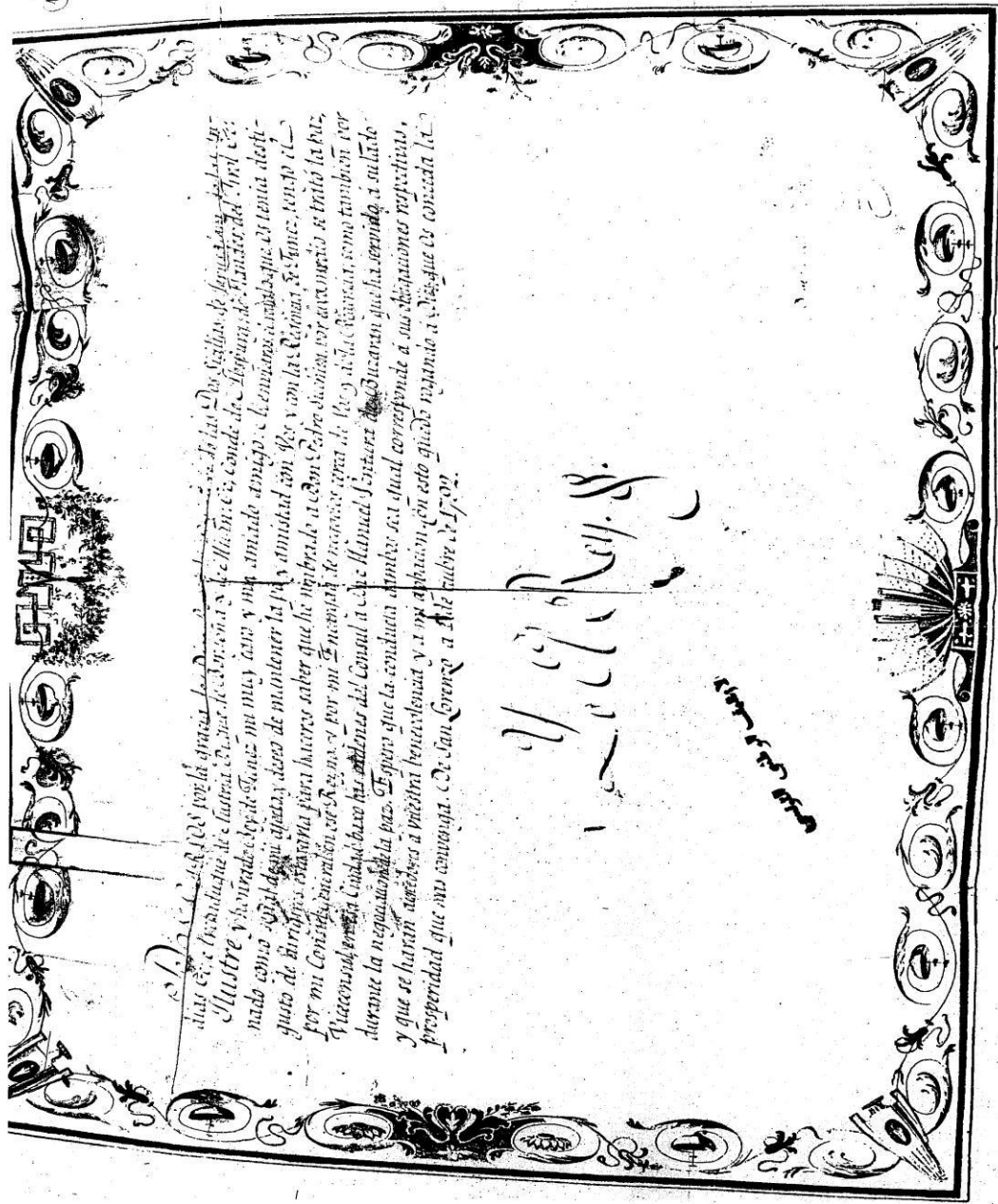
لا يشف الوطني التونسي

مضمون الوثيقة :

تتعلق الوثيقة بحكم صادر من طرف باي تونس حمودة باشا مؤرخ في سنة 1207 هـ / 1793 م ، ويتعلق الحكم برجوع شحنات سفن لإسبانيا ، كانت قد أخذت من طرف سفن فرنسية بالقرب من سواحل تونس عند برج قليبية . وقد صدر الحكم بحضور قنصلي البلدين ؛ القنصل الفرنسي دوفواز ، والقنصل الإسباني بترو . وهذا ما يدل على سلمية العلاقات التونسية الإسبانية خلال هذه الفترة .

(1) الصندوق رقم : 186 ، الملف رقم 1055 مكرر ، الأرشيف الوطني التونسي .

الملحق رقم 14 :رسالة من ملك إسبانيا كارلوس الرابع إلى الباي حمودة باشا ⁽¹⁾:



مضمون الوثيقة : الوثيقة رسالة من الملك الإسباني كارلوس الرابع إلى حمودة باشا ، مؤرخة في سنة 1792م ، تتعلق بتنصيب القنصل الإسباني سوشيتا في تونس (علاقات سياسية) .

⁽¹⁾ الصندوق رقم : 254 ، الملف رقم 707 ، الأرشيف الوطني التونسي .

الملحق رقم 16: نماذج من مراسلات بين ملوك إسبانيا وباي تونس⁽¹⁾:

y sellado con el Real Sello de este Consulado General
de España en Tunec a 30 de Agosto de 1799

Ignacio Duran



Jo. Sottoscritto Cam. N.ve del Consolato
Olandese di questa Città, e Regno di
Tunis conforme quanto sopra

— Tunis Li 30^a Ag^{to} 1799 —

Giuseppe Castagnino Cam. N.ve

Accep. io sottoscritto con mio giuramento di
non aver mai sedotto, ne indotto, o al-
tra contraria ad una incorruttibile condotta
della S. S. Paolina Sormani, e in fede

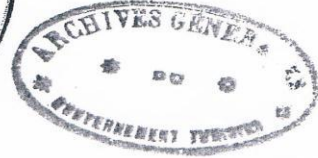
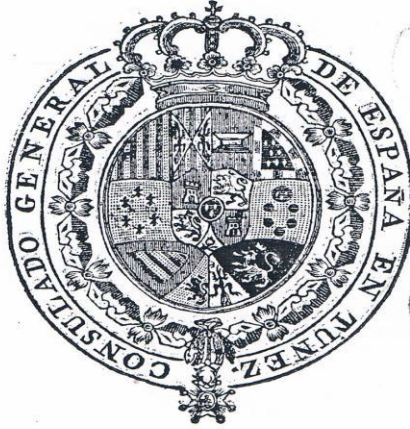
Agostino C. Castagnino

Io sottoscritto Confermo quanto sopra

Agostino Castagnino

الأرشيف الوطني التونسي

⁽¹⁾ الصندوق رقم: 254، الملف رقم 706، الأرشيف الوطني التونسي.

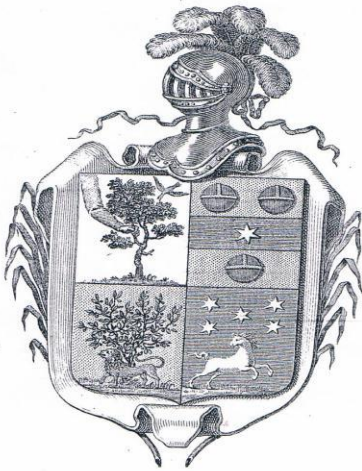


DON FRANCISCO SEGUI,
Consul general , Encargado de Negocios de S. M. Católica,
ca , en la Regencia de Túnez.

*Certifico : Que el Arrais Mahomet Colchoni comand
el Tabagu de dies Cañones y quarenta hombres de vigi-
lacion perteneciente a Sidi Mahamet Benayel subdiler
Tunecino sale de la Goleta para ir en Corro.*

*Y para que conste en donde convenga , doy la presente firmada de
mi mano , y Sellada con el Sello Real de este Consulado General de
España en Tunez. á 12 de Enero - de 1805.*

Francisco Seguí



الأرشيف الوطني التونسي

مضمون الوثيقة :

الوثيقة عبارة عن نماذج من مراسلات وقعت بين حمودة باشا باي تونس وملك إسبانيا دون كارلوس الرابع ، هذه المراسلات كانت خلال سنتي 1799م و1805م ، وتتعلق بمهام وأعمال القناصل الإسبان في تونس ؛ وهم دون مانويل بنتوران بوثاران ، ودون فرانسيسكو سيجي . وهي توجد توجد في الأرشيف الوطني التونسي ضمن الملف 706 ، الصندوق : 254 .

الملحق رقم 17 : كرونولوجيا لأهم الحملات البحرية وعمليات القرصنة بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر⁽¹⁾:

التاريخ	الحملات البحرية وعمليات القرصنة المتبادلة
1702م	- حملة مالطية على ميناء حلق الوادي .
1705م	- مهاجمة سفن تونسية لسفن مالطية بالقرب من مدينة صفاقس .
1710م	- استيلاء القرصان التونسي احمد رايس على مركب مالطي .
1716م	- إغراق الإسبان لسفينة حجاج تونسيين بجنوب صقلية .
1718م	- الحملة المالطية على مدينة المهدية .
1718م	- استيلاء قرصان تونسي على مركب يحمل جنوبيين وكاتالونيين .
1721م	- استيلاء سفينة مالطية على مركب يحمل 11 تونسيا .
1729م	- استيلاء مركب تونسي على مركب جنوي بالقرب من سواحل البروفانس .
1733م	- استرقاق الإسبان لـ 120 تاجر تونسي كانوا متوجهين إلى أزمير .
1733م	- استولى البنادقة على ثلاث سفن تونسية بالأدرياتيكي .
1735م	- مهاجمة البنادقة لسفن تونسية بالأدرياتيكي .
1747م	- حملة مالطية على مدينة صفاقس .
1747م	- حملة بندقية على مدينة صفاقس .
1766م	- حملات بندقية متتالية على السواحل التونسية .
1770م	- الحملة الفرنسية على موانئ تونس: غار الملح ، بنزرت ، سوسة ، حلق الوادي .
1780م إلى	- حملات مالطية متواصلة على السواحل التونسية : جزيرة جربة ، وقرقنة ، ومدينة الحمامات .
1784م إلى	- حملات الأسطول البندقي المتواصلة على الموانئ التونسية : تونس ، حلق الوادي ، سوسة ، وصفاقس .
1792م	

⁽¹⁾ من إعداد الطالب الباحث: الشافعي درويش .

الملحق رقم 18: أهم الشخصيات التي ساهمت في علاقات تونس مع دول غرب أوروبا المتوسطة خلال القرن الثامن عشر: ⁽¹⁾

بايات تونس الحسينيون	حسين بن علي (1705 - 1735 م) ، علي باشا (1735 - 1756 م) ، محمد الرشيد (1756 - 1759 م) ، علي باي (1759 - 1782 م) ، حمودة باشا (1782 - 1814 م) .
فرسان مالطة	رومان بيريللوس (1697 - 1720 م) ، مانويل دي فانا (1722 - 1736 م) بينيتو (1741 - 1773 م) ، فرنسيسكو كليمنس (1773 - 1775 م)
ساسة البندقية	الأدواق : لوجي موتشنجو (1700 - 1709 م) ، جيوفاني كورنارو (1523 - 1534 م) ، سباستانو موتشنجو (1722 - 1732 م) ، كارلو رتزيني (1732 - 1735 م) ، لويجي بيزاني (1735 - 1741 م) ، بطرس جريمان (1741 - 1751 م) ، فرانثيسكو لوريدانو (1752 - 1762 م) ، مرقس فوسكاريني (1762 - 1763 م) ، لويجي موتشنجو (1763 - 1779 م) ، باولو (بولس) رونير (1779 - 1789 م) ، لودوفيكو مانين (1789 - 1797 م) .
ملوك فرنسا وساستها	لويس 14 (1661 - 1715 م) ، لويس 15 (1715 - 1774 م) ، لويس 16 (1774 - 1791 م) ، نابليون بونابرت (1799 - 1815 م) .
ملوك إسبانيا وساستها	فليب الخامس (1700 - 1746 م) ، فردناندو السادس (1746 - 1759 م) ، كارلوس الثالث (1759 - 1788 م) ، كارلوس الرابع (1788 - 1808 م) .

⁽¹⁾ بالنسبة لحكان مالطة وأدواق البندقية. أنظر: بريان بلويه: المرجع السابق، ص ص 118، 245. أما الباقي من إعداد الطالب الباحث: الشافعي درويش .

الملحق رقم 19: المواد الأولية المستوردة من فرنسا وإسبانيا إلى تونس خلال الفترة (1763-1783)⁽¹⁾

جنسية التاجر	الاسم	السنة	المواد	نسبة الجمرك
تجار فرنسيون	- شاييلي Chapellé	1764-1763	- 72 بالة صوف - 03 براميل قرمز	3 %
	- الأخوة أرنوكس Arnoux	1782-1780	- 405 بالة صوف - 25 بالة ورق - 27 برميل قرمز	من 2 إلى 3 %
	- بيام Bayem	1783-1780	- 151 بالة صوف - 151 برميل قرمز	من 2 إلى 3 %
	- نواز Noise	1782-1780	- 263 بالة صوف - 02 براميل قرمز	من 2.8 إلى 3 %
	- تريك Chapellé	1781-1780	- 161 بالة صوف - 30 برميل قرمز	من 2.8 إلى 3 %
تجار يهود	- ابراهام كريف - ابراهام دافيد	1764-1763	- 195 بالة صوف - 28 بالة ورق - 11 برميل قرمز	5.7 % إلى 12.3 %
	- لمبروز	1782-1780	- 57 بالة صوف - 10 بالات ورق - 02 براميل قرمز	9 %

⁽¹⁾ لطفي بوعلي: الحرف والحرفيون في الإيالة التونسية في أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م، من خلال وثائق البايك، شهادة الكفاءة في البحث، إشراف: أ/محمد الهادي الشريف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى 1992-1993، ص ص 48-49.

11 %	05- بالات صوف - 05 بالات ورق - 05 براميل قرمز	1781-1780	- عائلة بوكار	
3 % إلى 4 %	40- بالة صوف - 22 بالة ورق - 02 براميل قرمز	1781-1780	- ابرهام	
3 % إلى 5 %	48- بالة صوف - 28 بالة ورق - 01 برميل قرمز	1782-1780	- كاتان	
5 % إلى 12.3 %	89- بالة صوف - 02 بالات ورق - 38 برميل قرمز	1764-1763 و 1781-1780	- محمد وأحمد بن محمود وعلي نارون وغيرهم	تجار مسلمون

الملحق رقم 20 : الأسرى الأوروبيون من طرف القراصنة التونسيين خلال الفترة (1787-1806) : ⁽¹⁾

السنة	الجنسية	العدد
1787-1791	صقليون	41
1787-1791	نابوليتانيون	17
1791-1792	سردنيون	15
1795-1796	كورسيكيون	10
1796-1797	نابوليتانيون	26
1799	فرنسيون	82
1801	مسيحيون أوروبيون	67
1806	نابوليتانيون	28

⁽¹⁾ Lamjed Bouzid :Pouvoir et esclave dans la Régence de Tunis ,les seritemes des Beys Husseinites ,centre de publication Universitaire ,Tunisie 2005 ,p p 126-128.

الملحق رقم 21 :

1- واردات تونس من أوروبا خلال السداسي الأول من سنة 1788 (بالرطل):⁽¹⁾

المواد	مرسيليا	ليفورن	جنوة
أنسجة مصنعة	33512	288268	
أنسجة غير مصنعة	116000		
مواد معدنية	29054	30950	
حلي		116100	
مواد غذائية	131330	43460	315
عقاقير وتوابل	24474	20120	
مواد كيميائية	60572	122542	3500
مواد أخرى	9785	44828	

2- صادرات تونس إلى أوروبا خلال السداسي الأول من سنة 1788 (بالرطل) :

المواد	مرسيليا	ليفورن	جنوة	برشلونة	مالقة
زيت	1318500		17500		
صوف	182920	29190	62400		
عسل	16200	14000			
جلود	50000				
قمح	303030	115440	146002	114219	54131
شعير	46848	8580			
فول	32700	63675	19500	35196	19590
مواد أخرى	30672	31680			

Daniel Panzac :Commerce et Navigation dans l'empire ottoman au XVIII siecle , les éditions Isis Istanbul , Istanbul 1996 ,p 182 .

(1)

ثبت المصادر والمراجع

- 1- وثائق الأرشيف الوطني التونسي .
- 2- الوثائق المنشورة باللغة العربية والمعرّبة .
- 3- المصادر العربية والمعرّبة .
- 4- المراجع العربية والمعرّبة .
- 5- الوثائق المنشورة باللغة الأجنبية .
- 6- المصادر والمراجع الأجنبية .
- 7- المقالات والدوريات العربية .
- 8- المقالات والدوريات الأجنبية .
- 9- المذكرات والرسائل والأطاريح الجامعية .

ثبت المصادر والمراجع :

1- وثائق الأرشيف الوطني التونسي (السلسلة التاريخية) :

- الوثيقة 01 : معاهدة 1763/09/01م بين تونس والبندقية ، الصندوق 247 ، الملف 647 .
- الوثيقة 02 : معاهدة 1792/05/18م بين تونس والبندقية ، الصندوق 247 ، الملف 647 .
- الوثيقة 03 : القرصنة التونسية ضد نابولي ، الصندوق 186 ، الملف 1055 مكرر .
- الوثيقة 04 : مراسلة بين حاكم مالطة وحمودة باشا في سنة 1800م ، الصندوق 224 ، الملف 001.
- الوثيقة 05 : معاهدة 1710/12/16م بين تونس وفرنسا ، الصندوق 204 ، الملف 58 .
- الوثيقة 06 : معاهدة 1781/06/14م بين تونس وفرنسا ، الصندوق 238 ، الملف 550 .
- الوثيقة 07 : معاهدة 1782/10/08م بين تونس وفرنسا ، الصندوق 238 ، الملف 550 .
- الوثيقة 08 : معاهدة 1790/06/28م بين تونس وفرنسا ، الصندوق 238 ، الملف 550 .
- الوثيقة 09 : ملحق لمعاهدات بين حمودة باشا ودوفواز ، الصندوق 205 ، الملف 063 .
- الوثيقة 10 : بعض بنود معاهدة جانفي 1791م بين تونس وإسبانيا ، الصندوق 254 ، الملف 705.
- الوثيقة 11 : طلب حمودة باشا برجوع سفن إسبانية سنة 1793م ، الصندوق 186 ، الملف 1055.
- الوثيقة 12 : رسالة من كارلوس الرابع إلى حمودة باشا 1792م ، الصندوق 254 ، الملف 707 .
- الوثيقة 13 : رسالة من كارلوس الرابع إلى حمودة باشا 1798م ، الصندوق 254 ، الملف 707 .
- الوثيقة 14 : نماذج من مراسلات بين حمودة باشا وملوك إسبانيا ، الصندوق 254 ، الملف 706 .

2- الوثائق المنشورة باللغة العربية والمعرّبة :

- 1- الأرشيف الوطني التونسي: معاهدات واتفاقيات دبلوماسية بين البلاد التونسية والقوى الغربية (1626-1955) ، تقديم وتحقيق: المهدي جراد ، في كراسات الأرشيف التونسي ، تونس 2011 .
- 2- أوغلي خليل ساحلي : من تاريخ الأقطار العربية بحوث ووثائق وقوانين ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة ، استانبول 2000 .
- 3- التميمي عبد الجليل : دراسات ووثائق في التاريخ المغربي في العصر الحديث ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1999 .

- 4- الحلاوي نور الدين: وثائق عن العلاقات بين تونس وإسبانيا في أوائل القرن التاسع عشر ، في المجلة التاريخية المغربية ، العدد 15 - 16 ، تونس جويلية 1979 .
 - 5- دي إيلزا ميكال: وثائق جديدة حول الأندلسيين بتونس في أوائل القرن الثامن عشر ، تلخيص وتعريب :نور الدين الحلاوي ، في المجلة التاريخية المغربية ، العدد 17-18 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1988 .
 - 6- الشريف محمد الهادي : الواردات والمستوردون بتونس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (من خلال وثائق القمارق التونسية) ، في الكراسات التونسية ، العدد 137-138 ، تونس 1986.
 - 7- الوسلاقي الهادي : المستشفى الترينيتاري الإسباني بتونس ووثيقة من أرشيفه عن حملة العثمانيين بالجزائر سنة 1756 على تونس ، في المجلة التاريخية المغربية ، العدد 21-22 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1981 .
- ### 3- المصادر العربية والمعرّبة :
- 1- الباروني يوسف بن أحمد : جزيرة جربة في موكب التاريخ ، تحقيق وإعداد : سعيد بن يوسف الباروني ، جربة ، تونس 1998 .
 - 2- بيرم محمد الخامس : صفوة الاعتبار ومستودع الأمصار والأقطار ، تحقيق :علي بن الطاهر الشنوفي وآخرون ، ط2 ،الجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ،تونس 1986.
 - 3- بيسونال أندريه : الرحلة إلى تونس سنة 1724 ، ترجمة وتحقيق: محمد العربي السنوسي ، ط1 ، مركز النشر الجامعي، تونس 2003 .
 - 4- الحبيب ثامر: هذه تونس ،تقديم وتحقيق :حمادي الساحلي والرشيد إدريس ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 .
 - 5- خوجة حسين : ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، تحقيق وتقديم :الطاهر العموري ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،تونس 1975 .
 - 6- السراج محمد بن محمد الأندلسي الوزير : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق وتقديم :محمد الحبيب الهيلة ،دار الغرب الإسلامي ، مجلد2 ،بيروت 1984.

- 7- السراج محمد بن محمد الأندلسي الوزير : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق وتقديم : محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، مجلد 3 ، بيروت 1985.
- 8- ابن أبي الضياف أحمد : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، الدار التونسية للنشر ، ج 2 ، تونس 1979 .
- 9- ابن أبي الضياف أحمد : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، الدار العربية للكتاب ، ج 3 ، تونس 1999 .
- 10- القيرواني ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط 1 ، المطبعة التونسية ، تونس 1286 هـ / 1870 م .
- 11- المسعودي أبي عبد الله محمد الباجي : الخلاصة النقية في أخبار إفريقية ، ط 2 ، مطبعة بيكار وشركائه ، تونس 1323 هـ .
- 12- مقديش محمود : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، ترجمة : علي الزواري ومحمد محفوظ ، ج 2 ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، ج 2 ، بيروت 1988.
- 13- محمد أبو راس الناصري : مؤنس الأحبة في أخبار جربة ، تحقيق : محمد المرزوقي ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية ، تونس 1960 .
- 14- هابنسترايت ج.أو. : رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145 هـ - 1732م) ، ترجمة وتقديم وتحقيق : ناصر الدين سعيدوني ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس 2008 .
- 15- بن يوسف الصغير : المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي ، تحقيق : أحمد الطويلي ، ج 4 ، ط 1 ، المطبعة العصرية ، ج 1 ، ج 2 ، ج 4 ، تونس 1998 - 2009 .

4- المراجع العربية والمعرّبة :

- 1- الأرقش دلندة والأرقش عبد الحميد : المغرب العربي الحديث من خلال المصادر ، مركز النشر الجامعي ميدياكوم ، تونس 2008 .
- 2- التر عزيز سامح : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : عامر محمود علي ، ط 1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1989 .

- 3- باي المختار : حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية ، ترجمة :البشير بن سلامة ، الأطلسية للنشر ، تونس 2009 .
- 4- بوبكر الصادق : إيالة تونس في القرن السابع عشر وعلاقتها التجارية مع موانئ البحر المتوسط مرسليليا وليفورنة ، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والأندلسية - الموريسكية ، تونس 1987 .
- 5- البطريق عبد الحميد ونوار عبد العزيز : التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، دار النهضة العربية ، بيروت 1973 .
- 6- برون جفري: تاريخ أوروبا الحديث ، ترجمة :علي المرزوقي ،الأهلية للنشر والتوزيع ،المملكة الأردنية الهاشمية 1993م .
- 7- توفيق البشروش : جمهورية الدايات في تونس 1591-1675 ، مجموعة أيام الناس ،شركة أوريس ،تونس 1992 .
- 8- بلويه بريان : قصة مالطة ، تعريب : مصطفى محمد جودة ،ط1 ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس 1969 .
- 9- بيضون جميل وآخرون :تاريخ العرب الحديث ، ط1 ،دار الأمل للنشر والتوزيع ،أريد 1991 .
- 10- التميمي عبد الجليل : الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ، جمع وتقديم : التميمي عبد الجليل ، تونس 1984 .
- 11- التميمي عبد الجليل : الحياة الاقتصادية في الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ، تونس 1986 .
- 12- جراد المهدي : عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705-1881 ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،تونس 2011 .
- 13- جلال يحي : تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، ج3 ، بيروت 1981 .
- 14- جلال يحي : التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى ، المكتب الجامعي الحديث ، ب ت ن ،الإسكندرية .
- 15- بن جمعة إبراهيم بلقاسم : الاقتصاد والمجتمع في الإيالة التونسية من 1861م إلى 1864م من خلال محاضر محاكم الجنايات والأحكام العرفية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس 2002 .

- 16- جوليان شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة : مزالي محمد وبن سلامة البشير ، ط2 ، الدار التونسية للنشر ، ج2 ، تونس 1983 .
- 17- حاطوم نور الدين الدين : تاريخ الحركات القومية يقظة القوميات الأوروبية ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق 1979 م .
- 18- حاطوم نور الدين : تاريخ القرن السابع عشر في أوربة ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق 1986 .
- 19- حسني عبد الوهاب حسن : خلاصة تاريخ تونس ، تقديم وتحقيق : حمادي الساحلي ، ط3 ، دار الجنوب للنشر ، تونس 1993 م .
- 20- بن خروف عمار : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في القرن 10 هـ / 16م ، ط1 دار الأمل للنشر والتوزيع ، ج1 ، الجزائر 2006 .
- 21- خير فارس محمد : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، ط1 ، مكتبة دار الشرق ، بيروت 1969 .
- 22- داهش محمد علي : الدولة العثمانية والمغرب ، إشكالية الصراع والتحالف ، دار الكتاب العلمية ، لبنان 2011 .
- 23- رايون أندريه : المدن العربية الكبرى في العهد العثماني ، ترجمة : فرج لطيف ، ط2 ، دار الفكر الإسلامي للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة 1991 .
- 24- روسو ألفونسو : الحوليات التونسية من الفتح العربي إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر ، تعريب : محمد عبد الكريم ، ط1 ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي 1992 .
- 25- الزيري محمد العربي : مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1985 الجزائر .
- 26- أبو زيدون وديع : تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط ، ط1 ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 2003 .
- 27- الشريف محمد الهادي : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، تعريب : محمد الشاوش ومحمد عجينة ، دار سراس للنشر ، تونس 1993 .
- 28- الشيخ رأفت : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر 1414هـ/ 1994 .

- 29-** الصباغ ليلي: الجاليات الأوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين 16م و17م 10هـ و11هـ ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، ج2 ، بيروت 1989 .
- 30-** ضيف الله محمد : نوافذ على تاريخ نفزاوة ، ط3 ، المغاربية للطباعة ، دار المعارف ، تونس 2008 .
- 31-** عباد صالح : الجزائر خلال العهد العثماني (1830-1514) ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2005 .
- 32-** عبد السلام أحمد: المؤرخون التونسيون في القرن 17م ، 18م ، 19م رسالة في تاريخ الثقافة ، نقلها من الفرنسية إلى العربية : أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحوي ، بيت الحكمة ، تونس 1993 .
- 33-** العروي عبد الله : مجمل تاريخ المغرب ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، ج3 ، الدار البيضاء 1999 .
- 34-** عصمت راشد زينب: تاريخ أوروبا الحديث من القرن 16م إلى نهاية القرن 18م ، دار الفكر العربي ، مصر 2005 .
- 35-** عطا الله الجمل شوقي : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1977 .
- 36-** عطا الله الجمل شوقي و إبراهيم عبد الله عبد الرزاق : تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 2000 .
- 37-** علي عامر محمود وخير فارس محمد : تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى وليبية) ، منشورات جامعة دمشق ، ج2 ، سوريا 2000/1999 .
- 38-** العقاد صالح : المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى) ، ط6 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، مصر 1993 .
- 39-** عمر عبد العزيز عمر : دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1992 .
- 40-** فالنسي لوسيت: المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830 ، ترجمة : إلياس مرقص ، ط1 ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت 1980 .

- 41-** فيرو شارل: الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، ترجمة وتحقيق وتقديم : محمد عبد الكريم الوافي ، ط3 ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي 1994 .
- 42-** فيشر هيربرت : أوصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية ، ترجمة : راشد زينب عصمت وآخرون ، ط3 ، دار المعارف ، مصر 1970 .
- 43-** قاسم أحمد: إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوي ابن عظم 1574-1600 ، تقديم : عبد الجليل التميمي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 2004 .
- 44-** كوران أرجمنت: السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي ، ترجمة : عبد الجليل التميمي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس 1970 .
- 45-** هنري لورنس : الحملة الفرنسية على مصر ، بونابرت والإسلام ، ترجمة : بشير السباعي ، ط1 ، سينا للنشر ، مصر 1995 .
- 46-** المؤذن عبد الرحمان وعبد الرحيم بنحادة : العثمانيون والعالم المتوسطي مقاربات جديدة ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط 2003 .
- 47-** مانتران روبير: تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : بشير السباعي ، ط2 ، ج1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ج1 ، القاهرة 1993 .
- 48-** المحامي محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، ط2 ، دار النفائس ، بيروت 1988 .
- 49-** محمد سيد أشرف صالح : أوصول التاريخ الأوربي الحديث ، ط1 ، دار واتا للنشر الرقمي ، قطر 2009 .
- 50-** المدني أحمد توفيق : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792 ، ط3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 .
- 51-** مزالي محمد الصالح : الوراثة على العرش الحسيني ، ومدى احترام نظامها ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1969 .
- 52-** نوار عبد العزيز سليمان و جمال الدين محمود محمد: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، دار الفكر العربي ، مصر 1999 م .
- 53-** هلايلي حنفي :أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط1 ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2008 .

54- هنية عبد الحميد : تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر ، منشورات تير الزمان ، تونس 2012 .

55- وولف جون .ب : الجزائر وأوروبا (1830-1500) ، ترجمة وتعريب : سعد الله أبو القاسم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 .

(5)- الوثائق المنشورة باللغة الأجنبية :

1-De Card Edgard Rouard : Traités de la France avec les Pays de l'Afrique du Nord ,Algerie ,Tunisie ,Tripolitaine ,Maroc ,Pédone ,Paris 1906.

2-Grandchamp Pierre : Documents relatifs aux Corcaires Tunisiens 2 octobre 1771-4 mai 1824 ,imprimerie général barler ,Tunis 1925 .

3-Grandchamp- Pierre : une Mission Tunisienne a Paris en 1743 par de Fienne Fils secrétaire –interprétaire,relation inédite ,impraimerie J.aloccio , Tunis 1931 .

4-Plantet Eugène : Correspondances des Beys de Tunis et des Conculs de France avec la cour 1577-1700 ,Félix alcan éditeur ,T1 ,T2 ,T3,Paris 1899 .

(6)- المصادر والمراجع الأجنبية :

1-Belhamissi Moulay :Histoire de la Marine Algérienne 1516-1830 , ENAL , Alger 1983 .

2- Bouzid Lamjed : Pouvoir et esclave dans la Régence de Tunis ,les seritens des Beys Husseinites ,centre de publication Universitaire ,Tunisie 2005 .

3- Brahimi Denise : Voyage dans la Régence de Tunis au 16-19 siecles édition cartaginoisiers , Tunisie 2016 .

4- Cambon Henri :Histoire de la Régence de Tunis préface de Vice-Amiral lacaze de l'Académie Francaise ,édition Berger –levrault ,Paris 1948 .

5-de Flaux .A : la Régence de Tunis au dix-neuvième siecle ,challamel ainé ,librairie – éditeur ,Paris 1865.

6-Féraud L. Charles : Annales Tripolitaines , publier avec une introduction et des notes par Augustin Bernard , librairie Tournier ,Tunis , librairie vurbert , Paris1927 .

7- Ferry Jules: la Tunisie avant et depuis l'Occupations Francaise ,histoire et colonsation ,T1,Augustin challamel,éditeur librairie coloniale ,Alger 1893 .

8-DE Grammont Henri . D : Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830) , Ernest lerroux . éditeur , Paris 1887 .

- 9-**Galibert M.Léon: **Histoire de la République de Venise** ,furne et C .libraires éditeur ,Paris 1854 .
- 10-**Grandchamp Pierre: **la France en Tunisie a la fin du XVI siecle (1582-1600)**,société anonyme de l'imprimerie rapide ,Tunis 1920.
- 11-** ----- : **une Relation Vénitienne de l'année 1784 sur les Régences Tunis ,Alger ,et Tripoli** ,imprimerie J.aloccio ,Tunis 1932.
- 12-**Haédo Diégo de : **histoire des rois d'Alger** , traduit par : DE Grammont H.d , Adolphe Jourdan librairie –éditeur , Alger 1881 .
- 13-** Maggill Thomas : **Nouveau Voyage a Tunis** ,éditeur du dictionnaire des sciences médicales , Paris 1815 .
- 14-**Marcel. J.J :**Histoire et Description de la Régence de Tunis** , firmin didot frère éditeur , France 1907.
- 15-**Masson paul : **Etablissements et Commerce Français dans l'Afrique Barbaresque (1560-1793) - (Algerie ,Tunisie ,Tripolitaine ,Maroc)**, Librairie Hachette , Paris 1903 .
- 16-**Mercier Ernest : **Histoire de l'Afrique septentrionale** , T3 , Ernest lerroux éditeur , Paris 1891 .
- 17-**Métivier . L :**la petite Histoire de la Tunisie** Charier Beulay éditeur la flèche Sarthe , Paris 1910.
- 18-** Panzac Danial : **les Corsaires Barbaresques a la fin d'une Epopée (1800-1820** , Paris 1999 .
- 19-**Rousseau Alphonse : **Annales Tunisiennes ou aperçu sur la régence de Tunis** , éditeur Bouslama , Tunis 1980 .
- 20-** Sebag paul : **Tunis aux XVII siècle une cité Barbaresque** , l'Harmattan , Paris 1989 .
- 21-**----- :**Tunis Histoire d'une ville** ,l'Harmattan ,Paris 1998 .

7- المقالات والدوريات باللغة العربية :

- 1-** أرنولاي فرونسوا :فيومارا صلاتا :وكالة تجارية بالبلاد التونسية خلال القرن السادس عشر والسابع عشر ،ترجمة :عبد الجليل التميمي ،في المجلة التاريخية المغربية ،العدد 7-8 ،مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ، تونس 1977 .
- 2-** الإمام رشاد: سياسة حمودة باشا الحسيني ،في المجلة التاريخية المغربية ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،العدد 6، تونس 1976 .

- 3- -----: سياسة حمودة الحسيني باشا في المجال التجاري ، في المجلة التاريخية المغربية ، العدد 2 ، تونس 1974 .
- 4- بوعزيز يحي : إسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس ، في مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 04 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، الجزائر 1988 .
- 5- بونو سلفاتوري : العبيد المسلمون في إيطاليا من القرن 16م إلى سنة 1830م ، في مجلة البحث العلمي ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، العدد 45 ، المغرب 2000 .
- 6- التميمي عبد الجليل : عثمة إيالات الجزائر وتونس وطرابلس على ضوء مهمة دفترية 1559-1595م ، في المجلة التاريخية المغربية ، العدد 121 ، تونس 2006 .
- 7- التميمي عبد الجليل : من دلالات الأنشطة الاقتصادية للإيالات العثمانية المغاربية في العصر الحديث ، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، العدد 37-38 ، تونس 2008 .
- 8- جرفال كمال : تعليق على معاهدة سنة 1791 ، في كراسات الأرشيف معاهدات واتفاقيات دبلوماسية بين البلاد التونسية والقوى الأوربية ، تقديم وتحقيق : المهدي جراد ، الأرشيف الوطني التونسي ، تونس 2011 .
- 9- الدغيم محمود السيد : تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة سليم الثاني ، في مجلة الحضارة الإسلامية وعلم البحار (بحوث ودراسات) ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة 1994 .
- 10- الزواري علي : العلاقات التجارية بين تونس والشرق في القرن الثامن عشر من خلال قضية قراض ، في المجلة التاريخية المغربية ، العدد 29-30 ، تونس 1983 .
- 11- السعداوي إبراهيم : تطور فئة وجهاء المال بإيالة تونس ، في المجلة التاريخية المغربية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، العدد 123 ، تونس 2006 .
- 12- سلامة عبد الحكيم القلعي : الموريسكيون الأندلسيون والجهاد البحري التونسي غار الملح بين 1609 و1805م ، في الندوة الدولية في موضوع الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي ، سلا 1997 .
- 13- بن سليمان فاطمة : قراء الإخباريين التونسيين للفتنة الباشية الحسينية ، في الكراسات التونسية ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 164 ، تونس 1993 .

- 14- سعيدوني ناصر الدين : المعاهدة الجزائرية الإسبانية ، في مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 07 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، الجزائر 1993 .
- 15- سعيدون إبراهيم : القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة -القرصنة الإيطالية نموذجاً- ، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 11 ، المركز الجامعي غرداية ، الجزائر 2011 .
- 16- الشريف محمد الهادي :الواردات والمستوردون بتونس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (من خلال وثائق القمارق التونسية) ، في الكراسات التونسية ،العدد 137-138، تونس 1986 .
- 17- الشنوفي علي : العلاقات التجارية بين تونس وأقطار البحر المتوسط في القرون :17-18-19 ، في مجلة الإتحاف ، العدد 49-51 ، مجلة ثقافية جامعية ،القسم العربي ،تونس 1994 .
- 18- عبد الله الشيخ عبد الرحمن: دور المسلمين في تشكيل اقتصاد إمبراطوريتي جنوة والبندقية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، في المجلة التاريخية المغربية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،العدد 43-44، تونس 1986 .
- 19- العبيدي نبيهة السلطاني : العوامل المؤثرة في سياسة حمودة باشا العسكرية ، في الكراسات التونسية ،العدد 205-206، تونس 2008 .
- 20- غطاس عائشة : المعاهدة الجزائرية البندقية ، في مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، الجزائر 1993 .
- 21- فليبي جون : ليفورنة و شمال إفريقيا خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، في المجلة التاريخية المغربية ، العدد 7-8، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ،القسم العربي ،تونس 1977 .
- 22- قروة محمد : النظام النقدي في تونس في القرنين 18م و19م - مدخل لدراسة احد مؤشرات اقتصاد الإيالة (1740-1891) ، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد 1-2، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1990 .
- 23- القفصي عبد الحكيم : بنزرت والبحر في العصر الحديث ، في أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت ، بنزرت 1991-1992 .
- 24- القفصي عبد الحكيم: ابن غانم التونسي بين إسبانيا والعالم الجديد وإدخال المدافع إلى تونس ، في أعلام ومعالم مؤلف جماعي ، وكالة التراث والتنمية الثقافية ،المعهد الوطني للتراث ،وزارة الثقافة ، تونس 1997 .

- 25-** بن مامي أحمد الباجي: أسواق مدينة تونس ، في مجلة التراث العربي ، العدد 39 ، جمعية المؤرخين المغاربة ومؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية ، المغرب 2007 .
- 26-** هويدي سلوى : علي باي وإدارته للأزمات (1759-1782) ، في المجلة التاريخية المغربية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، العدد 147 ، تونس 2012 .

8)- المقالات والدوريات باللغة الأجنبية :

- 1-** Brogini Anne : des échanges contraints aux échanges assumés. Malte et la Régence de Tunis dans la première modernité ,in CM , T84 ,Tunis 2012.
- 2-** DE La primaudaie Elie : Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagne en Afrique (1506-1574) , « lettre du comte d'Alcaudette à sa majesté ,Oran 12out 1536 »,in RA , T21 ,Alger 1877.
- 3-** de Epalza Mikel :un Cas d'Opinion Publique Maghrebine : la Prise d'Oran par les Espagnols ,vue de Tunis 1732 ,in RHM , T55 /56 ,Tunis 1989.
- 4-** Grandchamp Pierre: Suppression du baise-main des consuls à la cour du Bey de Tunis, in RA , T62, Alger 1921 .
- 5-** Riggio. A :Esclaves et Missionnaires en Barbarie (1672-1682), in RA , T93, Alger 1949 .
- 6-** Sogerdoti A :Venise et les Régences d'Alger, Tunis et Tripoli (1699-1760) ,in RA , T101 ,Alger 1957.
- 7-** Soler Arnaldo:Chargé d'affaires d'Espagne aTunis et sa Correspondance 1808-1810 ,in RA , N°12, Tunis 1905 .

9)- المذكرات والرسائل الجامعية :

- 1-** الإمام رشاد : سياسة حمودة باشا في تونس 1782م-1814م ، أطروحة دكتوراه قدمت لدائرة التاريخ ،الجامعة الأمريكية ، بيروت 1971 ،منشورة .
- 2-** بقسماتي ماسني هلا : دار السكة التونسية في العهد الحسيني 1705-1881 ،دراسة للحصول على شهادة الكفاءة في البحث ،إشراف :أ/البشير التليلي وأ/إبراهيم شيوح ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الجامعة التونسية ،تونس 1978 .
- 3-** بوعلي لطفي:الحرف والحرفيون في الإيالة التونسية في أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م ،من خلال وثائق البايك ،شهادة الكفاءة في البحث ،إشراف :أ/محمد الهادي الشريف ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة تونس الأولى 1992-1993 ،ص ص 48-49 .

- 4- التايب منصف :بلاط باردو في عهد حسين بن علي 1705-1735 ،شهادة الكفاءة في البحث إشراف: أ/محمد المهادي الشريف ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ ،جامعة تونس الأولى 1990 ،غير منشورة .
- 5- التبيني محي الدين :المصادر الوثائقية لدراسة العلاقات بين إيالة تونس والمدن - الدويلات الإيطالية خلال الفترة الحديثة (1748-1861) ،رسالة ماجستير ،إشراف :أ/بو بكر الصادق ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة تونس الأولى 2004/2005 ، غير منشورة .
- 6- بن خروف عمار :علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات (1671-1830) ، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ ،إشراف :أ/محمود علي عامر ،قسم التاريخ ،كلية الآداب ،جامعة دمشق 1996 ، غير منشورة .
- 7- درويش الشافعي : علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن 16م / 10هـ ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف أ/د عمار بن خروف بمساعدة د/بوسليم صالح ،المركز الجامعي غرداية 2010-2011 ،غير منشورة .
- 8- سعيود إبراهيم :علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين 17م و18م ،رسالة ماجستير ،إشراف :أ/مولاي بالحميسي ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر 1999-2000 ،غير منشورة .
- 9- ----- : الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث ،إشراف :د/غطاس عائشة ،غير منشورة ،قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر ،2009/2010 ،غير منشورة .
- 10- الشيخ مليكة : العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن 18م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،إشراف أ/د عمار بن خروف بمساعدة د/بوسليم صالح ،المركز الجامعي غرداية 2011-2012 ،غير منشورة .
- 11- مايدي كمال : علاقات تونس مع دول أوروبا الغربية المتوسطة وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782م إلى 1814م ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف أ/د عمار بن خروف بمساعدة د/بوسليم صالح ،المركز الجامعي غرداية 2011-2012 ،غير منشورة .

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس القبائل والجماعات
- فهرس المحتويات

1- فهرس الأعلام :

— أ —

أوجي سورهند 138، 139 .
أوليفي 100 .

إبراهيم داي 211 .

— ب —

إبراهيم الشريف 40، 51، 52، 138 .

بابا درويش 125 .

إبراهيم العصفوري 75، 187 .

بابا رمضان 131 .

أبو بكر باشا 33 .

باقي 141 .

أحمد أغا 198، 211 .

بارتيليمي دو سيزيو 157 .

أحمد باشا 55، 57 .

باكسي علي 197 .

أحمد الحفصي 177، 178، 181 .

بايل 142، 144 .

أحمد الخراط 105 .

بوشاشية 73 .

أحمد خوجة 73، 141 .

بونابرت 26، 32، 34، 38، 65، 103، 171،

أحمد رايس 89 .

219، 223 .

أحمد شلي 131 .

بونتشارتان 133، 138 .

أحمد عراب 180 .

بيار جون 95 .

أحمد بن محمد 181 .

بيدرو مورينو 203 .

إدوارد 78 .

بينيديتو بوطولاسيو 74 .

أرمو 113 .

بينون 93، 95، 144، 146 .

إسحاق لمبروز 187 .

— ت —

أسطا علي 184 .

تاليرون 118 .

أسطا مراد 73، 84، 126، 182 .

تومازو كوندالمير 115 .

إسماعيل 39، 43، 51، 57، 58، 60 .

توماس مارتان 124 .

إسماعيل بن يونس 43 .

— ج —

آل بربون 34، 205 .

جاسبار لايبروز 140 .

اقيتون 93 .

جاك 176 .

أنجلو إيمو 110، 113 .

جاك لوميللي 95 .

أندريه بيسونال 94، 95، 192، 198 .

جاك دو فنيشقار 130 .

جاك ديمولان 130 .

جان أستيل 125، 126 .

جان أنجلو بوقو 94 .

جان غوتيه 132 .

جان فرانسوا 198 .

جرفازوني 68، 108، 109 .

الجزار باشا 33 .

جودا كرسينو 83 .

جورج 59، 74، 89 .

جورج أموروزو 74 .

جورج واشنطن 59 .

جوزيف فرديناند 28، 35 .

جوزيف مورال 93 .

جوزيف مينينو 211 .

جون بابتست 111، 124 .

جون بوقو 94 .

جون لويس غوتيه 149 .

جيرا 141 .

جيمس تريل 104 .

جيوبو تيستا سلفاقو 85، 185 .

جيوفاني ماقرو 76 .

جيوفاني قازو 109 .

-ح-

الحاج إبراهيم المسدي 170 .

الحاج بنور النيفر 163 .

الحاج عبد الله 198 .

الحاج علي اللوزي 163 .

الحسن الحفصي 176، 178 .

حسين بن علي 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46،

48، 52، 53، 89، 93، 100، 136، 137،

138، 139، 140، 142، 146، 154، 156،

189، 191، 193، 194، 196، 197، 198،

199، 200، 219، 223 .

حمودة باشا 45، 46، 47، 48، 53، 54، 57،

60، 67، 68، 103، 105، 106، 107،

111، 112، 113، 114، 115، 116، 117،

118، 119، 120، 156، 164، 165، 166،

167، 168، 169، 170، 171، 173، 201،

205، 206، 207، 208، 209، 210، 211،

215، 216، 217، 218، 219، 220، 222،

223، 224 .

حمودة باي 118، 168 .

حمودة بن عبد العزيز 45، 168 .

حمودة بوبكر 163 .

حيدر باشا 179، 180 .

-خ-

خير الدين بروس 79 .

خليل باشا 57 .

خوان صولار 209 .

خايم صولار 208، 209، 210، 215 .

-د-

درغوث 55، 79 .

- دو برويز 167 .
دوبوفور 129 .
دو بومبار 157 .
دوريا 80 .
دو فانشو جير 125 .
دوفواز 118، 119، 167، 168، 169، 217 .
دو سيزيو 104، 109، 157، 158، 159، 161 .
دو شابرت 109 .
دو شاتونوف 166، 167 .
دوكان مونيي 141 .
دوكين 131 .
دو كاستين 138 .
دون أزلوندو صولر 216، 218 .
دون بيدرو سوشيتا 210، 211، 215 .
دون بيزاران 218 .
دون جوان 179، 180، 211 .
دون جوان دوتريش 179 .
دون جوان سوشيتا 211 .
دون جوان النمساوي 179 .
دون جوزيف منينو 211 .
دون خايم صولار 215 .
دون خوسي نوقيرا 216 .
دون فرناندو السابع 216 .
دون كارلوس 36، 215، 216، 217 .
دون كارلوس صولير 216 .
دونيس ديسو 142 .
- دو نيكول 124 .
دون مانويل بنوترا 215، 216 .
دومارتال 130 .
دومنتان 125 .
دومينيك سابوريتا 100 .
دي جراندبري 146، 147 .
دي روشي 164، 165، 166 .
دي سبي 210 .
ديستري 131، 132 .
دي لفييري 29 .
دي لاكروا 89 .
دي لامادون 199 .
دي موروبا 96، 148 .
دي مورتمار 196 .
ديمون 145، 146 .
دي هاريكور 147 .
- ر ز -
الرشيد 43، 57 .
ريشيليو 126 .
رمضان باي 133 .
رناتو مارتينو 118 .
روزاليم 100 .
روسو 32 .
زامبيلا 100 .
- س -
سان أنطوان 93 .

- ص ض ط -

ابن أبي الضياف 80، 90، 96، 162، 170.

- ع غ -

عبدی 49 .

عبدی باشا 49 .

عثمان دای 78، 125، 182 .

علج علي 124، 177، 178، 179 .

علي باي 43، 44، 45، 46، 48، 53، 60،

104، 107، 109، 111، 153، 151، 156،

157، 158، 159، 160، 161، 162،

164، 165، 172، 223 .

علي باشا 41، 42، 43، 52، 53، 56، 57،

90، 94، 96، 97، 99، 102، 136، 148،

149، 150، 151، 152، 153، 154،

155، 160، 162، 163، 196، 222 .

علي بتشين 84 .

علي برغل 47، 54، 57، 60، 209.

علي راييس 184 .

علي ثابت 184 .

علي شاوش 49 .

غابريال سيريلوني 179 .

- ف -

الفارس دارفيو 130 .

الفارس دو فيلارزال 154 .

فامان 67، 118 .

فراقيوسيبي دي مزينا 74 .

سان جان دي ماتا 193 .

سانسون نابولون 125، 126 .

سفاري دو براف 125 .

سليم الثاني 178، 179 .

سليمان 59، 90، 182 .

سليمان الجربي 159 .

سليمان الشريف 194 .

سليمان القانوني 123 .

سميث 117 .

سنان باشا 179، 180 .

سنتا كروز 179 .

سورهاند 133، 139، 141 .

سوران 150 .

سوران دومورات 150 .

سيد علي برغل 209 .

سيدي رمضان 129 .

سيربلوني 180 .

سيترس كومونت 88 .

سييتي 218، 219 .

- ش -

شارل الثاني 28، 34 .

شارل الثالث 205 .

شارل السادس 35، 36 .

شارلكان 71، 176، 177، 180 .

الشريف القسطلبي 192، 194 .

شعبان راييس 93 .

- فرانسوا الأول 123 .
فرانسييسكو خمينيس 68، 191، 193، 194، 197
كارلوس الثالث 37، 205 .
كارلوس الرابع 37، 205، 211، 215.
فرانك 170 .
كلود لطة 199 .
الكونت بوروفيك 109 .
الكونت دو بروف 161 .
الكونت دو جرميني 124 .
الكونت دوجوا 125 .
الكونت دي اراندا 190.
الكونت دي بونشارتان 139 .
الكونت دي ثيفوانث 209 .
الكونت دي سبي 210 .
الكونت دي فلوريدا 37، 68، 205، 209 .
الكونت دي موروبا 96، 148.
الكونت سفاري دو براف 125 .
كليمينت بيرلو 76 .
كياكوب فالنسين 184 .
كيريني 112 .
كيلج علي 180 .
- ق -
قائتانو جرفازوني 108 .
قاسبار ترال 138 .
القديس جاك 176 .
القديس جورج 89 .
القديس يوحنا 27، 71، 87، 198.
القديسة كلير 199 .
قيوسيبي دي بيترو 81 .
قويللو 84 .
- ل -
لابيروز 140، 141 .
لاقل 139 .
لورانثو ماري 203 .
لويس الثالث عشر 125، 126 .
لويس جيانو 216 .
لويس الخامس عشر 29، 30، 31، 136، 141
- ك -
كابارازولو 99، 100 .
كاترين 163 .

- 142، 145، 191، 198 . محمد السلامي 105 .
لويس دولاموت 124 . محمد سيالة 75 .
لويس الرابع عشر 28، 29، 31، 34، 35، 36 . محمد شاوش 141 .
38، 57، 78، 129، 130، 131، 132، 134 . محمد طاباق 81، 131 .
136، 138، 139 . محمد طاطار 185 .
لويس السادس عشر 31، 32، 165 . محمد كراث 75، 187 .
ليوبولد الأول 28 . محمد منتشالي 131 .
- م - محمود باي 46 .
ماري أنطوانيت 31، 32 . محمود الجلولي 105، 106، 107 .
ماريا تريزا 29، 31، 36 . محمود خزندار 192، 194 .
ماطيو مولينا 185 . مراد 73، 84، 126، 183 .
مامي 74 . مراد بك 51، 126 .
مانويل لوبث 194 . مراد باي 130، 184 .
مانويل مونتال 99 . مراد الثاني 80 .
مايلي 141 . مراد داي 72 .
مترنيخ 25 . مراد راييس 125، 184 .
محمد الأصرم 163 . مردخاي درمون 187 .
محمد باشا 56، 124 . مصطفى 51، 52، 58 .
محمد باي 43، 81 . مصطفى باشا 180 .
محمد بن الحسن 178 . مصطفى خوجة 44، 45، 67، 113، 114 ،
محمد بن عبد الله 58، 59، 204 . 159، 161، 164، 165، 167، 171، 173
محمد بن عثمان 204، 209 . 203، 209، 210، 211 .
محمد الحفصي 179، 180، 181 . مصطفى داي 141 .
محمد راييس 82 . مصطفى قارة 129 .
محمد الرشيد 43 . منصور راييس 184 .
محمد السريري 194 . مورات جواشيم 118 .

موروبا 95، 146 .

مونتييسكيو 32 .

ميرابو 32 .

ميشال 139، 141، 142 .

ميشال بيار 142 .

- ن ه -

نابليون 26، 27، 32، 33، 34، 64، 118، 171.

نابليون بوناپرت 32، 34، 38، 65، 103، 171،

219، 223 .

نيكولا روساليم 100 .

نيكولا بيشو لينج 74.

هابنسترايت 196، 197 .

- ي -

يوسف باشا 57 .

يوسف داي 72، 125، 126، 184.

يوسف صاحب الطابع 106، 107، 211 .

يعقوب لمبروزو 83، 187 .

يونس 42، 43، 54، 90 .

يونس باي 42، 149، 150، 153، 154.

يونس بك 96، 150 .

2- فهرس الأماكن والبلدان :

— أ —

الأراضي المنخفضة 30، 35، 181، 185 .

أزمير 100 ، 170 ، 198 .

إسبانيا 22، 24 ، 25، 27، 28، 29، 32، 34،

35، 36، 37 ، 38 ، 39 ، 41 ، 55 ، 59 ، 60 ،

66، 68، 71، 72 ، 74، 76، 78 ، 86 ، 92 ،

126 ، 148 ، 173 ، 174 ، 175، 176، 177 ، إنجلترا 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 35 ،

178 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ، 184، 185 ، 36 ، 37 ، 38 ، 41 ، 56 ، 117 ، 157 ،

186، 187، 188 ، 189 ، 190 ، 191 ، 192 ، 161 ، 181 ، 193 ، 194 .

193، 194، 195، 196 ، 197 ، 198 ، 199 ، أنجو 28 ، 34 .

200، 201، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 206 ، أوترخت 25 ، 29 ، 35 .

207، 208، 209، 210، 211، 212، 213،

214، 215، 216، 217، 218، 219، 220،

223،

إسطنبول 42 ، 50 ، 51 ، 139 ، 174 ، 175 .

أسفي 59 .

آسيا 30 ، 181 .

أفريقيا 57 ، 64 ، 66 ، 85 ، 88 ، 91 ، 110 ،

137 ، 140، 141، 150، 162، 178، 179 ،

180، 181، 185، 195، 197، 202، 205 .

إفريقيا الشمالية 66 ، 205 .

إيطاليا 25 ، 26 ، 27 ، 32 ، 36 ، 37 ، 38 ،

66 ، 76 ، 77 ، 92 ، 107 ، 181، 193، 205 .

الإسكندرية 33 ، 45، 74، 110، 111 .

الأطلسي 48 ، 51 ، 190 .

الألب 27 .

أليكانت 213 ، 217 ، 219 .

الإمبراطورية العثمانية 90 ، 91 ، 163 .

الإمبراطورية النمساوية 29 ، 38 .

أمريكا 30 ، 37 ، 38 ، 107 ، 181 .

أمريكا الشمالية 30 .

أمريكا اللاتينية 34 ، 35 .

الأندلس 182، 183 .

إنجلترا 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 35 ،

36 ، 37 ، 38 ، 41 ، 56 ، 117 ، 157 ،

161 ، 181 ، 193 ، 194 .

أنجو 28 ، 34 .

أوترخت 25 ، 29 ، 35 .

أوربا 22 ، 24 ، 28 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ،

34 ، 35 ، 38 ، 39 ، 47 ، 48 ، 57، 60 ،

61 ، 62 ، 64 ، 65 ، 67 ، 68 ، 69 ، 74 ،

75 ، 79 ، 80 ، 82 ، 83 ، 84 ، 88 ، 92 ،

97 ، 105 ، 108 ، 120 ، 121، 126، 128،

132، 135، 150، 151، 164، 174، 175،

180، 184، 189، 195، 203، 205، 207،

208، 220، 221، 222، 224 .

أوربا الجنوبية 83 .

أوربا الشمالية 205 .

أوربا الغربية 29 ، 38 ، 74 .

أوجاق 33 .

أوجاقات الغرب 97 ، 98 .

الأوجاق المغربية 97 .

أولونة 84 .

- إكس-لاشاييل 24 ، 26 ، 29 ، 36 .
الإيالات المغاربية 26 ، 41 ، 58 ، 59 ، 109 ،
119 ، 137 ، 170 ، 215 .
إيالة تونس 22 ، 39 ، 41 ، 48 ، 61 ، 62 ، 64 ، 69 ،
72 ، 75 ، 83 ، 85 ، 91 ، 94 ، 97 ، 99 ، 108 ،
109 ، 121 ، 124 ، 127 ، 128 ، 129 ، 131 ،
132 ، 137 ، 146 ، 190 ، 191 ، 185 ، 189 ، 192 ،
193 ، 194 ، 195 ، 196 ، 197 ، 201 ، 202 ، 209 ،
208 ، 210 ، 211 ، 214 ، 217 .
الإيالة التونسية 24 ، 39 ، 43 ، 53 ، 60 ، 61 ،
65 ، 69 ، 70 ، 86 ، 87 ، 92 ، 93 ، 101 ،
102 ، 103 ، 111 ، 115 ، 121 ، 122 ، 126 ،
127 ، 128 ، 130 ، 132 ، 134 ، 135 ،
136 ، 139 ، 140 ، 146 ، 153 ، 154 ، 155 ،
156 ، 158 ، 162 ، 166 ، 169 ، 174 ،
186 ، 187 ، 188 ، 189 ، 192 ، 199 ، 200 ،
202 ، 203 ، 204 ، 206 ، 208 ، 213 ،
215 ، 216 ، 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 .
إيالة الجزائر 22 ، 39 ، 49 ، 50 ، 126 ، 157 ،
180 ، 201 ، 219 .
إيالة طرابلس 22 ، 39 ، 55 ، 85 ، 209 .
- ب -
- الباب العالي 70 ، 90 ، 98 ، 171 .
باجة 123 ، 177 .
بارباريا 85 ، 185 .
باردو 46 ، 104 ، 113 ، 141 ، 142 ، 143 ،
149 ، 154 ، 157 ، 158 ، 161 ، 168 ، 211 .
بارما 25 ، 36 .
- باريس 30 ، 37 ، 153 ، 167 ، 199 .
الباستيون 180 .
باليرمو 30 ، 117 .
البحر الأدرياتيكي 84 ، 204 .
البحر المتوسط 22 ، 23 ، 24 ، 25 ، 33 ، 39 ،
44 ، 45 ، 48 ، 50 ، 59 ، 62 ، 63 ، 64 ،
66 ، 69 ، 70 ، 74 ، 75 ، 86 ، 88 ، 101 ،
109 ، 113 ، 120 ، 123 ، 126 ، 132 ،
137 ، 159 ، 174 ، 181 ، 183 ، 186 ،
188 ، 190 ، 201 ، 214 ، 221 .
البرازيل 83 ، 129 ، 186 .
البرتغال 35 ، 37 ، 38 ، 54 ، 59 ، 181 ،
196 ، 204 .
برشلونة 89 ، 185 ، 202 ، 213 .
بروسيا 28 ، 29 ، 30 ، 32 ، 33 ، 36 .
البروفانس 93 ، 161 ، 166 .
بريطانيا 27 ، 32 ، 33 ، 54 ، 106 ، 181 .
بفاريا 28 ، 29 ، 35 ، 36 .
البلاد الأوربية 47 ، 166 .
بلاد المغرب 77 .
البلاد المغاربية 77 .
البلاد المنخفضة 181 .
البلدان المغاربية 37 ، 38 ، 110 ، 116 ،
164 ، 190 ، 201 ، 209 .
بلجيكا 37 ، 2005 .
بنتالاريا 191 .
البندقية 22 ، 25 ، 26 ، 27 ، 28 ، 33 ، 39 .

، 118، 117، 116، 115، 114، 113، ، 76 ، 70 ، 69 ، 68 ، 56 ، 55 ، 54 ، 47 ،
، 124 ، 123 ، 122 ، 121 ، 120 ، 119 97 ، 91 ، 90 ، 87 ، 86 ، 85 ، 84 ، 83 ، 77
، 130 ، 129 ، 128 ، 127 ، 126 ، 125 ، 105 ، 104 ، 103، 102، 100 ، 99 ، 98 ،
، 136 ، 135 ، 134، 133 ، 132 ، 131 114، 113، 112، 111، 110، 109، 108
، 142 ، 141 ، 140 ، 139 ، 138 ، 137 . 222، 206 ، 204 ، 120 ، 116، 115،
، 148 ، 147 ، 146 ، 145 ، 144 ، 143 بنزرت 73 ، 75 ، 76 ، 80 ، 101 ، 110 ، 114
، 154 ، 153 ، 152 ، 151 ، 150 ، 149 ، 162 ، 160 ، 159 ، 158 ، 157 ، 148 ،
، 160 ، 159 ، 158 ، 157 ، 156 ، 155 . 194، 184، 182
، 166 ، 165 ، 164 ، 163 ، 162 ، 161 . البو 27
، 172 ، 171 ، 170، 169 ، 168 ، 167 بورتو فارينا 93 ، 126 .
، 178 ، 177 ، 176 ، 175 ، 174 ، 173 بونة 80 .
، 184 ، 183 ، 182 ، 181 ، 180 ، 179 . البيريني 185
، 190 ، 189 ، 188 ، 187 ، 186 ، 185 . بيلزانسي 25
، 196 ، 195 ، 194 ، 193 ، 192 ، 191 . بيو مبينو 25
، 202 ، 201 ، 200 ، 199 ، 198 ، 197
208، 207، 206 ، 205 ، 204 ، 203
215، 214، 213، 212، 211، 210، 209،
222، 221، 220 219، 218، 217، 216،
، 224 ، 223،

- ت -

تامكرت 95 ، 124 ، 140 ، 149 .
تلمسان 58 .
توسكانيا 25 ، 26 ، 36 ، 55 ، 69 ، 71 ، 76 ،
، 181، 100، 93، 91

- ج -

جبل طارق 35 ، 66 ، 110 .
جبل وسلات 43 ، 157 .
جربة 47، 57، 60، 65، 71 ، 74 ، 75 ، 76 55 ، 57 ، 58، 59، 60 ، 61 ، 62 ، 63 ، 64 ،
، 181، 184، 169، 177، 163، 105، 104، ، 72 ، 71 ، 70 ، 69 ، 68 ، 67 ، 66 ، 65 ،
، 43 ، 42 ، 40 ، 39، 38 ، 33 ، 22 الجزائر 81 ، 80 ، 79 ، 78 ، 77 ، 76 ، 75 ، 74، 73
، 54، 53، 52 ، 51 ، 50 ، 49 ، 47 ، 46 ، 89 ، 88 ، 87 ، 86 ، 85 ، 84، 83 ، 82 ،
65، 64 ، 63 ، 60 ، 59، 58 ، 57 ، 55 98 ، 97 ، 96 ، 95 ، 94 ، 93 ، 92 ، 91 ، 90
95 ، 93 ، 84، 83، 80 ، 79 ، 71 ، 66 ، 105 ، 104 ، 103 ، 102 ، 101 ، 100 ، 99 ،
، 109 ، 108 ، 104 ، 100 ، 98 ، 96 ، 112، 111، 110، 109، 108، 107، 106 ،

110 ، 115 ، 119 ، 124 ، 126 ، 129 ، 131 ، الدانمارك 59 .
132 ، 133 ، 142 ، 143 ، 150 ، 157 ،
159 ، 167 ، 170 ، 171 ، 175 ، 177 ، 180 ،
182 ، 188 ، 194 ، 195 ، 196 ، 197 ، 201 ،
204 ، 206 ، 208 ، 209 ، 210 ، 211 ،
212 ، 219 ، 220 ، 221 .
الجزر الإيطالية 117 .
جزر البليار 181 ، 209 .
جنوب الصحراء 57 ، 137 .
جنوة 22 ، 25 ، 26 ، 27 ، 28 ، 69 ، 70 ، 73 ،
76 ، 77 ، 78 ، 79 ، 81 ، 82 ، 86 ، 87 ،
91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95 ، 97 ، 102 ، 103 ،
107 ، 108 ، 128 ، 160 ، 185 ، 116 ، 222 .
جيجل 129 .

- ح -

حلق الوادي 73 ، 74 ، 76 ، 84 ، 89 ، 90 ،
104 ، 109 ، 110 ، 111 ، 112 ، 113 ، 114 ،
117 ، 130 ، 131 ، 139 ، 142 ، 144 ،
146 ، 157 ، 160 ، 165 ، 172 ، 176 ، 177 ،
178 ، 179 ، 180 ، 183 ، 184 ، 193 ، 210 .

- ر -

الرأس الأسود 80 ، 81 ، 86 ، 95 ، 96 ،
123 ، 124 ، 125 ، 126 ، 127 ، 129 ،
130 ، 132 ، 133 ، 134 ، 137 ، 138 ،
139 ، 140 ، 141 ، 146 ، 147 ، 149 ،
150 ، 152 ، 153 ، 162 .
رأس النقرو 83 .
روسيا 27 ، 30 ، 33 ، 36 ، 44 ، 53 ،
160 ، 163 ، 205 .
روما 27 ، 179 ، 214 .
الحمامات 65 ، 71 ، 76 ، 104 .
الحوض الغربي للمتوسط 22 ، 23 ، 37 ، 39 ، 49 ،
69 ، 70 ، 77 ، 86 ، 88 ، 101 ، 122 ، 137 ، 174 ،
175 ، 181 ، 188 ، 219 ، 214 ، 201 ، 190 ، 221 ،
حوض البحر المتوسط 22 ، 24 ، 25 ، 44 ، 45 ،
62 ، 64 ، 66 ، 69 ، 123 ، 126 ، 132 ،
137 ، 181 ، 186 ، 190 ، 221 .

- د -

- س -

سان مارينو 25 .

سافوا 25 ، 30 ، 35 ، 36 .

سبته 181 .

سردينيا 25 ، 27 ، 29 ، 35 ، 36 ، 65 ، 69 ، 78 ،

، 91 ، 93 ، 101 ، 103 ، 119 ، 181 .

السودان 82 .

سوسة 74 ، 75 ، 76 ، 105 ، 110 ، 113 ،

114 ، 159 ، 160 ، 184 .

السويد 33 ، 199 .

- ش -

شبه الجزيرة الإيطالية 24 ، 25 ، 28 ، 38 ، 70 ،

85 ، 101 ، 103 .

شبه الجزيرة الإيبيرية 33 ، 181 ، 217 .

الشرق 45 ، 48 ، 74 ، 106 ، 127 ، 163 ، 205 .

الشرق الإسلامي 74 .

شكلي 179 .

الشمال الإفريقي 90 .

شمال إفريقيا 64 ، 85 ، 91 ، 110 ، 137 ، 150 ،

، 179 ، 180 ، 181 ، 185 ، 195 ، 202 .

الشمال الإيطالي 82 .

- ص -

صفاقس 75 ، 76 ، 77 ، 82 ، 89 ، 90 ، 99 ، 105 ،

، 110 ، 109 ، 114 ، 138 ، 163 ، 165 ، 184 .

صقلية 25 ، 34 ، 35 ، 36 ، 69 ، 72 ، 73 ، 74 ،

75 ، 76 ، 79 ، 90 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ،

117 ، 120 ، 138 ، 141 ، 178 ، 179 ،

181 ، 187 ، 190 ، 191 ، 222 .

- ض -

الضفة الشمالية 24 ، 38 ، 60 ، 94 ، 63 ،

89 ، 211 .

الضفة الجنوبية 22 ، 38 ، 39 ، 60 ، 188 ،

221 .

- ط -

طبرق 96 .

طبرقة 77 ، 79 ، 80 ، 81 ، 83 ، 86 ، 91 ،

94 ، 95 ، 96 ، 97 ، 123 ، 129 ، 139 ،

149 ، 150 ، 158 ، 159 ، 162 ، 164 ،

166 ، 186 .

طرابلس 22 ، 33 ، 38 ، 39 ، 45 ، 51 ، 54 ،

55 ، 56 ، 57 ، 59 ، 60 ، 71 ، 74 ، 83 ،

، 85 ، 99 ، 100 ، 131 ، 132 ، 143 ،

166 ، 180 ، 199 ، 204 ، 206 ، 209 ،

212 ، 220 ، 221 .

طنجة 59 ، 181 .

طولون 118 ، 146 ، 153 ، 199 .

- ع -

العالم الإسلامي 26 ، 201 ، 205 .

العالم الجديد 184 .

عكا 33 .

عنابة 127 ، 176 .

- غ -

غار الملح ، 73 ، 76 ، 89 ، 93 ، 98 ،

160 ، 165 ، 182 ، 184 ، 194 ، 198 . القارة الأوربية 137 .

غرب أوروبا 22 ، 24 ، 38 ، 39 ، 60 ، 61 ، 62 . قاستلا 25 .

175 ، 174 ، 121 ، 69 ، 68 ، 67 ، 65 ، 64 ، القدس 89 .

224 ، 221 ، 220 ، 208 ، قرسقا 160 .

غرب المتوسط 22 ، 23 ، 24 ، 38 ، 39 ، 48 ، قرسكا 160 .

50 ، 60 ، 61 .

قرطاجنة 180 ، 199 .

- ف -

قرقنة 65 ، 89 ، 104 ، 105 ، 181 .

قشتالة 182 ، 191 ، 192 ، 194 ، .

أبي قير 33 .

القيروان 42 ، 179 ، 180 .

- ك -

كاب نقر 95 .

كاتالونيا 181 ، 182 ، 202 .

الكاف 42 ، 52 ، 53 .

كندا 29 .

كورسيكا 27 ، 30 ، 77 ، 78 ، 104 ، 107 ،

159 ، 161 ، 162 ، 163 ، 172 ، 223 .

- ل -

ليبانت 181 .

لاسيوتا 199 .

لندن 34 .

اللورين 29 ، 30 .

لوقا 25 .

ليفورن (ليفورنو ، ليفورنه) 22 ، 25 ، 66 ، 69 ،

70 ، 75 ، 78 ، 81 ، 82 ، 83 ، 86 ، 87 ،

91 ، 92 ، 93 ، 102 ، 103 ، 105 ، 107 ،

فرنسا 22 ، 24 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 32 ،

33 ، 34 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 41 ، 47 ،

48 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59 ، 66 ، 67 ،

68 ، 77 ، 78 ، 81 ، 85 ، 88 ، 92 ، 94 ، 95 ،

100 ، 105 ، 106 ، 107 ، 118 ، 120 ، 121 ،

122 ، 123 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ،

130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 134 ، 135 ، 136 ،

137 ، 138 ، 139 ، 140 ، 141 ، 142 ، 143 ،

144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 149 ، 150 ،

151 ، 152 ، 153 ، 154 ، 155 ، 156 ، 157 ،

158 ، 159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ،

165 ، 166 ، 167 ، 168 ، 169 ، 170 ، 171 ،

172 ، 173 ، 181 ، 185 ، 193 ، 194 ، 195 ،

196 ، 204 ، 205 ، 215 ، 216 ، 217 ، 222 ،

223 ،

فلسطين 33 .

فيومارا صلاتا 123 .

فيينا 24 ، 29 ، 36 ، 62 .

- ق -

117 ، 108 ، 77 ، 66 ، 64 ، 62 ، 60 ، 200 ، 195 ، 187 ، 138 ، 128 ، 120 ، 108 ،
224 ، 222 . 166 ، 206 ، 209 ، 220 ، 221 .

المغرب الإسلامي 38 ، 62 ، 64 ، 206 ، 221 .

—م—

مازغان 59 . المغرب الأقصى 22 ، 60 .

ماسكارارا 25 . مليلة 181 .

مالطة 22 ، 25 ، 27 ، 63 ، 65 ، 66 ، 69 ، 70 المنستير 76 ، 89 ، 160 .

84 ، 82 ، 78 ، 76 ، 75 ، 74 ، 73 ، 72 ، 71 ، المهديّة 89 ، 176 ، 177 .

مودينا 25 ، 101 ، 100 ، 90 ، 89 ، 88 ، 87 ، 86 ، 85 ،

موسكو 33 112 ، 111 ، 110 ، 106 ، 105 ، 104 ، 103

ميلانو 25 ، 27 ، 34 ، 35 ، 76 ، 181 ، 196 ، 187 ، 185 ، 181 ، 128 ، 120 ، 115 ،

221 .

ميورقة 89 . مانيلا 37 .

مينورقة 35 . مالقة 185 ، 202 ، 213 .

—ن—

نابل 117 ، 118 ، 119 . ماهونة 213 .

مايورقة 187 .

نابولي 25 ، 27 ، 34 ، 35 ، 36 ، 38 ، 63 ، متيلني 98 .

64 ، 65 ، 68 ، 69 ، 74 ، 75 ، 76 ، 78 ، مدريد 35 ، 184 ، 204 .

84 ، 91 ، 93 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، مراکش 59 .

117 ، 118 ، 120 ، 181 ، 222 .

النمسا 25 ، 27 ، 28 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 مرسيليا 66 ، 67 ، 78 ، 92 ، 106 ، 122 ، 124 ،

35 ، -3 ، 41 ، 127 ، 128 ، 129 ، 131 ، 138 ، 162 ،

نيس 25 ، 30 ، 163 ، 164 ، 167 ، 168 ، 169 ، 195 ، 199 ،

200 ، 206 .

—ه—

مسينا 185 .

هافانا 37 . المشرق 32 ، 82 ، 195 ، 202 .

الهند 29 . مصر 27 ، 32 ، 33 ، 67 ، 105 ، 107 ، 170 ،

هولندا 28 ، 29 ، 32 ، 34 ، 36 ، 41 ، 59 ، 173 ، 223 ،

73 ، 94 ، 182 ، 208 . المغرب 22 ، 38 ، 39 ، 51 ، 57 ، 58 ، 59 ،

- و -

واترلو 34 .

الولايات البابوية 25 .

الولايات العثمانية 98 ، 179 .

الولايات المتحدة 51 ، 54 ، 59 ، 60 .

وهران 51 ، 66 ، 181 ، 189 ، 196 ، 197 ،

198 ، 200 ، 206 .

ويستفاليا 185 .

3- فهرس القبائل والجماعات :

- ب -

- أ -

البابوية 25 ، 32 ، 91 ، 179 .

الباشية 42 .

البايات 48 ، 68 ، 107 ، 115 ، 121 ،

134 ، 137 ، 156 ، 188 ، 207 .

البربر 80 .

البلنسيان 99 ، 112 .

البنادقة 77 ، 85 ، 94 ، 98 ، 99 ، 110 ،

111 ، 112 ، 115 ، 116 ، 198 .

البندقيون 85 ، 112 ، 115 .

البربون 37 ، 204 ، 205 .

- ت -

الترينيتانيون 193 ، 194 .

التونسيون 42 ، 44 ، 47 ، 48 ، 52 ، 54 ، 58 ،

65 ، 68 ، 72 ، 73 ، 74 ، 75 ، 78 ، 79 ،

81 ، 82 ، 84 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، 90 ، 93 ،

95 ، 96 ، 98 ، 99 ، 100 ، 102 ، 103 ،

105 ، 106 ، 107 ، 108 ، 110 ، 111 ، 112 ،

113 ، 115 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 126 ،

127 ، 130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 134 ، 138 ،

141 ، 142 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 152 ،

157 ، 158 ، 159 ، 162 ، 163 ، 164 ، 168 ،

169 ، 170 ، 176 ، 178 ، 187 ، 194 ، 196 ،

197 ، 198 ، 199 ، 200 ، 204 ، 206 ، 207 ،

208 ، 209 ، 211 ، 212 ، 213 ، 214 ، 217 ،

218 ، 219 ، 221 .

- ج -

الأتراك 40 ، 47 ، 50 ، 85 ، 88 ، 127 ، 178 ،

194 ، 195 .

الإسبان 51 ، 68 ، 85 ، 94 ، 98 ، 175 ، 177 ،

178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ،

184 ، 185 ، 188 ، 189 ، 193 ، 196 ، 197 ،

198 ، 200 ، 204 ، 206 ، 209 ، 210 ، 212 ،

213 ، 214 ، 215 ، 218 ، 219 ، 220 ، 224 .

الأعراب 153 .

الأعلاج 184 .

أوغسبرغ (منظمة) 132 ، 133 .

آل بربون 34 ، 205 .

الإفرنج 104 .

الإكليروس 37 .

الأمريكيون 190 ،

الأمم الاوربية 166 ، 204 .

الإنجليز 35 ، 107 ، 117 ، 128 ، 132 ، 190 ،

200 .

الأندلسيون 81 ، 176 ، 182 ، 183 ، 184 ،

193 ، 194 .

الإنكشارية 42 ، 50 ، 52 ، 143 ، 153 ، 172 ،

211 .

الأوريون 62 ، 63 ، 65 ، 66 ، 67 ، 75 ، 77 ،

81 ، 92 ، 102 ، 107 ، 108 ، 133 ، 169 ،

186 ، 188 ، 190 ، 191 ، 193 ، 200 ، 223 .

الإيطاليون 27 ، 78 ، 98 ، 190 ، 198 .

- الجزائريون 40 ، 42 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 58
الصقليون 75 ، 100 ، 101 ، 117 .
84 ، 90 ، 154 ، 194 ، 196 ، 198 ، 206 ، 209 .
الجلولي (أسرة) 45 ، 68 .
الجنويز 97 .
الجنوبيون 77 ، 78 ، 79 ، 80 ، 81 ، 93 ، 94 ،
95 ، 97 ، 123 ، 126 ، 149 ، 150 .
- ح -
الحسينية 40 ، 42 ، 43 ، 52 ، 60 ، 121 ، 136 ،
137 ، 156 ، 189 ، 191 .
الحسينيون 107 ، 115 ، 121 ، 126 ، 137 ، 156 .
الحفصيون 175 ، 177 ، 178 ، 188 .
- خ -
خمير 80 ، 96 .
- د -
الدايات 49 ، 50 ، 70 ، 91 .
- ر -
الرأسمالية 44 ، 74 ، 81 ، 82 ، 92 ، 107 ، 153 ،
158 ، 172 ، 223 .
الرهبان 154 ، 214 .
الروس 33 ، 50 ، 190 .
الرياس (جماعة) 73 ، 75 ، 147 .
- ز -
زوار (قبيلة) 65 ، 99 ، 104 .
- ص -
الصوفية 59 .
الصفاقسيون 105 .
- ط -
الطرابلسيون 56 ، 206 .
- ع غ -
عبيد البخاري 57 ، 58 .
العثمانيون 49 ، 175 ، 177 ، 178 ، 179 ،
180 ، 181 ، 182 ، 188 .
العرب 80 ، 101 ، 196 ، 197 .
العربان 95 .
العلوية (أسرة) 58 ، 60 .
بن عياد (أسرة) 45 .
عمدون (قبيلة) 80 ، 96 .
- ف -
الفرسان (جماعة) 27 ، 72 ، 85 ، 106 .
فرسان سانت ستيفانو 71 .
فرسان القديس يوحنا 27 ، 71 ، 87 .
فرسان مالطة 27 ، 63 ، 71 ، 73 ، 74 ، 84 ،
85 ، 86 ، 88 ، 89 ، 90 ، 104 ، 106 ،
120 ، 181 ، 185 .
الفرنسيين 160 ، 170 ، 171 .
الفرنسيون 26 ، 30 ، 32 ، 33 ، 35 ، 52 ، 67 ،
78 ، 89 ، 95 ، 105 ، 107 ، 111 ، 123 ،
124 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ،
131 ، 132 ، 133 ، 134 ، 139 ، 140 ، 141 ،
142 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ،
149 ، 150 ، 151 ، 152 ، 153 ، 154 ، 157 ،
158 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165 ،

166، 169، 170، 171، 172، 173، 185،
187، 214، 217، 223 .
الفسسيان 112 .

-ق-

القراصنة 48 ، 54 ، 56 ، 62 ، 63 ، 65 ، 71 ،
73 ، 75 ، 82 ، 84 ، 88 ، 89 ، 90 ، 93 ، 98 ،
99 ، 100 ، 104 ، 105 ، 107 ، 110 ، 113 ،
115 ، 117 ، 119 ، 145 ، 147 ، 159 ، 176 ،
186 ، 190 ، 206 ، 212 ، 217 .
القرمانلية (أسرة) 38 ، 39 ، 55 ، 56 ، 57 ، 60 .
القرمانليون 55 ، 57 .
القرنة 78 ، 81 ، 82 ، 83 ، 92 ، 105 ، 107 ، 161 .
القرنيون 92 ، 107 .
القناصل(القناصلة) 66 ، 152 ، 194 .

-ك-

الكاثوليك 147 ، 190 ، 191 ، 214 .
الكورسيكيون 161 .
الكونتيراس (عائلة) 194 .

-ل-

لنش (شركة) 124 .
اللوميليني (عائلة) 79 ، 80 .
الليفورنيون 78 ، 83 ، 86 ، 91 ، 92 ، 102 ،
107 ، 120 ، 187 ، 222 .

-م-

الماركنيتية 81 ، 92 ، 187 .
المالطيون 65 ، 72 ، 73 ، 75 ، 76 ، 86 ، 87 ، 8

90، 102، 105، 120، 217، 221،
المخزن (جماعات) 50 ، 81، 138، 131، 182 .
المرادية (أسرة) 40 .

المراديون 115 ، 128 ، 188 .

المرباط (أسرة) 45 .

المرسلون 88 ، 123 ، 127 ، 132 ، 217 .
المسلمون 71 ، 74 ، 75 ، 89 ، 90 ، 107 ، 112 ،
120 ، 124 ، 170 ، 176 ، 180 ، 183 ، 190 ،
196 ، 198 ، 200 ، 203 ، 204 ، 214 .
المسيحيون 51 ، 59 ، 64 ، 65 ، 71 ، 72 ،
75 ، 88 ، 91 ، 106 ، 108 ، 119 ، 120 ،
124 ، 147 ، 153 ، 164 ، 176 ، 191 ،
193 ، 196 ، 197 ، 198 ، 203 .
المغاربة 63 ، 93 ، 98 ، 127 ، 163 ، 164 .

-ن-

النابوليتانيون 118 .
النصارى 74 ، 81 ، 104 ، 191 ، 204 ، 213 .
نفزة (قبيلة) 80 ، 96 .

-ه-

الهمامة 42 .
هنتانة (قبيلة) 80 ، 96 .
الهولنديون 35 ، 85 ، 128 ، 185 ، 190 .

-ي-

اليهود 78 ، 81 ، 82 ، 83 ، 86 ، 92 ، 98 ، 99 ،
101 ، 100 ، 102 ، 107 ، 108 ، 138 ، 120 ،
153 ، 166 ، 187 ، 195 ، 208 ، 222 .
اليونانيون 75 .

4- فهرس المحتويات :

المحتويات	الصفحة
شكر وتقدير	
الإهداء	
المختصرات	
المقدمة	1-21
الفصل الأول : الأوضاع العامة في تونس ودول ضفتي غرب المتوسط خلال القرن 18م	
	22-68
المبحث الأول : الوضع السياسي في الضفة الشمالية من غرب المتوسط خلال القرن 18م	24-38
1- الوضع السياسي في شبه الجزيرة الإيطالية خلال القرن 18م	25
1.1- إيطاليا خلال النصف الأول من القرن 18م	25
1.2- أوضاع إيطاليا ما بعد سنة 1748م	26
1.3- احتلال نابليون بونابرت لإيطاليا	26
2- الوضع السياسي في فرنسا خلال القرن 18م	28
2.1- فرنسا خلال عهد لويس الرابع عشر	28
2.2- فرنسا خلال عهد لويس الخامس عشر	29
2.3- حرب السبع سنوات بين فرنسا وإسبانيا	30
2.4- فرنسا خلال عهد لويس السادس عشر	31
2.5- الثورة الفرنسية وأثرها على أوروبا	31
2.6- حروب نابليون التوسعية وأثرها على أوروبا	32
3- الوضع السياسي في إسبانيا خلال القرن 18م	35
3.1- حرب الوراثة الإسبانية وأثرها على إسبانيا	35
3.2- دور إسبانيا في حرب الوراثة النمساوية	36
3.3- سياسة إسبانيا ما بعد سنة 1748م	37
استنتاج	38

المبحث الثاني : الوضع السياسي في الضفة الجنوبية من غرب المتوسط خلال القرن 18م 39-60

- 1- الوضع السياسي في تونس خلال القرن 18م 40
 - 1.1- تأسيس الدولة الحسينية وتنظيمها في عهد حسين بن علي (1705-1740) 40
 - 1.2- فترة حكم علي باشا وسياسته (1740-1756) 43
 - 1.3- عودة ابني حسين بن علي للحكم في تونس في سنة 1756 43
 - 1.4- سياسة الوفاق وإعادة بناء الدولة في عهد علي باي (1759-1782) 43
 - 1.5- عهد حمودة باشا الحسيني وسياسته (1782-1814) 46
- 2- الوضع السياسي في الجزائر خلال القرن 18م 49
 - 2.1- علاقة الجزائر بالدولة العثمانية 49
 - 2.2- مكانة الجزائر وقوتها البحرية في المتوسط 50
 - 2.3- علاقات الجزائر مع تونس 51
- 3- الوضع السياسي في طرابلس خلال القرن 18م 55
 - 3.1- وصول الأسرة القرمانيّة للحكم في طرابلس 55
 - 3.2- طرابلس في عهد محمد باشا القرماني (1745-1754) 56
 - 3.3- طرابلس في عهد علي باشا القرماني (1754-1795) 56
 - 3.4- ضعف القرمانيين ونهاية حكمهم في طرابلس 57
- 4- الوضع السياسي في المغرب خلال القرن 18م 57
 - 4.1- عهد مولاي إسماعيل والتحالف المغربي التونسي 57
 - 4.2- عهد الفوضى والاضطراب (1727-1757) 58
 - 4.3- المغرب في عهد مولاي محمد (1757-1790) 59
 - 4.4- المغرب في عهد مولاي سليمان (1792-1822) 59
- استنتاج 60

المبحث الثالث : العوامل المؤثرة في العلاقات بين ضفتي غرب المتوسط خلال القرن 18م. 61-68

- 1- القرصنة 62
- 2- الأسرى 64

3-	التجارة	65
4-	شخصيات مهمة	67
	استنتاج	68
	الفصل الثاني : علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة والدويلات الإيطالية خلال القرن	
18م	69-120
	المبحث الأول : علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة والدويلات الإيطالية قبل القرن	
18م	70-86
1-	علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة قبل القرن 18م.....	71
1.1-	الجدور التاريخية لعلاقات تونس مع مالطة خلال العصر الحديث	71
1.2-	علاقات تونس مع مالطة العدائية (القرصنة المتبادلة) خلال القرن 17م	71
1.3-	علاقات تونس التجارية مع مالطة خلال القرن 17م	75
2-	علاقات تونس السياسية والتجارية مع الدويلات الإيطالية قبل القرن 18م.....	76
أ-	علاقات تونس مع جمهورية جنوة خلال القرن 17م	79
ب-	علاقات تونس التجارية مع ليفورن خلال القرن 17م	81
ج-	علاقات تونس العدائية مع جمهورية البندقية خلال القرن 17م	83
	استنتاج	85-86
	المبحث الثاني : علاقات تونس مع مالطة والدويلات الإيطالية 1705-1756	87-102
1-	علاقات تونس السياسية والتجارية مع مالطة 1705-1756	88
1.1-	تهديد القرصنة المالطية للتجارة التونسية مع بداية القرن 18م	88
1.2-	الحمالات البحرية المتبادلة خلال النصف الأول من القرن 18م	89
1.3-	معاهدة صلح بين علي باشا ومالطة	90
2-	علاقات تونس مع الدويلات الإيطالية 1705-1756	90
أ-	علاقات تونس التجارية مع ليفورن من 1705-1756	91
ب-	علاقات تونس مع جمهورية جنوة من 1705-1756	93
ج-	علاقات تونس مع جمهورية البندقية من 1705-1756	97
د-	علاقات تونس مع مملكة نابولي وصقلية من 1705-1756	100

استنتاج	102-101
المبحث الثالث : علاقات تونس مع مالطة والدويلات الإيطالية 1756-1814	120-103
1- علاقات تونس مع مالطة من 1756-1814	104
1.1- الحملات المالطية على تونس من 1770-1784	104
1.2- القرصنة المالطية وأثرها على التجارة التونسية	104
1.3- علاقات التجارية مع مالطة	105
2- علاقات تونس مع الدويلات الإيطالية من 1756-1814	107
أ- علاقات تونس التجارية مع ليفورن ما بعد سنة 1756	107
ب- علاقات تونس مع جمهورية جنوة ما بعد سنة 1756	108
ج- علاقات تونس مع جمهورية البندقية ما بعد سنة 1756	108
د- علاقات تونس مع مملكة نابولي وصقلية ما بعد سنة 1756	117
هـ- علاقات تونس مع مملكة سردينيا ما بعد سنة 1756	119
استنتاج	120

الفصل الثالث : علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا خلال القرن 18م

.....	173-121
المبحث الأول : علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا قبل القرن 18م	135-122
1- الجذور التاريخية للعلاقات بين تونس وفرنسا في العصر الحديث	123
2- تطور علاقات تونس مع فرنسا مع بداية القرن 17م	125
3- دور مرسيليا في علاقات تونس مع فرنسا خلال القرن 17م	127
4- علاقات تونس مع فرنسا من 1660 إلى 1685	129
5- العلاقات السياسية والتجارية بين الطرفين من 1685 إلى 1700	132
استنتاج	135-134
المبحث الثاني : علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا من 1705 إلى 1756	155-136
1- علاقات تونس مع فرنسا من 1705 إلى 1728	137
1.1- علاقات تونس مع فرنسا قبل سنة 1710	137
1.2- معاهدة سنة 1710 وأثرها على علاقات الطرفين	139

- 1.3- علاقات الطرفين ما بعد معاهدة سنة 1710.....140
- 1.4- معاهدة سنة 1720 وأثرها على علاقات الطرفين143
- 1.5- علاقات الطرفين ما بعد معاهدة سنة 1720.....144
- 2- علاقات تونس مع فرنسا من 1728 إلى 1740.....146
- 2.1- معاهدة سنة 1728 وأثرها على علاقات الطرفين146
- 2.2- علاقات الطرفين ما بعد معاهدة سنة 1728.....148
- 3- علاقات تونس مع فرنسا من 1740 إلى 1756.....149
- 3.1- حادثة القنصل غوتيه وعلي باشا وأثرها على علاقات الطرفين.....149
- 3.2- تدمير المراكز الفرنسية وأثره على علاقات الطرفين.....149
- 3.3- معاهدة سنة 1742 وأثرها على علاقات الطرفين151
- 3.4- علاقات الطرفين ما بعد معاهدة سنة 1742.....152
- استنتاج154-155
- المبحث الثالث: علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا من 1756 إلى 1814..156-173
- 1- علاقات تونس مع فرنسا من 1756 إلى 1768.....157
- معاهدة سنة 1768 بين فرنسا والإيالة158
- 2- علاقات تونس مع فرنسا من 1768 إلى 1782.....159
- 2.1- توتر العلاقات السياسية بعد إلحاق كورسيكا بفرنسا في سنة 1768.....159
- 2.2- معاهدة سنة 1770 وأثرها على علاقات الطرفين161
- 2.3- علاقات التجار التونسيين مع مرسيليا خلال سنتي 1773 و1774.....162
- 2.4- معاهدة سنة 1781 بين الإيالة والشركة الإفريقية164
- 3- مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا من 1782 إلى 1814.....165
- 3.1- معاهدة سنة 1782 وأثرها على علاقات الطرفين165
- 3.2- علاقات الطرفين ما بعد معاهدة سنة 1782.....166
- 3.3- دور التجار التونسيين في علاقات الطرفين في عهد حمودة باشا168
- 3.4- علاقات تونس السياسية والتجارية مع فرنسا من 1798 إلى 1802.....170
- 3.5- علاقات تونس مع فرنسا من 1802 إلى 1814.....171

استنتاج	173-172
الفصل الرابع : جوانب من مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا خلال القرن	
18م	224-174
المبحث الأول : مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا قبل القرن 18م..	188-175
1- الجذور التاريخية للعلاقات بين تونس وإسبانيا في العصر الحديث	176
2- علاقات تونس السياسية مع إسبانيا خلال القرن 17م	182
3- علاقات تونس التجارية مع إسبانيا (تجارة العبور)	186
استنتاج	188
المبحث الثاني: مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا من 1705 إلى 1756	
.....	200-189
1- علاقات تونس السياسية العدائية مع إسبانيا قبل سنة 1720	190
2- معاهدة بين تونس وإسبانيا في سنة 1720	191
3- دور المستشفى الترينيتاري في علاقات تونس و إسبانيا.....	192
4- علاقات تونس التجارية مع إسبانيا (تجارة العبور)	195
5- موقف إيالة تونس من احتلال الإسبان لمدينة وهران في سنة 1732	196
6- علاقات تونس العدائية مع إسبانيا (القرصنة المتبادلة) ما بعد سنة 1732	198
استنتاج	200-199
المبحث الثالث : مظاهر علاقات تونس السياسية والتجارية مع إسبانيا من 1756 إلى 1814	
.....	220-201
1- المبادلات التجارية بين تونس وإسبانيا ما بعد سنة 1756	202
2- دور المستشفى الترينيتاري في علاقات تونس و إسبانيا ما بعد سنة 1756	203
3- استمرار العداء بين الطرفين حتى الربع الأخير من القرن 18م	204
4- السياسة الخارجية الإسبانية وأثرها على العلاقات مع تونس	204
5- سياسة حمودة باشا الخارجية وأثرها على علاقات تونس مع إسبانيا	207
6- مفاوضات سلام بين تونس وإسبانيا من 1786 إلى 1791	208
7- معاهدة سلام بين تونس وإسبانيا في سنة 1791	215

210...	8- علاقات تونس وإسبانيا السياسية والتجارية ما بعد سنة 1791
220-219.....	استنتاج
224-221.....	خاتمة
225.....	الملاحق
274.....	ثبت المصادر والمراجع
287.....	فهرس الأعلام
294	فهرس الأماكن والبلدان
392.....	فهرس القبائل والجماعات
305.....	فهرس المحتويات

العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية

خلال القرن 18م .مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية .

ملخص الدراسة :

تتضمن هذه الدراسة موضوع العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن الثامن عشر الميلادي ،هذه العلاقات التي جمعت بين طرفين من ضفتي غرب المتوسط ،وهما إيالة تونس ،ودول غرب أوروبا المتوسطية ،التي تتكون من عدة دول وهي على الترتيب حسب الدراسة :الدويلات الإيطالية (جمهورية جنوة ،وليفورن ،وجمهورية البندقية) ،وفرنسا ، وإسبانيا .عاجلت الدراسة تلك العلاقات التي جمعت بين الطرفين خلال فترة الدراسة ،بنوعيتها السياسية والتجارية ،من خلال توضيح مميزات تلك العلاقات والطابع ،الذي غلب عليها ،سواء السلم ،أو الحرب ،وكذا دراسة مختلف العوامل المؤثرة في تلك العلاقات وتحكمت فيها .

لقدت اعتمدت هذه الدراسة ؛على مجموعة هامة من المصادر ،والمراجع المتنوعة باللغتين العربية والأجنبية .في مقدمتها الوثائق الأرشيفية ؛والمتمثلة في السلسلة التاريخية من وثائق الأرشيف الوطني التونسي ،إضافة الى الوثائق المنشورة باللغتين العربية والأجنبية ،ومجموعة هامة من المصادر والمراجع باللغتين .

وقد قسمت الدراسة إلى أربعة فصول ،ومقدمة ،وخاتمة ،واحتوت على مجموعة من الملاحق المتنوعة ،والفهارس ،وخلصت في الأخير إلى استنتاجات هامة بعد دراسة الموضوع .

الكلمات المفتاحية :

العلاقات السياسية والتجارية ،تونس ،غرب أوروبا المتوسطية ،الدويلات الإيطالية ،مالطة ،البندقية ،ليفورن ،فرنسا ،إسبانيا ،القرن 18م .

Titre : les Relations Politiques et Commerciales entre la Tunisie et les Pays de l'Ouest Europe de la Méditerranée au XVIIIème siècle. Pendant l'approche de Documents D'archivées .

Résumé

La Région de la Méditerranée Occidentale a connu au cours de la période modern , changements importants ,dans les relations qui existaient entre les deux rives ,qui la bordent ,et avoir des implications importantes .

J ai choisi un sujet de recherche dans la Thèse de Doctorat en histoire moderne - **les relations Politiques et Commerciales entre la Tunisie et les Pays de l'ouest Europe de la Méditerranée au XVIIIème siècle.** Pendant l'approche de Documents d'Archives . Je l'ai essayé d'étudier le sujet en fonction de l'ensemble des Documents d'Archives ;obtenu par les Archives Nationales de la Tunisie, a également adopté un certain nombre de Documents publiés en Arabe et en Français .

Cette étape historique et une partie importante des transformations ,influencé le reste des Relations entre les deux Rives de la Méditerranée pendant tout le siècle .

Les relations politiques et commerciales entre la Tunisie et les pays méditerranéens de l'europe occidentale au 18 éme siècles a était formé pour étape importante ;pour les pays de Maghreb islamiques et les pays d'europe christian. Par fois marquée par les conflits ,et les accords de Paix ,et le commerce a d'autre moments .

Cette phase caractérisée dans le Sud de la Méditerranée au cours de la 18 éme siècle ,en supposant Husseinite famille régnante en Tunisie ,après l'élimination de la famille Murad . Cet évènement a eu son impact sur les situations politiques en Tunisie ,et sur les relations extérieures avec les pays européens ,en particulier l'Ouest de la Méditerranée .

Le But de l'étude :

Le but de cette étude est d'examiner les **relations politiques et commerciales entre la Tunisie et les Pays de l'ouest Europe de la Méditerranée au XVIIIème siècle** ,pour connaître les réflexions de ces relations ,basées sur cette recherche ,afin d'offrir un travail utile ,ou ajouter quelques détails de ces relations .

Cadre temporel et spatial de l'étude:

J'ai choisi le 18 ème siècle de mon ère a l'objet de mon étude délaï ,étant donné l'importance de cette période dans l'histoire de relations entre les deux rives de la Méditerranée en général ,et pour les relations Politiques et Commerciales de Tunisie avec les Pays d'Occidentales méditerranée en particulier ,en période (1705-1814) .

Le cadre spatial est représenté dans les deux parties importantes du Bassin occidental de la Méditerranée ,a savoir la Régence de Tunis ,et les Pays de l'Ouest de l'Europe de la méditerranée :les Mini-États Italiennes ,la France ,l'Espagne .

Étude problème:

Quelles sont les conditions dans lesquelles les deux parties contrôlées dans les Relations entre les deux parties ? Quelles sont les manifestations de ces relations ?et quelle a été caractérisée par la Paix ou Guerre ?et quels sont les effets et les percussions Méditerranée ?.

Le Plan d'étude :

Cette étude est divisée en introduction ,et quatre chapitres ,chaque chapitre contient une relation de l'étude des États de la rive Nord avec la Régence de Tunis au 18 ème siècle ,et représente comme suit /

4. **Chapitre 01:** les situations Internationale générale au l'Ouest méditerranée .
5. **Chapitre 02 :** les Relations politique et commerciales de Tunis avec les Mini-États Italiennes .
6. **Chapitre 03 :** les Relations politique et commerciales de Tunis avec la France .
7. **Chapitre 04 :** les Relations politique et commerciales de Tunis avec l'Espagne .

Conclusion :

Que cette période historique définie le 18^{ème} siècle était important ,pour les deux parties :la Régence de Tunis et les Pays de l'Ouest de l'Europe méditerranée .elle l'a des Résultats et implications pour la Région de l'Ouest Bassin méditerranée en générale .

J'ai utilisé beaucoup documents et des sources ,et références en arabe et en français ,et j'ai ajouté une variété suppléments .

Mots clés :

les Relations politique et commerciales, Tunis , l'Ouest de l'Europe méditerranée , les Mini-États Italiennes, Malte ,Venis, livourne, la France,l'Espagne, 18^{ème} siècles .